



ابو هري
في العيون من أشعاره

2011-05-08

www.alukah.net

www.almosahm.blogspot.com

أبو هري
في العيون من أشعاره

الجواهر في العيون من الشيخ العلامة

دار طلاس



للدراسات والترجمة والنشر

دمشق - أوتستراد المزة. ص.ب: ١٦٠٣٥

هاتف : ٦٦١٨٠١٣ - ٦٦١٨٩٦١

تلفاكس : ٦٦١٨٨٢٠ - برقياً : طلاسدار

رئيس الدار

هيئة التدريس الأستاذ الدكتور في الجمهورية العربية السورية

جميع الحقوق محفوظة
لدار طلاس للدراسات والترجمة والنشر

الطبعة الرابعة ١٩٩٨

الآراء الواردة في كتب الدار تعبر عن فكر مؤلفيها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الدار

أهديه
إلى الشباب العربي
في كل مكان

الجزائري

تمهيد

مضت فترة طويلة ، منذ أن برزت
فكرة إصدار مثل هذه المجموعة . وقد
تجاوزت حد التحدث عنها فيما بينها وبين
نفسي إلى حدود التحدث عنها من قبل
العديد من معارفي وأصدقائي . وذلك بعد
أن برزت إلى العيان مشكلة تعذر حصول
جماعات وأفراد كثيرين هنا وهناك —
ولا سيما — ذوي الكفاف منهم من
محبّي الشعر والأدب على المجموعات
الكاملة من دواويني بأجزائها التي
تراوحت أخيراً بين السبعة أجزاء والخمسة
منها ، سواء في ذلك الطباعات التي

استغلت تجارياً لحد الاسراف ، بما فرض عليها من ثمن باهظ للمجموعة الواحدة أو تلك الطباعات المتناوبة في أجزائها الواحد بعد الآخر ، كتلك التي أصدرتها وزارة الاعلام في بغداد ، بأجزائها السبعة قبل عشرة أعوام ، أو تلك التي أصدرتها وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية ، في خمسة أجزاء متتالية أيضاً — وعلى ما يشبه الاسراف — هذه المرة في زهادة ثمنها . الأمر الذي سبب تعذر الحصول على المجموعة الشعرية كاملة ، وذلك لنفاد الجزء الأول منها ، على سبيل المثال مما يعسر الحصول عليه لمن يحصل على الجزء الثاني ، أو من حصل على الثالث ونفذ الثاني .

والمغنون الأول في ذلك كله هو الشباب العربي الجامعي بخاصة ، وكل متذوق الأدب والشعر منهم بعامة . ومن بين هذا السبب أو ذاك انبثقت فكرة

خاطفة سرعان ما تحولت الى حيز التنفيذ ، هي أن يكون في متناول الجميع مجموعة واحدة تضم بين دفتيها « العيون » المختارة من كل تلك المجموعات . يستريح فيها الحاصل عليها في هذه الطبعة منها أو التالية الى صميم الواحة الأكثر اخضراراً والأغزر ينابيع . وأخيراً فقد تعمدت أن تجيء المقطوعات غير الطويلة كاملة — وكما هي — وأن تحوز هذه المجموعة عدة قصائد جديدة ، ومنها ما هو في المقام الأول — مما لم تحوه أية طبعة أخرى من طبعات الديوان وهي تنشر لأول مرة . وقد تمت الإشارة إليها في كلمة التقديم لكل واحدة منها . كما تعمدت أن تجيء قصائد غير قصيرة بكاملها لتماسك أطرافها ولأهمية مواضيعها .

وبحق وصدق ولأسباب منطقية — كما يقال — أهديتها إلى الشباب العربي ،

في كل مكان آملاً أن أكون قد عوضته
بذلك عن خسارة لم تكن لي يد فيها .

* * * * *

ويسرني في الختام أن أخصّ
بالشكر الجزيل والامتنان العميق أخي
وصديقي الأديب والمؤلف « الدكتور
عبد الحسين شعبان » على أتعابه وفرط
عنايته وجهوده الحميدة سواء بما تقابل
به معي في اختيار هذه « العيون » وفيما
يختص بضم هذه اللقطة المختارة إلى
جانب تلك أو في تصويرها ، أو في
الاشراف على طبعها وتصحيحها وكما
قل :

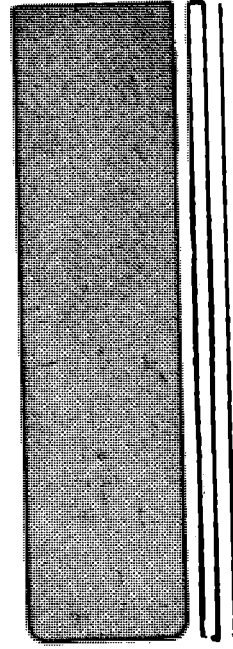
من يصنع الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

* * * * *

ولا يفوتني أن أنوه بمدى
سروري واعتباطي أن تكون دار النشر
التي تحمل اسم السيد العماد الكريم
طلاس ، هي التي اختصت بطبع هذه
المجموعة ونشرها . والتي بذل فيها
مديرها العام اللواء إكيليل الأتاسي
جهوداً مشكورة لتكون على أحسن
وجه .

كانون الثاني — ١٩٨٦

محمد مهدي الجواهري



مقدمة الدكتورة نجاح العطار

في رحاب الشعر

أكبر من الخلق ، سرُّ الخلق الذي لا يُدرك . معجزته في ذاته معجزة الحياة ، إذ الإنسان من صلصال ، ثم هو لا أكبر ولا منتهى ، فالبدع الذي كان بدعاً في الكائنات يبقى ، والعالم بعض صنائعه ، بعض مطارفه ، وبعض عبقريته التي تحار في أمرها الدنيا .

هكذا ، حبة الرمل هذه تشمخ على الصحراء ، قطرة الماء تزهو على المحيط ، والكلمة صوت اندياح الرعد ، تخفت أمامها الأبواق النحاسية ، وتنشق حجب الهياكل ، وترتج القباب الزرق ، المعلقة بأمراس غير مرئية .

الأعظم هذا ، أعظم منه إبداعه ، سرّه ، ولك أن تدهش ، أن تبارك ، أن تطرب ، ثم لا تبلغ أن تأتي بمثله ، لا بالملك ، ولا بالمال أو الجبروت .

الإنسان والفن ، وكل مجد دونهما صغير ، إنما هما كالعين والبصر . أغلاهما رؤية تعكس الألوان أجنحة الفراشات قدرة قادر ، لا رقية ساحر . وحين

نقول الشعر ، نقول الفن ، نقول الانسان الذي تدوّي في موكبه الرياح ، وتتقدمه خيول الزمن ، فالآتي هو الكلمة التي تصل الأرض بالسماء ، وترجم عنها لها .

وحين نقول الجواهري ، نقول كل هذا : المعجزة ، والصحراء ، والكلمة ، والبدع ، والسر الذي لا نبلغ أن نأتي بمثله ، لا بالملك ، ولا بالمال ، أو الجبروت .

مهيأً تراه ، عملاقاً كالأسطورة ، وغريباً كالخارق من الأشياء ، على وجهه يتشهى ألق موهبة ، ومن كل ذرة في كيانه صوت صارخ : إني أنا الشاعر ، أنا البیداء التي منها الخيل والليل والمنتبي ، أنا الفارس الذي خيوله مجرّات ، وقوافيه أفلاك ، تدور بها نجوم ، وتدوّي رعود ، وتتساقط نيازك ، وتتفتح زهور ، وتشرق شمس ، وفيها البرق والريح والمطر .

ولن تسأل حين تسمعه : مَنِ المنشد ؟. ألف عام يمر ، ومن قلب الصحراء ، على تخوم الأفق ، والمزاهر إيقاع جن ، يتقدم الذي يحمل في راحتيه « النار الملتبّه » ومن حوله يضيح الفضاء ، إيذاناً ببعث المنتبي الجديد .

وكما ذاك كان سجلاً لدهره ، وتاريخاً يستنطق التاريخ ، ويوقظه على الشفاه ، ويسيره حياً بين الناس ، كان الجواهري سجلاً لكفاحنا ، وتاريخاً لدنيانا ، وترجماناً عن ذات القرن. إلى القرون التي تليه .

خصوصيته ، وهنا المفترق ، أنه ببيان بدوي النسيج ، مجلجل اللفظ ، غني المفردات ، يهדר كأنه السيل ويرق كأنه الساقية ، يشف عن رؤى ذات أمداء وتهاويل ، وذات صحب وسكينة ، عبر كوى ومطلات على ماض عريض ومستقبل أعرض ، استطاع أن يصوغ أشواقنا صوراً ، وتطلعاتنا دنى ، وأن يعبر عن أدق ما في المشاعر وأضحكها ، دون أن يتخلف عن زمانه بصراً وبصيرة ،

ودون أن يتنكب درب الجموع التي تفرع أبواب وحدتها وحريتها واشتراكيتهما .
وتفرّده ، في قراع الظلم ، جرأته ، على مدى العمر . في الطليعة كان
موقعه . من « معركة الجسر » إلى « يوم الشهيد » والمسيرة عاصفة ، والغربة
حضور ، والتحية قبل ، والشعر سلاح ، وبغداد في القلب ، وفيه دجلة
والفرات ، وفيه ذلك الضرم الذي من جمرة الشهداء كان قبسه .

وتنطفئ النار ، كل النار ، وحتى الأرض تبرد يوماً ، وهو يشتعل . من
أين ، أيها الشاعر ، جذوتك التي في السبعين ، هي ذاتها في العشرين ؟ ،
وتفجرك الذي لا حد له ، فكأنه في الغضب الأتي اكتساحاً ، والاعصار
اجتياحاً ، وكأنه في النجوى بوح سريرة إلى سريرة ، وخير موج في مهامسة مع
رمل الشاطيء ؟

نسأل ونعرف ، يا قيّارة تحركها ريشة مسحورة . « بعض السؤال
اشتياق » ثم لا تعليل ، فالأجوبة تقصر عن نقل دفء السرائر ، وحول العواطف
تظل الأسئلة غريبة . لا تقل شيئاً ، صمتك كلام ، فالعينان ترزّان شعاعاً ،
وتحملان في الكهولة كل حرقتك على الشباب ، وكل توقك إلى الجمال ، وطاقك
من قوة التذكّر ، ومن فيض ومضة الاسترجاع ، ومن فعل ذاكرة هي العجب في
الذاكرات .

إن عمق العيش يؤلّد عمق الاحساس به . أنت عنشت الحياة بكل
جوارحك ، وتتمناها بكل جوارحك كرامة أخرى ، وهذا هو السبب في طفولتك
التي لا تكبر ، وفي براءة مطلبك الذي لا يُلبّى ، وفي القلق المبارك الذي هو زاد
الفن ومحرقته معاً . وسيّان بعد ذلك تاريخ الولادة ما همّ أن تكون اليقظة أم
الشيخوخة ، ما دام وجودك ولادة متجددة .

وعلى أنك تنفست الشعر مع الرضاع ، في نجفك الذي كله شعر ، فقد

أبيت أن تحمل على الطاعة وفي طبعك تمرد ، ورفضت الاستسلام وفي دمك ثورة ،
وعشت أنوفاً إلا مع الصحب ، وعليهم ، واحتفظت منذ طفولتك بالكبرياء
وبالدلال ، حتى « لتحسب الأنجم بعض لعبك » وهذا بعض روح الشعر .

وكما « لثورة الفكر تاريخ يذكرنا » ، لثورة العرب مرآة هي أنت ، فقد طلبت
بالشعر ما هو أعز منه : الثورة ، وكان شعرك على الأعوام نسغاً ثورياً في عراقك
وأمتك ، ومازال لهيباً يتأثر في الدم العربي .

ونحن نعرف أن عروق الشعر مع العمر تنضب ، إلا عروقك فهي معين ،
وإلا نضجك الذي هو الآن خوخة سمراء ، عطرها شميم يتضوع ، أين منه عطر
الصبا ، ولا قياس ..

بك يكبر الشعر .. فكيف للنثر أن يكون مدخلاً إليه وأنت قائلة ؟
سلمت ... ويسعدنا ونحن في وطن « حاضن الفكر خلاقاً » أن نحتضن
فكراً خلاقاً كفكرك ، وأن نقدم ديوانك ، بأجزائه الكاملة ، إلى القراء العرب ، وأن
نقرن به أجمل تحياتنا ، وأصدق تمنياتنا ، بالعمر الطويل ، والعمل المثمر . *

الدكتورة نجاح العطار
وزيرة الثقافة والإرشاد القومي

* هذه المقدمة مستقاة من ديوان الجواهري (الأجزاء الكاملة) الصادر عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي في دمشق .

على قارة الطريق

قال لي وقد عرج عليّ — وأنا في منتصف الطريق إلى حيث أريد — أنت
مسافر مثلي ؟

فقلت له : لا ! بل أنا شريد .
قال : وأين وجهتك الآن ؟..

قلت : وجهتي أن اضع مطلع الشمس على جبيني وأغذ في السير .. حتى اذا
جنني ظلام الليل أقمت حيث يُجنّني .. وسرت عند طلوع الفجر .
قال : والليل ليل والنهار نهار منذ الأزل وحتى الأبد ... أفأنت مجنون ؟؟...

قلت له : لا — كما أعتقد — ... ولكن أنت جاهل ؟..
قال : وكيف ؟...

قلت له : لقد علمنا علم المكان وعلم الزمان من جديد أنك كلما أغذت
السير قُدماً قصر الليل وطال النهار .. حتى ليكادان يتحدان عند المنتهى .
ولقد كنتُ أجهل مثلك هذه الحقيقة طيلة ثلاثين عاماً كنت خلالها أهيّم على
وجهي وأتخبط مجاهل الأرض — دون معالمها — إذ كنت لا أعلم من هذا العلم شيئاً .
قال : والآن ؟؟ ..

قلت : والآن .. فمنذ سبعة عشر عاماً ، — وقد عرفت هذه القاعدة — وأنا:
أمشي الى الأمام تحت ضوء الشمس ...

قال : وعندما تغيم ؟؟..

فقلت له : إنني لأفتح عيني أكثر لأعتاض بهما عن نور الشمس وقد أزيغ
وأنحرف ! وكفي هذا تعباً يطول أو يقصر على قدر انحرافي .. ولكنه ليس على كل
حال أكثر من التعب في أن أعود ومعني ضوء الشمس من جديد ، ومن حيث
ابتدأت .

قال : وماذا أكثر من التعب ؟

قلت : أكثر منه ألا أتعب .

قال : أولاً ترتجف من البرد ؟؟

قلت : لا ... فقد تعودته حتى لأكاد أرتجف من الحر .

قال : وماذا تأكل ؟؟..

قلت : لحوم الحيوانات السائبة فإن لم تكن تقوُثُ فقليل من لحمي ...

قال : لحملك ؟؟؟!!

قلت : أجل .. ولماذا لا ؟.. واني لأكل من لحم أولادي أيضاً ...

قال : آه ... وعندك أولاد ؟!!

قلت : بلى .. وهم سبعة ومعني أيضاً في طريقي ..

قال : وكيف يطيقون هذا العناء ؟؟...

قلت : أحمل العاجز منهم على كتفي ، وأدع رعاية الصغير للكبير منهم ، وآكل

من لحمهم وأطعمهم من لحمي .. ومن مات منهم جوعاً ، أو تعباً ، تركته للكلاب ..

قال : أولاً يرتجفون مثلك من البرد ؟؟..

قلت : بلى .. يرتجفون .. الآن .. وسوف يتعودون ذلك غداً .. فلا يرتجفون

أبداً .

قال : أو لم تقدر أن تكسوهم ، وتطعمهم فيما تمر به على المدن ، والقرى ،
والناس؟؟..

قلت : أبداً ..

قال : ولماذا؟؟

قلت : لأنهم يريدون لذلك ثمناً ...

قال : أو تريده أنت بلا ثمن؟؟

قلت : وكيف أريده بدونه ..؟

قال : فلماذا؟؟

قلت : لأنني أريد لهم ولي .. أن أعمل ويعملوا .. لنشبع ونكتسي ..

قال : وهم؟؟..

قلت : هم يريدونني أن أرقص ..

قال : ترقص؟؟!!!!

قلت : أجل ، ومثل القروء تماماً .

قال : ولماذا لا ترقص؟؟ ومثل القروء؟؟

قلت : لأنني لم أوهب سعة حيلة هذا الحيوان ، وصبره على المجاعة .

* * *

— ألك اخوة؟..

قال لي صديق الطريق .. هذا!!... وقد صمت ورمق الأفق البعيد بعينيه

قلت : أجل لي ثلاثة ..

قال : وأين هم؟؟

قلت : واحد تشردّ مثلي ، وآخر تخلف عني في المدينة ، وثالث أكلته
الحيوانات !!

قال : أو لك أمّ ؟؟ ..

قلت : وكيف لا ؟؟؟!!

قال : وأين تركتها ؟

قلت : تركتها على قارعة الطريق ، ويدها كتاب ! ، وإبريق ! ، ومبخرة !!

قال : وما هذا ؟؟؟!!

قلت : هذا من عقائدها ..

قال : عقائدها ؟!!

قلت : أجل من عقائدها ... انها كلفتني أن أقبل الكتاب ، وقد حملته
باليمن ، فقبلته ، ولكن .. بعد أن أخذته منها بالشمال .. وأرادت أن ترش الأرض من
حولي بالماء ، ومن أنبوب الابريق .. فرشت به الأرض ، ولكن بعد أن رفعت الابريق الى
فوق ومن فوهته !! ..

قال : والمبخرة ؟

قلت : إني حطمتها .. وإن والدتي لمتشائمة وحزينة من أجل ذلك .

قال : مفهوم أنها حزينة ، ولكن لماذا هي متشائمة ؟؟

قلت : لأنها تعتقد أنني لا أرجع اليها سالماً وقد حطمتها ...

قال : وأين ولدتك أمك ؟؟

قلت : على قارعة الطريق أيضاً ..

قال : أكل شيء على قارعة الطريق ؟؟؟!!

قلت : أجل .. لأنها من المعتقدات بـ — أسطورة !! — « سيادة النور »

«عبودية الظلام» ... وهي ترتجف رعباً من الليل ، ولذلك فهي لا تضع حملها إلا على قارعة الطريق ..

قال : وأبوك ؟

فقلت له : إنه لا يشغل بالي من أمره أكثر من أنه كان يتحمل الألم ، ولكن بصمت ! بلا ثورة على الألم . وبلا تجديف . وإنه كان يغني ثم خاف فترك الميدان . وكل من هو على شاكلته من المغنين لا يشغل بالي من أمرهم شيء !.

قال : ومتى عهدك بالمدينة وأهلها .

قلت : منذ تركتها ، أما عهدي بأهلها فممنذ أن تشاجرت مع حاكمها لكثرة ما يحملهم على الرقص كالقرود .
قال : وبعد ؟؟!! ..

قلت : وبعد .. فقد استمروا يرقصون حتى بعد أن طردني الحاكم شر الطرد من أجلهم .. طردني أنا ومن معي ..

قال : أفأنت حاقد عليهم من أجل ذلك ؟؟!!

قلت : لا أبداً بل غاضب ..

قال : أولاً تريد أن تراهم ؟؟..

قلت : إن بريق الغضب في عيني ليصدني عن رؤيتهم ..

* * *

قال لي عابر السبيل بعد برهة وجيزة استرحت خلالها من قال وقلت .
قال وقد فهمت أن عنده ما يخاله هو شيئاً جديداً — أن هناك — من

ورائنا !! غابة .. وارفة الظلال كثيرة الأشجار ، ناضجة الثمار ، شاخبة الغدران ، ..

أفلا أدلك عليها فتسترخ عندها .. ولو بالرجوع خطوات ؟؟

قلت له عابساً : أفأنت خارج منها !!؟؟

قال : أجل .

قلت : أفأنت من أشباحها !!؟؟

فصمت مذهولاً ! ولما أدركت أنه ليس منهم ، وانه مجرد عابر سبيل ، انحدر

اليها ..

قلت له : لا .. لا أبداً ... فهل تريد أن أقص عليك أمري منها ، وأدع لك

أمرك وشأنك .. على أن نفترق بعد الآن ، لأنك حديث العهد بها ، وبأرواحها ،

ولأنني لا اطمئن إليك من أجل هذا ...

قال وقد رأيت الألم الصادق ! في عينيه : موافق ..

قلت له : لقد مررت بغابتك هذه ، بعد أن كنت قد انحرفت قليلاً أو كثيراً لا

أدري — عن شرع الطريق الذي كنت أريده ، وكان الأمر في ذلك انني لقيت من على

جانبي طريقي المنحرف أشباحاً وكأنها الأدلاء الى الطريق السوي فنبعتهم —

شاكراً !!! — حتى إذا توسطت الغابة استقبلتني من خلال أغصانها المتشابكة رؤوس

كأنها الشياطين ، وأصوات كأنها حشرة المحتضرين ، وأطبق علي الظلام الذي

أخافه .

ولا أنكرك .

انني كنت جائعاً ، وإن ثمرها كان شهياً .

وإنني كنت ظامئاً ، وإن ماءها كان عذباً سائغاً .

ولكنه ، مع هذا كله فقد أنستني حاسة الرعب والهلع من الظلام المسيطر

عليها كل الحواس الأخرى .

فلقد أدركت يا صديق الطريق العابر من بادىء الأمر — بغريزتي — وليس

بعقلي أن طريقاً يقف عليه الأدلاء ليدلّوا المارة عليه ليس هو بالطريق القويم ، فمثل هذا الطريق ما تسير أنت مدفوعاً على هداه .

ولقد علمت يا صديق الطريق العابر أن تلك الأشباح المبسوثة في طريقي إلى الغابة إنما هي من أرواحها !! وأن كل ما عوى علي من ذئابها !!!
وكّل ما طلع علي من رؤوسها !!!
وكّل ما أدمى قدمي من أشواكها !!!
وكّل ما حكّ جلدة رأسي من أغصانها وفروعها !!
كان جزءاً لا ينفك من أرواحها أيضاً .
وحتى تلك الحيوانات المتفرجة المسالمة فيها هي منها أيضاً .

وتلك الأشباح التي كانت تنسلل من خارج هذه الغابة فتتشابك مع ما في داخلها من أشباح وأرواح وكأنها تريد أن تتلاعب معها ! أكثر من أن تتقاتل .
حتى تلك الأشباح التي كانت وكأنها تريد أن تدفع عنها كل البطر ! وفتور الدلال ! في معركتها هذه ، آمنت أنها من سلالة أرواح الغابة ومن عناصرها !
ولقد ألفت تلك الأرواح الشريرة ومن تابعها ترى ذلك الجنّي الغضّ من الشر العاجل في هذه الغابة ، والماء العذب البارد خير العوض عن الظلام الرائن عليها !
وكنت أراه مجرد ثمر عاجل . ومجرد سراپ لاعم .
وكانوا يضحكون مني . وكنتم أضحك منهم !!
وعندما هز عابر السبيل هذا رأسه باستحباب كمن يريد زيادة في الحديث ...
قلت له : ومن الغريب أنني كنت أحمد !!! في خطواتي الأولى الى هذه الغابة هؤلاء الأدلاء .

وكنتم لا أنفك أغني إلى جانب ذلك أغاني التمجيد لنور الشمس ، وكان هؤلاء الأدلاء أنفسهم — لا غيرهم — يهزون رؤوسهم وأذقانهم كالمؤمنين بما أغني .

والأغرب من كل هذا — يا صديق طريقي العابر — أنني حتي بعد أن وليت
منهم ومن غابتهم فراراً ...

كنت أغني بحماسة أكثر .. وأغانٍ أجود في تمجيد نور الشمس ، وفي شجب
عشاق الظلام ..
وكانوا — هم وليس غيرهم — أيضاً يهزون رؤوسهم وأذقانهم تأمناً على أغانيّ
هذه ...

في حين كانوا يشيعونني معها بنظرات الأسف .
إنهم كانوا يفعلون ذلك وهم يقضمون من نبات تلك الغابة وأثمارها .. ثمر
الظلام الذي يعيشون فيه ... ثم يرمون ببعضها .. أو يبقاياها الى من وراءهم وحواليهم
من تلك الأرواح .

ومن قصرت أيديهم أن تمتد الى أغصان أشجار الغابة .

ثم قلت وقد انتهيت ..

والآن فوداعاً يا صديق الطريق العابر ..

قال : وداعاً يا أيها المغني لنور الشمس !!!

وداعاً أيها الشريد !!!

وكان هذا آخر عهد لي به ، وآخر عهد له بي .

محمد مهدي الجواهري

الجواهري في سطور

• استلّت هذه النبذة عن حياة الجواهري ، من مقدمة اللجنة المشرفة على اعداد المجموعة الكاملة لطبعة وزارة الاعلام في بغداد مع بعض الاضافات حتى أواسط الثمانينيات . وكذلك مع بعض التعديلات والتنقيحات

- ولد عام ١٩٠٠ للميلاد (وهناك روايات أخرى) في النجف . والنجف مركز ديني وأدي . وللشعر فيها أسواق تمثل في مجالسها ومحافلها .
- وقد تحدر عن أسرة عريقة في العلم والأدب والشعر . اكتسبت شهرتها من باني مجدها العلمي الشيخ محمد حسن صاحب كتاب «جواهر الكلام» . وكان لهذه الأسرة ، كما لباقى الأسر الكبيرة في النجف مجلس عامر بالأدب والأدباء يرتاده كبار الشخصيات الأدبية والعلمية .
- درس على عدد من الشيوخ وأخذ عنهم النحو والصرف والبلاغة والفقه وما الى ذلك مما هو معروف في منهج الدراسة آنذاك .
- لم يلتزم بالتدرج العلمي الذي جرى عليه . طلبه العلم في النجف .
- نظم الشعر في سن مبكرة ، تأثراً ببيئته ، واستجابة لموهبة كامنة فيه .
- لم يبق من شعره الأول شيء يذكر ، وأول قصيدة له كانت قد نشرت في شهر كانون الثاني عام ١٩٢١ ، وأخذ يوالي النشر بعدها في مختلف الجرائد والمجلات العراقية والعربية .
- تبوأ مكاناً مرموقاً بين شيوخ القريض في بلدته .
- نشر أول مجموعة له باسم «حلبة الأدب» عارض فيها عدداً من الشعراء المعاصرين والقدامى .

- سافر إلى إيران مرتين . المرة الأولى في عام ١٩٢٤ ، والثانية في عام ١٩٢٦ ، وكان قد أخذ بطيبتها ، فنظم في ذلك عدة مقطوعات .
- ترك النجف عام ١٩٢٧ ليعين مدرساً في المدارس الثانوية ، ولكنه فوجيء بتعيينه معلماً على الملاك الابتدائي في الكاظمية .
- وفي العام نفسه أصدر ساطع الحصري مدير المعارف العام آنذاك أمراً بإنهاء خدمته بسبب نشره قصيدة (بريد الغربة) التي استوحاها من طبيعة إيران في أثناء سفرته الثانية إليها ، وقد اتخذ بيتاً ورد فيها ذريعة للإيقاع به .
- أحدث هذا الأمر ضجة ، فتدخل وزير المعارف آنذاك (السيد عبد المهدي) وألغى قرار الفصل ، ولكن الجواهري استقال من وظيفته بعد أقل من شهر .
- ولما اتسعت الضجة رأى البلاط أن يضع لها حداً ، فعينه بدائرة التشرifications فيه .
- في عام ١٩٢٤ أعد للنشر مجموعة من شعره باسم «خواطر الشعر في الحب والوطن والربيع» ، ثم أضاف إليها ما استجد له من شعر وبدأ طبعها سنة ١٩٢٧ باسم «ديوان محمد مهدي الجواهري» ، وعندما أنجز الطبع سنة ١٩٢٨ صدر بغلاف عليه اسم «ديوان بين الشعور والعاطفة» لصاحبه محمد مهدي الجواهري .
- ثم استقال من البلاط سنة ١٩٣٠ ، ليصدر جريدته (الفرات) وقد صدر منها عشرون عدداً ، ثم ألغت الحكومة امتيازها فألته ذلك كثيراً ، وحاول أن يعيد إصدارها ولكن بدون جدوى ، فبقي دون عمل إلى أن عين معلماً في أواخر سنة ١٩٣١ في مدرسة المأمونية ، ثم نقل إلى ديوان الوزارة رئيساً لديوان التحرير .
- في هذه الأثناء زار العراق الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود ، فنظم قصيدة يمدح فيها آل سعود لمحض التشفي بالملك فيصل ، وأوصلها إلى الأمير السعودي ، وطلب إليه نشرها في الجريدة السعودية (أم القرى) ، ونشرت القصيدة ، فأثار ذلك الملك فيصل ، وكان الشاعر حينئذ مدرساً في ثانوية البصرة ، ثم لم يمض فيها بضعة أشهر ونُقل إلى الحلة ، ثم أعيد إلى ثانوية البصرة مرة أخرى ، ثم نقل إلى ثانوية النجف ، ثم إلى دار المعلمين الريفية في

الرسمية ، وهنا نشر قصيدة عنوانها « حالنا اليوم أو في سبيل الحكم » فضح فيها نظام الحكم القائم ، وأبان عن مفسده فأحيل على لجنة (الانضباط) العام ، فأصدرت قراراً بفصله ، فاعترض — بعد الحاح — لدى مجلس (الانضباط) العام فأبدل المجلس الانذار بعقوبة الفصل ، ولم يرغب في العودة الى الوظيفة ، إلا أن بعض المسؤولين في الوزارة أقنعه بالعودة فاختار الناصرية ، ولكنه استقال من الوظيفة بعد أشهر ليفرغ للصحافة .

- وفي عام ١٩٣٥ أصدر ديوانه الثاني باسم « ديوان الجواهري » .
- وفي أواخر عام ١٩٣٦ أصدر جريدة (الانقلاب) إثر الانقلاب العسكري الذي قاده بكر صديقي .
- وإذ أحس بانحراف الانقلاب عن أهدافه التي أعلن عنها بدأ يعارض سياسة الحكم فيما ينشر في هذه الجريدة ، فأخذت الحكومة تتحين الفرص للإيقاع به ، وتم لها ذلك ، وحكم عليه بالسجن ثلاثة أشهر وبايقاف الجريدة عن الصدور شهراً .
- بعد سقوط حكومة الانقلاب غير اسم الجريدة الى (الرأي العام) ولم يتح لها مواصلة الصدور فعملت أكثر من مرة بسبب ما كان يكتب فيها من مقالات ناقدة للسياسات المتعاقبة ، وكان يصدر في أثناء تعطيل (الرأي العام) جرائد أخرى بأسماء أخرى ، باسمه أو باسم آخرين كـ « الثبات » و « الجهاد » و « الأوقات البغدادية » و « الدستور » و « صدق الدستور » و « الجديد » و « العصور » .
- ولما قامت حركة مايس سنة ١٩٤١ أيدها وبعد فشلها غادر العراق مع من غادر الى إيران .

- عاد الى العراق في العام نفسه ، واستأنف إصدار جريدته (الرأي العام) .
- في عام ١٩٤٤ شارك في مهرجان أبي العلاء المعري في دمشق .
- وفي عام ١٩٤٧ دخل المجلس النيابي نائباً عن كربلاء ، واستقال من المجلس مع من استقال من نواب المعارضة احتجاجاً على السياسة الاستعمارية التعسفية التي أرادت فرض معاهدة بورتسموث على الشعب فكانت وثبة كانون عام ١٩٤٨ ، وقد استشهد فيها شقيقه

الأصغر جعفر ، وأريد منه أن يعود الى المجلس النيابي في جملة من عاد اليه من المستقلين فامتنع .

● وفي أيلول من العام نفسه سافر الى باريس ومنها إلى (بركلاو) في بولونيا لحضور أول مؤتمر للسلام العالمي ، وكان العربي الوحيد الممثل في هذا المؤتمر ، بعد أن تغيب عن حضوره الدكتور طه حسين . وبعد انتهاء هذا المؤتمر عاد إلى باريس وأقام فيها عدة أشهر ، ثم رجع الى العراق .

● أصدر في عامي ١٩٤٩ و ١٩٥٠ الجزء الأول والثاني من ديوانه في طبعة جديدة . وقد ضم هذا الديوان فيما ضم قصائده التي نظمها في الأربعينيات والتي برز فيها شاعراً كبيراً ، ومن بينها : قصيدة (ستالينغراد) و(المقصورة) و(المعري) و(أبو التمن) و(الوترى) و(سواستبول) و(أجب أيها القلب) و(أخي جعفر) و(يوم الشهيد) .

● وفي عام ١٩٥٠ دعاه الدكتور طه حسين للمشاركة في المؤتمر الثقافي للجامعة العربية الذي عقد في الاسكندرية ، وعندما وصل إلى مصر أعلن الدكتور طه حسين أن الجواهري ضيف الحكومة المصرية ، وفي هذا المؤتمر ألقى قصيدته :

يا مصر تستبقي الدهور وتعثر والنيل يزخر والمسلة تزهر

وقد عرّض فيها بالحكم الرجعي القائم في العراق آنذاك .

● ثم عاد إلى العراق لتدعوه في عام ١٩٥١ لجنة تأبين عبد الحميد كرامي إلى بيروت للمشاركة في تأبينه ، وألقى قصيدته :

باق — وأعمار الطغاة قصار — من سفر مجدك عاطر موار

وعلى أثرها تلقى أمراً عاجلاً بوجوب مغادرته لبنان حيث ظل ممنوعاً من دخولها .

● وفي العام نفسه ، وبعد عودته من بيروت عطلت الجرائد التي كان يصدرها فسافر إلى مصر احتجاجاً على مضايقته .

● وعاد الى العراق بعد أن حضر مؤتمر السلام العالمي الذي عقد في فيينا ، وأصدر (الأوقات

البغدادية) و (الثبات) و (الجهاد) ، ثم أغلقت (الجهاد) إثر انتفاضة تشرين عام ١٩٥٢ ، واعتقل في أبي غريب ونظم في المعتقل قصيدة (ظلام) .

- أصدر عام ١٩٥٣ الجزء الثالث من الطبعة الثالثة من ديوانه . وأصدر جريدة (الرأي العام) إلا أنها عطلت عام ١٩٥٤ لمناهضته الحكم الرجعي فيها .
- أرادت الحكومة أن تسكنه فأقطعت أرضاً في (علي الغربي) من لواء العمارة (آنذاك) .. ولكنه سرعان ما تمرد ، وقد دعت لجنة تأيين عدنان المالكي إلى دمشق للمشاركة في تأيينه ، فلما وصل إليها ألقى قصيدته :

خَلَفْتُ غَاشِيَةَ الْخَنُوعِ وَرَأَيْتُ أَقْبَسَ جَمْرَةَ الشَّهْدَاءِ

التي فضح فيها الحكم الرجعي في العراق . وأقام في دمشق بعد أن منحته الحكومة السورية حق اللجوء السياسي ، وظل فيها قرابة سنتين ضيقاً على الجيش السوري ، وفي دمشق أصدر الجزء الأول من ديوانه في طبعته الرابعة ، ولم يصدر أجزاء أخرى منه ، ثم عاد إلى بغداد عام ١٩٥٧ .

- أقام بعد عودته من دمشق في (علي الغربي) حتى إذا قامت ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ عاد إلى بغداد ، وحياً الثورة بقصيدته :

سَدَّ خَطَايَا لَكِي أَقُولُ فَأَحْسِنَا فَلَقَدْ أَتَيْتُ بِمَا يَجِلُّ عَنِ الثَّنَا

ثم استأنف إصدار (الرأي العام) ووقفها على تأييد الثورة ومنجزاتها .

- انتخب رئيساً لاتحاد الأدباء العراقيين ونقياً للصحفيين .

- وعندما عقد المؤتمر الرابع للأدباء العرب في الكويت في كانون الأول من عام ١٩٥٨ حضره رئيساً لوفد اتحاد الأدباء العراقيين .. وقد واجه الوفد استفزازات شرسة ولكنه بذل جهداً في تجنب الوقوع فيها .

- ولم يمس على الثورة عام حتى أخذ يواجه مضايقات مختلفة بلغت حداً أدى إلى الاعتداء عليه وتوقيفه ، فخشي على حياته ، فانتهر دعوته إلى حضور حفلة تكريم الأخطال الصغير في

بيروت عام ١٩٦١ لمغادرة العراق ، وقد غادره فعلاً ، ومن هناك استقر في براغ ضيفاً على اتحاد الأدباء التشيكوسلوفاكيين .

● وإذا اشتدت الضائقة للشاعر ، قبل مغادرته العراق ، رأى جماعة من الأصدقاء والمحبين أن يسعوا للتخفيف عنه ففكروا في طبع ديوانه كاملاً في أربعة أجزاء ، وبدأ المشروع فعلاً وصدر منه جزءان ، صدر الجزء الأول عام ١٩٦٠ ، والجزء الثاني عام ١٩٦١ .

● أقام في براغ سبع سنوات ، وصدر له فيها عام ١٩٦٥ ديوان جديد سماه « بريد الغرب » .

● وفي أواخر عام ١٩٦٧ جاء إلى بيروت لطبع ديوانه كاملاً ، فاتفق مع دار الطليعة على إصداره ، فصدر الجزء الأول منه في نيسان من عام ١٩٦٨ . وكانت المكتبة العصرية ومطبعها في بيروت قد أصدرت قبل ذلك بعام جزءين في مجلد واحد من ديوانه ، أفاد الشاعر أنها طبعة مسروقة .

● وفي أواخر عام ١٩٦٨ عاد إلى الوطن بدعوة من الحكومة العراقية وقد استقبل استقبلاً حافلاً ، وأقامت له وزارة الإعلام حفلاً لتكريمه ، أقيمت فيه القصائد والكلمات ، وألقى هو فيه قصيدته :

أرح ركابك من أين ومن عثر كفاك جيلان محمولاً على سفر

● خصصت له الحكومة العراقية راتباً تقاعدياً شخصياً قدره ١٥٠ ديناراً في الشهر .

● رأس الوفد العراقي إلى مؤتمر الأدباء العرب السابع الذي عقد في بغداد .

● وفي عام ١٩٦٩ صدر الجزء الثاني من ديوانه عن دار الطليعة ، وفي العام نفسه صدر له في بغداد ديوان « بريد العودة » .

● وعلى أثر صدور بيان ١١ آذار ١٩٧٠ قال قصيدته « طيف تحدر » التي طبعت بعد ذلك مستقلة .

● وفي عام ١٩٧١ أصدرت له وزارة الاعلام ديوان « أيها الأرق » .

- وفي عام ١٩٧١ كان رئيساً للوفد العراقي الذي مثل العراق في مؤتمر الأدباء العرب الثامن المنعقد في دمشق . وفي العام نفسه أصدرت له وزارة الاعلام ديوان «خلجات» .
- وفي عام ١٩٧٣ رأس الوفد العراقي الى مؤتمر الأدباء التاسع الذي عقد في تونس .
- وفي أواخر عام ١٩٧٨ وجهت له دعوة من قبل وزارتي الثقافة والارشاد القومي والاعلام ، لزيارة دمشق ، حيث أقيمت له حفلة تكريمية كبرى في سينا الحمراء ، ألفت فيها الدكتوراة العطار ، الكلمة التي يجدها للقارئ في مقدمة الديوان . والقى فيها الجواهري قصيدته المشهورة : يا جبهة المجد !...
- في أواخر السبعينيات ، عاد الجواهري إلى منفاه في براغ ليبدأ رحلة جديدة من الغربة ، وسافر إلى عدد من البلدان العربية بدعوات رسمية ، واستقر حقبة من الزمن في دمشق ، بضيافة سيادة الرئيس الجليل حافظ الأسد ، حيث استقر به المقام حتى الآن .
- وفي عام ١٩٧٩ ، أصدرت له وزارة الثقافة والارشاد القومي السورية ، طبعة جديدة لديوانه في ٥ مجلدات .
- في عام ١٩٨٢ ، صدرت عن دار العودة في بيروت ، طبعة أخرى لديوان الجواهري ، مزيّدة ومنقحة في ٤ مجلدات .
- الموسوعة البريطانية العالمية الشهيرة ، خصت الأستاذ محمد مهدي الجواهري ، شاعر العرب الأكبر ، باعتباره واحداً من المشاهير في العالم .
- الموسوعة البريطانية — العربية الجديدة ، أشارت إلى الجواهري بصفته من مشاهير الشخصيات في العالم . وذلك في رسالة بعثها الى الشاعر الكبير .
- اذا ذكر الجواهري في الجرائد والمجلات والكتب وقدم في المنتديات والمحافل ذكر بالاعجاب والاكبار وكثيراً ما لقب بالشاعر الكبير وشاعر العرب الأكبر .
- وللجواهري الكبير نثر فني جدير بدراسة مستقلة .

العشرنيات

ثورة العراق

● نظمت عام ١٩٢١

فبعد ذا اليوم غد	إن كان طال الأمد
عنها الغيـون الرمد	ما آن أن تجلو القذى
وعزمكم متقمم	أسيافكم مرهفة
أخبار من قد رقدا	هبطوا كفتكم عبدة
كيف ينهـم الأسد	هبوا فعن عرينه

* * *

ليعرب لا تخمد	وثورة بل جمة
والحر لا يستعبد	أججهـا إباؤهم
حتى يشب البلد	لا تنشي عن بلد

* * *

كم جلب الـ_____ذُلَّ على المرء حسامٌ مغممـ_____د
 زيدوا لقاحاً حريكم لـ_____ل عزاً تلـ_____د
 إياكم والـ_____ذل إن جرحه لا يـ_____ضمـ_____د

* * *

وللفـ_____رات نهضة مشهـ_____ودة لا تُجَحـ_____د
 ناشد بذاك عوجـ_____نة ومثلها يـ_____ستـ_____نشـ_____د^(١)
 هل اشتفت من العـ_____دى أم بعـ_____د فيها كـ_____مـ_____د؟
 وهـ_____ل درت أبنائـ_____ها أن الثـ_____نا مـ_____خلـ_____د
 هم عمـ_____روها خـ_____طـ_____نة يصلى بها وتـ_____حمـ_____د

* * *

وللقـ_____طار وقعـ_____نة منها تُقـ_____رُ الكبـ_____د^(٢)
 ما تركـ_____وا، حتى الحديد سلسـ_____لوا وقـ_____يدوا
 مرّ وقـ_____د تحاشدت عـ_____يدـ_____ة والعـ_____دد
 كأنـ_____ما لسائـ_____ه خطـ_____يبُ جمعٍ مُزـ_____د
 كأنـ_____ه آلى على أن لا يطـ_____ول المدد
 تكـ_____اد من هـ_____يته صـ_____م الجـ_____بال تسـ_____جـ_____د

(١) العوجة : قرية على جانب الفرات وتسمى بالرميثة وفيها الوقعة المشهورة بين الثوار والبريطانيين وقد فاز فيها الثوار على الانكليز وتغلبوا عليهم وردوهم بأفضع صورة .
 (٢) هو القطار المدرع الذي بعثه المحتلون لتأديب الثوار وكان مشحوناً بالضباط البريطانيين وكانت الغلبة للثوار إذ أوقفوه وحطموه واعتقلوا من فيه .

تَحْكُمُهُ النِّارُ كَمَا بِالرُّوحِ سَارَ الْجَسَدُ
لَمْ يُلَفِّ إِلَّا مُوعِدًا فَمُبِيقٌ وَمُرْعِدٌ

* * *

وَدَعَوْهُ مَشْهُودَةً تَدْعُو لِيَوْمٍ يُشْهَدُ
قَامَ بِهَا مَقْلُودَةً بَعَزَمَ بِهِ مَجْتَهَدُ
«مَحْمُودٌ» وَمَعْجَزُ مَشَلَّكَ يَا «مَحْمُودُ»^(١)
لَقَدْ سَحَّحَهَا شَعْوَاءٌ لَا يَطْلُغُ فِيهَا السَّيُّودُ
يَرُونَ أَقْصَى مَطْمَعٍ فِي الْحَرْبِ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا
كَأَنَّمَا لَيْسَتْ لَهُمْ نَفُوسُهُمْ وَالْوَلَدُ

* * *

يَا ثَوْرَةَ الْعَرَبِ انْهَضِي لَا تُخْلِقِي لِي مَا جَدَّدُوا
لَا عَاشَ شَعْبٌ أَهْلُهُ لِسَانُهُمْ مَقِيدٌ
سَيَّانَ عِنْدِي مَقْبُولُ أَوْ مُرْهُدٌ مَجْرَدُ
أَفْئِدِي رَجَاءً أَوْ أَخْصِلُوا لَشَعْبِهِمْ وَاجْتَهَدُوا
كَمْ خُطْبَةٍ نَفَاثَةٍ فِيهَا تُخْلَعُ الْعُقَدُ
وَمَقْبُولٍ قَصَرٍ عَنْ تَأْثِيرِهِ الْمَهْدُ
هَذَا لِسَانِي شَاهِدُ عَذْلٍ مَتْنِي تَسْتَشْهِدُوا

(١) الشيخ محمد تقي الشيرازي .

أَنْ لَا تَزَالَ أَضْلَعُ يَ تَطُوى عَلَى مَا تَجِدُ
عَهْدًا أَكِيدُ فَتَقُوا أَنِي عَلَى مَا أَعْهَدُ

الليل والشاعر

- هذه قطعة مستقلة من قصيدة « الثورة العراقية » كان الشاعر قد نشرها مع القصيدة، عند نشرها أول مرة، في مجلة العرفان و ط ٢٨، ولكنه أبعدها عند نشره القصيدة في دواوينه الأخرى لتحافظ القصيدة على وحدة الموضوع ... وقد ارتبني نشرها منفصلة ..
- وكان مكان القطعة بعد المقطع الذي ينتهى بالبيت:
أسلمتوه وهو عقد مضنّة يناضل عن أمثاله ويدافع

وليلٍ به نَمَّ السنا عن سُدوفه
تَلَامُعُ في عَرَضِ الأثير نُجُومُـه
رعيثُ به الآمال والنسر طائر
خليلانٍ مذهبولانٍ من هيئة الدجى
سجية مطوي الضلوع على الأسى
صريعُ أمانٍ لم يقرّبه جاذبُ
عمى لُيُونِ الهاجمين وأسلموا
أني العدل صدرٌ لم تضيق عنه أضلعُ
فنمتُ بما تُطوى عليه الأضالعُ
كأن الدجى صدرٌ وهنَّ مطامعُ
إلى أن تبدى الفجر والنسر واقعُ
تطالعني من أفقها وأطالعُ
متى يرم السلوى ثَغْفه المدامعُ
لما يرتجى إلّا وأقصاه دافِعُ
لحرّ الاسى جنباً قلّته المضاجعُ
تضيق به الستُ الجهات الشواسعُ

جناية الأمانى

- نظمت عام ١٩٢١
- نشرت في مجلة «العرفان» الجزء الثاني من المجلد السابع الصادر في تشرين الثاني ١٩٢١

جَلَبْتُ لِي اِهْمٌ وَاِهْمٌ عَنَا
أَوْ مَا أَحْيَيْنِي مِنْ غَارِسٍ
كَلِمًا حُدِّثْتُ عَنْ نَجْمٍ بَدَا
أَمَلٌ أَخْشَى عَلَيْهِ زَمَنِي
لَا تَذَكِّرُنِي هُنَا يَشْجُو الْحُشَا
إِنَّمَا أَشْكُو حَيَاةَ كُلُّهَا
لَا تَخْلُهُ فِي هِنَاءٍ ظَاهِرٍ
غَرَدَ الطَّيْرُ فَقَالُوا: مَسْعَدٌ
وَانْتَنَى الْغَصْنُ وَلَوْلَا أَنَّهُ
أَتَرَى الْأَنْجُمُ طُرًّا تَشْتَكِي

أَوْ مَا أُرْوِحُنِي لَوْلَا الْمُنَى
شَجَرَ الْأَمَالِ لَكِنْ مَا جَنَى
حَدَّثَنِي النَّفْسُ أَنَّ ذَاكَ أَنَا
فَلَوْ اسْطَعْتُ أَطْلُكَ الزَّمَنَا
ذَكَرُهُ إِنِّي أَلْفَتُ الشُّجْنَا
تَبَعَاتٌ كُنْتُ عَنْهَا فِي غِنَى
كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ لَا يَدْرِي هُنَا
رُبَّ نَوْحٍ خَالَهُ الْفَرُّ غِنَا
حَامِلٌ مَا لَمْ يُطْلَقْهُ مَا انْتَنَى
ذَا ، أَمْ الْآلَامُ خَصَتْ نَجْمَنَا ؟

(١) من قصائد «حلبة الأدب» .

بات يَرعى الشُّهْبَ مُضْنَى جالِباً
أَتَرى استجَلَيْتَ منها غامِضاً
آه ما أبْهَكَ يالَيْهِ لُ على
أَتَرى مرْتَهناً بات بك الـ
قِمِـرَنَ أَنْتِ إِذا لم تَهْوِ
كَمْ فَوَادٍ فِيكِ مَطْـوِيٌّ على
ومَعْنَى أزعْج الشُّهْبَ له
فعلَى الرَفَقِ فما أَبْقَى الأَسَى

سَهْراً راقٍ له وهو ضَنْى
أَنْتِ يا مَنْ بالـدَراري افْتَنَّا
ظُلْمَةٌ فِيكِ وما أَجْلَى سَنَّا!
بـدَرٌ أَمْ بِتُّ به مرْتَهناً
فِبه سُرُّكُ أَضْحَى عَلَنَّا
حُرِّقِ من غَيْرِ ما ذَنْبِ جَنَى
حَرُّ أنْفَاسِ فُرَادَى وَثْنَى
أَمْلاً يُجَدِي، على الرَفَقِ بَنَّا

سلام على أرض الرصافة

● نشرت في مجلة «العرفان» الجزء الخامس من المجلد الثامن في شباط ١٩٢٣

صَبَوْتُ إلى أرض «العراق» وبَرَدَهَا
بلادُ بها استعذبتُ ماءً شبيبتني
وصلتُ بها عُمَرَ الشبابِ وشَرَنَخه
بذَكَرٍ على قُرْبٍ وشوقٍ على بُعد
وبذلْتُ لها حقَّ السُّودادِ رعايَةَ
إذا ما تصالَى ذو الهوى لِرُئي نَجِدَ
هوىً ولبستِ العِزَّ بُرداً على بُرد
بذكرٍ على قُرْبٍ وشوقٍ على بُعد
وما حَفَظَ الوُدَّ المُقِيمَ سوى الوُد

* * *

سلام على أرض «الرَّصافَةِ» إنها
لها الله ما أبهى ودجلةً حولها
يُعْطَرُّ أرجاها النسيمُ كأنما
هواؤك أم نشرٌ من المسكِ نافح
مَرَّاحُ ذوي الشكوى وسلوى ذوي الوجد
تَلَفُ كما إلْتَفَ السَّوارُ على الزند
تنفَّسَ فيها الروضُ عن عابقِ النَّدِ
وأَرْضُكَ يا بغدادُ أم جَنَّةُ الخلد

* * *

(١) الند: الطيب.

أحباي بالزوراء كيف تغيّرت
 رَضِينَا بِحُكْمِ الدَّهْرِ لَا جُوءُ عِشْنَا
 كَأَن لَّمْ نَحْمَلْ بَيْنَنَا عَاتِقَ الصَّبَا
 رَسُومَ هَوًى لَّمْ يُرْعَ جَانِبُهُ بَعْدِي
 جَفَوْتُمْ وَلَمْ تُنْكِرْ جَفَاكُمْ فَلَسْتُمْ
 بِصَافٍ وَلَا حَبْلَ الْوُدَادِ بِمَتَدِّ
 رَسَائِلَ أَعَيْتَهُ مِنَ الْأَخْذِ وَالرَّدِّ
 بِأَوَّلِ صَحْبٍ لَمْ يَدُومُوا عَلَى الْعَهْدِ

عاطفات الحب

● نظمت عام ١٩٢٤

هَذَبْتُ طَبْعِي وَصِفْتُ خُلُقِي
أَنَا لَا أَنْكَرُ فَضْلَ الْحُرْقِ
لَا بِشَوْقِي أَيْسَنَ مِنْ لَمْ يَشْتَقِ
ذَكَرِيَّاتٍ غَيْرُ ذَكَرَاكَ ثَقِ
كَيْفَ تَدْرِي طَعْمَ مَا لَمْ تُذَقِ ؟
وَفِدَاءُ لَكَ حَتَّى رَمَقِي
إِنَّمَا أَطِيبُ مِنْهُ مَغْبَقِي
كَيْفَ لَوْ تَسْمَعُهُ مِنْ مَنْطَقِي
زَفَرَاتٍ أَخَذْتَ فِي مَخْفَقِي
فَهَوَاكُمُ يَتَعَمُّ فِي عِنَقِي

عَاطَفَاتُ الْحَبِّ مَا أَبْدَعَهَا
حُرْقٌ تَمَلُّ رَوْحِي رَقَّةُ
أَنَا بِأَهْلِيئْتُ بِمَوْتِي فِي الْهَوَى
ثَقِ بِأَنَّ الْقَلْبَ لَا تَشْغُلُهُ
لَسْتُ تَدْرِي بِالَّذِي قَاسَيْتُهُ
لَمْ تَدْعُ مِنِّْي إِلَّا رَمَقًا
مَصْبَحِي فِي الْحَزَنِ لَا أَكْرَهُهُ
إِنْ هَذَا الشَّعْرُ يُشْجِي نَقْلُهُ
رَبِّ بَيْتٍ كَسَرْتُ نَبْرَتَهُ
أَنَا مَا عَشْتُ عَلَى دِينِ الْهَوَى

في بغداد

● نظمت عام ١٩٢٤

حيي الرُصافة عني ثم حَيِّنِي
فَلَيْتَ لم تحملي نشرًا لدارين
هَانِئَةً بشَدَى وَرِدٍ ونسرين
من عَلم الرِيح أن الذَكَرَ يُحِينِي ؟
والدهرُ دَهْرُ صباباتٍ تواتيني
نَضِرُ الشباب طليقَ الوجهِ ميمون
أعداك واضحُ تهليلٍ وتُحسين
يكاذُ من هِزَّةٍ للكرخِ يَرميني
تنظيمُ أيّابِ شعري جدُّ موزون
للخطو مَشْيٌ ثَقِيلُ القيدِ موهون
وصفٌ فكلُّ معانينا كَتَخمين
عِشَ الأليفين أرجوها وترجوني
دونَ العشيّةِ للأصحابِ يَمِينِي

يانسمة الريح من بين الرياحين
إن لم تَمُرِّي على أرجاءِ شاطئها
لا تَعْبَقِي أبداً إلا مُعْطَرَةً
أهديت لي ذَكَرَ عَصِي قد حَيَّيْتُ به
حيثُ الزمانُ وَهَقَ العودُ رَيَقَه
معي من الصُّحْبِ يَسْمَى كُلُّ مُقْتَبِلٍ
خالٍ من الهمِّ لو لَامَسَتْ غُرَّتَه
ولي إلى الكرخِ من غريبها طَرَبٍ
حيث الضفافُ عليها النخلُ مُتَسَّقٍ
وللنسيمِ أَسْتَرَاقٌ في مرايعها
يا ربةَ الحسنِ لا يُحْصَى لَحْصِرَه
والله لولا ربوعٌ قد أَلْفَتْ بها
وَأَنَّ لي من هوى أبنائها نَسَباً

لَاخْتَرْتُهَا مَبْزَلًا لِي أَسْتَظِلُّ بِهِ
لَعُجْرْتُ كَيْفَ شَوْقُ الْهَائِمِينَ بِهَا
اخْوَانُنَا حَيْثُ رَاقَ الْجَسْرُ وَانْتَضَمَتْ
وَاعْتَلَّ نَشْرُ الصَّبَا مِنْ طَوْلٍ مَا حَمَلَتْ
فَالشَّمْسُ كُلُّ بَرُوجِ الْأَمَى تَصْحَبُهَا
سَفَاكُمُ رَيْقٌ مِنْ صَوْبِ غَادِيَةِ
لَا تَحْسَبُوا أَنْ بُعِدَ الدَّارُ يُذْهِلُنِي

عَنِ الْجَنَانِ وَمَسَا فَمَهْنٌ يُغْنِينِي
وَكَيْفَ صَفَقُ عَذُولِي كَفُّ مَغْبُونٍ
بُرُوجُهُ بِوَجْهِهِ الْخُرْدِ الْمُهِنِ
إِلَى مَغَانِيكُمْ أَنْفَاسَ مَحْزُونٍ
سِرًّا وَتَسْرِي إِلَى بَرَجٍ بَتَعْنِينٍ
يَنْهَلُ عَنْ عَارِضٍ بِالْبِشْرِ مَقْرُونٍ
عَنْكُمْ وَلَا قِصَرَ الْأَيَّامِ يُنْسِينِي

الشاعر

- نشرت في مجلة «لغة العرب» التي كان يصدرها الأب أستاذ ماري الكرملي عام ١٩٢٤، ونقلتها عنها مجلة «الأحرار» السورية لجبران تويني .

لا أريدُ «النَّاي» إني	حاملاً في الصدرِ نايًا
عازفًا آنأً فآنأً	بالاماني والشكايًا
البلايا أنطقنهُ	سامحَ اللهُ البلايا
حافظاً كلَّ الذي	مرَّ عليه كالمرأيًا
سيءَ الحالِ ولكلِّ من	حسنتَ منه التوايًا
حجَزَ الهَمِّ على	أنفاسيه إلأً بقايًا
أفلتت في نبراتِ	شائعاتٍ في البرايًا
برقصُ الفتيانِ إن	غَنيتُ فيه والفتايًا
هو وِردِي في صباحي	وصلاتي في مسايًا
مُعجَزُ تهيجُهُ كـ	لُ المعنَّينَ سيوايًا
أدركتُ ظامِرَهُ النَّـ	اسُ وأدركتُ الخفايًا

على حدود بلاد فارس

● أرسلها وهو يقضي أيام الصيف عام ١٩٢٤ في إيران الى صديقه الشيخ محمد رضا ذهب في النجف .

أحبابنا بين محاني العراق	كلفتُم قلبي ما لا يُطاق
العيشُ مرُّ طعمُهُ بعدكم	وكيف لا والبُعْدُ مرُّ المذاق
أمنيّةٌ نعتاقُها شقوة	آه على أمنيّةٍ لا تُعاق
كلُّ لياليكُم هنيئاً لكم	بيضٌ وذهري كُلُّه في محاق
لي نفسٌ كيف بتصعيده	والشوقُ مني آخذٌ بالخناق
اللّه يرعى «حمداً» إنه	غادرني ذكراه رهنَ السياق ^(١)
هل جاءه أن أحياه متى	يذكرُهُ يشرقُ بدموع المآق

* * *

(١) حمد : شقيق الشاعر الصغير ، وهو الاسم المحبب له ، أما الاسم الحقيقي فهو جعفر . وهو « شهيد يوم الوثبة » عام ١٩٤٨ .

في فارس أشتاقُ قطر العراق
بكلِّ ما رُقَّ جمدٌ وراق
حسناً حواشيها اللطافُ الرِثاق
سبحان من قدَّر هذا النِّطاق
لمن قضى اللّهُ له أن يُشاق

يكفيكم من لوعتي أنسي
لا سوَّحها وهي جِنان زَهَتْ
ولا الـرى مخضرةً تزدهي
تُحطُّ على أوساطها خضرةٌ
تنال من شوقي وهل سلوةٌ

* * *

يرفعه فيها طباقاً طباق
تُصبِّح الأرض بكأسٍ دِهاق
وماسٍ سُكراً روضها لا أفاق
عيونه، لا رُميْث بانطباق
وأدْمعي أولى بشأو السباق
لو لم يكن ماء حياة يُراق
وللخُطى بين المروج استراق
إلا إذا كان من الموت واق

صبُّ الشتاء الثلج فوق الرُّى
حتى إذا الصيف انبرى واغتمدت
هبُّ عيلاً ريحها لا صَحَا
أحسن ما في وجهه هذا الثرى
تجري وتجري أدمعـي ثرةٌ
لم يُحي هذا الماء مَيّت الثرى
ذكرتكم والنفسُ مسحورةٌ
ليس بقي النفسَ امرؤ من هوى

الذكرى المؤلمة

- من قصائد الشاعر عند تركه العراق لأول مرة مصطفىاً في إيران .. يتشوق فيها للعراق ...
- نشرت في مجلة الحرية عام ١٩٢٤

أقول وقد شاقني الريحُ سحرةً
ألا هل تعودُ الدارُ بعد تشئتِ
وهل ننتهي ریح العراقِ وهل لنا
حبيبٌ إلى سمعي مقالةُ «أحمد»:
فوا لله ما رَوْحُ الجنانِ بطيبِ
ووالله ما هذي الغصونُ وإن هَفَّتْ
شرينا على حَكيم الزمانِ من الأذى
فمن كان يَهنيه صَبوحٌ ومغسقٌ
ومن يذكرِ الأوطانَ والأهلَ يشتاقُ
ويُجمَعُ هذا الشملُ بعدَ تفرُّقِ
سيَّل إلى ماء الفراتِ المصفقِ
«أحبابنا بين الفراتِ وجُلُق»^(١)
سواكم، ولا ماءُ الفوادي برّيقِ
بأنحفَ من قلبي إليكم وأشوق
كؤوساً أضرتَ بالشرابِ المعتقِ
فإن من البلوى صَبوحِي ومغبقي

(١) أحمد: أبو العلاء المعري.

خليلي لا تُلحى سهامُ مصائبِ
تعنف أحكام القضاء حماقة
كفى مخبراً بالحال أن ليس مُنيةً
وما فارسٌ إلا جنانُ مُضاعفةٍ
هنيئاً فلا مسرى الرياح بخافتِ
أنى الحسنُ توحيه إليها من السما
مضى الصيفُ مقتاداً من الحسن فيلقاً
كأن الثلوجَ النازلاتِ على الرُدى

أتاحت، فلولا حكمة لم تُفروق
كأن القضاء الحتم ليس بأحمق
لنفسى إلا أن نعوذ فنلتقى
ويا ربَّ خميرٍ لم تجد من مُصْفَق
وبى، ولا مجرى المياهِ بضيق
يدُ الغيث في شكل الكمام المفتق
وجاء الشتاء زحفاً إليها بفيلق
عمائمُ بيضٌ كُورث فوق مَفْرِق

الريف الضاحك

- من خواطر الشاعر أيضاً في سفرته الى ايران صيف عام ١٩٢٤ ... قالها وهو يمر بمصائف «همدان» وأريافها.
- نشرت في مجلة «العرفان» الجزء السادس من المجلد العاشر في آذار ١٩٢٥

كُلْ أَقْطَارِكَ يَا «فَارِسُ» رِيْفُ
لَا عَرَتْ أَرْضُكَ مِنْ لَطْفٍ فَقَدْ
يَا رِيَاضاً أَزْهَرَتْ فِي فَارِسِ
مِثْلَمَا لِلْقَلْبِ مِنْ حَرِّ الْجَوَى

طَابَ فَصِيْلَاكَ: رِيْعٌ وَخَرِيْفُ
ضَمِنَ الْحَسْنَ هَا جَوْ لَطِيْفِ
شَكَرْتُكَ نَّ غِيَوْنَ وَأَنْوَفِ
رُقَّةً لِلطَّيْرِ فَيَكُنْ رَفِيْفِ

* * *

أَلْشَيْءِ غَيْرَ أَنْ نَقْطِفَهُ
نَزَلَتْ ضَيْفَاً بِهَا أُرْوَاخُنَا
مِنْ جَمَالٍ خُطَّ مَعْنَاهُ عَلَى
وَحْيَالٍ تُطْرِبُ النَّفْسَ بِهِ

ثَمراً غَضّاً دَنْتَ مِنْكَ الْقُطُوفِ
فَقَرْنَهَا خَيْرَ مَا تُقْرَى الضُّيُوفِ
فَارِسِ وَاخْتَصَّصْتَ الْأَرْضَ حُرُوفِ
هَزَّةَ الرُّوضِ وَيَشْجُوها الْحَفِيْفِ

صَنَعَةً لِلْفَرَسِ فِي الْوُشْيِ وَلَا
لِذِّمَتَاهَا فَأَنَسَانَا بِمَا
مَا لَأَكْنَفِ الرَّئِي مَبِیضَةً
أَمْ هُوَ الشَّيْبُ ذَهَاةَ عَجَبًا
إِنَّمَا جَلَّلَهَا التَّلَجُّ الَّذِي
فَارِسَ أَيْسَرَ وَالْأَفَ الصَّبَا
أَمِنَ النَّاسِ تُرْجِي صَفْوَةً
لَا تُعَدُّ تَسْلُكُ فِيهَا قَفْرَةٌ
كُلُّ هَذَا وَهُوَ يَوْمٌ وَاحِدٌ
قَدْ تَنَاقَضْنَا عَلَى رَغَمِ الْكَرَى
سِمَةً لِلشَّوْقِ كَانَتْ سَبِيلاً
لَا تَقُولُوا وَحْدَةً تُوجِشُهُ
أَيُّهَا الْحُضْرُ فِي أَبْيَاتِكُمْ
لَمْ يَفْتَحْ تَرْفُ الظُّلِّ وَلَا
حَبْذَا حُبُّكُمْ مِنْ مَعَهْدٍ

مَثَلٌ مَا وَشَى بِهَا الرُّوضُ الْمَفُوفُ
هَزْ مِنْ أُنْهَ لَذِّ الْمَصِيفِ
أَتَرَاهَا بُدِّلَتْ مِنْهَا الشُّفُوفُ
شَيَّبَتْ حَتَّى الرَّئِي هَذِي الصُّرُوفُ
غُمِرَتْ مِنْهُ جِبَالٌ وَكَهُوفُ
أَوْ هَلْ يَبْقَى عَلَى النَّأْيِ أَلِيفُ؟
عَنْكَ يَا نَاشِدُ فَالْحَيُّ خَلُوفُ
فَطَرِيقُ الْوَدِّ فِي النَّاسِ مَخُوفُ
كَيْفَ لَوْ مَرَّتْ مِائَتٌ وَالْفُوفُ
لِنَرَاكُمْ.. أَفَلَا طَيْفٌ يَطُوفُ
لِسُؤَالِ النَّاسِ: مَنْ هَذَا النَحِيفُ؟
كَيْفَ يَسْتَوْحِشُ وَنَسُوقُ رَدِيفُ
أَوْجَهَ تُفْدِي بِمَا ضَمَّ النَّصِيفُ
نَالَ مِنْ أَوْرَاكِهَا السَّيْرُ الْوَجِيفُ^(١)
كَمْ نَمَا فِيهِ أَدِيبٌ وَظَرِيفُ

(١) الوجيف: السريع.

سجين قبرص

● نشرت في جريدة «العراق» في العدد ١٥٩٧ في ٥ آب ١٩٢٥

هي الحياة باحلاء وإمراء
سجينة الدهر والبلوى سجيته
لم يدر من أحسنوا صنعا لغيرهم
ود الأباة وقد سيموا مناقصة
من ضامن لك والأيام غادرة
ما للتمدّن لا ينفك ذا يدع
كم ذا يُسمون أحراراً وقد شهدت
تمضي شعاعاً كزند القادح الواري
تقلّب بين إقبال وإدبار
بأن عقابهم عُقبى «سينمار»
في الروح لو أبدلوههم نقص أعمار
أن ليس ينشئ فيك السهم يا باري
في الكون يأنف منها وحشه الضاري
فعالهم أنّها من غير أحرار

* * *

ما للجزيرة لم تأنس مراتبها
مُغبرة خلف الليل السواد بها
بعد «الحسين» ولم تحفل بسمار
أو جلّلتها سماء الهمم بالقرار

أَلْهَاهُمْ الْحُزْنُ حَتَّى مَوْقِدِ النَّارِ
سَلَى تَحْدُثُكَ عَنْهَا فَوْهَةٌ الْغَارِ

لَمْ لَا تَشَبُّ بِهَا نَارٌ أَكْلُهُمْ
يَا مَهِيْطَ الْوَحْيِ لِلتَّارِيخِ مَعْجَزَةٌ

* * *

بِحَسَنِ فِعْلِكَ مِنْ صِدْقٍ وَإِثَارِ
فَقَدْ أَرَيْتَكَ عُقْبَى هَذِهِ الدَّارِ
مَرَّاسِحٍ هُمُهَا تَمَثِيلُ أَدْوَارِ
وَتَسْتَكُنُّ الْمَسَاوِي خَلْفَ أَسْتَارِ
قَابِلَتُمْ الْبَحْرَ تَيَّاراً بَتَّارِ
بَأْتِيهِ أَيْ نَفَّاعٍ وَضَرَّارِ
يَوْمَ اسْتِشَاطٍ وَهَاجَتْ سَنَةُ النَّارِ
لِلَّهِ آيَاتٌ لِجَلَالِهِ وَإِكْبَارِ
تَقَامُ كُلُّ عَشِيَّاتٍ وَأَبْكَارِ
لَكُنْتَ ذَا نَشَبٍ جَمٌّ وَإِكْثَارِ
فَرَّاسٍ بَيْنَ أَنْيَابٍ وَأَظْفَارِ
مِمَّا يُقْتُ بِأَصْفَادٍ وَأَحْجَارِ ؟

شَيْخُ الْجَزِيرَةِ أَنْتَ الْيَوْمَ مُرْتَهَنٌ
لِتَحَمَلَنَّ مِنَ الدُّنْيَا عَوَاقِبَهَا
تُخَوِّدَعْتَ عَنْهَا وَلَيْسَتْ لَوْ عَلِمْتَ سِيوَى
تَغْشَى الْعَيُونَ بِتَدْلِيْسٍ مُحَاسِنُهَا
يَا حَامِلِينَ عَلَى الْأَمْوَاجِ عِزَمَتَهُ
هَلْ بَلَّغْتَ قَبْرَصَ عَنْ ضَيْفِ بُقْعَتِهَا
كَمَثَلِ نَائِرِ ذَاكَ الْمَوْجِ ثَوْرَتُهُ
يَا مَنْ يُجِلُّ شِعَارَ الدِّينِ مُسْتَمْعَاً
حَتَّى عَلَى الْبَحْرِ الْمَتَكْبِيرِ مَأْذَنَةً
لَوْ تَبْتَغِي بِغَنَى عَنْ عِزَّةٍ بَدَلَا
نَهَضَ بَنِي الْعَرَبِ الْعَرَبَاءُ إِنَّكُمْ
أَرْقَدَةٌ وَهَوَاناً أَنْ بَعْضُهُمَا

على ذكرى الربيع

● نشرت في مجلة «العرفان» في الجزء الرابع من المجلد الحادي عشر في كانون الأول ١٩٢٥

مَوَاطِرَ الْغَيْثِ حَيِّيْ جَانِبَ الْوَادِي
مُدِّيْ بِهِ بُسْطَ الْأَعْشَابِ زَاهِرَةً
وَرَاوِحِيْهِ رَذَاذَا مِنْكَ يَبْعَثُهُ
مَالِيْ وَلِلَّهِمْ تَصْلِيْنِيْ لَوَافِحُهُ
مُرِّيْ بِنَفْحَتِكَ الرَّيَّا عَلَى كِبِدِ
فَمَا لَشَيْءٍ سِوَى أَنْ تَبْعَثِيْ نَفْسًا
وَلَيْسَتْ الرِّيحُ يُهْدِي اللهُ نَفْحَتَهَا
وَهَدْدِيْهِ بِإِسْرَاقٍ وَإِرْعَادِ
وَطَرْنِهَا بِأَزْهَارٍ وَأُورَادِ
حَيًّا كَمَا تُبْعَثُ الْمَوْتَى بِمِيعَادِ
أَلَسْتُ يَا نَسَمَةَ الْوَادِي بِمِرْصَادِ
أَقْلُ مَا تَشْتَكِيهِ غُلَّةُ الصَّادِي
فَاضَ الْغَمَامُ وَصَابَ الرَّائِحُ الْغَادِي
لَنَا، بَلِ السُّرُوحُ يُوحِيهَا لِأَجْسَادِ

* * *

رَدَّ الرِّيحُ صَنُوفَ الْحَسَنِ يَقْسِمُهَا شَطْرَيْنِ مَا بَيْنَ أَنْشَازٍ وَأَوْهَادٍ^(١)

(١) الأنشاز : جمع نشز وهو المرتفع من الأرض .

يهدي به الله إشفاءً لذي سقم.
هو الريع وأبى ما يزهدني
أنا الحنيف وهذي الأرض مُعشبة
يمضي الزمان علينا نصفه جُمع
ما كان لله أدياناً مُضاعفة
أين الذين أمانت الحب أنفسهم
الضاريين خيام الحب طاهرة
والمطربين لشكوى الحب مُعلنة
مواظبين على الآداب ما انتقدوا
لم يُبل «قيس» و«فرهاد» كما يُليث
جيل من الناس عدواهم لإخوتهم
يستظهرون لساني أن يجازفهم
كلّتموني من الأقوال أصعبها
أضرّ بي من سجاياكم توقّعكم
ما ضرّني غضب الدنيا بأجمعها
حسن اختباري لأشباهي ونيتهم

من النفوس وإشفاقاً بمرّساد
عن الحضارة فيه نجعة البادي
سجّادتي، وريقُ الشعر أُرادي
تتري تُقفّي بأسياتٍ وآحاد
لولا تعصبُ أحفادٍ لأجّداد
حتى قضا فيه عُشاقاً كزهاد
والداعميها من التقوى بأوتاد
مُستبدلين بها عن جسّ أعواد
لحبهم غير أكفّاءٍ وأنّداد
ليلي بقيس، وشيرين بفرهاد
من الخباثتِ عدوى السُم في الزاد
ويعلمُ الله أنّ الصديق معتادي
نطقاً كما كُلف الأعجام بالضاد
ان لا تُفّت سجاياكم بأعضادي
إن كان يُرضي ضميري صدق إنشادي
في الصنع حسنٌ في عيني أضدادي

* * *

ما إن تحطّون شعري قيد أنملة
هذا الزمان كفيّل أن يكيل لكم
كم تُعلنون لجُهل تموت لكم

ان لم تصوغوه أطواقاً لأجّاد
صاعاً بصاع وأمداداً بأمّداد
ماتماً هي رغم الناس أعيادي

كُلُّ مَا سَنُ فِيهِ اللَّهُ مِنْ خُلُقٍ
أَذَلَّ قَدَرَ الْقَوَا فِي أَنَّ تُرَكَّتْ
كَمْ أَنْشَدْتُكُمْ فِي آذَانِكُمْ صَمَمَ
هَذَا أَنَا يَوْمَ تَكُونِي وَمِيلَادِي
حِظًا مُشَاعًا لِنُظَامٍ وَنُشَادٍ
خَوْضِي مُبَاحٍ، وَقَوْمِي غَيْرُ ذُوَادٍ

بغداد

● نظمت عام ١٩٢٥

بعثت لك الهوى عَرَضاً وطُولا
إليّ لطيمه الريح البليلا
وماءك إذ نصفقه شَمولا
كما مَسَحَتْ يَدَ خدّاً صقيلا
عليها نُكَّسَ الأطراف مِيلا
هناك ترقصُ الظلُّ الظليلا
ورقت مَرَبِعاً، وحلّت مَقِيلا
«لأحمد» كاد لطفاً أن يسبلا^(١)
وزرنا أشرفَ الشجر النخيلا^(٢)
أزارتك الصبابة والغليلا
أعدن بها الفرات السلسيلا

خذي نفس الصبا «بغداد» إني
يذكّرني أريجٌ بات يُهدي
هواءك إذ نهشُ له شَمالاً
ودجلة حين تُصقلها النعامى
وما أحلى الغصون إذا تهادت
يلعبها الصبا فتخال كَفّاً
ريوعٌ مسرّة طابت مُناخاً
ذكرتُ نعيمها فذكرتُ شعراً
«وردنا ماء دجلة خير ماء»
«أبغداد» أذكري كم من دموعٍ
جرت ودجلة لكن أجاجاً

(١) أحمد : هو أبو العلاء المعري .

(٢) البيت لأبي العلاء المعري .

«ولولا كثرةُ الواشينَ حولي»
 إذن لرأيت كيف النار تذكو
 وكيف القلبُ تملكه القوافي
 أدجلةُ إنَّ في العبرات نطقاً
 فإن منعوا لساني عن مقالٍ
 خذي سجعَ الحمامِ فذاك شعرٌ

أثرتُ بشعري الداءَ الدخيلاً^(١)
 وكيف السيلُ إن ركب المَسِيلاً
 كما يستملك الغيثُ المحولاً
 يحير في بلاغته العقولاً
 فما منعوا ضميري أن يقولوا
 نظمناه فرثله هديلاً

(١) قالت الخنساء: ولولا كثرة الباكين حولي... ولهذا وضع الشاعر الشطر بين قوسين .

في الثورة السورية

- نظمت عام ١٩٢٦ على أثر ثورة الدروز في سوريا على الاستعمار الفرنسي .
- نشرت في جريدة « نداء الشعب » في العدد ٧٦ في ٢٠ نيسان ١٩٢٦

مِثْلُ السَّيِّدِ بَلِّ يَا « دِمَشْقُ » مِنَ الْأَسَى وَالْحَزَنِ مَا بِي
دَمْعِي يُبَيِّنُ لَكَ الْجَوَى والدمعُ عنوانُ الكتاب
زَاهِي الْحَمَى نَهَبُ الْخَطُوبِ ومهجتُني نهبُ المصاب
أَرَأَيْتَ مَرْتَبَعَ الشَّعَابِ بها ومُصْطَفَا فَهْضَابِ
وَالنَّبْتُ مُخْضَلُّ الثَّرَى وَالرَّوْضُ مَخْضَرُ الْجَنَابِ
وَالْحَسَنَ تَبْسُطُهِ الطَّبِيعَةُ فِي السَّهْوِ فِي الرِّوَابِ
وَالشَّمْسَ تَبْدُو مِنْ خِلَالِ الْغَيْمِ خَوْدًا فِي نَقَابِ
فَإِذَا أَتَجَلَّى هَزَّتْكَ رَوْعًا نُورَهَا فَوْقَ الْقَبَابِ
وَالرَّوْضُ نَشْوَانًا سَقَاهُ الْمَاءُ كَأْسًا مِنْ شَرَابِ
« بَرْدَى » كَأَنَّ بَرْدَهُ رَشَفَاتُ مَعْسُولِ الرُّضَابِ
تِلْكَ النَّضَارَةُ كُلُّهَا كُسَيْتْ جَلَابِيبَ الْخَرَابِ

* * *

تَيْلُ الْأُمَانِي فِي الطَّلَابِ
عُقْبَى الْخِلَافِ إِلَى تَبَابِ
يَدِ آذَنُوهُ بَاسْتِغْلَابِ
هُ بِالْبِنَادِقِ وَالْحِرَابِ
دَوَا عَرَكْهَا بِالْأَغْتِصَابِ
لَكَ مِنْ مُعْذَاتِ الضَّرَابِ
يَلِكِ وَافِرَةُ الْغَنَابِ
تَمِيتِيهِ مِنْ عُقَابِ
بِالرَّغْمِ مِنْكَ عَلَى أَنْسَحَابِ
عَمَلٌ يُهْدَدُّ بِاقْتِصَابِ
بِإِنْ أَطَاقُوا فَتَحَ بَابِ
بِهِمْ فَكُفُّوا مِنْ تَرَابِ
مَعْرُوفَ إِلَّا فِي الْغَلَابِ

ثُورِي «دَمَشْقُ» فَأَتَمَّ
وَحَذِي الْوِفَاقِ فَأَتَمَّ
إِنْ تَغَضَّبِي لِتَلِيدِ مَجْ
وَمَنْعِ غَابِ طَوْقُ
وَمَعَطِ طَسِ شَمَّ أَرَا
فَلَأَنْتِ رَغْمِ خَلَوْ كَفَّ
بِالْعَاطِفَاتِ الْحَانِيَّاتِ عَلَ
وَلَأَنْتِ أَمْنَعُ بِالنُّفُوسِ الْمَسِ
فَتَمَاسْكِي أَوْ تُكْرَهِي
فَلَشَّرَ مَا عَمِلَ امْرُؤُ
سُدِّي عَلَيْهِمُ الْوَسْفَ بَا
إِنْ لَمْ يَكُنْ حَجَرٌ يَضُرُّ
لَا تُكْرَرُ فِي الدُّنْيَا، وَلَا

*

تَنَافَسُوا قِمَمَ السَّحَابِ
فِي اللَّيْلِ عَنْ قَبَسِ الشَّهَابِ
وَوَارِثِي الشَّرَفِ اللَّبَّابِ
عَتَبُ الشَّبَابِ عَلَى الشَّبَابِ
مَرَعَى الذُّؤَابِ
تَعَاوَرَتْهُ يَدُ الْكَلَابِ

شُبَّانَ سَوْرِيَا الذِّينِ
وَالْمُبْدِلِينَ بِرَأْيِهِمُ
الْمَالِكِي الْأَدَبِ الصَّمِيمِ
لَكُمْ الْعِتَابُ وَإِتْمَا
سَوْرِيَّةٌ أَمْ الضَّرَاغِمُ أَصْبَحَتْ
مَثَلُ الْوَدِيعِ مِنَ الطَّيُورِ

باتت بليلىة ذي جرو حـ مستفيضاتٍ رغباب
وسهرتُم متضاربي النـز عاتٍ مختلفسي الثياب

* * *

مَن كَانَ حابى أَن يَقُولَ الحقَّ إِنى لا أُحـابى
لابـدَّ أَن يأتى الزمـاب ن على بلادي بانقـلاب
ويرى الذين توطنوا أن الغنيمـة في الـياب
ماذا يقول المالكـو الأكراشـ من هذي النهـاب
إن دال تصريفُ الزمـاب ن وآن تصفيـةُ الحساب
جاؤوا لنا صُفـرَ العـاب ب وقد مضوا بُجـرَ العـياب

على دريند

- نظمت صيف عام ١٩٢٦ والشاعر بصطاف، خلال سفرته الثانية إلى ايران، في مصايفها الشهيرة باسم «شمرانات» ومنها مصيف دريند، وقد أرسلها إلى صديقه الشيخ جعفر النقدي.
- نشرت في مجلة «العرفان» الجزء الخامس من المجلد الثاني عشر في كانون الثاني ١٩٢٧

أَحَبَّتْنا لو أنزل الشوق والهوى
خليلي ما أدنى الممات إلى الفتى
ولم تطلع الأقمار إلا لتختفي
فإن لم يكن إلا نهاراً وليلة
ولما أبت أيامنا غير فرقة
وكنّا وفي كأس الرزايا صباية
نوبنا فأزمننا رحيلاً وما التوت
نزلنا ففرقنا هوماً تجمعت
أحتى لدى الجنّات أهفو إليكم
على قلب صخر جامد لتصدّعا
وأقرب جبل العمر أن يتقطّعا
ولا عقرب الساعات إلا لنلسعا
فما أجدر الإنسان أن يتمتعا
ولم تُبق في قوس التصبر منزعا
فما برحت حتى شربناه أجمعا
بنا ثوب الأيّام ألا لنزمعنا
أبى صفو «شمرانات» أن تتجمعا
ويسمعني داعي الصباية أن دعا؟

قُرئَ نَظْمَتُ النُّجُومِ قَلَائِدًا
صَفُوفٌ مِنَ الْأَشْجَارِ قَابِلُنَ مِثْلِهَا
نَظَمْنَا فَأَهْدَيْنَا الْقَوَافِي بَدِيعَةً
وَقَفَّتْ عَلَى النِّهْرِ الَّذِي مِنْ خَرِيرِهِ
لَقَدْ وَقَعَتْ كَفُّ الطَّبِيعَةِ لِحَنِهِ
أَوْ الدُّرُّ مُزْدَانًا، أَوْ الْمَاسُ رُصْعًا
كَأَمْصَرَعٍ فِي الشَّعْرِ قَابِلِ مِصْرَعَا
وَكَانَ جَمَالُ اللَّهِ فِيهِنَّ أَبْدَعًا
فَرَعَتْ مِنَ الشَّعْرِ الْإِلَهِيُّ مَطْلَعًا
وَشَابَهُهُ فِي الشَّعْرِ طَبْعِي فَوْقَعًا

الخريف في فارس

● من خواطر الشاعر وهو عائد إلى العراق بعد اصطيفائه في إيران عام ١٩٢٦

يا هائجينَ لخريفِ فارسٍ
ورافعينَ طُنباً تدعّمه
أبياتُ حُسنٍ، نُظّمتْ، بيوتُكم
كأنما الجمالُ شعراً بجره
تشكرُكم غيُونُ أربابِ الهوى
هذا جمالُ زانهُ نورُ الفضا
للّـه دَرٌّ دَرٌّ من مُرضعٍ
أفٍّ لخلقٍ رشّةٍ من السّما
الحيّ بادٍ عُجْبُـه وعنـده
ما الحيّ يقتاد القطيعَ للكلّا
ماتصنّعونَ لو أتى ربيعُه
قدودُهم دَامَ لكم ربيعُه^(١)
جميعها وحيُّكم جميعه
برُّ وأطنا بكم تقطيعُه
وصاحبُ الاحسانِ من يُشيعه
لا كجمالٍ حَفْظُه يُضيعه
كلُّ الثرى ومن به رضيعه
تُشبعه، وَمَنْعُها يُجيعه
عجيبُ أمرٍ مضحكٍ بديعه
وإنما يقودُه قطيعه...

(١) الطنب : جبل الخباء .

الخطوب

● نشرت في جريدة «العالم العربي»، العدد ٩٥٤ في ٢٧ نيسان ١٩٢٧

عَدَتْنِي أَنْ أَرْزُوكُمْ عَوَادِي
عَجِيبٌ مَا أَرْتِنِيهِ اللَّيَالِي
بَأَيْسَرٍ مِنْ أَذَايَ وَمِنْ شَكَايَ
وَمَا فِي هِمَّتِي قِصْرٌ، وَلَكِنْ
سَلِّ الْأَيَّامَ مَا أَنْكَرَنَ مِنِّي
أَرْقُ مِنَ النَّسِيمِ الْغَضُّ طَبْعِي
فِيَا نَفْسِي عَلَى الْحَسَرَاتِ قَرِّي
وَلَا تَرِدِي مَوَارِدَ صَافِيَّاتِ

فَلَا تَشْجُوا بِكُتُبِكُمْ فَوَادِي
وَأَعْجَبَ مِنْهُ أَنْ سَلِمَ اعْتِقَادِي
رَمَى النَّاسُ «الْمَعْرِي» بَارْتِدَادِ
قَدَحْتُ مَطَالِبِي فَكَبَا زَنَادِي
كَرِيمَ الْخَيْمِ، أَمْ شَرَفَ الْوِلَادِ^(١)
وَأَحْمَلُ مَا يَشُقُّ عَلَى الْجُمُودِ
فَأَيْنَ مُرَادٍ دَهْرَكَ مِنْ مُرَادِي
إِذَا مَا كَانَ حَتْمًا أَنْ تَذَادِي

* * *

(١) الخيم: السجية .

أينكر الفتى حتى صحابي
ومن عجب تضيعني وذكرى
أيدري من يردها حساناً
تناقلها الرواة بكل فج
بأن الشعر تشرب من عيوني

وتنبو الأرض بي حتى بلادي
تردده المحافل والنوادي
خلاء من زحاف أو سناد
وتهدى الحواضر للبيوادي
قوافيه ، وتأكل من فوادي

ثورة الوجدان

● نظمت أواخر عام ١٩٢٧ لتكون فاتحة ديوانه الذي انتهى طبعه في أوائل عام ١٩٢٨

سَكَتُ حَتَّى شَكَنْتَنِي غُرُّ أَشْعَارِي وَالْيَوْمَ أَنْطِقُ حُرّاً غَيْرَ مَهْذَارِ
سَلَطْتُ عَقْلِي عَلَى مَيْلِي وَعَاطَفْتَنِي صَبْرًا كَمَا سَلَطُوا مَاءً عَلَى نَارِ
تُرُّ يَا شُعُورُ عَلَى ضَيْمٍ تُكَابِدُهُ أَوْ لَا فَلَسْتُ عَلَى شَيْءٍ بِتَوَارِ
وَقَعْتُ أَنْشُودَتِي وَالْحَزْنَ يَمْلُؤُهَا مَهَابَةً، وَنِيَاطُ الْقَلْبِ أَوْتَارِي
فِي ذِمَّةِ الشَّعْرِ مَا أَلْقَى وَأَعْظَمُهُ أَنِّي أَغْنِي لِأَصْنَامٍ وَأَحْجَارِ
الشَّعْبُ شَعْبِي وَإِنْ لَمْ يَرْضَ مُتَبَذِّدٌ وَالِدَارُ رَغَمَ «دَحِيلِ» عَابَنِي دَارِي
لَوْ فِي يَدَي لَحَبَسْتُ الْغَيْثَ عَنْ وَطَنٍ مُسْتَسْلِمٍ وَقَطَعْتُ السَّلْسَلَ الْجَارِي
مَا عَابَنِي غَيْرَ أَنِّي لَا أُمُدُّ يَدًا إِلَى دُنْيَاءٍ، وَأَتِّي غَيْرُ خَوَارِ

* * *

الْعُدْرُ يَا وَطَنًا أَغْلِبْتُ قِيَمَتَهُ عَنْ أَنْ يَرَى سِلْعَةً لِلْبَائِعِ الشَّارِي
الْكُلُّ لَا هَوْنَ عَنْ شَكْوَى وَمَوْجِدَةٍ بَمَا لَهُمْ مِنْ لُبَانَاتٍ وَأَوْطَارِ

وكَيْفَ يُسْمَعُ صَوْتُ الْحَقِّ فِي بَلَدٍ
وَإِخْشَ الدَّخِيلَ فَلَا تَمُدُّ إِلَيْهِ يَدًا
صَرَفَ الدَّرَاهِمَ بَاعُوا وَاشْتَرَوْا وَطَنِي
وَطْغَمَةٍ مِنْ دُعَاةِ السُّوءِ سَاقِطَةٍ
تُرَوَّى وَنَظْمًا لَا تَلْوِي عَلَى نَصَفٍ
مَأْجُورَةٍ لَمْ تُقَمْ يَوْمًا وَلَا قَعَدَتْ
عَوَتْ فَجَاوَبَهَا أَمْثَالُهَا هَمْجٌ
أَيْنَ الْمَسَامِيحُ بِالْأَرْوَاحِ إِنْ عَصَفَتْ
يَا لِلرَّجَالِ لِأَوْطَانٍ مُؤَزَّعَةٍ
شَلَّتْ يَدَ عِبْتٍ فِي أُخْتِهَا، وَكَبَتْ
مَاذَا السُّكُونُ إِلَّا تَهْتَاجُ نَحْوَكُمْ

لِلْإِفْكِ وَالزُّورِ فِيهِ أَلْفُ مِزْمَارٍ
فَأَتَّهِهِ أَيْ تَفْصَاعَ وَضَرَارٍ
فَكُلُّ عَشْرَةٍ أَمِيَالٍ بِدِينَارٍ
لَيْسَتْ بِشَوْكٍ إِذَا عُذْتُ وَلَا غَارٍ^(١)
وَلَمْ تُؤَكِّلْ بِإِصْرَادٍ وَإِصْدَارٍ
إِلَّا عَلَى هَتَكٍ أَعْرَاضٍ وَأَسْتَارٍ
مِنْ كُلِّ مُسْتَصْرَخٍ لِلْعَيِّ نَعَارٍ
هُجَاءٌ تُثْذِرُ أَوْطَانًا بِإِعْصَارٍ
فِي كَفِّ كُلِّ مُهَانٍ النَّفْسِ دَعَارٍ
رَجُلٌ إِلَى نَفْسِهَا تَسْعَى بِأَضْرَارٍ
إِنَّ الْعُرُوبَةَ قَدْ حُفَّتْ بِأَخْطَارٍ؟

(١) الغار : نوع من الشجر ، واحدته : غارة .

أيها المتمرّدون

● نشرت في جريدة «العراق»، العدد ٢٤٧٨ في ٢٦ نيسان ١٩٢٨

مناري في تدرييتي وعمادي
سئمتُ حياةً جَلَلْتُ بسواد
مكررة مخلوقة لجماد
لكل يد مُدَّتْ إليه مُعادي
فإني قريبٌ منكم بفؤادي
وكـون أعصابي لغير بلاد
ترفُّ بها أرواحكم ونوادي
تقرّبنني من حكمية وسداد
وسوء نظـام لم يجيء برشاد
يراوح خمّاراً له ويغادي
ويخرُج منه صالحاً بفساد
لدى الشعراء النابيين أيـسادي
وعن يقظة مذمومة برقـسادي

أساتذتي أهل الشعور الذين هم
أروني انبلاجاً في حياتي فأنني
وما الشاعرُ الحساسُ صِنُوَ لِعيشةٍ
تُخذوا بيدي هذا «الغريب» فأنه
لئن جئتُ عن أزمانكم متأخراً
لغير زمانٍ كَوّن الدهرُ نزعتي
وعندي منكم كل يوم مجالس
معي روح «بشار» وحسبي بروحه
تُعلمني سُخفَ القوانين في الورى
وطوراً مع الشَّهم الظريف «ابن هاني»
يسجل ما أحصت يداؤه بدقّة
ومن قبل «للحانات» كانت ولم تنزل
تعوّضهم عن وحشة بانطلاقة

بوايد وكلُّ الشاعرين بوايدي
فكلُّ بلادي في ثيابِ حِداد
وما أنا إلا صورةٌ لبلادي
أمتّع في تفكيرتي ومُرادي
إذا لم يكن في راحتي قيادي
وأبذل فيه طارفي وتلادي
«لنفسى صلاحى أو على فسادى»

أساتذتي، لا تُوجدوني فأنسى
ولا تعجبوا أن القوافي حزينةٌ
وما الشعر إلا صفحةٌ من شقائها
وما لذة الدنيا إذا لم أكن بها
وما أنا بالحرّ الذي ينعونه
أصنّعه فيما أروم وأشتهي
وماذا يريدُ الناسُ مني وإنما

* * *

«بيغداد» معنى نكبةٍ وصفاد
ضحيةً جهلٍ شائنٍ وعناد
وتعذيبُ آلافٍ لأجل أحاد
شجون، أفضت مضجعي ووسادي
ملفقةٌ سدّت طريقَ جِياد
كما يتشكّى الروضُ وقعَ جراد

فلا تَنشدوا حُرَيّةَ الفكرِ إنَّها
فما كان بشارًّا بأوّلِ ذاهبٍ
إلى اليوم في «بغداد» خنقُ صراحةٍ
وخلّوا اهتضامَ الشعرِ إنَّ حديثه
خلّت حلبةُ الآدابِ إلا هجائناً
تشكّى القريضُ العايثن بحقله

الرجعيون

- نظمت بعد قصيدة «علموها» وذلك بعد أن تطورت معارضة بعض العلماء لفتح مدرسة للبنات في النجف، إلى مقاومة شديدة، وقد ارتدت، على العادة، رداء الدين.
- نشرت في جريدة «العراق»، العدد ٢٨٥١ في ٢٦ آب ١٩٢٩

سَبَقِي طويلاً هذه الأزماتُ
إذا لم يَنْلُهَا مُصلِحُونَ بواسلُ
سَبَقِي طويلاً يَحْمِلُ الشَّعْبُ مُكْرَهَا
فَيُوداً من الِأَهِاقِ في الشَّرْقِ أَحْكَمَتْ
أَلَمْ تَرِ أَنَّ الشَّعْبَ جُلَّ حَقْوِهِ
مَشَتْ كُلَّ جَارَاتِ الْعِرَاقِ طَمُوحَةً
وَمِنْ عَجَبِ أَنَّ الَّذِينَ تَكْفَلُوا
غداً يُنَمِّعُ الْفَتِيانُ أَنْ يَتَعَلَّمُوا
إذا لم تُقَصِّرْ عُمْرَهَا الصَّدَمَاتُ
جَرِيئُونَ فيما يَدْعُونَ كُفَاةَ
مَسَاوِيءَ مَنْ قَدْ أَبَقَتِ الْفَتَرَاتُ
لتَسْخِيرِ أَهْلِيهِ، لها حَلَقَاتُ
هي اليَوْمَ لِلْأَفْرَادِ مُمْتَلِكَاتُ؟
سِرَاعاً، وقامتْ دَوْنَهُ الْعَقَبَاتُ
بَانْقَاذِ أَهْلِيهِ هُمُ الْعَثَرَاتُ
كَمَا اليَوْمَ ظُلماً تُنَمِّعُ الْفَتِيَاتُ

* * *

أَقُولُ لِقَوْمٍ يَحْمَدُونَ أَنَاثَهُمْ
بِأَسْرَعٍ مِنْ هَذِي الْخُطْبَى تُدْرِكُ الْمُنَى
وَمَا أَدْعِي أَنَّ التَّهَوُّرَ صَالِحٌ
وَلَكِنْ أُرَجِّي أَنْ تَقُومَ جَرِيئَةٌ
أُرِيدُ أَكْفَاءَ مُوجِعَاتٍ خَفِيفَةٍ
فَإِنْ يَنْعَ أَقْوَامٌ عَلَيَّ مِقَالَتِي
فَقَدْ أَيقَنْتُ نَفْسِي، وَلَيْسَ بِضَائِرِي
وَمَا النِّقْدُ بِالْمُرْضِيِّ نَفُوساً ضَعِيفَةً

وَمَا حُمِدَتْ فِي الْوَاجِبَاتِ أَنَاةُ:
بِطَاءٍ لَعْمَرِي مِنْكُمْ الْخُطُوبَاتُ
مَتَى صَلَحَتْ لِلنَّاهِضِ النَّزَوَاتُ ١٩
لَصَدُّ أَكْفِ الْهَادِمِينَ بُنَاةُ
عَلَيْهَا - مَتَى مَا شَاءَتْ - اللَّطَمَاتُ
وَمَا هِيَ إِلَّا لَوْعَةٌ وَشَكَاةُ
بِأَنْسِي فِي تِلْكَ الْعُيُونِ قَدَاةُ
تَهْدُ قَوَاهَا هَذِهِ الْحَمَلَاتُ

* * *

وإنَّ يُغَضِبَ الْغَاوِينَ فَضَحَ مَعَاشِرُ
فَمَا كَانَ هَذَا الدِّينُ لَوْلَا ادِّعَاؤُهُمْ
أَتَجِبِي مَلَائِينَ لِفَرْدٍ، وَحَوْلَهُ
وَأَعْجَبُ مِنْهَا أَنَّهُمْ يُنْكِرُونَهَا
قَذَى فِي عَيُونِ الْمُصْلِحِينَ شَوَاهِقُ
وَفِي تِلْكَ مِبْطَانُونَ صَغُرَ نَفُوسُهُمْ
وَلَوْ كَانَ حُكْمٌ عَادِلٌ لَتَهَدَّمَتْ
عَلَى بَابِ «شَيْخِ الْمُسْلِمِينَ» تَكْدَسَتْ
هَمُ الْقَوْمِ أَحْيَاءٌ تَقُولُ كَأَنَّهُمْ
يُلْمُ فِتْنَاتُ الْخُبْرِ فِي التَّرْبِ ضَائِعاً
يَبُوتُ عَلَى أَبْوَابِهَا الْبُؤْسُ طَافِحٌ

هُمُ الْيَوْمَ فِيهِ قَادَةٌ وَهُدَاةُ
لِتَمْتَازَ فِي أَحْكَامِهِ الطَّبَقَاتُ
أَلَوْفٌ عَلَيْهِمْ حَلَّتِ الصَّدَقَاتُ ١٩
عَلَيْهِمْ، وَهَمُّ لَوْ يُنْصِفُونَ جُبَاةُ
بَدَتْ حَوْلَهَا مَغْمُورَةٌ خَرِبَاتُ
وَفِي هَذِهِ غَرْنُ الْبَطُونِ أَبَاةُ
عَلَى أَهْلِهَا هَاتِيكُمُ الشَّرُفَاتُ
جِياعٌ عَلَتْهُمْ ذِلَّةٌ وَعُورَاةُ
عَلَى بَابِ «شَيْخِ الْمُسْلِمِينَ» مَوَاتُ
هُنَاكَ وَأَحْيَاناً تَمُصُّ نَوَاةُ
وَدَاخِلُهُنَّ الْأَنْسُ وَالشَّهَوَاتُ

* * *

تَحْكَمَ بِاسْمِ الدِّينِ كُلُّ مَذْمُومٍ
وَمَا الدِّينُ إِلَّا آلَةٌ يَشْهَرُونَهَا
وَخَلَفَهُمُ الْأَسْبَاطُ تَتْرَى، وَمِنْهُمْ
فَهْلٌ قَضَتِ الْأَدْيَانُ أَنْ لَا تُذَيِّعَهَا
يَدِي بِيَدِ الْمُسْتَضَعْفِينَ أُرْهِمُ
أُرْهِمُ عَلَى قَلْبِ «الْفَرَاتِ» شَوَاهِقاً
بَنَتْهُمْ أَمْوَالُ الْيَتَامَى، وَحَوْلَهَا
بَقَايَا أَنْاسٍ خَلَفُوهَا مَوَارِداً

وَمُرْتَكِبٍ حَفَّتْ بِهِ الشُّبُهَاتُ
إِلَى غَرَضٍ يَقْضُونَهُ، وَأَدَاةُ
لُصُوصٍ، وَمِنْهُمْ لَاطَةٌ وَزُنَاةُ
عَلَى النَّاسِ إِلَّا هَذِهِ النَّكِيرَاتُ
مِنَ الظُّلَمِ مَا تَعْيَا بِهِ الْكَلِمَاتُ
ثِقَالاً تَشْكِي وَطَأْهُنَّ «فُرَاتُ»
يَكَادُ يَبِينُ الدَّمْعُ وَالْحَسِرَاتُ
تَسُدُّ لَهَا الْوَارِثِينَ، وَمَاتُوا

النزغة ...! أو ليلة من ليالي الشباب

● نشرت في جريدة «العراق»، العدد ٢٨٩٧ في ١٨ تشرين الأول ١٩٢٩

كم نفوسٍ شريفةٍ حسَّاسه سحقوهنَّ عن طريقِ الخساسة
وطباعٍ رقيقةٍ قابَلتهنَّ الليالي بغِلْظَةٍ وشراسه

* * *

كلُّ هذا ولسْتُ أَتُكْرُ أني	من لذاذاتها اختلستُ اختلاسه
ألفُ إبحاشٍ من الدهرِ قد	غَطَّتْ عليها في ليلةٍ إيناسه
ليلةٌ تُغضِبُ التقاليدَ في الناس	وتُرضي مشاعراً حسَّاسه
من ليالي الشبابِ بسَّامةٌ، إنَّ	لياليَّ جُلُّها عبَّاسه
ومعي صاحبٌ تفرَّستُ فيه	كلَّ خيرٍ فلمْ تَخْنِي الفَراسه ^(١)
أُرِجِي ملءَ الطبيعةِ منه	عزَّةً وأتباهاةً وسلاسه

(١) صاحبه هو المرحوم عبد الرزاق الناصري — الشاعر ، الصحفي .

خَدَنَ لَهُوَ .. إِنِّي أَحَبُّ مِنَ الشَّاعِرِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ أَنْغَمَاسِهِ
عَرَقَتْ فِيهِ طَيِّبَاتٌ وَيَأْتِي الْمَرْءُ إِلَّا عَرَوْقَهُ السِّدَّاسُ
وَلَقَدْ رَزَّوْهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ لِيَالِي فَمَا ذَمَّتْ مَسَاسِهِ

* * *

كَانَ مَقْهَى «رَشِيد» مَوْعِدَنَا عَصراً
مَجْلَسُ زَائِنَةِ الشَّبَابِ، وَأَخْلَوْا
هُوَ إِنْ شئتَ مَجْمَعٌ لِلدُّعَابَاتِ
ثُمَّ كَانَ الْعِشَاءُ فَانصَرَفَ الشَّيْخُ
وافتَرَقَا تُرِيدُ «مَهْرَان» نَبْغِي
تَارَةً صَاحِبِي يُصَفِّقُ كَأْسِي
وَهَذَيْنَا بِمَا اسْتَكْنَتْ بِهِ النَّفْسُ
لَا «الْحَسِينُ الْخَلِيعُ» يَلْغُ شَاوِنَا
قَالَ لِي صَاحِبِي الظَّرِيفُ فِي الْكَفِّ ارْتَعَاشُ فِي اللِّسَانِ انْجَبَاسِهِ :
أَيْسَنَ غَادَرْتُ «عِمَّةً» وَاحْتِفَافاً قُلْتُ : إِنِّي طَرَحْتُهَا فِي الْكُنَاسِهِ

* * *

ثُمَّ عُجْنَا لِمَسْرَحٍ أَسْرَجْتَهُ كُلُّ رَوْدٍ وَضَاءَةٍ كَالْمَاسِهِ^(١)

(١) هو مقهى شعبي جميل يطل على دجلة. وكان يضم جماعات من الشعراء والأدباء البارزين وفي مقدمتهم «الزهاوي» .

(٢) مهران : حانة شراب كانت في وقتها فريدة بجودة خمورها ونظافة محلها ولطافة ذوق صاحبها « مهران » .

(٣) هو ملهى ليالي الصفا .

وتنادوا بالرقص فيه فأهوى
خُطّة للعواطف الهُوج فاقت
أغرمَ الجمعُ وأستجاب نفوساً
ناقلاً خطوهُ على نغمة العودِ
كلّ لدنٍ للدنية مياسه
خُطّة الحربِ جذوةً وحماسه
تتقاضاه حاجةً مياسه
وطوراً مرجّفاً أعجاسه
وتلاقى الصدران .. واصطككت الأفخاذ .. حتى لم تبقَ إلا لُماسه !!
حرّكوا ساكناً فهبّ رفيقي
لامساً باليدين منه لباسه !!
ثم نادى مُعربداً ليحيي الله مغناك وليدُم أعراسه

* * *

وأقبحنا بيتاً تعود أن نطـ
وأخذنا بكفّ كلّ مهابة
لم أطلُ سوماها وكنت متى يعـ
قلت إذا غيرتني الضعف لَمّا
لستُ أعيا إن فانتني أخذي الشيء
ثم كانت دعاية فُججـون
وعلى آسم الشيطان دُستُ عضوضاً!
لَبداً... تنهلُ اللبانة منه!
وكأن العيرَ في ضرَم اللذة
وكأن الثقل المورجج بين الصـ
وكأن « البديع » في روعة الأسـ

رق في الليلِ خلصة أحلاسه
رُفقت في الجفون منها نُعاسه
جبنني الشيء لا أطلُ مِكاسه!
خذلتني عنها يدُ قرّاسه:
بعنفٍ، عن أخذه بالسياسه
فارتخاء.. فلذة..! فانغماسه!!
ناقى الجنبتين! حلّو المداسه!
لا يحزنِ ضرَس.. ولا ذي دهاسه!
يُدكي بنفحة أنفاسه..!
لدرِ والصدر.. يستطيبُ مراسه
لحب! يُلمي « طباقه! » و « جناسه »

* * *

وَأَسْتَجِدُّ مِنْ بَعْدِ تِلْكَ أُمُورٍ
عَرَفْنَا مَعْنَى السَّعَادَةِ لَمَّا
بَسَمَ الدَّهْرُ بُرْهَةً وَتَجَافَى
صَاحِبِي لَا تَرُعْكَ خِصَّةُ دَهْرٍ

كُلُّهُنَّ آرْتَابَةٌ وَالتَّبَاسُ
أَنْ وَضَعْنَا حَدًّا بِهَا لِلتَّعَاسِ
بَعْدَهَا كَاشِرًا لَنَا أَضْرَاسَهُ
« كَمْ نَفُوسٍ شَرِيفَةٍ حَسَّاسُهُ »

جريني

● نشرت في جريدة «العراق»، العدد ٢٩٠١ في ٢٣ تشرين الأول ١٩٢٩

جريني من قبل أن تزدريني
ويقيناً ستندمين على أنك
لا تقسي على ملاح وجهي
أنالي في الحياة طبع رقيق
قبلك أغتسر معشر قرأوني
وفريق من وجنتين شحوي—
اقرئني منها ففيها مطاوي النفس طراً وكل سر دفين
فيهما رغبة تفيض وإخلاص . وشك مخامر لليقين
فيهما شهوة تشور . وعقل
فيهما دافع الغريزة يُغريني
وإذا ما ذممتني فاهجريني
من قبل كنت لم تعرفيني
وتقاطيعه جميع شؤني
يتنافى ولون وجهي الحزين
من جبين مكليل بالغضون
من وقد فاتت الجميع عيوني
خاذاً تارة وطوراً مُعينني
وعدوى ورائة تزويني

* * *

إننا ضدَّ الجمهور في العيش والتفكير طُرّاً. وضدّه في الدّين
كلُّ ما في الحياة من مُتَع العيش ومن لَذَّة بها يزدهني
التقاليد والمداجاة في الناسِ عدوٌّ لكلِّ حُرِّ فطين
أنجديني: في عالمٍ تنهشُ «الدُّبَان» لحمي فيه.. ولا تُسلميني
وأنا ابنُ العشرين من مُرجعٍ لي إن تَقَضَّتْ لذاذَةُ العشريــــن

* * *

إِسْمِي لي تَبَسُّمٌ حِياقي ، وإنْ كانت حِياةٌ مليئةً بالشُّجون
أنصِفْني تُكفِّرُني عن ذُنُوبِ الناسِ طُرّاً فإنهم ظلموني
إعْطِني ساعةً على شاعرٍ حُرٍّ رقيقٍ يعيشُ عيشَ السجين
أخذتني الهمومُ إلّا قليلاً أدركني ومن يديها خذيني

* * *

ساعةٌ ثم أنطوي عنكِ محمّولاً بكُرهٍ لظلمةٍ وسكون
حيث لا رونقُ الصّباح يُحييني ولا الفجرُ باسمي يُغريني
حيث لا «دجلة» تلاعبُ جنبها ظلالُ النخيل والزيتون
حيث صَحبي لا يملكون مُواساتي بشيءٍ إلّا بأن يَكُونِي
مُتَعِينِي قَبْلَ المَواتِ فما يُدريك ما بعده وما يُدريني
وهَبِي أن بعدَ يومي يوماً يقتضيني مُخَلَّفَاتِ الدُّيون
فَمَنْ الضامنونَ أنْكَ في الحشرِ إذا ما طَلَبْتَنِي تجديني
فستُغريــــنَ بالمحاسنِ رُضواناً فُلقــــيك بين حُورٍ وعين
وأنّا في جهنّمٍ مع أشياخٍ غُواةٍ بغيهم غمروني

أَحْرَجْتَنِي طَبِيعَتِي وَبَارِئِهِمْ ازْدَدْتُ بَلَاءً فِي السَّطِينِ
 بِالشَّفِيعِ «الْعُرْيَانِ» اسْتَمْلَكِي خَيْرَ مَكَانٍ . وَأَنْتِ خَيْرُ مَكِينِ
 وَدَعِينِي مُسْتَعْرِضاً فِي جَحِيمِي كُلَّ وَجْهِ مُذَمَّمٍ مَلْعُونِ
 وَسُتُجِينَ إِذْ تَرِينَ مَعَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيسِ حَيْرَةَ ابْنِ اللَّبُونِ^(١)
 عَنْ يَسَارِي أَعْمَى الْمَعْرَةَ وَ «الشَّيْخُ» الزَّهَاوِيُّ مُقْعِداً عَنْ يَمِينِي^(٢)
 إِئْذَنِي لِي أَنْزِلْ خَفِيفاً عَلَى صَدْرِكَ عَذْباً كَقَطْرَةٍ مِنْ مَعِينِ
 وَافْتَحِي لِي الْحَدِيثَ تَسْتَمْلِحِي خَفَةَ رُوحِي وَتَسْتَطِيعِي مُجَوْنِي
 تَعْرِفِي أَنَّنِي ظَرِيفٌ جَدِيدٌ فَوْقَ هَذِي «النُّهْدِ» أَنْ تُرْفَعِينِي
 مُؤَنِّسٌ كَابْتِسَامَةٍ حَوْلَ ثَغْرِيكَ جَذُوبٌ كَسَحَرِ تِلْكَ الْعَيُونِ

* * *

إِسْمَحِي لِي بِقُبْلَةٍ تَمْلِكُنِي وَدَعِي لِي الْخَيَّارَ فِي التَّعْيِينِ
 قَرِينِي مِنَ اللَّذَازَةِ الْمَسْهُمَا أُرْنِي بِدَاعَةِ التَّكْوِينِ
 أَنْزِلِينِي إِلَى «الْحَضِيضِ» إِذَا مَا شِئْتَ أَوْ فَوْقَ رِسْوَةٍ فَضْعِينِي
 كُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ مِنْ عَقَبَاتٍ عَنْ وَصُولِي إِلَيْكَ لَا يَتْنِينِي

* * *

(١) البزل جمع «بازل» وهو الجمل الذي شق نابه وبزل . و «القناعيس» الابل القوية الشديدة وفي البيت إشارة إلى قول القائل :

و «ابن اللبون» إذا ما لَز في قرن لم يستطع صولة «البزل القناعيس» .

(٢) في البيت إشارة إلى الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي ، وكان صاحب الديوان من أخص الشباب العراقي به ، وأكثرهم ملازمة له . وللزهاوي نكتة معروفة حول هذا البيت هو قوله : شدما يعجبني فيه أن الجواهري لم يكتف بانزالي في جهنم وإنما جعلني مقعداً فيها أيضاً .. وكان الزهاوي مصاباً بشلل خفيف في رجله .

إحمِليني كالطفـلِ بين ذراعـيكِ احتضاناً ومثـله دليـلي
 وإذا ما سُئِلتِ عني فقـولي ليسَ بدعاً إغاثةُ المسكين
 لستُ أُمّاً لكنْ بأمثالِ « هذا » شاءتِ الأمهاتُ أنْ تبتليـني
 أشتهي أنْ أراكِ يوماً على ما ينبغي من تكشُّفٍ للمصنـون
 غيرَ أنِّي أرجو إذا آزدهتِ النفسُ وفاضَ الغرامُ أنْ تعذريـني
 « الطمـيني » إذا مَجُنْتُ فعمداً أتحرى المـجونَ كي تُلطمـيني
 وإذا ما يدي استطالتْ فمِنْ شـعركِ لُطفاً بخُصـلةٍ قيـديـني
 ما أشدُّ احتـياجـةَ الشاعـرِ الحسَّاسِ يوماً لساعـةٍ من جنـون

الثلاثينيات

الأوباش

- «الأوباش» احدى الروايات القصصية المعروفة للكاتب الشعبي الفرنسي الشهير «أميل زولا» . وهي تدور حول اظهار الصفات الكريمة الأصيلة غير المصطنعة لدى الطبقات الدنيا من الجماهير والتي يدعونها «الرعا» تارة و «الأوباش» اخرى .

وتتلخص الرواية في أن بطلها «لانتيه» وهو عامل من سواد الناس من احدى مقاطعات فرنسا كان قد تدرج جراء جده ، وصدقه ، واتقانه إلى التوسع في عمله ، وإلى ادارته معملاً كبيراً يدر عليه رزقاً يكفيه وأهله مؤونة العيش . وقد حدث أن أحد أصدقائه المقرين اضطهد بسبب تراكم الديون عليه ومراجعة الدائنين المحكمة التي حكمت عليه بالسجن ان لم يجد ضامناً يتكفل له بسد ديونه .

وكان من «لانتيه» أن تقدم هو ليضمن صديقه ، وليسدد عنه تلك الديون الكبيرة . وكان من جراء صنيعه هذا أن تدهورت أموره ، وأن عجز هو بدوره عن التسديد ، مما أدى إلى حجز المحكمة على معمله ومورد رزقه الوحيد . وكان عبثاً دفاع «بايار» المحامي القدير عنه . وتبينه السبب الشريف الذي حدا بلانتيه أن يعاني ما يعاني بوصفه ضامناً لصديق حاول تخليصه والوفاء له . وكان أن بيع المعمل المذكور ، وصودرت أدوات العمل الأخرى معه . وكان أن تشر «لانتيه» وتقاذفته المحلات الواطئة التي تضم تلك الطبقة المدعوة بـ «الأوباش» .

وإلى هذا المورد الأول من « الرواية » تشير القطع من هذه القصيدة المنتهية بالبيت :
فأصبح « لانتية » وكل ما في يديه من ننا الدنيا جفاء ...

أما القطع المتبقية من قصيدة « الأوباش » والتي تبتدىء بالبيت :
وبينا « لانتية » يفيض بؤسا ويطفح بالشقاء له اناء

فهي تتضمن القسم الثاني من الرواية والتي تلخص :

في أن « لانتية » يكون وهو في عيشته المتدهورة تلك قد اتصل فيما اتصل بهن من النساء ، باحدى صديقاته التي يخلص لهن الود والحب . وأن تشاء الصدفة التي تحدث كثيراً من الأحيان .. حدوث جريمة قتل أحد « الصرافين » وقد كان « لانتية » يتعامل معه في أيام رخائه . ويستقرض منه بالربا في أيام محنته ، مما يجعل شبهة قتل « لانتية » اياه وسرقته أمواله قوية . ويلقى القبض عليه ، ويُساق إلى المحكمة متهماً بالجريمتين . ويعرف « لانتية » ومحاميه أن خلاصه من تبعة هذه الجريمة متعلق بذكر المكان الذي كان فيه ساعة حدوثها . ولكن « لانتية » يعترف بالقتل والسرقه ويعلل السبب فيهما بمضايقة القتل اياه . وذلك لباعث واحد هو أنه كان في ليلة حدوث الجريمة عند صديقه السالفة الذكر . الأمر الذي يجبر عليها الانتضاح فيما لو أراد الاعتراف بوجوده عندها ...
وتزوره صديقه هذه وهو في « الموقف » مضطربة الأعصاب ، فيقول لها هذه الجملة :

(اطمني الي ، وثقي بي وان كنتُ من « الأوباش » !..) .

- نشرت في جريدة « العراق » ، العدد ٣٣٩٢ في ٢٩ أيار عام ١٩٣١ .
نشرت في طبعة عام ١٩٣٥ ، وفي طبعة عام ١٩٥٣ الجزء (٣) .

جهلنا ما يُراد بنا فقلنا نواميس يدبرها الخفاء
فلما أيقظتنا من سباتٍ مكائد دبرتها الأقوياء

وليس هناك شكٌ في حياةِ
لجأنا للشرائعِ بالياتِ
فكانتِ قوَّةُ أخـرى وداءِ
وقامَ السيفُ يُرهبُ دَفَّتِها
إذا لم تُرضِهِ منها سَطـوَرٌ

تَدُوسُ الْعَاجِزِينَ وَلَا مِرَاءَ
لِتَحْمِيْنَا وَقَدْ عَزَّ احْتِمَاءُ
رَجَوْنَا أَنْ يَكُونَ بِهِ الدَّوَاءُ
تَوَيَّدَهُ مِوَلٌّ وَارْتِشَاءُ
تَوَلَّى حَوْ مَا فِيهَا الدَّمُءُ

✱ ✱ ✱

أَنْصِلِحْ مَا الطَّبَائِعُ أَفْسَدَتْهُ
وَمَاذَا غَيَّرَتْ نُظْمٌ وَهَذِي
وَمَا عُدِمَ الْهِنَاءُ بِهَا وَلَكِنْ
وَلَمْ تَتَفَاوَتْ الطَّبَقَاتُ إِلَّا
وَمَا اخْتَلَفَتْ عَصُورٌ عَنْ عَصُورٍ
فَسَوْفُ الرِّقِّ لَمْ يَكْسُدْ وَلَكِنْ
تَرَى أَبْدَأَ رَعَايَا أَذْكِيَاءَ
وَأَحْرَاراً رَجَالاً أَوْ نِسَاءً
فَتَفْتَقِرُ الْمَوَاهِبُ وَالْمَزَايَا
وَتَحْمُسُ جَذْوَةٌ لَوْلَا تَرْدِي
يُزْهِدُ فِي الْحَامِدِ طَالِبِيهَا
فَقَدْ تَأْتِي الْفُظْيَعُ وَلَا عِقَابُ
وَتَتَفَقُّ الْمَجَاعَةُ وَالْمَزَايَا
وَفِي التَّارِيخِ أُنْعَابُ كِتَابُ

قَوَانِيْنُ مَفْسُخَةٌ هُرَاءَ
حِيَاثِكَ جُلُّ مَا فِيهَا شَقَاءُ
تُنَوِّزُ فِيهِ فَاحْتَكِرِ الْهِنَاءُ
لَتُنَحْصِرَ الرَّفَاهَةَ وَالنَّمَاءُ
نَعَمَ غَطَّى عَلَى الصُّورِ الطَّلَاءُ
تَبَدَّلَ فِيهِ بَيْعٌ أَوْ شِرَاءُ
تَسْوِسُهُمْ رُعَاةٌ أَعْيَاءُ
تُسَخِّرُهُمْ رَجَالٌ أَوْ نِسَاءُ
وَتَنْدَحِرُ الْعَزِيمَةُ وَالْفَتَاءُ
نِظَامَاتٍ لِأَلْهِيهَا الرَّجَاءُ
يَقِيْنٌ أَنَّ عُقْبَاهَا هَبَاءُ
وَقَدْ تُسَدِّي الْجَمِيْلَ وَلَا جِزَاءُ
وَتَلْتَمِسُ الْمُحَاسِنُ وَالْعَرَاءُ
مَضَتْ هَدْرًا وَطَارَ بِهَا الْهَوَاءُ

تولّاهَا فضيَعَهَا الخفَاء
فسرّتْهُ ؛ وصاحبها يُساء

وأعمال مشرّفة ذوبها
وأخرى جرّ مغنمها دنّي

* * *

لو أنّ مكانها كان الحياء
فسخّره أناس أذكىاء
وطيّبة نفسه ذئب وشاء
فخيرهما لشرهما الفداء
وأوجع ما يحار به الذمّاء
وأرقها التمتّع والإباء
وماتت وهي معدّمة خلاء
كأصدق ما يكون الأدياء
تنصّبها كما رُفِع اللواء
ولا هذي أغاثتها السماء

تكون وقاحة فيود مرء
فان وجد الحياء سطا عليه
مزاحمة كأنّ دهاء مرء
وكل محسّنين إذا استمّما
وإنّ أشرّ ما يلقى أريب
نفوس هدّها شرف ونبل
وقد عاشت إلى الأوباش تُعزى
وأخرى في المخازي راكسات
مشت في الناس رافعة رؤوساً
فلا الأرضون قد تُحسِف بهذي

* * *

يريكهم كَأحسن ما يُراء
بهم غدر ولم يُنكر وفاء

أُعرف من هم الأوباش «زولا»
يريكهم أناساً لم يُلصق

* * *

من الشرف الذي فيه بلاء

أُعرف «لانتية» وما أتاه

يُتَمِّمُ خِلْقَةَ الشَّرَفِ الْعَنَاءُ
وَأَنْشَبَ فِيهِ مَخْلَبَهُ «القضاء»

وهل شَرَفٌ بلا نَكِيدٍ وَضُرٌّ
تَوَلَّى «لانتِيه» يَدُ الرَزَايَا

* * *

تَرَا جَعُ «لانتِيه» فلا نَجَاءَ
وَإِخْوَتُهُ؛ إِذَا ذَهَبَ الثَّرَاءُ
لِمَنْ وَاسَاكَ فِي ضَيْقٍ فِدَاءُ
كَحَدِّ السَّيْفِ أَرْهَفَهُ الْمُضَاءُ
مَحَامَاةً يَرَادُ بِهَا الرِّبَاءُ:
ضَمَانَتُهُ وَقَدْ عَزَّ الْأَدَاءُ
مُقَاسَطَةً يَحْتَمِلُهَا اقْتِضَاءُ
وَأَطْفَالٌ وَأَهْلٌ أَبْرِيَاءُ
سَيُعَوِّزُهُمْ - إِذَا سُدَّ - الْغَدَاءُ
يُصَدِّقُ مَا يَقُولُ الْأَصْدَقَاءُ
يَدِيهِ مِنْ ثَنَا الدُّنْيَا جُفَاءُ

وَقَامَتْ صِيحَةٌ مِنْ كُلِّ بَابٍ
سَتَعْلَمُ أَيْنَ أَهْلُ الْمَرْءِ عَنْهُ
وَكُلُّ النَّاسِ مِنْ قَاصٍ وَدَانٍ
فَجَاءَ يَزِينُ مَوْقِفَهُ لِسَانٌ
مَحَامَاةً مَشْرُوفَةً وَلَيْسَتْ
صَدِيقٌ ضَامِنٌ نَجَتْ صَدِيقاً
وَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ دَفْعاً وَلَكِنْ
ف «لانتِيه» لَهُ شَرَفٌ وَجَاءَ
وَمَعْمَلُهُ تَعِيشُهُ بِهْ مَثَاتٌ
وَلَكِنْ «القضاء» أَجَلٌ مِنْ أَنْ
فَأَصْبَحَ «لانتِيه» وَكُلُّ مَا فِي

* * *

وَيَطْفَحُ بِالشَّقَاءِ لَهُ إِنَْاءُ
لَأَنَّ الْعَدْلَ يَكْبَسُ مِنْ يَشَاءُ...!
هُمْ فَوْقَ «الْمَنْصَةِ» أَنْيَاءُ...!
نَفْسُ مَنْ تَظَنَّى بِهِ بُرَاءُ^(١)

وَبِنَا «لانتِيه» يَفِيضُ بَوْساً
إِذَا «بِالْعَدْلِ» يَكْبِسُهُ، لِمَاذَا؟
لَأَنَّ «الْعَدْلَ» يُشْغِلُهُ أَنْاسٌ
وَهَبْ ذَهَبَ ضَحَايَا «الْعَدْلِ» ظُلْماً

(١) التظني: التظنن.

فلا لومَ عليه وإنْ تلوَّثَ
 سيجلدُهم أنْ يُقنعوه
 فانْ هلكوا وخلفَهُمُ ييَوتُ
 سيأطُّ فوقَهُم أوْ فآرَ ماءُ!
 بأنهمُ أناسٌ أبرياء...!
 خوتُ من بعدهم فله البقاء!

المحرقة

- نظمها الشاعر، وقد كان في أزمة نفسية حادة على أثر ظروف خاصة عنيفة وملابسات سياسية واقتصادية.
- نشرت في جريدة «العراق»، العدد ٣٥٥٥ في ٩ كانون الأول عام ١٩٣١
- نشرت في طبعة عام ١٩٣٥ .

أُحَاوِلُ خِرْقاً فِي الْحَيَاةِ فَمَا أَجْرَا
وَيُؤَلِّنِي فِرْطُ افْتِكَارِي بِأَتْنِي
مَضَتْ حِجَجٌ عَشْرٌ وَنَفْسِي كَأَنَّهَا
خَبَرْتُ بِهَا مَا لَوْ تَخَلَّدْتُ بَعْدَهُ
أَلَمْ تَرْنِي مِنْ فِرْطِ شَكٍّ وَرِيْبَةٍ
وَأَسْفُ أَنْ أَمْضِي وَلَمْ أَبْقِ لِي ذِكْرَا
سَأُذْهَبُ لَا نَفْعاً جَلِبْتُ وَلَا ضَرْراً
مَنْ الْغَيْظُ سَيْلٌ سُدُّ فِي وَجْهِهِ الْمَجْرَى
لَمَّا آزَدَدْتُ عِلْماً بِالْحَيَاةِ وَلَا خُبْرَا
أُرِي النَّاسَ، حَتَّى صَاحِبِي، نَظْراً شَزْرَا

* * *

لَبَسْتُ لِبَاسَ الثَّعْلَبِيِّينَ مُكْرَهاً
وَمَسَحْتُ مِنْ ذَيْلِ الْحَمَامِ تَمْلُقاً
وَعَطَيْتُ نَفْساً إِنَّمَا خُلِقَتْ تَمْرَا
وَأَنْزَلْتُ مِنْ عَلِيَا مَكَانَتِهِ صَقْرَا

وَعُدْتُ مَلِيءَ الصَّدْرِ جِقْدًا وَقُرْحَةً
أَقُولُ اضْطِرَارًا قَدْ صَبِرْتُ عَلَى الْأَذَى
وَلَيْسَ بِحُرٍّ مَنْ إِذَا رَامَ غَايَةً

وَعَادَتْ يَدَيَّ مِنْ كُلِّ مَا أَمَلْتُ صِفْرًا
عَلَى أَنْسِي لَا أَعْرِفُ الْحُرَّ مُضْطَرًّا
تَخَوَّفَ أَنْ تَرْمِي بِهِ مَسْلَكًا وَغَرًّا

* * *

مَشَى الدَّهْرُ نَحْوِي مُسْتَثِيرًا خَطْوَبَهُ
وَقَدْ كَانَ يَكْفِي وَاحِدٌ مِنْ صُرُوفِهِ
مَشَى لِي كَعَادَاتِ الْخَانِيثِ دَارِعًا
شَرِبْتُ عَلَى الْحَالِينِ بَوْسٍ وَنَعْمَةٍ
حُبَيْثُ بَنْدَمَانٍ وَخَمْرٍ فَعَاظَنِي
وَلَوْ بِهِمَا مُتَعْتُ مَا زِلْتُ سَاخِطًا
فَمَا أَنْفَكُ حَتَّى أَسْتَرْجِعَ الدَّهْرَ حُلْوَهُ
وَجَوْزِيئْتُ شَرًّا عَنْ طُمُوحي فَهَا أَنَا
فَإِنْ يُشِمِّتِ الْأَقْوَامُ أَخْذِي فَلَمْ أَكُنْ
وَأِنْ تَفْتَرِسْنِي الْآكَلَاتُ فَبَعْدَ مَا
وَأِنْ تُثْلَهِبِ الشُّكُوى قَوَافِي حُرْقَةً
وَكُنْتُ مَتَى أَغْضَبُ عَلَى الدَّهْرِ أَرْجُلُ
كَشَّانٍ «زِيَادٍ» حِينَ أُحْرِجَ صَدْرُهُ
أَوْ «الْمُنْتَبِي» حِينَ قَالَ تَذُمُّرًا
وَمَا زِلْتُ ذَاكَ الْمَرْءَ يَوْمِيَعُ دَهْرَهُ

كَأَنِّي بَعِينِ الدَّهْرِ قَيْصَرُ أَوْ كَسْرَى
لَقَدْ أُسْرِفْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ زُمَرًا تَتْرَى
يُنَازِلُ قِرْنًا مُثَخِّنًا حَاسِرًا صَدْرًا
وَكَابِدْتُ فِي الْحَالِينِ مَا نَقَصَ السُّكْرَا
بَأَنِّي لَا مُلْكَاءَ حُبَيْثُ وَلَا قَصْرَا
عَلَى الدَّهْرِ إِذْ لَمْ يَحْبُنِي حَاجَةٌ أُخْرَى
وَحَتَّى أَرَانِي أَنْسِي لَمْ أَذُقْ مَرًّا
بِرَغْمِي لَا خِلًّا تَخِذْتُ وَلَا خَمْرَا
بِأَوَّلِ مَا خُصِّدْتُ عَلَى غِرَّةٍ غَدْرَا
وَوَثَّقْتُ بِهَا فَاسْتَلَّتِ النَّابَ وَالظُّفْرَا
وَغِيظًا فَانِي قَادِحٌ كِبْدًا حَرَى
مُحَرَّقَةً الْأَيَّاتِ قَاذِفَةً جَمْرَا
وَضُوبِقَى حَتَّى قَالَ خُطْبَتَهُ الْبَتْرَا
«أَفَيْقَا خُمَارُ الْهَمِّ بَعْضُنِي الْخَمْرَا»
وَأَوْضَاعَهُ، وَالنَّاسَ كُلَّهُمُ كَفْرَا

* * *

تحوّلْتُ من طبعٍ لآخر ضده
وكنْتُ وديعاً طيب النفسِ هادئاً
فلو دَبَّرَ الباغونَ للكيدِ خطّةً
ولو ملكَ «قارون» ملكْتُ دفعته

* * *

من الشيمةِ الحسناءِ للشيمةِ النكرا
فأصبحتُ وحشاً والغا في دمٍ نَمرا
رأوا أَنني منهم بتدبيرها أخرى
على كره بعض الناسِ بعضَهم أجرا

رأيتُ من الإنسانِ يُطغيه عُجْبُهُ
إذا أُغْرِيتُ هذي بأكلِ فريسةٍ
أُتعرَّفُ كم من أصيدٍ مُمتلٍ قهراً
لينعمَ مَنْ إن عاشَ لم يُدرِ نفعُهُ
أُتعرَّفُ ما يأتيه في السرِّ ناصبٌ
يُقلِّبُهُ بينَ الجموعِ دلالةً
وما ميّزْتُهُ عن سواه فوارقٌ
وهبَ أنه قد أُلهمَ العلمَ كُلَّهُ
وكانَ «شكسبير» خويدمَ شعره
فهل كانَ حتماً أَنني أنخني له
ألم يدرِ هذا «الكوكب!» الفذ أنه
ذمّتُ مُقامي في العراقِ وعلّني
لعلّي أرى شبراً من العُدرِ خالياً

من الخزي ما تأباه وحشيّةٌ تُضري
فهذا بأن يلهو بتعذيبها مُغري
وكم حُرّةٌ تشكو ومن حولها، الفقرا
وإن ماتَ لم يعرفَ له أحدٌ قبراً
على العينِ منظاراً على الناسِ مغترباً
على أنه أذكى من الناسِ أو أثري
سوى أنه قد أتقنَ الرقصَ والزمرا
وحلّلَ حتى الجواهرَ الفردَ والذراً
وكانت لُغى الأكوامِ تخدمُه نثراً
وتصطكُ مني الركبتانِ إذا مرّاً..!
كما كان حُرّاً كان كُلُّ أمريءٍ حرّاً
متى أعتزمُ مسراي أن أحمدَ المسرى
كفاني اضطهاداً أَنني طالبُ شبراً

شبابٌ يذوي! ...

● نظمت عام ١٩٣١

ذوى شبابي لم يتنعم بسراءٍ
سَدَّتْ عليّ مجاري العيش صافيةً
فمن عناءِ بليّاتٍ نُهِكْتُ بها
سِتُّ وعشرونَ ما كانت لخلاصتها
وما الحياةُ سوى حسناءٍ فاركةٍ
فإن عَجِبْتَ لشكوى شاعرٍ طربٍ
فلسْتُ أَجْهَلُ ما في العيش من نعيمٍ
ولا أَحَبُّ ظلامِ القبرِ يغمُرني
ولئما أنا والدُّنيا ومحتُها
أريدُها لمسرّاتٍ، فتعكِسُها
وقد تَبَغَّتْ أسلافي فما وقَعَتْ

كما ذوى الغصنُ ممنوعاً عن الماءِ
كفُّ الليالي وأجرَتها بأقذاء
إلى عناءٍ ومن داءٍ إلى داءٍ
— وهي الشبابُ طريّاً — غيرَ غمّاءٍ
مخطوبةٍ من أحبّاءٍ وأعداءٍ^(١)
طوّلَ الليالي يُرى في زِيٍّ بكّاءٍ
أنا الخبيرُ بأشياءٍ وأشياءٍ
أنا المُشِيعُ بآمالٍ وأهواءٍ
كطالبِ الماءِ لَمّا غَصَّ بالماءِ
وللهناءِ، فتشفيه لآلِذاءٍ
عيني على غيرِ مشغوفٍ بذيّاءٍ

(١) المرأة الفارك: المبغضة زوجها. والمعنى أن الحياة بالرغم من منغصاتها وعدم استقامة أحوالها مع الإنسان فهي محبوبة ومخطوبة من الجميع. ويفسر ذلك البيت التالي. راجع المستدرك.

فَإِنْ أَتَيْتَ أَحَادِيثَ مُزَخْرَفَةً
يُشَوِّهُونَ بِهَا إِبْدَاعَ غَانِيَةٍ
طَوْرًا تُصَوِّرُ حِرْبَاءَ وَأَوْنَةً
فَلَا تَصَدِّقْ فَمَا فِي الْعَيْشِ مِنْقَصَةٌ
ذَمُّ الْحَيَاةِ أَنْاسٌ لَمْ تُؤَاتِهِمْ
وَقَلَّدَتْهُمْ عَلَى الْعَمِيَاءِ جَمْهَرَةٌ
وَلَوْ بَدَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا بَزِيَّتَهَا
عَنِ الَّذِينَ رَوَّوْهَا أَوْ عَنِ اللَّائِي
فَتَّانِيَةٍ لَمْ تَكُنْ يَوْمًا بِشَوْهَاءَ
كَالْأَفْعَوَانِ، وَأُخْرَى كَالرُّتِيْلَاءِ^(١)
لَوْلَا أَضَالِيلُ غَوْغَاءٍ... وَدُمَاءُ
وَلَا دَرَوَا غَيْرَ دَرِّ الْإِبْلِ وَالشَّاءِ
تَمْشِي عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ خَبِطَ عَشَوَاءُ
لِقَابِلُوهَا بِتَبْجِيلٍ وَإِطْرَاءِ

* * *

لَمْ تَكْفِنِي نَكَبَاتٌ قَدْ أَخَذَتْ بِهَا
لِي فِي الْحَيَاةِ أَمَانٌ لَوْ جَهَرَتْ بِهَا
وَلَوْ أَتَانِي بِبُرْهَانٍ يَجَادِلُنِي
حَتَّى تُكَبِّتُ بِأَفْكَارِي وَأَرَائِي
قُوبِلْتُ مِنْ سَفْسَطِيَّاتٍ بِضَوْءِ
لَقَلْتُ: أَهْلًا عَلَى الْعَيْنَيْنِ مَوْلَانِي

* * *

هَاجُوا عَلَيْكَ بِإِفْذَاعٍ وَمَفْحَشَةٍ
حُرِّيَّةُ الْفِكْرِ مَا زَالَتْ مَهْدَدَةً
وَالنَّوَامِيسُ مَا كَانَتْ مُفْسِرَةً
وَأَذْنُوكَ بِحَرْبٍ جِدُّ شَعْوَاءِ
فِي «الرَّافِدِينَ» بِهَمَّازٍ وَمِثْلٍ
إِلَّا لِصَالِحِ هَيْئَاتٍ وَأَسْمَاءِ

(١) الرتيلاء: من الهوام (الحشرات) لسعها مورم مؤلم — وتلفظ في العامية العراقية: رتيلة.

الدم يتكلم .. بعد عشر

- نظمت عام ١٩٣١ ، وقد مضت على ثورة العشرين ، عشر سنوات ، وكان العراق يجتاز أزمة سياسية واقتصادية خانقة .. وكان لهذه القصيدة تأثير شديد في المحافل السياسية وفي الأوساط الأدبية على حد سواء .
- نشرت في جريدة «الإخاء الوطني» لسان حزب «الإخاء الوطني» المعارض في العدد ١٨ في ٢١ آب ١٩٣١

قبل أن تبكي الثُبوغَ المُضاعَا سُبَّ مَنْ جَرَّ هَذِهِ الْأُضَاعَا
سُبَّ مَنْ شَاءَ أَنْ تَمُوتَ وَأَمْثَالُكَ هَمًّا وَأَنْ تَرُوحُوا ضِيَاعَا
سُبَّ مَنْ شَاءَ أَنْ تَعِيشَ فَلَوْلُ حَيْثُ أَهْلُ الْبِلَادِ تَقْضِي جِيعَا
دَاوِنِي إِنْ بَيْنَ جَنْبِي قَلْبَا يَشْتَكِي طَوْلَ دَهْرِهِ أَوْجَاعَا
لَيْتَ أَنِّي مَعَ السَّوَائِمِ فِي الْأَرْضِ شَرُودٌ يَرْعَى الْقَتَادَ أَنْتِجَاعَا
لَا تَرَى عَيْنِي الدِّيَارَ وَلَا تَسْمَعُ أُذُنِي مَا لَا تُطِيقُ اسْتِمَاعَا

* * *

بعد «عشر» مشت بطاءً ثقلاً
عرفتنا الآلام لوناً فلوناً
اختبرنا، إننا أسأنا اختبراً
وندمنا فهل نكفر عمّا
لو سألنا تلك الدماء لقات
والليالي كلحاء لا نجم فيها
ليتكم طرئتم شعاعاً جزاء
بالأماني جذابة قدثموها
وآدعيتم مستقبلاً لو رآته
ألهذا هرقموني وأضحى
أفوحدي كنت الشجاعة فيكم
كل هذا ولم تصونوا ربوعاً
إن هذا المتاع بخساً ليأبى الله أن تفصدا عليه ذراعاً
قل لمن سلك قانياً تحت رجليه وأقطعته القرى والضياء
حَبَروني بأن عيشة قومي لا تساوي حذاءك اللماعاً

* *

مشت الناس للأمام آرتكاضاً
في سبيل الأفراد هوجاً ركاكاً
ومشينا إلى الوراء آرتجاعاً
ذهب الشعب كله إقطاعاً
طعنوا في الصميم من يركن الشعب إليه ونصبوا القطعاً

(١) الصواع : لغة في الصاع الذي يكال به ، وقيل هو إناء يشرب فيه . يريد : لما أبهت له واهتمت به .

(٢) هرقموني : أرقموني ، أسلمتوني ، والدم هو الذي يتكلم .

شحنوهم من خائن وبذيءٍ ومُريب شحنَ القطارِ المتاعا
ثم صبوهم على الوطن المنكوب سوطاً يلتاع منه ألتباعا
حَمَدت عبقريةً طالما احتيجتْ لثُلقي على الخطوب شعاعا
وأنزوت في بُيوتها أدباءٌ حَطَّمت خيفةَ الهوان اليراعا
ملءُ دور العراق أفئدةً حرى تُشكِّى من الأذى أنواعا
وجهدٌ سُحقن في حينَ ترجُّت منها البلاد انتفاعا
فكانَ الأحرار طُرّاً على هذي النكايات أجمعوا إجماعا

* * *

إثأرى أنفساً حُسن على الضيم وكيلي للشرِّ بالصاع صاعا
وَأستعيني بشاعر وأديب وأزجي عمّا ترين القناعا
هيجوا النار انها أهونُ الشرِّين وقعاً ولا تهيجوا الطباعا
إنَّ هذي القوى لهُنَّ آجتاعٌ عن قريب يهدد الاجتماعا
عصفت قوَّةُ الشعوب بأرسي أم الأرض فاقْتلَعن اقتلاعاً^(١)
أنسِه هذا الصراع يا دُم بين الشعب والظلم قد أطلت الصراعا

(١) يقصد بأم الأرض : حكوماتها المستبدة .

عريانة

● نظمت عام ١٩٣٢

أنتِ تدرين أنني ذو لبائنة
وقوافيٍّ مثل حُسنك لما
وإذا الحبُّ ثارَ فيَّ فلا تَمُــــ
فماذا تُحاولين بأنْ أَعــــ
ولماذا تُهَيِّــــجين من الشا
لا تقولي تجهُمُ وانقباضُ
فهما ثورةً على الدهر مَنّي
أنا في مجلسٍ يضمُّكِ نشوا
لو تُحسِّينَ ما أحسُّ إذا رَجــــ
رجفةً لا تمسُّ ما بين رَفْعــــ
والذراعين كلَّ ريانةٍ فعــــ

ألهوى يستثير فيَّ المَجائنة
تَتَعَرَّيْنِ حرَّةً عُرْيَانــــه
نَعُ أيُّ احتشامة ثورانــــه
لنَ ما يُنكِرُ الوري إعلانــــه
عِرْ أغفَى إحساسه، بركانــــه
بَغْضاً منه وَجْهَه ولسانــــه
كجَـواد لا يرتضي ميدانــــه
نُ سروراً كأنني في حانــــه
فَتِ في الرِّقْصِ بطنك الخمصانــــه^(١)
لِكِ^(٢) وتُبقِي الصدرَ الجميلَ مكانــــه
ماءٌ تُلقِي في فَعْمَةٍ رَيانــــه

(١) البطن خلافاً لما يعتقد أحد شارحي « الديوان » مما يجوز فيه التذكير والتأنيث .

وَالثَّيِّبِينَ كُلُّ رُمَانَةٍ فَرَّ
 عَارِبًا ظَهْرُكَ الرَّشِيقُ تُحِبُّ الـ
 مَا بِهِ مِنْ نَخَافَةٍ يُسْتَشْفَى الـ
 خُصَّ بِالْمَحْضِ مِنْ بُلْهَنِيَةِ الْعَيْـ
 وَتَرَاهُ يَجِيءُ بَيْنَ ظُهُورِ الـ
 إِذْ تَمِيلِينَ يَمْنَةً وَيَسَارًا
 عِنْدَمَا تَبْسِمِينَ فِينَا فَتَفْتَرُّ الشَّفَاهُ اللَّطَافُ عَنْ أَقْحُونَانِهِ
 إِذْ يَجَارِ الرَّاؤُونَ فِي حُسْنِكَ الْفَتَّانِ بِلْ فِي ثِيَابِكَ الْفَتَّانِهِ
 رَبِّ جَسْمٍ تُطْرِي الْمَلَاخَةَ فِيهِ
 مَا بِهِ مِنْ نَقِيصَةٍ وَكَأَنَّ الـ
 إِنَّ كَفًّا قَاسَتْ عَلَيْكَ لِبَاسًا
 عَرَفَتْ كَيْفَ تَبْرُزِينَ إِلَى الْجَمـ
 ضَيِّقَتْ مُلْتَقَى نَهْدِكَ وَالْكَشْـ
 وَأَشَارَتْ إِلَى اللَّعْوِيَّتَيْنِ بِالْأَلـ
 لَيْتَ شَعْرِي مَا السَّرُّ فِي أَنْ بَدَتْ لَدِ
 وَاخْتَفَى عَضُوكَ الَّذِي مَازَهُ اللَّـ
 الَّذِي نَالَ حُظْرَةَ حُرْمِ
 وَتَمَتَّى عَلَى الطَّبِيعَةِ شَكْلًا
 وَمَحَلًّا خَصَبًا فَحَلَّ بَوَادِ
 لَمْ يُرَدْ مِنْ بَرَاهٍ مُتَعَمِّةً نَفْسِـ
 كَكِتَابٍ كَشَفَتْ عَنْ صَفْحَتَيْهِ

عَاءَ تَهَزَّا بِأَخْتِهَا الرُّمَانِهِ
 عَيْنُ مِنْهُ اتْسَاقُهُ وَاتِّزَانُهُ
 عَظْمُ مِنْهَا وَلَا بِهِ مِنْ سَمَانِهِ
 شَرٌّ وَأَعْطَى مِنَ الصَّبَا عَنفَوَانَهُ^(١)
 حُرِّدَ الْغَيْدِ سَابِقًا أَقْرَانَهُ
 مِثْلَمَا لَاعَبْتَ صَبَاً خَيْرُ رَانِهِ
 عِنْدَمَا تَبْسِمِينَ فِينَا فَتَفْتَرُّ الشَّفَاهُ اللَّطَافُ عَنْ أَقْحُونَانِهِ
 إِذْ يَجَارِ الرَّاؤُونَ فِي حُسْنِكَ الْفَتَّانِ بِلْ فِي ثِيَابِكَ الْفَتَّانِهِ
 ثُمَّ تَعُدُّهُ مُطَرِّبًا فُتَّانِهِ
 شَوْبَ أَضْحَى مُتَمِّمًا نُقْصَانَهُ
 مِثْلَ هَذَا مَهَارَةٍ شَيْطَانِهِ
 هُورٍ فِيهِ لِتَخْلِبِي أَذْهَانَهُ
 حَيْنَ مِنْهُ وَشَمَّرَتْ أُرْدَانَهُ
 جَابَ مِنْهَا بوردَةٍ مُزْدَانَهُ
 عَيْنَ جَهْرًا أَعْضَاؤُكَ الْحُسَّانَهُ
 هُ عَلَى كُلِّ مَا لَدَيْكَ وَزَانَهُ
 الْإِنْسَانُ مِنْهَا وَخُصَّتْ الْإِنْسَانَهُ
 هُوَ مِنْ خَيْرٍ مَا يَكُونُ فَكَانَهُ
 أَنْبَتَ اللَّلهُ حَوْلَهُ رِيحَانَهُ
 أَنْ يُعْطَى وَلَمْ يُرَدْ كِتْمَانَهُ
 ثُمَّ غَطَّيْتَ عَنْوَةَ عُنوانِهِ

(١) البلهنية : الرخاء وسعة العيش .

أَوْ غَدِيرٍ جَمُّ الْمَسَارِبِ عَذْبٍ
حَرَمُوهُ وَحَلَّلُوا شُطَّانَهُ
هَيْكَلٌ مِنْ هَيْكَلِ اللَّهِ سُدَّ
الْبَابُ مِنْهُ وَكَفَّنُوا صُلْبَانَهُ

حافظ إبراهيم

- نظمت في وفاة حافظ ابراهيم . نشرت في جريدة «العراق» ، العدد ٣٧٦٩ في ٢٢ آب ١٩٣٢ . نشرت في طبعة عام ١٩٣٥ .

نَعُوا إِلَى الشَّعْرِ حُرّاً كَانَ يَرَعَاهُ وَمَنْ يَشُقُّ عَلَى الْأَحْرَارِ مَنَعَاهُ
أَخْنَى الزَّمَانُ عَلَى نَادٍ «زها» زَمْنًا بِحَافِظٍ وَآكَسَى بِالْحُزْنِ مَغْنَاهُ
وَأَسْتَدْرَجَ الْكُوكَبُ الْوَضَاءَ عَنْ أَفْقٍ عَلَي السَّنَا يُحْسِرُ الْأَبْصَارَ مَرَقَاهُ^(١)

* * *

حوى الثَّرَابُ لِسَاناً كُلَّهُ مُلَحَّ مَا كُلُّ مُحْتَرِفٍ لِلشَّعْرِ يُعْطَاهُ
لِلْأَرْحَى مَنَشَأَهُ، وَمَصْدَرُهُ وَلِلشَّجَاوَةِ وَالْإِنْسِاسِ حَدَاهُ
جُمُ الْبَدَائِهِ، سَهْلُ الْقَوْلِ، رِيضُهُ وَطَالَمَا أَعْوَزَ الْمِنْطِيقَ إِبْدَاهُ^(٢)

(١) استدرج: زحزح وانزل .

(٢) البدائيه هنا ما بيده من القول عفواً ومطاعة وبديهة ، وكان الفقييد « حافظ ابراهيم » معروفاً بذلك .
راجع المستدرک .

عرائس من بنات الفكر حاملة
وما الشعور خيال المرء ينظمه
أخو الحماس رقيقاً في مقاطعه
وذو القوافي لطافاً في تسلسلها
وابن السنين نقيات صحائفها
فإن يكن خضدت بالموت شوكته
فما تزال مدى الأيام تؤنسنا
شعرٌ تجس كأن النفس تعشقه
زانت موافقه جندية كسيت
مشى بمصر فلم يعثر بها ورمى
حسب الزمان وحسب الناس منقصة
ما للزمان ونفس ريع طائرهما

من حافظ أثراً خلواً كسيماه
لكنه قطعات من سجاياه
تكاد تلمس نيران وأمواه
ما شأنها عنت يوماً وإكراه^(١)
أولاه فائضة حسناً وأخراه
أو نال وقع البلى منه فعراه^(٢)
نظائر من قوافيه وأشباه
أو أنها اجتذبت بالسيحر جرّاه
من الرزانة ما لم تكس لولاه^(٣)
محتل مصر فلم يخطئه مرماه
إن طال من حافظ في الشعر شكواه
ألم تكن في غنى عنها رزاياه

* * *

ضحية الموت هل تهوى معاودة
يا أبى الكنانة والأيام جائرة
لقيت من نكد الدنيا ومحتها
ما لذة العيش جهل العيش مبداه

لعالم كنت قبلاً من ضحاياه
والدهر مغرمة بالحر بلواه
ما كنت لولا إباء فيك تكفاه
والهم واسطه، والموت عقباه

(١) العنت : الشدة والارهاق .

(٢) خضدت : كسرت .

(٣) جندية : اشارة إلى ماضي حافظ ابراهيم في الخدمة العسكرية .

يا آبن الكِنانةِ ماذا أَنْتَ مُشْتَمِلٌ عليه ممَّا سَطَا مَوْتُ فَعَطَّاهُ^(١)
 سِتُونٌ عاماً أَرْتِكَ النَّاسَ كُنْهَهُمْ والدهرَ جوهرةَ والعُمَرَ مَغْزَاهُ

* * *

إِنَّا فَقَدْنَاهُ فَقَدَ الْعَيْنِ مُقْلَتَهَا أو فَقَدَ سَاعٍ إِلَى الْهِجَاءِ يُمْنَاهُ
 مَا أَنْفَكَ ذِكْرُ الرَّدَى يَجْرِي عَلَى فَمِهِ وما أَمْرُ الرَّدَى، بَلْ مَا أُحْيَاهُ
 وَمَنْ تُبْرِخْ تُكَالِيفُ الْحَيَاةِ بِهِ وَيَلْمِسُ الرُّوحَ فِي مَوْتٍ تَمْنَاهُ
 إِنِّي تَعَشَّقْتُ مِنْ قَبْلِ الْمُصَابِ بِهِ يَتَأَلَّاهُ جَاءَ قَبْلَ الْمَوْتِ يَنْعَاهُ:
 لَبْسُهُ وَدُمُوعُ الْعَيْنِ فَائِضَةٌ وَالنَّفْسُ جِيَاشَةٌ وَالْقَلْبُ أَوَاهُ

(١) البيت يتضمن التساؤل من الشاعر عما يحمل معه إلى القبر من آلام واحساسات لم يكتب لها التعبير عنها في شعره .

الأنانية

● نظمت عام ١٩٣٢

أرى الدهر مغلوباً ضعيفاً وغالباً
ولا تكذبُن، ما في البرية راحمٌ
تمكّن ذو طولٍ فأصبح حاكماً
وفات أناساً قدرةً فتمسكنا
ولو رُمْتُ للعورات كشفاً أريتكم
أريتكم أنّ المنافع صوّرت
أريتكم أنّ ابنَ آدمَ ثعلبٌ
لحفظ «الأنانياتِ» سنّت مناهجٌ
يجرّ سياسيٌّ عليها خصومَه
فان ترني مستصرخاً من مُلَمّة
فلو كنت دينياً اتخذت «محمداً»
تناهتُ أموالُ اليتامى أحوزها
فلا تَعْتَبِنِ لا يسمُعُ الدهرُ عاتباً
ولا أنت فائركُ رحمةً عنك جانباً
وجنّب مدحورٌ فأصبح راهباً
ولم يُخلّقوا أسداً فعاشوا ثعالباً
من الناس حتى الأنبياء عجائبها
محامدٌ والحرمان منها معائبها
يُمَاشيك منهوباً، ويفزوك ناهباً
على الخلق صبّت محنةٌ ومصائبها
ويُدركُ دينيٌّ بهنَ المطالبها
على الناس إذ لم أخدعِ الناسَ صاخبا
و «عيسى» و «موسى» حجة وركائبها
وأجمعها باسم الديانة غاصبا

ومهدت لي عيشاً أنيقاً بظللها
ولو كنت من أهل السياسة لم أدع
ومتعت نفسي منه ثم الأقارب
سناماً لمن أرتاب فيهم وغاربا

* * *

ولو كنت فتاناً ولو كنت عاملاً
ولو كنت مهما كنت فرداً فإنني
ولا أعرف التاريخ يحتاج ساخطاً
فما كانت الأعذار إلا لحامل
دعوني دعوني لا تهيجوا لواعجي
ولو كنت أمياً ولو كنت كاسياً
لأجهل في تحطيم غيري دائباً
علي ولا الوجدان يرتد غاضباً
وما كنت إلا طامح النفس واثباً
ولا تبعثوا مني شجوناً لوأهباً

أحمد شوقي

- ألقاها الشاعر في الحفل التأبيني الذي أقامته الدائرة العربية في المدرسة الأمريكية في بغداد يوم الجمعة ١١ تشرين الثاني ١٩٣٢
- نشرت في الكراس الذي أصدرته المدرسة المذكورة، والذي ضم ما ألقى في ذلك الحفل.

طوى الموتُ ربَّ القوافي العُرَّرَ وأصبحَ «شوقي» رهيْن الحُفَرِ
وَأَلْقَى ذاكَ الثُّرَاثَ العَظِيمُ لِثَقْلِ التُّرابِ وضغطِ الحَجَرِ
وجئنا نُعزِّي به الحاضرين كأنْ لم يكنْ أمسٍ فيمن حضر

* * *

زمانٌ وفِيَّ بميعادِهِ فظُلماً يقالُ لِيالٍ غُذِرَ
كما يُقَرَّعُ «الجَرَسُ» للناشيئِ— نَ تَأْتِي إلى الناسِ منه التُّذِرُ
ولكن يُريدُ الفتى أنْ يدوم ولو دأَمَ سادَ عليه الضجرُ
ويأبى التنازُعُ طولَ البقاءِ وتأبَاهُ بُقيا نفوسٍ أُخِرَ

* * *

تَحَيَّرْتُ فِي عَيْشَةِ الشَّاعِرِينَ
فَقَدْ جَارَ «شَوْقِي» عَلَى نَفْسِهِ
عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعِشْ خَالِداً
تَبَّغْتُ آثَارَ «شَوْقِي» وَقَدْ
لَقَدْ فَاتَ بِالسَّبْقِ كُلَّ الْجَيَا
تَرْسَلْ لَمْ يَزُتْ بِكَ حَطُوءُهُ
«شَكْسِينِرُ» أُمَّتِهِ لَمْ يُصْبِرْ—
كَأَنَّ عَيُونَ الْقَوَا فِي الْحَسَا
وَأِنْ أَصْدَقْنَا «فَشَوْقِي» لَهُ

أَتَخْلُو مُخْلَاصَتَهَا أَمْ تَمَرَّ
وَقَدْ يَقْتُلُ الْمَرْءَ جَوْرُ الْفِكْرِ
خُلُودَ الْجَدِيدِينَ لَوْ لَمْ يَجُرْ..^(١)
وَقَفْتُمْ عَلَى مَنْ يَقْصُ الْأَثَرِ
دِي فِي الشَّعْرِ هَذَا الْجَوَادُ الْأَعْرَ
عَنَاءً.. وَلَا نَالَ مِنْهُ الْبَهْرُ^(٢)
هُ بِالْعِيِّ دَاءٌ وَلَا بِالْحَصْرِ^(٣)
نِ مِنْ قَبْلُ كَانَتْ لَهُ تُذْخِرُ
عَيُونَ مِنْ الشَّعْرِ فِيهَا حَوْرُ

* * *

خَسِرْنَاكَ كَنَزاً إِلَى مِثْلِهِ
وَمَا كُنْتُ مِنْ زَمَنِ وَاحِدٍ
مَضَى بِالْعَرُوبَةِ دَهْرٌ وَلَمْ
وَأِنْ التَّبَوُّغَ عَلَى مَا يُحْيِطُ
يُثِيرُ أَهْتَاماً أَدِيبٌ يَجِدُ
قُرُونٌ مَضَتْ لَمْ يَسُدَّ الْعَرَارُ
وَلَمْ تَتَبَدَّلْ سَمَاءُ الْبِلَادِ

إِذَا أَحْوَجَتْ أَرْزَمَةٌ يُفْتَقَرُ
وَلَكِنْ نِتَاجُ قُرُونٍ عُقُرُ
يُلْخِ الْمَعْيِي وَمَرَّتْ عُصْرُ
بَعِيشِ النَّوَابِغِ أَمْرٌ عَسِيرُ
كَمَا قِيلَ نَجْمٌ جَدِيدٌ ظَهَرَ
مِنْ «الْمُتَنَبِّي» مَكَاناً شَعَرَ
وَلَا حَالُ مِنْهَا الثَّرَى وَالنَّهْرُ

(١) الجديدان : النابيل والنهار .

(٢) الترميل : إخراج الطليعة على رسائها . والبر : التعب والمشقة جراء التصنع والتكلف .

(٣) الحصر : الإحساس .

ولم يتغير عَرْضُ الخليل
ولكنَّما تَنَجَّجُ الناهيـنَ
فإنْ قُـدَّتْ لم يشعْ الأريـسُ
ولا العُـربُ قُـدْ بُدِّلُوا بالتَّـر
من الشاعريـنِ دواعِ أُنْـحـر
بُ الا ليخبو كلمح البَصـرِ

القرية العراقية

- نظمت عام ١٩٣٢ في أثناء جولة قام بها الشاعر في قرى الفرات وعشائرها .. أُلقيت من إذاعة بغداد في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٣٥ ، وأُعيد نشرها في جريدة «الرأي العام» العدد ٢٦٠ في ١ كانون الأول ١٩٣٩

رونق شاع في الثرى وعلى الرو ضية لطف من السما مسكوب
ما أرق الأصيل سأل بشفاف شعاع منه الفضاء الرحيب
كل شيء تحت السماء بلون شفقي مُورِدٍ مخضوب
وكان الآفاق تحضن الأرض بأصالتها إطار ذهب
متّع العين إن حسناً تراه الآن من بعد ساعة منهوب

* * *

ثم دبّ المساء تقدّمه الأطيار مرعوبة وريح جنوب
وغناء يتلو غناء، ورعيان بقطعانهم تضيق الدروب
يحبس العين لانتشار الدياجي في السما منظر لطيف مهيب

شَفَقُ رَائِعٍ رَوِيداً رَوِيداً تحتَ جُنْحٍ من الظلامِ يذوب
وترى السُّحْبَ طَيِّئَةً تَلَوُ أُخْرَى قد أُجِيدَ التَّنْسِيقُ والترتيب
وتراها وشعلةُ الشَّفَقِ الأحمرِ تبدو أثنَاءَها وتغيب
كَرَمَادٍ خِلَاهُ وَأَنْزَاحٍ عَنْهُ قبسٌ وَسَطَ غَابَةِ مشبُوب

* * *

ثُمَّ سَدَّ الْأَفَقَ الدُّخَانُ تَعَالَى من بيوتٍ لِلنَّارِ فيها شُبُوب
مَنْظَرٌ يَبْعَثُ الْفَرَاهَةَ وَالْأَنَسَ لِقَلْبِ الْفَلَاحِ حينَ يُووب

* * *

تَرَكَ الزَّارِعُ الْمَزْرَاعَ لِلْكَلْبِ فَأَضْحَى خِلَالَهُنَّ يَجُوب
شَامِخٌ كَالَّذِي يُنَاطُ بِهِ الْحَكْمُ لَهُ جَيْئَةٌ بِهَا وَذُهُوب
كَانَ جُهْدُ الْفَلَاحِ خَفَّفَ عَنْهُ جَهْدُهُ فَهُوَ مُسْتَكِينٌ أَدِيب
وَهُوَ فِي اللَّيْلِ غَيْرُهُ الصَّبْحُ وَحَشْرُ هَائِجٍ ضَيِّقِ الْفَوَادِ غَضُوب

*

لِلْقُرِّيَّاتِ عَالَمٌ مُسْتَقْلِلٌ هُوَ عَنْ عَالَمٍ سِوَاهُ غَرِيب
يَتَسَاوَى غُرُوبُهُمْ وَرُكُودُ النَّفْسِ مِنْهُمْ وَفَجْرُهُمْ وَالْهُبُوب

* * *

لِلْقُرَى رَوْعَةٌ وَلِلْقُرُوبِ إِذَا صَابَ أَرْضَهُمْ شُؤْبُوب

تُبْصِرُ الكُلَّ ثُمَّ حَتَّى الصَّبَايَا فَوْقَ سِيَمَائِهِمْ هَنَاءٌ وَطَيْبٌ
يُفْرِحُ البَيْتَ أَنَّهُ سَوْفَ تُمَسِّي بَقَرَاتٌ فِيهِ وَعَنْزٌ حَلُوبٌ
وَيَرَى الطِّفْلَ أَنَّ حَصَّتْهُ إِذْ يُخْصِبُ الوَالِدَانِ ثَوْبٌ قَشِيبٌ
أَذْكِيَاءٌ.. عِيُونُهُمْ تَسْبِقُ الأَلْسُنَ عَمَّا تَرُومُهُ وَتَنْسُوبُ

* * *

قَلْتُ إِذْ رِبْعَ خَاطِرِي مِنْ مُحِيطٍ كُلُّ مَا فِيهِ مَوْحِشٌ وَكُتَيْبٌ
لَيْسَ عَدْلًا تَشَاوُمُ المَرءِ فِي الدُّنْيَا وَفِيهَا هَذَا المَحِيطُ الطَّرُوبُ

* * *

وَلَقَدْ يَرْمِزُونَ «عَنَّا» بِأَنَّا كُلُّ مَا فِي مَحِيطِنَا مَثْلُوبٌ
فَيَقُولُونَ: قَدْ تَطَيَّحُ مِنَ العَارِ بِيُوتٍ.. وَقَدْ تَثُورُ حُرُوبٌ
وَالْحَنَّا سُبَّةً عَلَيْنَا وَلَكِنْ فِي القُرَى كُلِّ نَاقِصٍ مُسَبُوبٌ
عِنْدَنَا كَالْفَتَى «الخَفِيفِ» لَثِيمٌ وَجَبَانٌ، وَغَادِرٌ، وَكَذُوبٌ
يُخْجِلُ النَّاسَ فِي القُرَى أَنَّ فَرْدًا مِنْ أَوْلَاءِ عَلَيْهِمُ مَحْسُوبٌ
إِنَّهُ مِنْ خِصَائِصِ المَدْنِيَّاتِ بِإِلَيْهَا شَتَارُهُمْ مَنَسُوبٌ!

صورة للخواطر

- نظمت عام ١٩٣٢
- نشرت في طبعة عام ١٩٣٥ .

أنا إن كنتُ مُرهقاً في شبّابي مُثَقلاً بالهموم والأوصابِ
فمتى أعرف الطلاقَةَ والأنسَ أَلَمَّا أَكُونُ تحت الترابِ؟
خَبِّروني فانتني من لُبّانائي وعيشي رهينُ أمرِ عُجابِ
أَيُّ حالٍ هذي، وما السرُّ في تكويّن خلقٍ بهذه الأعصابِ
أبداً ينظرُ الحوادثَ والعالمَ والناسَ من وراءِ ضَبَابِ
ليس شيءٌ من التجانسِ في نفسٍ نواصيّةٍ وعيشٍ صَحَابِ
شمتتُ بي رجعيّةً أَلْهَبَتْها فكفرةٌ حرّةٌ بسوطِ عذابِ
وشكنتني مَسَرَّةٌ وارتياحٌ وبكتني مُجانّةٌ وتصابي

* * *

تَدْعِينِي لِمَا وراءِ ثِيَابِ البَعْضِ نفسٌ سريّةُ الالتهابِ

فتراني وقد حُرمت أُسَلِّي النفس عنهما بلمس تلك الثياب !
فإذا لم تكن تعوّضتُ عنها صُوراً من تَخَيُّلاتٍ عذاب
ولقد تخطر «المبازل» في بالي بشكلٍ يدعو إلى الاضطراب
أو بشكلٍ يدعو إلى استحياءٍ أو بشكلٍ يدعو إلى الإعجاب
فتراني مُفكِّراً هل مواتاة التراضي.. أحلّ من الإغتصاب..؟
وهل «الفعلّة» التي خنتُ فيها خِلَّتِي، والتي دعت لاجتنابي
والتي جئتُها أُكفّر عنها بكتابٍ أَرَدْتُهُ بكتاب
كنتُ عَيْنَ المصيب فيها، وكانت فعلّةٌ مثل تلك عَيْنَ الصواب..؟
بشرٌّ جاش بالعواطف حتى جذبتُه جريمةُ الإرتكاب
أم تُراني ليست فيها على حين اندفاع مني لباسَ ذُنُوبٍ؟
أُتراها نتيجةَ الشرب أم أُنِّي ظُلماً أُلصقتها بالشراب؟

أفروdit

- الأصل في هذه القصيدة قصة للكاتب الفرنسي «بيير لويس» نقلها إلى العربية محمد الصاوي محمد. وهي قصيدة لم تتم.. نظم الشاعر منها ست قطع، نشر ثلاثاً منها في جريدة «الأهالي» عام ١٩٣٢، ثم نظم ثلاث قطع أخرى سنة ١٩٤٦ نشرت في جريدة «الرأي العام».
- وهي قصة امرأة جعلتها الطبيعة أنموذجاً كاملاً للبداعة والأنوثة المكتملتين ووهبتها أعنف ما يوهب القلب من نشدان الحب العنيف المميت. تلك هي «كريزيس» الفلسطينية من «بيت لحم». التي اختطفها الرحالة وهي بنت سبع من السنين وحملوها على ظهور جمالهم إلى الاسكندرية ليتم التاريخ هناك أفطع الفصول وأعظمها في رواية «الحب والحياة!» كانت «كريزيس» وهي تستسلم للحب العاجل! عارفة أكثر مما تعرفه أية غانية موهوبة في العالم، الدور الذي ينتظرها والتي خلقت له وخلق لها: دور البدن والقلب. والبدن والقلب يتطلبان لعنفها وأحاسيسها ثمناً غالياً. وضحية نادرة تقف على الذروة من ضحايا الحب والجمال، وتتوج هاماتها. وصبرت طويلاً على الثمن الرخيص!! لبدنها وقلبها. وتحملت بسخرية ودهاء الطارقين بابها من عابري السبيل!. وفي أصيل يومٍ دامٍ من أيام الإسكندرية الرومانية، التفت شراك نعالها الذهبية على أسمن فريسة من تلك الفرائس التي كانت هي بدورها تلعق كل صباح ومساء من دماء الماشين إلى ضوءها، والمترايين على

أعتابها. «هي ديمتريوس» النحات العظيم، وعشيق الملكة، ومعبود غانيات الإسكندرية. هذا الفاتك البطل «هو الذي كان الثمن الغالي الذي ترصده» «كريزيس» سنين طوالاً. أرادت منه لكي تبته أكثر من الرقص العاري!! أن يسرق وأن يقتل فتقبل القتل بكل برودة بعد أن تقبل السرقة بمراة وعذاب! لأن «من يسرق يصنع كل شيء». وجاء لها بما سرق وبأسلاب من قتل ورمى بها على قدميها. فترامت على قدميه. إذ كان الرجل الذي تريده المرأة. الرجل الذي يصنع المستحيل لأجلها. ونكص هو على عقبيه لأنها كانت المرأة التي تحطم عظمة الرجل بعظمتها، وتهّد من جبروته بجبروتها. وهنا ينقلب العاطش الظامىء إلى البدن نمرأ يريد دمها. والتمرّة الظائمة إلى دمه حملاً يريد رضاه وصفحه. وتنعكس الآية سريعاً. ويفرض السارق المعبود على المحرّضة العابدة شرطه الوحيد الصارم.. الموت!!! وهل غير الموت ينتظر من تتحلى بعقد الآلهة «أفروديت» المسروق! وهل غير.. الموت! يحقق بمن تتزين بـ «مشط» زوجة رئيس كهنة الآلهة الجميلة عاشقة «ديمتريوس» وواهة حياتها له في سبيل ساعة عينها موعدا لغرامه في الظاهر، وتنفيذا لأخذ المشط الذي أرادته «كريزيس» منها!!! وتب المرأة التي تطلبت الثمن الغالي لبدنها وقلبها.. تب هي بدورها أثمن ما تملكه هو: دمها إرضاء لحاظر الرجل الذي وهبها هو ذلك الثمن. وتلبس أفروديت.. العقد.. والمشط.. وتموت بالسّم آمنة مطمئنة لمجرد أن.. ديمتريوس سيقدم لها بيده تلك الكأس عندما يزورها وهي في ساعاتها الأخيرة!.. وللمجرد أنه وعدها بأن يحملها إلى قبرها بيديه.. وفيها لها بما وعد!.. ويضيف إلى ذلك أن يصب عليها، بعد موتها، وبعد أن يؤخر موعد دفنها بما له من وجاهة ومكانة، القالب الذي كان يُريده فيُعجزه.. قالب «أفروديت» كما ظل يتصوره هو.... ديمتريوس زمناً طويلاً.

ثُمَّ نَادَتْ «جَـالَا»^(١)
وكانت من الرّقّة...

(١) جالا: هي وصيفة أفروديت الخاصة بها.

كالماء إِذ يَهُـزُّ الحَيَّالَا
من بَنَاتِ «الهَنُودِ»
تَعْرِفُ مَا يُرِضِي الغَوَايِ!..
وَمَا يَزِينُ الجَمَالَ!..

مَنْ أَتَى أَمْسٍ؟..

خَبِّرْنِي ..

أَلَا تَدْرِينَ ..؟

كَلَّا .. فَلَسْتُ أُحْصِي الرُّجَالَا ..!!

أَجْمِلْ فَلَمْ أُمَتِّعْهُ

إِذْ نِمْتُ عَمِيقاً مِمَّا لَقِيتُ الكَلَالَا؟

وَمَتَى رَاحَ ..؟

فِي الصَّبَاحِ ..؟

أَلَا يَرْجِعُ ..؟

مَاذَا أَبْقَى ..؟

أَغَادَرَ شَيْئاً ..؟

نَاوَلِينِي أُسَاوِرِي

فَأَتَتْهَا بَصْنِيدِقَ .. أَوْدَعَتْهُ حُلِيّاً

رَفَعَتْ عَنْدَهَا ذِرَاعَيْنِ

سُبْحَانَ الَّذِي يَخْلُقُ الجَمَالَ السَّوِيّاً!!

* * *

إِنَّ نَفْسِي «جَالَا» .. تَفِيضُ هَنَاءَ

لَوْ تَوَصَّلْتُ أَنَّ أُمِّيَّ حَبِيْبَا

مِنْ أَوْلَادِ الَّذِينَ يَلْقَوْنَ دَاءَ
فِيخَالُونَ أَنَّ فِيَّ الطَّبِييَا..!!

يَجْهَلُونَ انتِقَامَةً.. واشْتِهَاءَ!
فَيَمُوتُونَ تَحْتَ سَوْطِ عَذَابِي
ثُمَّ أَمْشِي عَلَيْهِمْ مِشْيَةَ الطَّاوُوسِ
أَحْثُو وَجُوهَهُمْ بِالتَّرَابِ..!

* * *

هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَطْلُبُ لَا السَّاعِينَ نَحْوِي
جِسْمًا بَغِيرِ فَوَادٍ..!!
الْمَسَاكِينُ..! هُمْ بَوَادٍ.. وَمَنْ يَطْلُبُ
صَرَعى الْحُبِّ الْمُمَيِّتِ بَوَادِي..

* * *

سَفَهَا أَنْ أُرِيدَ مِمَّنْ أُنَادِيهِ آتِبَاعًا..
تَعَلَّقُوا بِجَمْعِي..
لَسْتُ أَرْضَى صَيِّدًا كَأَوْلَادٍ.. يَلْتَفُّ عَلَيْهِمْ
حَتَّى شِرَاكُ نِعْمِي..!!
لَمْ تَكُنْ هَكَذَا السَّنُونَ الْخَوَالِي
حَيْثُ كَانَ الْغَرَامُ شَيْئًا بَدِيعًا

إِذْ يَجِيءُ الْأَرْضَ الْأَلْبَنَى
يَزِيدُ الْبَشَرِيَّاتِ حُرْقَةً وَوُلُوعًا

* * *

يَا تُرَى أَيْنَ اسْتَطِيعُ اللِّقَاءَ!
بِرَجَالٍ يُسَخَّرُونَ الرُّجَالَا
أَيُّ غَابٍ يَحْوِيهِمْ .. وَفِشْرَاشٍ
فَوْقَهُ يُصْبِحُونَ أَدْنَى مَنَالَا

أَصْلَاةٌ يَبْغُونَ حَتَّى يُثْبِرُوا ... رَغْبَاتِي؟
فَلَتَصْعَدِ الصَّلَوَاتُ ..!
وَهَبِيهِمْ يَنَافُونَ عَنْ رُؤْيَا الْأَرْضِ
هَبِيهِمْ شَاخُوا .. هَبِيهِمْ مَاتُوا ..!
أَفْكَرْدِي مِثْلِي .. وَلَمْ تُرَوْ مِثَّنْ
تَتَلَطَّى لِأَجَلِهِ الرِّغْبَاتُ .

* * *

وَتَمَشَّتْ مَهْتَاجَةً .. يَتَمَشَّى الْغُجْبُ
وَالْحَسَنُ فِي الدَّمَاءِ غَزِيرَا
نَحْوَ حَمَامِهَا تُرَى مِنْ خِلَالِ الْمَاءِ .. فِيهِ
مَا يَسْتَشِيرُ الْغُرُورَا ..!
جَسَمُهَا اللَّمَدَنَ .. وَالْغَدَائِرَ تَنَسَابُ

كما أَرْخَتِ العَذَارَى سُتُوراً!
وخريرُ المياهِ في السمعِ كالقُبْلَةِ .. حَرَانَةً

تَهيجُ الشُّعُوراً...!
عَبَدَتْ نَفْسَهَا .. فِدَاعَبَتِ التَّهْدِينَ بالشَّعْرِ
غَبِطَةً وَحُبُوراً...!

* * *

خَرَجَتْ والنَّهَارُ تنطفئُ الشُّعْلَةُ منه
والليلُ يُرْخِي السُّدُولاً ...
تتهادى مُرتاحَةً البال ... لا تُعْنَى :
بأن لم تكن حصاناً بَتُولاً !!
ومَشَتْ نَحْوَهَا تَدِيفُ بَذُوبِ العِطْرِ « جالاً »
مِنْ فَوْقَهَا المُنْدِيلَا ...
وَأُمِرَتْ عَلَى المحاسنِ مِنْهَا مِنْ نَتَاجِ « الهِنْدِ »
المُثِيرِ المِيُولَا ...

* * *

ثُمَّ قَالَتْ غَنِّي : فَغَنَنْتُ ...
وَهَلْ أَبْدَعُ مِنْ وَصْفِ « أَفْرُودَيْتِ » غَنَاءً .. ؟
آيَةُ الفَنِّ ، والبِدَاعَةِ يَلْقَى عاشقُ الفَنِّ عِنْدَهَا
مَا يَشَاءُ ...

للكِ رأسٌ كدُورَةِ البدرِ ... غَطَّتْهُ مِنَ الشَّعْرِ
غَيْمَةٌ سوداءُ...

يبتدي منه مُرسلاً « سَعْفُ النُّخْلِ » !
له عِنْدَ أَحْمَصِيكَ اِنْتِهَاءُ ...
أو كنهرٍ يجري بوادٍ
غروبُ الشمسِ أَهداهُ ظِلُّهُ ... والمَسَاءُ

* * *

لكِ — كالبركتَيْنِ تحتَ ظلالِ السَّروِ ؟ رَقًّا وأَوْغلا —
عينانِ ! ... !

لكِ — كالزُّهرَيْنِ صُبَّتْ دَمَاءٌ مِنْ غزالٍ عليهما —
شفتانِ !

لكِ كالخنجرِ الْمُغَطَّى بِذاكِ الدَّمِ مُخضوضِباً !
شقيقُ لسانٍ

لكِ نحرٌ كما تَبَلَّجَ للصُّبْحِ عَمودٌ
ضَوَّى به المَشْرِقانِ

لكِ صدرٌ كَمَلَّةِ الزَّهْرِ —

بالنَّهْدَيْنِ نَطَّتْ فُوقَهُ زَهْرَتَانِ !

وَأَسْتَقَامَتْ كَمِثْلِ أَعْمِدَةِ العَاجِ

الذَّرَاعَانِ مِنْكَ وَالْفَخِذَانِ !

لكِ تلكِ المَدُورَاتِ .. ! حُلِيِّ مُبَهَّرٍ

صَنَعُ مُعْجَزٍ فَتَّانٍ

لَكَ بَطْنٌ كَأَنَّهَا مُخْمَلُ الدِّيَاكِ
 أَوْ « ثَوْبٌ » أَرْقَطُ ثُعْبَانٍ
 رُزِقَتْ « سُرَّةٌ » كَلْوَلُورَةُ الْعَوَاصِ
 قَدْ رُكِّزَتْ عَلَى « فَنَجَانٍ » !!
 لَكَ — مِثْلُ الْهِلَالِ مِنْ خَلِيلِ الْغَابَةِ يِيدُو —
 « رَفِيعٌ » رَفِيعُ مَكَانٍ !!
 وَهُنَا .. كَفَّتِ الْوَصِيفَةُ لَا تَسْتَطِيعُ قَوْلًا
 عَمَّا يَلِي الرَّفْعُ مِنْهَا
 وَأَنْبَرَتْ « أَفْرُودَيْتُ » تُوحِي إِلَى « جَالَا »
 بِحُسْنِ الَّذِي تَحَبُّ عَنْهَا !
 هُوَ فِي الشَّكْلِ : مِثْلُ قُوقَعَةِ الْمَاءِ
 وَفِي الْحُسْنِ زَهْرَةُ الْجُلْنَارِ !!
 مُلِثَتْ زُبْدَةً ، وَشَهْدًا ، وَعِطْرًا هُوَ كَالْكَهْفِ دَافِئًا ، !!
 كَالْمَغَارِ !
 رَطْبًا ! ، مَلَجًا الرِّجَالَ السَّفَارِ
 وَهُمْ سَائِرُونَ لِلْمَوْتِ قَسْرًا
 فَاتَمَتْ « جَالَا » :
 أَجَلْ ! ...
 وَمُخِيفٌ .. طَافَحَ الْجَنَبَتَيْنِ بَوْسًا وَشَرَا
 وَجْهَ « مِيدُوزَ » ! سَاخِطًا
 يَلْعَنُ النَّازِرَ فِي وَجْهِهِ فَيَرْتَدُّ صَخْرًا !!

* * *

من صباها ..
 مشى إليها خيالُ
 يتَغَدَّى به الهوى والدُّلَالُ
 وخيالٌ في مَهْدِهِ ما يَزَالُ
 وخيالٌ يَدْبُ ...
 رِخْواً ضئيلاً
 وَخَيَالٌ أَضْفَتْ عَلَيْهِ سُدُولا
 واستعاضت بالصمتِ عنه بديلاً
 وَخَيَالٌ أَرَدَتْهُ ...
 شِلْواً قتيلاً
 فهو خَصَمٌ لزهوها قَتْلُ
 كلِّما غَرَّها الصَّبَا والجمال
 هاجَ من عَيْشِها اذْكاراً ذليلاً
 وأجسَّتْ جَمِلاً بذاك ثقيلاً
 ومن الذكرياتِ ...
 رَفَتْ ظِلَالُ ...

* * *

وترامى من « الظلالِ » عليها
 ما يُثير الصبَا ...
 ويُذكي الغراما
 ويديف اللذات والآلما
 ويمجَّان :

يقظة ومنا
ويعني بثقلها الأيما
وتفتت « بغيمة » ظلالا
يستبدان « مكث » وانتقالا
فمن الشعر ما يظل الغمام
ومن الذكريات ما يعتام
ومن الذكريات ما يستام
بسمه ، أو كآبة ، أو ذهولا
أو مضيا على السرى ...
أو قفولا

* * *

ومن الذكريات ما يتغنى
في قرار النفوس ..
لحننا فلحننا
ومطاف الخيال وهو المعنى
بانبعاث الأنغام ..
أنسا وحزنا
يتحدى قلباً ..
ويرهف أذنا
بصدى كلما تجدد رنا
ويعود الصدى ..

فُيَذَكِّي الْجَنَانَا
ويعود الجنانُ ...
يُتَغَيِّبَانَا

* * *

نَثَرْتُ شَعْرَهَا عَلَى كَتِفَيْهَا
نَثْرَةً خَيْرَ مَا تَكُونُ لَدَيْهَا
وَاسْتِدَارَاتُ وَهْنًا عَلَى عَقَبَيْهَا
فَبَدَا جَانِبٌ ...
وَلَوْحٌ ثَانِي
وَأَرْثَا الْمَرْأَةَ لَمْحَ بَيَانٍ .
عَنْ خَيَالَيْنِ ...
ثُمَّ يَرْتَجِفَانِ
وَبَقَايَا ظُلْمَيْنِ يَصْطَرِعَانِ

* * *

ثُمَّ لَمَّتْ فُضُولَهُ بِيَدَيْهَا
فَعَمَشَتْ لَمَّةً عَلَى نَهْدَيْهَا
فَتَمَشَّتِي الضَّرَامُ فِي حَلَمَتَيْهَا
فَأُطْلَا ...
وُثْبًا مِنَ الذَّرَوَتَيْنِ
مِثْلَمَا صَلَكَ عَاصِرٌ حَبَّتَيْنِ !

وَتَغَطَّتْ كَأَفْعَوَانٍ تَلَوَّى

فَهُوَ يَشْوَى بِسَمِّهِ ...

وَهُوَ يُشْوَى

وَهُوَ يُرْوَى بِلَدَغَةٍ ...

وَهِيَ تُرْوَى :

إِذْ تَرَى جِسْمَهَا الْمُمَيَّتَ الْفَظِيْعَا

وَشَبَاباً غَضّاً ...

وَحَلَقاً بَدِيعَا

وِثْمَاراً شَهِيَةً ! وَزُرُوعَا

تُثْبِرَتْ فَوْقَهُ ! ...

وَصَدْرَاً وَنَحْرَا

وَمَسِيلاً مِنْهُ تَفْجَّرُ نَهْرَا

وَدَمّاً فَائِثراً يَصْبُ سَرِيعَا

تَارِكَا أَيْنَمَا جَرَى يَنْبِوعَا

كُلُّ عِرْقٍ مِنْهَا ...

تَفْصَدُ خَمْرَا

وَهِيَ تُرْوَى ...

حِقْدَاً وَزَهْوَاً وَغَدْرَا

إِذْ تَرَى :

أَنَّ حُرْقَةً وَدُمُوعَا

وَعَذَاباً فَظّاً ...

وَمَوْتَاً ذَرِيعَا

وَصَرِيعَاً بِهَا يُوَاسِي صَرِيعَا

طوعَ ما تستثيرُهُ العينانِ
عندما يأمرانِ أو ينهيانِ
عندما يرويانِ إذ يحلمانِ :
قِصَّةَ الحبِّ ...
إذ تُلفُّ البرايا
إذ ترى فيهما دماءَ الضحايا
بين « موقفيهما » ...
وفي « الإنسانِ »

* * *

وصباها ...
عارٍ من الذكرياتِ
ملهباتِ جمرِ الهوى مذكياتِ
فهو قفرٌ من الأنيسِ خلاءُ
موحشاتٍ في جوه الأصداءِ
لا يلبي للروحِ فيه نداءُ
ويُدوي « للكَبِيتِ » فيه ...
عواءُ !
فهي حيرى ...
تجوبُ منه قفارا
وهي مهما جارتُ عليه اقتسارا
وتَمَلَّتْهُ ليلُهُ والنهارا
وهي مهما اجتَرَّتْ « مُنَى » واذكارا

لم تجد فيه ...
 ما يسرُّ العذابي ! .
 غير ملحٍ من تِلْكُمْ « الأمسيات » .
 إذ ليالي الليل ...
 رمزُ الحياة .
 عطراتٌ بمدرج الفتيات .
 في ضفاف « البحيرة » النشوانه
 ترمي في غميرها حرّانه
 كلّ عذراء
 رُؤْدَة معطافٍ
 يتسقطن موقعَ الأصدافِ
 وعليهنّ من غمير صافي
 أيّ سترٍ مهلهلٍ ...
 « كشّاف » ؟ !
 إذ حقولُ الليلِ مرتمياتُ
 بقدم الربيع مخفّياتُ
 يتضاحكن في مدبّ الشعاعِ
 راجفاً فوقها ارتجاف « البراع »
 إذ غدا الجوّ من أريج المراعي
 خدرَ حسناء من بنات الغرام
 ساجداً ...
 في العطور و « الأنغام »

سامراء

● نظمت عام ١٩٣٢، وكان الشاعر يمضي بعض أشهر الصيف في سامراء

وَدَعْتُ شَرَحَ صِبَايَ قَبْلَ رَحِيلِهِ
وَنَفَضْتُ كَفِّي مِنْ شَبَابٍ مُخْلِيفٍ
وَأَرَى الصَّبَا عَجِلاً يَمُرُّ وَإِنِّي
سَعْدُ الْفَتَى مَتَقَبِلاً مِنْ دَهْرِهِ
وَأُظَنِّي قَدْ كُنْتُ أَرْوَحَ خَاطِراً
لَكِنْ شَغِفْتُ بِأَنْ أَقَابَلَ بَيْنَهُ
وَشَعَلْتُ بِأَلِي الْمَصِيئَةَ أَنْتَنِي
يَأْسٌ تَجَاوَزَ حَدَّهُ حَتَّى لَقَدْ
وَبَلَدْتُ حَتَّى لَا أَلْدُ بِمُفْرِحٍ

وَنَصَلْتُ مِنْهُ وَلَاتَ حِينَ تُصَوِّلُهُ
إِيرَاقُهُ لِلْعَيْنِ مِثْلُ ذَبُولِهِ
سَاعَدْتُ عَاجِلَهُ عَلَى تَعْجِيلِهِ
مَقْسُومَهُ بِقِيحِهِ وَجَمِيلِهِ
بِالْخُطْبِ لَوْ لَمْ أَعَنَّ فِي تَأْوِيلِهِ
أَبْدَأُ وَبَيْنَ خِلَافِهِ وَمِثْلِهِ
أُجْنِي فِرَاقَ الْعُمَرِ مِنْ مَشْغُولِهِ
أَمْسَيْتُ أَخْشَى الشَّرَّ قَبْلَ حُلُولِهِ
حَذَرَ أَنْتَكَاسَتِهِ وَخَوْفَ عُدُولِهِ

* * *

(١) نصل من الشيء: خرج عنه .

(٢) المخلف: الذي لا يفي بوعدة .

ما بين أوصاح الصبا وحجوله^(١)
واعتضت عن نجم الهوى بأفوله
طرب إلى قال الشباب وقيله
بالعيش بين مياحه ونخيله
منزوف صبر بالفرق، قتيله

إيه أحباي الذين ترعرعوا
إني وإن غلب السلو صباتي
لتشوقني ذكراكم ويهزني
أحبائنا بين الفرات تمتعوا
وتذكروا كلف أمريء متشوق

* * *

بروء متسع الفناء ظليله
كناره، وضحاؤه كأصيله
أن لا يمر عليه غير عليه
منه بنزهته على مأهوله

حيث «سامرا» تحية معجب
بلد تساوى الحسن فيه، فليله
ساجي الرياح كأنما حلف الصبا
طلق الضواحي كاد يربي مقفر

* * *

الشعر لا يقوى على تحليله
ذهباً على شطآنه وحفوله
شفق يحيط البدر حين مثوله
صعداً، وهذا ذائب بنزوله
بالمائجين: مياحه ورموله
والشط والوادي وكل فضوله^(٢)

ولقد رأيت فوق دجلة منظرأ
شفقاً على الماء استفاض شعاعه
حتى إذا حكّم الغيب بدا له
فتخالف الشفقان، هذا فائز
ثم استوى فضي نور عابث
فإذا الشواطىء والمساحب والرؤى

(١) الأوصاح: الغرر في الجهات . والحجول: البياض في القوائم وخاصة في الأفراس .

(٢) فضول الوادي: ذبوله ومساجيه .

قمرَاء، راقصة الأشعة، جُللت
والجؤ أفرط في الصفاء فلور جرى
هذي الحياة لِئِثْلِهَا يحنو الفتى

بِخَفْسِي سِرٌّ رَائِعٍ مَجْهُولِ—
نَفْسٌ عَلَيْهِ لَبَانٌ فِي مَصْقُولِ
حِرْصاً وَإِشْفَاقاً عَلَى مَأْمُولِ

* * *

وإذا أسِفْتُ لمؤسفٍ فلا تُسِفْه
قد كان في تخفُّضِ النِّعَمِ فبالغث
بَدَتِ القصورُ الغامراتُ حزينةً
كالجيشِ مهزومِ الكتابِ فله
«العاشقُ» المهجورُ قَوْضَ رُكْنِهِ
و «الجعفريُّ» لم يقصُرْ رسمُهُ أَلـ
بادي الشحوبِ تكادُ تقرأ لوعةً
وكأنما هو لم يجدْ عن «جعفرٍ»
فُضِّتَ مَجَالِسُهُ به وخلَّوْنَ مِنْ
إنَّ الفُحُولَ السالفيْنَ تعهدوا
يتفاخرون بشاعرٍ فكأنَّما
فَجَزَوْهُمْ حُلُوَ الكلامِ وطَرَزُوا
كانوا إذا راموا السكوتَ تذكَّروا

خِصْبُ الثَّرَى يُشجِّيك فرطُ مُحولِ
كفُّ الليالي السودِ في تحويلِ
من كلِّ منهوبِ الفناءِ ذليلِ^(١)
ظَفَرٌ وَرَقٌ عدوهُ لفلولِ
كالعاشقِ الآسِ لفقدِ خليلِ^(٢)
باقٍ برغمِ الدَّهرِ عن تمثيلِ^(٣)
لنعيمةِ المسلوبِ فوقَ طولِ
بدلاً يُسرُّ به ولا عن جيلِ
شعرِ «الوليدِ» بها ومن ترتيلِ^(٤)
عصرِ القريضِ وأعجبوا بفحولِ
تحصيلُ معنى الحُكْمِ في تحصيلِ
إكليلِ ربِّ المُلكِ مِنْ إكليلِ
فَضَلَ المليكِ الجَمِّ في تنوِيلِ

* * *

(١) الغامرات : نقيض العامرات .

(٢) «العاشق» : من قصور العباسيين في سامراء .

(٣) الجعفري : قصر الخليفة المتوكل .

(٤) «الوليد» : هو الشاعر الشهير المعروف بالبحثري .

خُلِّدَتْ سَامِرَاءُ، لَمْ أَوْصِلْكَ مِنْ
يَا فَرَحَةَ الْقَلْبِ الَّذِي لَمْ تَتْرَكِي
وَأَفَاكَ مُلْتَهَبَ الْغَلِيلِ وَرَاحَ عَنْ
أَنْعَشْتِهِ وَتَفَقَّيْتُ عَنْهُ هَوَاجِساً

فَضَّلَ حَشَدَتِ عَلَيَّ غَيْرَ قَلِيلِهِ
أَثَرًا لِلْإِعْجِجِ هَمِّهِ وَدَخِيلِهِ
مَغْنَاكَ يَحْمَدُ مِنْكَ بَرْدَ غَلِيلِهِ
ضَائِقُنَّهُ، وَأَثَرَتِ مِنْ تَخْيِيلِهِ

بديعة ...

- نظمت عام ١٩٣٢، والشاعر وفيف من اخوانه يضمهم مرقص «قهوة عزاي» أشهر مراقص بغداد آنذاك، وكان يقع في «سوق الهرج» ... وبديعة هي «بديعة عطش» الراقصة الحلبية ...

هَزِّيْ بِنَصْفِكَ وَاتْرَكِي نَصْفَا
فَبَحَسِبْ قَدْكَ أَنْ تُسْنِدَهُ
أَعْجَبْتُ مِنْكَ بِكُلِّ جَارِحَةٍ
عَشْرُونَ طَرْفًا لَوْ تُجْمَعُهَا
تَرْضِيْنَ مُقْتَرِبًا وَمُبْتَعِدًا
أَبْدِيعَةً وَلَأَنْتِ مُقْبِلَةٌ
وَلَأَنْتِ إِنْ أَدْبَرْتَ مُبْدِيعَةً
هَزِّيْ لَهُمْ رِدْفًا إِذَا رَغَبُوا
مَلَأِ الْعَيْنُونِ هُمَا وَخَيْرُهُمَا
وَكِلَاهُمَا حَسَنٌ وَخَيْرُهُمَا
هَذَا يَرْفُ فَلَا تُحْسُ بِهِ
لَا تَحْذَرِي لِقَاوِمِكَ التَّصَفَا
هَذِي الْقُلُوبُ، وَإِنْ شَكْتُ ضَعْفَا
وَحَصَصْتُ مِنْكَ جَفْوَتَكَ الْوُطْفَا
مَا قَسَمْتُ تَقْسِيمَكَ الطَّرْفَا
وَتُخَادِعِيْنَ الصَّفَّ فَالْصَّفَا
تَسْتَجْمِعِيْنَ اللَّطْفَ وَالظَّرْفَا
لِلْعَيْنِ أَحْسَنَ مَا تَرَى خَلْفَا
وَدَعِي لَنَا مَا جَاوَزَ الرَّدْفَا
مَا يَمْلَأُ الْعَيْنَيْنِ وَالْكَفَّ
مَا خَفَّ حِمْلُهُ وَمَا شَفَّ
وَمَهْرُنَا هَذَا إِذَا رَفَّ

وتصوّرِي أن قد أتتُ فَرَصَ
فبدقُتِيهِ ذاك يُهَضِّنَا
ونَكِلُ عن هذا فنَطْرُحُهُ
ونزورُهُ صباحاً فَنَلِثُمُهُ
ونُبْلُكُهُ بدمِ القلوبِ، وإنْ

تَقْضِي بِخَطْفِ كَلِمَتَا خَطَفَا
في حينَ ذاك لِرَقَةٍ يَخْفَى
ونُحِلُّ هذا الجيبَ والرفَا
ونَضْمُهُ وَشَمُّهُ أَلْفَا
عَزَّتْ، ونُعِشُهُ إذا جَفَا

وحي الرستمية ...

● نظمت عام ١٩٣٣ ، وكان الشاعر مدرساً بدار المعلمين الريفية في الرستمية .

أَكْبَرْتُ ميسورَ حالٍ أَسْتَشِفُّ بها إذ لم يكن ما أُرْجِيهِ بميسورٍ
وقد رَضِيتُ بِكُنْ أَسْتَكُنُّ به ناءٍ عن العالم المنحطِّ مهجور^(١)
ورُحْتُ رَغَمَ جُحودٍ عامِدٍ أشر للحظِّ أُرْجِعُ حالي والمقادير
تُعْلَةُ لم يكن لي من تُحْلِلُها بُدُّ ، وكَم خَوِدَعَتْ نفسٌ بتبرير

* * *

ما زالتِ المَدُنُ النكراءُ تُوجِشُنِي حتى أَتَهَنَّتُ بإحساسي وتفكيري
ذَمَمْتُ منها مُحِيطاً لا يُلائمني صَغَبَ التقاليدِ مذمومِ الأساطير
حتى نزلتُ على غَناءٍ وارفَةٍ بكلِّ مُرتَجِفِ الأطيافِ مسحورِ

(١) الكن : البيت .

أَهْدَى لِي الرِّيفُ مِنَ الطَّافِ جَنَّتِهِ عَرَائِشاً أَزْعَجَتْهَا وَحْشَةُ الدُّورِ
طَافَتْ عَلَيَّ فَلَمْ تُنْكِرْ مَسَامِرَتِي وَلَمْ أُرْغَمَ بِإِحْشَاءِ وَتَنَصُّفِ

* * *

هَنا الطَّيْبَةُ نَاجَتْنِي مَعْبُورَةً عَنِ حَسَنِهَا بِأَغَارِيدِ الْعَصَافِيرِ
وَبِالْخَفِيفِ مِنَ الْأَشْجَارِ مَنْطَلِقاً عَبْرَ النِّسَمِ فِي نَفْحِ الْأَزَاهِيرِ
وَمَنْزِلِي عُشٌّ صِيدَاحٍ أَقِيمَ عَلَى خَضِرَاءَ غَارِقَةٍ فِي الظِّلِّ وَالنُّورِ
هَنا الْخِيَالُ كَصَافِي الْجَوِّ مَنْطَلِقُ صَافِي الْمَلَأَةِ، ضَحَّاكُ الْأَسَارِيرِ
وَقَدْ تَفَجَّرَ يُنبِوْعُ الْجَمَالِ بِهَا عَنِ كُلِّ مَعْنَى بَدِيعِ الْقَصْدِ مَأْثُورِ
حَتَّى كَأَنَّ عَيُونََ الشَّعْرِ يُعَوِّزُهَا وَصَفُ الدَّقَائِقِ مِنْ هَذِي التَّصَاوِيرِ
فَمَا ثَلُمْتُ بِهَا إِلَّا مُقَارِبَةً وَلَا تَحِيطُ بِهَا إِلَّا بِتَقْدِيرِ

ليلة معها

• نظمت عام ١٩٣٤

لا أَكْذِبُكَ إِنَّنِي بَشَرٌ
لا الحُبُّ ظَمَانًا يُطَامِنُ مِنْ
ولكم بَصُرْتُ بما أَضِيقُ به
أو أَنَّنِي حَجَرٌ وَرَبَّمَا
لا الشَّيْءُ يُعْجِبُهُ فِيمَنْعُهُ
ولكم ظَفِرْتُ بما بَصُرْتُ به
شَفَتَايَ مُطَبَّقَتَانِ سِيدَتِي
فَاسْتَشْهِدِي النُّظُرَاتِ جَا حِمَّةً
ولرغبة في النفس حائرة
إِنَّا كِلِينَا عَارِفَانِ بِمَا
وَبِنَا سَوَاءٌ لَا حِيَاءَ بِنَا
فَعَلَى مَا نَجْتَهِدِينَ مُرْغَمَةً

جَمُّ الْمَسَاوِي آثِمٌ أَشِيرُ
نَفْسِي وَلَيْسَ رَفِيقِي النَّظَرُ
فَوَدِدْتُ أَتِي لَيْسَ لِي بَصَرُ
قَدْ بَاتَ أَرْوَاحُ مَنِّي الْحَجَرُ
فَإِذَا عَدَاهُ فَكَلَّاهُ ضَجَرُ
فَحِمِدْتُ مَرَأَى بَعْدَهُ ظَفَرُ
وَالْحُبُّ فِي الْعَيْنَيْنِ وَالْحَبَرُ
حَمَاءٌ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ
مَكْبُوتَةٌ يَتَطَايَرُ الشَّرُّ
حَوَتْ الثِّيَابُ وَضَمَّتِ الْأُزُرُ
الْجَذْوَةُ الْخَرَسَاءُ تَسْتَعْرِ
أَنْ تَسْتَرِي مَا لَيْسَ يَنْسَتَرُ

* * *

قَدْ كَفَّدَكَ حِينَ يُهْتَصَر
منك الحديثُ الحلُّو والسمَر
من مُدَّعِيهِ شِبَابُكَ النَّضِير
أَعْقَابِيهِ التَّفْتِيرُ وَالْخَفَر
بك سَاعَةٌ وَالْكَوْنُ مُحْتَقَر
ما تَفْجَعُ الْأَحْدَاثُ وَالْغَيْر
أَمْثَالُهُ وَإِلَيْهِ مَفْتَقَر
وصفاً فلا أَمْنٌ وَلَا حَذَر

كذب المنافق. لا اصطبَار على
و مُعَقَّلٌ من راح يُقْنِعُهُ
يُوْهِي الْحَجَى وَيُذِيبُ كُلَّ ثَقْيٍ
وَيَرُدُّ حِلْمَ الْحَالِمِينَ عَلَى
النَّفْسِ شَاخِئَةً إِذَا سَعَدَتْ
وَفِدَاءً «مَحْتَضَنَ» سَمَحَتِ بِهِ
حِلْمٌ أَخُو اللَّذَاتِ مَفْتَقِدٌ
وسويعة لا أستطيعُ لها

* * *

بيدي. فمَنْتَصِرٌ وَمَنْدَجِر
لِلشَّاعِرِ الْأَعْكَانُ وَالسُّرَر
زَاهٍ. بِهِ الْمَغْلُوبُ يَفْتَخِر
بل صَافِحٌ عَنِي وَمَغْتَفِر
أَشْفَقْتُ أَنْ تَتَدَحْرَجَ الْأَكْر
وَمِنْ التَّغَنُّجِ عِنْدَهَا صُور
فِيمَا أُكَلِّفُهَا وَتَأْتِمِر
تَحْتَارُ مَا تَهْوَى وَتَبْتَكِر

يُدْهَاهَا بِنَاصِيَتِي وَمَحْزَمُهَا
فَلَمَنْ غَلَبْتُ فَخَيْرٌ مَتَسَدٌ
وَلَكِنْ غَلَبْتُ فَغَالِبِي مَلِكٌ
لا شَامِتٌ إِنْ قَدَرْتُ عَرْضْتُ
أَمْسَكْتُ «نَهْدِيهَا» وَأَحْسَبُنِي
عِنْدِي مِنْ آسْتِمَاعِيهِ صُورٌ
قَالَتْ وَقَدْ بَاتَتْ تَطَاوَعُنِي
أَمْعَانِيَاءَ حَاوَلْتُ تَنْظُمُهَا

* * *

«شَهْدَا» يَفُوحُ أَرْجُهُ أَلْعِطَر
لِلَّهِ ذَاكَ الْبُورْدُ وَالصَّدَر

إِنِّي وَرَدْتُ «الْحَوْضَ» مَمْتَلِكَا
ولقد صدرتُ وليس بي ظَمَأٌ

وَإِذَا صَدَقْتُ فَانْتَهَ بِهِ بَدَنُ
 يَا زَهْرَةً فِي رَيْعِهَا قَطِفَتْ
 نَعْمَ الْقَضَاءُ قَضَى بِمَرْتَشَفٍ
 مَا إِنْ أُخْصِصُ مِنْكَ جَارِحَةً
 يُزْرِي بِفَلَسَفَةٍ مُطَوَّلَةٍ
 وَ«مُعَبَّدٍ» لَمْ يَيْلُ مِنْهَجِهِ
 إِنِّي لَأَسْفُ أَنْ يَجُورَ عَلَى
 وَعَلَى إِهَابٍ مِنْكَ مَمْتَلِئٍ
 هَذَا الْحَرِيرُ الْغَضُّ مَلَمِسُهُ
 عَيْنِي فِدَى قَدَمَيْكَ سَيِّدَتِي
 لَا أَكْتَفِي بِالرُّوحِ أَزْهَقُهَا
 قَلْبٌ تَجَمَّعَتْ الْهُمُومُ بِهِ
 ضَنْكُ الْمَنَافِذِ لَا مَكَانَ بِهِ
 لَوْ لَمْ تُحْلِيهِ عَلَى سَعَةِ
 سَحَرٌ زَمَانِي كُلُّهُ لِهَوَى
 وَأَرَى لِيَالِي الطُّوَالَ بِهَا

لَأَطْيَابِ اللَّذَاتِ مُخْتَبَرِ
 كَأَرْقُ مَا يَتَفَتَّقُ الرَّهَرِ
 لِي مِنْ «لَمَّاكَ» وَحَبَا الْقَدَرِ
 كُلُّ الْجَوَارِحِ مِنْكَ لِي وَطَرِ
 وَالْعِلْمُ شَيْءٌ فِيكَ «مُخْتَصَرِ»
 بِالسَّالِكِيهِ . وَلَمْ يُلْخِ أَثَرِ
 خَدَيْكَ خَدُّ كُلُّهُ شَعَرِ
 مَرَحًا إِهَابٌ مِلْؤُهُ كَدَرِ
 حَيْفٌ يُخَدِّشُ جَنِبَهُ الْوَبَرِ
 عَيْنَاكَ قَدْ أَضْنَاهُمَا السَّهَرِ
 غَدْرًا إِلَيْكَ فَكَيْفَ أَعْتَذَرِ
 تَفَسَّتْ عَنْهُ فَهُوَ مُزْدَهَرِ
 لَمَسَرَّةٍ وَالْيَوْمَ يَنْتَشِرِ
 مِنْ رُحْبِ صَدْرِكَ كَانَ يَنْفَجِرِ
 لَيْلٍ بِقَرَبِكَ كُلُّهُ سَحَرِ
 شَبَّةٌ فَفِي سَاعَاتِهَا قَصَرِ

عقاييل داء ..

● نظمت عام ٩٣٤ . نشرت في عام ١٩٣٥ .

عقاييلُ داءٍ ما لَهُنَّ مَطْـبُـبٌ ووضعَ تغشاهُ الحَنَّا والتَّدْبِـذُ^(١)
ومملكةٌ رهنُ المشيئاتِ أمرُها وأنظمةٌ يُلْهِي بهنَّ ويُـلْعَبُ
وناهيكِ مِنْ وضعٍ يَعِيشُ بِظَلِّهِ كما يَتَمَنَّى مَنْ يَخُونُ وَيَكْـذِبُ
وقرَّ على الضَّيْمِ الشَّبابُ فلم يَثُرْ وأخلدَ لا يُسْـدِي النصيحةَ أَشِيبُ
كَأَنَّ لم يَكُنْ في الرافدينِ مُغامِرٌ وحتى كَأَنَّ لم يَبْقَ فيه مجرَّبُ
أَعْقَمًا وأُمَّاتُ البلادِ ولِوَدَّةٍ وإنَّكَ يا أُمَّ الفـُـراتينِ أنْجَبُ

* * *

تكاثرتِ الأقوالُ حَقًّا وباطلاً وقالَ مقالَ الصدقِ جَلْفٌ مُكْذِبُ
وشكَّكَ فيما تَدَّعِيهِ تَظَنِّيًّا ولو أَنَّهُ شَحْمُ الفؤادِ المَذْـرُوبُ

(١) العقاييل : بقايا العلة والمرضى .

نزىة إلى قصيد من العيش يركب
ولا ضامن عيش الأديب التأديب
ومدّخر للخامل الغر منصيب
تردي دساتير تضيّل وتُرب:
غريب وأهل النهي والأمر أغرب
وجاه وأموال وموطى ومركب
إذا كشفوا عما يرون وأغربوا
لهم، فيلهيهم، ولم يصف مشرب^(١)
لديهم، ولا مال يُسرّ فيسلب

تحفّت أباة حين لم يلبف مركب
فلا العلم مرجو ولا الفهم نافع
ومدّخر سوط العذاب لناهض
أقول لمرعوب أضل صوابه
الا إن وضع النهي والأمر عندنا
قصور وأرياف يلدون ظلّها
يخافون أن يشقوا بها فيؤاخذوا
فما بال محروبين لم يحل مطعم
خلين لا قرى فيحشى انتقاصها

* * *

تشكى اهتضاماً أمة تتوئب
عوائر من يؤخذ بها فهو مخرب^(٢)
تعرض وحش منه أقى وأصلب
وينصر رجعيّاً عليها تعصب
فزيد بها وجه أغم مقطب^(٣)

إلى الأمم اللاتي استمت وتوئها
إذا خلصت من عثرة طوحت بها
وإن فاتها وحش صليب فؤاده
يعين سياسياً عليها تفرق
أريد لها وجه يزيل قطوبها

* * *

(١) المحروب: من سلب ماله واعتدي على حقوقه.

(٢) يُحرب: في طيبة بغداد: فهو محرب — وهي مما نبّه عليها الشارحون.

(٣) القطوب: الغضب والتجهم، والأغم في الأصل الليل الشديد السواد أو السحاب المتلبد وهو هنا للوجه الذي يمتاز به الغمة والجممة.

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ فِي الْعِرَاقِ مُؤَمَّرٌ
وَلَمْ يُرَ ذَا بَطْشٍ شَدِيدٍ وَغِلْظَةٍ
أَكُلُ بَغِيضٍ يَثْقُلُ الْأَرْضَ ظِلُّهُ
وَحُجَّتُهُمْ أَنْ كَانَ فِيمَا مَضَى لَنَا
عِدَادَ الْحَصَى أَبْنَاؤُهُ وَلِكُلِّهِمْ
وَقَدْ أَصْبَحُوا أُولَى بَنَى مِنْ نُفُوسِنَا
فَأَمَّا بَنُوهُ الْأَقْرَبُونَ فَمَا لَهُمْ
فِي أَيُّهَا التَّارِيخُ فَارُضٌ مَهَازِلًا
وَقُلْ إِنَّنِي أُودِعْتُ شَتَّى غَرَائِبٍ

غَرِيبٌ بِهِ لَا الْأُمُّ مِنْهُ وَلَا الْأَبُ
عَلَى بَلَدٍ إِلَّا الْبَعِيدُ الْمُجَنَّبُ
وَتَأْبَاهُ يُجْبَى لِلْعِرَاقِ وَيُجْلَبُ
أَبٌ، اسْمُهُ عِنْدَ التَّوَارِيخِ يَغْرُبُ
مَجَالٌ وَمَلَهَى فِي الْعِرَاقِينَ طَيِّبُ
لَأَنَّهُمْ أَرْحَامُنَا حِينَ تُنْسَبُ
نَصِيبٌ بِهِ إِلَّا مُشَاشٌ وَطُحْلَبٌ^(١)
سَتَرَفُضُهَا أَقْلَامُنَا حِينَ تُكْتَبُ
وَلَا مِثْلَ هَذَا فَهِيَ مِنْهُمْ أَغْرَبُ

(١) المشاش أطراف العظام جمع «مشاشه»، والطحلب ما يعلو الغدران من علق أخضر.

الذكرى أو دمة تثيرها الكمنجه ..

● نظمت عام ١٩٣٤

يامستثيراً دمة صمَدَتْ
إِنَّ التّي صَعُبَتْ رِياضُهَا
وَأَسْلَتْهَا وَهِيَ التّي عَجَزَتْ
وَهَلْ الدَّمُوعُ وَدَفْعُهَا وَطَرُ
مَا انْفَكَّتِ الْبَلَوُ تَضَائِقُنِي
وَوَجَدْتُني بِالدَّمْعِ مُبْتَهَجاً
لَطَوَارِيءِ الدُّنْيَا فَلَمْ تُثَرِ
أَنْزَلَتْهَا قَسِراً عَلَى قَدَرِ
عَنْ أَنْ تَسِيلَ فَوَادِحَ الْعَمِيرِ
لِلنَّاسِ تَذْرِي أَنَّهَا وَطَرِي
حَتَّى شَرَيْتُ النِّفْعَ بِالضَّرَرِ
مِثْلَ ابْتِهَاجِ الزَّرْعِ بِالْمَطَرِ

* *

غَطَى الْعَيُونَ فَلَمْ تَجِدْ نَظْراً
يَا دَمْعَةً غَرَاءَ غَالِيَةً
مِنْ قَابِلَاتِ حَكَمٍ مُتَّقِدِ
لِغَةِ الْعَوَاطِفِ جَلَّ مَنْطِقُهَا
دَمْعٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَظَرِي
يَفْدِيكَ مَا عِنْدِي مِنَ الْغُرَرِ
وَشَجَارَ مَفْتَخِرٍ وَمَحْتَقِرِ
عَنْ أَنْ يُقَاسَ بِمَنْطِقِ الْبَشَرِ

فَتَشْتُ عَنْكَ فَلَمْ أَجِدْ أَثَرًا
وَمَرَيْتُ جَفْنِي مَرِيَّ ذِي ثِقَةٍ
غَدَوْتُ أَحْسَدُ كُلِّ مَكْتَسِبٍ
كَمْ أَرْمَيْتُ لَوْ كُنْتَ حَاضِرَةً
لَوْ كُنْتَ عِنْدِي مَا ثَقَلْتُ عَلَى
لَفَسْتُ جَفْنًا رَاحَ مِنْ ظَمَأٍ

حَتَّى ظَنَنْتُ الْعَيْنَ مِنْ حَجَرٍ
وَرَجَعْتُ عَنْكَ رَجُوعَ مُنْدَحِرٍ
ذِي عَجَرٍ بِالدَّمْعِ مُنْفَجِرٍ
فَرَجَّتْهَا بِمَسِيلِكَ الْعَطِرِ
كَأْسُ الشَّرَابِ وَمَجْلِسُ السُّمْرِ
مُتَلَهِّبًا مُتَطَايِرَ الشُّرْرِ

ثورة النفس !

● نظمت عام ١٩٣٤

سكّ وصدري فيه تغلي مراجلُ
وبعضُ سكوتِ المرءِ عارٌ وهُجْنَةٌ
ولا عجبُ أن يُخرِسَ الوضعُ ناطقاً
وبعض سكوتِ المرءِ للمرءِ قاتلُ
يحاسبُ من جرّاهُما ويُجادلُ
بلى عجبُ أن يُلْهَمَ القولَ قائلُ

* * *

كرهتُ مداجاةَ فرَحْتُ مشاغبا
وأغرقتُ في إطرءٍ من لا أهابه
وأضحرتُ عن قلبي فكان تكالبُ
نزولاً على حكمٍ وحفظاً لغاية
وما خلّتني عبأ عليهم وأنهم
ولما بدا لي أنه سدٌ مخرَجُ
ولم يُجدني شَغْبُ فرَحْتُ أجاملُ
وساجلتُ بالتفريع من لا يساجلُ
عليّ لإصحاري وكان تواكُلُ
يكون وسيطاً بينهن التعادلُ
يريدون أن يُجثّتُ متنّ وكاهلُ
وقد أرتجّ البابُ الذي أنا داخلُ

وكنْتُ كعُصفورٍ وديعٍ تحاملت
ورَوْضَتُ بالتَّوطينِ نفساً غريبةً
وقلتُ لها صبراً وإن كان وطؤه
وكَظُمُ الفتى غيظاً على ما يسوؤه
حبستُ لساني بين شِدْقَيَّ مُرْغِماً
وعهدي به لا يُرسلُ القولَ واهناً
وبيني وبينَ الشعرِ عهدٌ نكثتهُ
وجَهَلْتُ نفسي لا خُمولاً وإنما
وما خلت أني في العراقِ جميعه
سَترْتُ على كَرِهِ وَضِغْنٍ مَقَاتِلِي

عليه من السَّتِّ الجهاتِ أَجَادِلُ^(١)
تراني وما تبغيه لا نتشاكل
ثقيلاً، ولكن ليس في الحزن طائل
من الأمرِ درِبٌ عبْدته الأمائل
على أنه ماضي الشُّبَا إذ يناضل
ولا في بيانٍ عن مُرادٍ يعاضل
ورثتُ حبالَ أَحْكِمَتْ ووسائل
تيقنت ان السَّيْدَ المتجاهل
سأفقدُ حُرّاً عن مَغْيبي يسائل
إلى أن بدتُ للشامتَيْنِ المقاتل

(١) أَجَادِلُ : جمع أَجْدَل وهو النسر .

وادي العرائش

- نظمت عام ١٩٣٤، وكان الشاعر يصفاف في لبنان ... ووادي العرائش من منتزهات «زحلة» من مدن لبنان الشهيرة بجمالها.

يَوْمٌ مِنَ الْعُمُرِ فِي وَادِيكَ مَعْدُودٌ مُسْتَوْحِشَاتٌ بِهِ أَيَّامِي السُّودُ
نَزَلْتُ سَاحَتَكَ الْغَنَاءَ فَانْبَعَثْتُ بِالذِّكْرِيَّاتِ الشَّجِيَّاتِ الْأَنَاشِيدُ^(١)
وَأَجْتَرْتُ رَغَمَ اللَّيَالِي بَابَ سَاحِرَةٍ مَرَّ الشَّبَابُ عَلَيْهِ وَهُوَ مَسْدُودُ
قَامَتْ قِيَامَتُهُ بِالْحُسْنِ وَأَنْتَشَرْتُ فِيهِ الْأَهَازِيحُ وَالْأَضْوَاءُ وَالْغَيْدُ
مَا وَحَدَهُ غَرْدُ الشَّادِي لِإِرْقَاصِهِ الْمَاءُ وَالشَّجَرُ الْمَهْتَزُ غَرِيرُ
وَإِ هُوَ الْجَنَّةُ الْمَحْسُودُ دَاخِلُهَا أَوْ أَنَّهُ مِنْ جَنَّاتِ الْخُلْدِ مَحْسُودُ

* * *

ثَقِي «زُحَيْلَةُ» أَنَّ الْحُسْنَ أَجْمَعُهُ فِي الْكَوْنِ عَنْ حُسْنِكَ الْمَطْبُوعِ تَقْلِيدُ
أَنْتِ الْحَيَاةُ وَعَمْرٌ فِي سَوَاكِ مَضَى فَإِنَّمَا هُوَ تَبْذِيرٌ وَتَبْدِيدُ

(١) الغناء : مؤنث الأغن وهو الوادي الملتف الشجر والأعشاب .

لو أَنَّ مَا فَاتَ مِنْهُ الْيَوْمَ مُرَدُّدٌ
بِهِ ، وَمَعْنَاهُ فِي الْعُمْرِ مُحْدَدٌ
وَادِيكَ أَبْيَى وَأَنْقَى مِنْهُ مَوْلُودٌ
وَأَسْتَقْبَلْتَهُ مِنَ الطَّيْرِ الْأَغَارِيدِ
سُرَادِقٌ مِنْ لَطِيفِ الظِّلِّ مَمْدُودٌ
مُعَوِّذٌ مِنْ عُيُونِ النَّاسِ مَرْصُودٌ^(١)
لَا يَتَشَنَّى فَنَنْ مِنْهُ وَلَا عَوْدُ

أَقْسَمْتُ أُعْطِي شَبَابِي حَقَّ قِيَمَتِهِ
وَكَيْفَ لِي وَنَصِيبُ الْمَرْءِ مُرْتَهَنٌ
لَمْ يَأْتِ لِلجَبَلَيْنِ الْعَاطِفَيْنِ عَلَى
زَفْتٍ لَهُ مُتَعُ الدُّنْيَا بِشَائِرِهَا
أَوْفَى عَلَيْهِ يَقِيهِ خَرٌّ هَاجِرَةٌ
بِالْحَوْرِ قَامَ عَلَى الْجَنْبَيْنِ يَخْرُسُهُ
تَنَاوَلَهَا الْأَفَقُ مَعْتَرِزًا بِقَامَتِهِ

* * *

عَلَى الْعَرَائِشِ تَلْتَمُ الْعُنَاقِيدُ
يُسْرِجْنَ ظُلُمَتَهَا الْغَيْدُ الْأُمَالِيدُ
جَمْعٌ لَطِيفٌ مِنَ الْجَنْسَيْنِ مَحْشُودُ
«وَادِي الْغَرَامِ» وَعُشَّاقُ مَعَامِيدِ
يَعْلُو الْحَدِيثَ وَلَا فِي الْعَيْشِ تَنْكِيدُ
كَأْسٌ مُفَايِضَةٌ وَالْكَأْسُ رَاقُودُ^(٢)
تَنَاطَرَتْ فَوْقَهُ أَمْثَالُكَ الْخُودُ
فِي الرُّوحِ مِنْهُ ، وَلَا فِي السَّبْكِ تَعْقِيدُ
لَوْ كَانَ يُجْمَعُ تَثْلِيثٌ وَتَوْحِيدُ^(٣)

بُشْرَى بِأَيْلُولِ شَهْرِ الْخُمْرَةِ اجْتَمَعَتْ
لِلَّهِ دُرُّ الْعَشِيَّاتِ الْحِسَانِ بِهَا
لُطْفُ الطَّبِيعَةِ مَحْشُودٌ يَتَمَّمُهُ
فِي كُلِّ مُقَهَّيْ عَشِيقَاتٍ نَزَلْنَ عَلَى
تَدَوُّرٍ بَيْنَهُمُ الْأَقْدَاخُ لَا كَدَّرُ
الرُّشْفَةُ النَّزْرُ مِنْ فَرْطِ آرْتِيَا حِهِمِ
خَوَذَ الْبِقَاعِ لَقَدْ ضَيَّعْتَ فِي بَلَدِ
أُسْلُوبُ حُسْنِكَ مُمْتَازٌ فَلَا عَنَتُ
نَهْدَاكِ وَالصَّدْرُ «ثَالُوثٌ» أَقْدَسُهُ

(١) الحور: شجر معروف بامتداده في العلو واستقامة عوده وكثافة أوراقه من أعلاه وهو كثير جداً في لبنان.

(٢) الراقود: البدن الكبير من الخمر (مغرب).

(٣) أي أن التوحيد «الاسلام» وهو دين الشاعر هو الذي يمنعه من أن يعبد هذا الثالوث: النهدين والصدر.

والكأسُ مرثٍ بشغري منكِ عرييد
أني وشاحٌ على كشحكِ مردود

الخمرُ ممزوجةٌ بالريقِ راقصةٌ
لو يُستجاب رجائي ما رجوثُ سوى

* * *

فالرْدُفُ مُنتعشٌ والخَصْرُ مجهود
مُنْمَقَاتٌ عليهنَّ التجاعيد
ولم تَدْعُ خافياً لولا التقاليد
أرقُّ منه إذ الزُّنارُ مشدود
فداها كلُّ حُسنٍ أُعطي الغيد
من فرطٍ ما ضَيَّقَتْهُ فهو مشهود
ريشُ النعامِ على الوركيْنِ منضود
مسحورةٌ، كلُّها همٌّ وتسويد
وأعلمُ بأنك مأخوذٌ فمصفود
ولا صدودٌ، ولا بُخْلٌ، ولا جودٌ

جارَ البطاقِ عليها في حكومتِه
وأغلنتُ خيرَ ما فيها ملابسُها
وكشفتُ جَهْدَ ما أسطاعتُ محاسنها
ما خصرُها وهو عُريانٌ تتيهُ به
أما البديعانِ من عالٍ ومُنخَفِضٍ
فقد تجسَّم هذا غيرَ محتشِمٍ
ونطَّ ذِيَاكَ مرتجاً تقولُ: به
إيَّاكَ والفتنةَ الكبرى فنظرُها
إذا رَمَتَكَ بعينِها فَلَبَّها
وإنما الحبُّ رَحْلِي فلا صِلَة

* * *

فيضٌ من الحُسنِ في واديكِ معهود
ولطفٌ معناه من معنَاكَ توليد
كأنني بالشَّبابِ الطَّلُقِ موعود
كأنني من جِنانِ الخُلْدِ مطرود
إذا احتوتني في أحضانها اليد

يا موطنَ السِّحرِ إنَّ الشَّعِرَ يُنعشه
خياله من خيالٍ فيكَ مأخذه
أحتاجني موعداً لي فيكَ يجمعُني
وريعَ قلبي من ذكرى مُفارَقةٍ
لا أبعدُ اللهُ طيفاً منك يؤنسني

معرض العواطف

● نشرت في جريدة «العراق»، العدد ٣٨٦٣ في ٢٥ نيسان ١٩٣٥

أبرزت قلبي اللرماء معرّضا
ووجدتني في صفحةٍ وعقيها
أبرمت ما أبرمته مستهلاً
ونزلت منه على الطبيعة منزلاً
متجانياً عن خير من أبغضته
ومدحت من لا يستحق وراق لي
ووجدتني مستصعباً إطرأ من
وحملت أني عبد قلبي ما انتهى
وحدث من هذا اللسان سكوته
فوضته وحملت ألف مصيبة

وجلوت شعري للعواطف معرّضا
متناقضاً في السخط مني والرضا
إن حان موعد نقضه ان ينقضا
ألفيتني فيه على جمر الغضا
ولشر من أحببته متعرياً
تكفيري بهجائه عما مضى
أطريته بالأمس طوعاً رياءاً
أن يثنني بوداده أو يمحضاً
حتى يحركه الفؤاد فينبضاً
من أجل أن راح الفؤاد مفوضاً

* * *

(١) الریض : الطیغ .

نافقتُ إذ كان النفاق ضريبةً
ولكم قَلِقتُ مسهداً لمواقفِ
ولَعنتُ ربَّ الشعر فيما اختار لي
وصَدَعَت فيها بالصراحه مرّةً
ولقد حَدَوْتُ بأصغري لِيُمْلِيا
غَلَبَ السرورُ فشعَّ رونقُ بعضها

متحرِّقاً من صَنَعَتِي مَرْمُضاً^(١)
حَكَمْتُ عَلَيَّ بأن أداري مُبَغْضاً
وبما قَضَى، وَلَعَنْتُ أَحْكَامَ الْقَضَا
زُمرّاً تُجَوِّدُ أن تقولَ فتَغْمِضُ
ما يَطْلُبَانِ على اليراع وَيَفْرِضُ^(٢)
وخبأ رُوءاء الأخرى فَعُيْضُ^(٣)

* * *

ولقد حُسِيت مُصَارِحاً مُتَخَلِّعاً
فوددتُ لو أَنِّي استَقَيْتُ تَرْفُهاً
وَأَنِفْتُ من هذي الطبيعة حرةً
وَحَشِيتُها مَكْبُوتَةً لَتَحْفُزِ
وكشفتُ عن هذي الطبائع ثوبها
فاذا بها الحشراتُ تسكن جيفةً
ورأيتها ملأى بكل رذيلةٍ
فاذا استشار الشعرُ بعض صفاتها

في مؤنساتٍ قَلَّتْهُنَّ مُعْرِضُا
فيما اسْتَقَيْتُ من المُجُونِ تَبْرُضاً^(٤)
يعتاقُها التدليسُ أن تَمَحُضُا
كاللِيتِ أَرْهَبُ ما يُرى أن يَرِضُا
وسططنَ حريصةً أن تُقَبِّضُا
مستورةً، والخزي أن تَتَنَفِّضُا
تجري مع العَرَقِ الخبيثِ تَحْرُضُا^(٥)
شوهاةً؛ أوجعها البيانُ وأَمْعُضُا^(٦)

(١) الأرماض : كل ما أوجع، وأرمضني : أوجعني .

(٢) الأصفران : القلب واللسان .

(٣) غيض : نقص وضعف .

(٤) تبرض الماء : أخذه قليلاً قليلاً .

(٥) الحرض : بكسر الراء وفتحها ، الفاسد .

(٦) أمعض : أغضب .

واستقلت كشفني لهنّ، ولذّ لي
ووجدت في هتكِ الرياء مخاضةً
كوني على ما استثقلتُه مُحرضاً^(١)
وحلفت أبرحُ ما استطعت مخوضاً^(٢)

(١) المحرّض : من التحريض ، والإثارة .

(٢) المخويض : في الأصل السير في الماء .

الفرات الطاغي

- نشرت في جريدة «العراق»، العدد ٣٨٧٢ في ٧ أيار ١٩٣٥
- أعيد نشرها في جريدة «الانقلاب» العدد ٩٠ في ٣٠ نيسان ١٩٣٧

طغى فضوعف منه الحسنُ والخطرُ
وراعتِ الطائرَ الظمانَ هيئته
كأنما هو في آذيه جبالٌ
مشى على رسله لا الخوفَ يردُّعه
ومرَّ يهزأ من أيدي تقاومه
فكلُّ ما بلغَ الانسانُ من عنتٍ
وما «الفرات» بمسطاعٍ فمختَصِدٍ
كم من معاركَ شَنَّ الفنُّ غارثها

وفاض فالأرضُ والأشجارُ تنغيرُ
فمرَّ وهو جبانٌ فوقه حذرٌ
على الضفافِ مُطلٌ وهي تنحدرُ^(١)
ولا عن الفعلِ الكراءِ يعتذرُ
تسعى لتحكيم أسداد وتبدير
قوى الطبيعة تأتيه فيندجر
ولا بمستعبَد بالعُنفِ يُقتسرُ^(٢)
على «الفرات» ولكنْ كانَ يندصرُ

* * *

(١) الآذي: الموج.

(٢) خضد: كسر، وانخضد وتخضد بمعنى انكسر.

هو «الفرات» ولم في أمره عَجَبٌ في حالتيه ولم في آييه عِبَر
 بينا هو البحر لا تُسطاع غضبته إذا استشاط فلا يُقسي ولا يذر
 إذا به واهن المجرى يعارضه عوداً، ويمنعه عن سيره حَجَر

* * *

غطَّ الهديرُ فغضَّت منه ثاغيةٌ ورددتْ ثغيبها من خلفها آخر
 واستحكمت ضجة من كل ناحية جاءت إليها بموتٍ عاجلٍ نُذر
 وربُّ طالبةٍ بالماء راضعها وربُّ عارضةٍ بالماء تأتزر

* * *

وصفحة من بديع الشعر منظره طامي العُباب مُطلاً فوقه القَمَر
 وقد بدت خضرة الأشجار لامعةً مغمورةً بسناه فهي تزدهر
 ومن على ضفتيه انصاع مُغمرا في الماء نصف، ونصف فوقه الشجر

أول العهد

● نظمت عام ١٩٣٥

أَوَّلُ الْعَهْدِ بَالَّتِي حَمَلْتَنِي شَطَطاً فِي الْهَوَى وَأَمراً فَرِيّاً^(١)
وَضَعُ كَفِّي فِي كَفِّهَا تَلْظِي مِنْ غَرَامٍ كَمَنْ يُنَاوِلُ شَيْئاً
رَجَفَتْ رَجْفَةً قَرَأْتُ التَّشْهِي فَوْقَهَا وَاضِحاً بَلِيغاً قَوِيّاً
ثُمَّ قَالَتْ بَطْرِفَهَا بَعْدَ لَأَيٍ : عَنْ طَرِيقٍ سَهْلٍ وَصَلْتُ إِلَيْهَا !

* * *

وَهِيَ سَمَاءٌ فِي التَّقَاطِيعِ مِنْهَا يَجِدُ الْحَالِمُونَ شَبَعاً وَرِيّاً
يَنْفُخُ الْعَطَرُ جِلْدَهَا وَيَسِيلُ الدِفْءُ فِي عِرْقِهَا لَذِيذاً شَهِيّاً
لَوْ قَرَأْتُ الْخَطَأَ ! الَّذِي وَاسَطَ النُّهْدَيْنِ يَسْتَهْدِفُ الطَّرِيقَ السَّوِيّاً
لَتَمَشَيْتُ فَوْقَهُ بِاتِّمْنَانِي وَوَصَلْتُ الْكَنْزَ الثَّمِينِ الْخَفِيّاً
وَتَصَبَّأَكَ مِنْتَاهُ تَصَبَّي عَالِمٍ آخِرٍ تَقِيّاً نَقِيّاً

(١) الفري : الأمر العظيم .

الصبر الجميل

● نظمت عام ١٩٣٥

ذَمَّمْتُ اصْطِبَارَ الْعَاجِزِينَ وَرَاقَنِي
لَهُ ثِقَةً بِالنَّفْسِ أَنْ سَتَقُودُهُ
وَمَا الصَّبْرُ بِالْأَمْرِ الْيَسِيرِ احْتِمَالُهُ
وَلَا هُوَ بِالشَّيْءِ الْمَشْرِفِ أَهْلُهُ
وَلَكِنَّهُ صَبْرُ الْأَسْوَدِ عَلَى الطُّوَى
مِحْلُ طِبَاعِ آيَاتِ وَطُوعِ
يُعْنَى بِهِ حُرٌّ لِإِحْقَاقِ غَايَةٍ
فَإِنْ كُنْتَ ذَا قَلْبٍ جَرِيءٍ طَبِيعَةٍ
فَبِرِّكَ نَسْجِ الصَّبْرِ دِرْعاً مُضَاعَفاً

عَلَى الضَّرِّ صَبْرُ الْوَاثِبِ الْمُتَطَّلِعِ
لِحَالٍ يَرْجِي خَيْرَهَا أَوْ لِمَصْرَعٍ
وَإِنْ رَاحَ مَلْصَوْقاً بِهِ كُلُّ مُدَّعِي
إِذَا لَمْ تَكُنْ عُقْبَاهُ غَيْرَ التَّوَجُّعِ
تَغْطِي عَلَيْهِ وَثْبَةُ الْمُتَجَمُّعِ
وَيَلْوِي نَفُوسِ طَامِعَاتٍ وَوُضْعِ
وَيَخْرُجُ عَنْهُ آخِرٌ لِلتَضَرُّعِ
عَلَى نَكَبَاتِ الدَّهْرِ لَا بِالتَّطَبُّعِ
وَبِرِّكَتٍ مِنْ ذِي مِرَّةٍ مُتَدَرِّعِ

المآسي في حياة الشعراء

● نشرت في جريدة «العراق»، العدد ٤٢٦٥ في ٢٥ آب ١٩٣٦

رَبَّاتُ بِنَفْسِي أَنْ تَظِلَّ كَمَا هِيَ تُرَجِّي سَرَاباً أَوْ تَخَافُ دَوَاهِيَا
وَأَكْبَرْتُ أَنِّي لَا أَزَالُ دَرِيئَةً يُجَرِّبُ فِيهَا الْمُفْرَضُونَ الْمَرَامِيَا
نَظَائِرُ مِمَّا أَحْكَمَ الْغَدْرُ نَسْجَهَا تُذَكِّرُنِي مَا كُنْتُ بِالْأَمْسِ نَاسِيَا
تَجَارِبُ لَمْ أَنْعَمْ بِعُقْبَى احْتِمَالِهَا عَلَى أَنْ عِنْدِي غَيْرَهَا مَا كَفَانِيَا

* * *

حَبَانِي الْعِرَاقَ السَّمْحُ أَحْسَنَ مَا حَبَا بِهِ شَاعِراً لِلْحَقِّ وَالْعَدْلِ دَاعِيَا!!
رَجَاءٌ كَمَا اسْتَمْطَرْتُ فِي الصَّيْفِ مَزْنَةً وَعَيْشاً كَمَا اسْأَرْتُ فِي الْكَأْسِ بَاقِيَا
وَعَيْشاً إِذَا اسْتَعْرَضْتَهُ قَلْتُ عَنْده: «كَفَى بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا»
وَوَاعَدَنِي بَعْدَ الْمَمَاتِ احْتِفَاءً يَجُودُ فِيهَا الْمُنْشِدُونَ الْمَرَاثِيَا
وَحَفَلاً تَرَى فِيهِ أَكْفَأَ تَعَجُّلَتْ ظِمَائِي تَسْتَسْقِي عَلَيَّ الْغَوَادِيَا

وتلك «يد» أعيا لساني وفاؤها!!
 وإن «فُراتاً» لِّلْكَفَىءِ بشكرها
 فأوصيتُ أولادي بها وعياليها!!
 إذا مِتُّ فليردُّ عليها العواديها

* * *

مَضَتْ زَهْرَةُ العَمْرِ التي يحسبونها
 وراجعتُ في هذا السجلِ فصوله
 أحاسيبُ نفسي كيف ألفتُ يبيسة
 وعما أفادت من بلادِ تكالبتِ
 ولكنني آسى لأخلاقِ عُصبة
 ترى كلَّ مرهوبِ الشذاة عدوها
 وهذا بلاءٌ يُمطرُ الشرَّ مُنْذِراً
 هي العُمُرُ لا عُوداً مع الشيبِ ذاويها
 اقلُّبُ أياماً به ولياليها
 ضروراً سقتُ وغداً، وغراً، وجافيا
 على الغنم، وارتدَّتْ سباعاً ضوايها
 تُعدُّ المزايا الطيبات مساويها
 وكلُّ رخيِّ العودِ خِلاً مُصافيا
 وهذا وباءٌ يجرِفُ الشَّعْبَ غاشيا

تحرك اللحد

- نظمت بعد أشهر معدودات من الانقلاب العسكري الذي قاده الفريق بكر صدي عام ١٩٣٦، وقد أخذت القوى التي أطاح بها الانقلاب تتحرك.
- نشرت في جريدة «الانقلاب» التي كان يصدرها الشاعر آنذاك، في العدد ٢١ في ١٩ كانون الثاني ١٩٣٧

كَلُّوا إِلَى الْغَيْبِ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
وَصَدِّقُوا مُخْبِرًا عَنْ حُسْنِ مُنْقَلَبٍ
لَا تَتْرَكُوا الْيَأْسَ يَلْقَى فِي نُفُوسِكُمْ
إِنَّ الْوَسَاوِسَ إِنْ رَامَتْ مَسَارِبَهَا
تَذْكُرُوا أَمْسِي وَاسْتَوْحُوا مَسَائِلَهُ
مُدُّوا جَمَاجِمَكُمْ جِسْرًا إِلَى أَمَلٍ
وَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ يَنْهَضُ بِسَعِيكُمْ
إِنَّ الشَّبَابَ سِنَادُ الْمُلْكِ يَعْضُدُهُ

وَاسْتَقْبِلُوا يَوْمَكُمْ بِالْعَزْمِ وَابْتَدِرُوا^(١)
وَأَزْرُوهُ عَسَى أَنْ يَصْدُقَ الْخَبَرُ
لَهُ مَذَبًّا، وَلَا يَأْخُذْكُمْ الْخَوَرُ
سَدَّ الطَّرِيقَ عَلَيْهَا الْحَازِمُ الْحَذِرُ
فَقَدْ تَكُونُ لَكُمْ فِي طَيْهِ عِبَرُ
تُحَاوِلُونَ وَشَقُّوا الدَّرْبَ وَانْحَصِرُوا
شَعَبٌ إِلَى هِمَمِ السَّاعِينَ مُفْتَقِرُ
أَيَّامٍ تُوجِدُهُ الْأَرْزَاءُ وَالْغَيْرُ

(١) كَلُّوا: بمعنى اتركوا ودعوا: و «ابتدروا» أي استبقوا واستعجلوا.

طالَتْ عَمَايَةُ لَيْلٍ رَانَ كَلْكَلُهُ
وَأِنَّمَا الصُّبْحُ بِالْأَعْمَالِ زَاهِيَةٌ
على البلادِ، وَإِنَّ الصُّبْحَ يُنْتَظَرُ
لَا الْوَعْدُ يُغَيِّرِي وَلَا الْأَقْوَالُ تَنْتَشِيرُ

لَا تُبْقِ دَائِرَ أَقْوَامٍ وَتُرْتَهُم
هُنَاكَ تَنْتَظِرُ الْأَحْرَارَ مَجْزَرَةً
وَتَمَّ شِرْذِمَةُ الْفَتْ لَهَا حُجْباً
إِنِّي أَصَارِحُكَ التَّعْيِيرَ مُجْتَرِئاً
إِنَّ السَّمَاءَ الَّتِي أَبْصَيْتَ رَوَّفَقَهَا
تَهَامَسَ النَّفَرُ الْبَاكُونَ عَهْدُهُمْ
تَجْرِي الْأَحَادِيثُ نَكَرَاءَ كِعَادَتِهَا
فَحَاسِبِ الْقَوْمَ عَنْ كُلِّ الَّذِي اجْتَرَحُوا
لَلآنَ لَمْ يُلْغَ شَبْرٌ مِنْ مَزَارِعِهِمْ
وَلَمْ يَزَلْ لَهُمْ فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ
وَتِلْكَ لِلْحَرِّ مَأْسَاءٌ مُهَيَّجَةٌ
فَضِيقُ «الْحَبْلِ» وَاشْدُدْ مِنْ خَنَاقِهِمْ
وَلَا تَقْلُ تَرَةً تَبْقَى خَزَارَتُهَا
تَصَوِّرُ الْأَمْرَ مَعْكَوساً وَتُحَذِّ مَثَلًا
أَكَانَ لِلرَّفِيقِ ذِكْرٌ فِي مَعَايِمِهِمْ
وَاللَّهِ لَا قَيْدَ «زَيْدٍ» بِاسْمِ «زَائِدَةٍ»
وَلَا نَحْيَ كُلِّ رَسْمٍ مِنْ مَعَالِمِكُمْ
فَهُمْ إِذَا وَجَدَوْهَا فُرْصَةً ثَارُوا
شَنْعَاءُ سَوْدَاءُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذُرُ
مِنْ طُولِ صَفْحٍ وَعَفْوٍ فَهِيَ تَسْتَرُ
وَمَا الصَّرِيحُ بِذِي ذَنْبٍ فَيَعْتَذِرُ
يَوْمَ الْخَمِيسِ بَدَا فِي وَجْهِهَا كَدَرُ
أَنْ سَوْفَ يَرْجِعُ مَاضِيهِمْ فَيَزِدُّهُمْ
وَلَمْ يُرْغِ سَامِرٌ مِنْهُمْ وَلَا سَمَرُ
عَمَّا أَرَاقُوا وَمَا اغْتَلُّوا وَمَا اخْتَكَرُوا
وَلَا تَرْحُزِحِ مِمَّا شِيدُوا حَجَرُ
مُنَوَّةٍ بِمَخَازِنِهِمْ وَمُفْتَخِرُ
يَدْمِي وَيَدْمَعُ مِنْهَا الْقَلْبُ وَالْبَصَرُ
فَرَبَّمَا كَانَ فِي إِرْخَائِهِ ضَرَرُ
فَهُمْ عَلَى أَيِّ حَالٍ كُنْتُ قَدْ وَتَرُوا
مِمَّا يَجْرُونَنَّهُ لَوْ أَنَّهُمْ نُصِرُوا
أَمْ كَانَ عَنْ «حِكْمَةٍ» أَوْ صَحْبِهِ خَبَرُ
وَلَأُصْطَلِيَ «عَامِرٌ» وَالْمُبْتَغَى «عُمَرُ»
وَلَا شَقَفْتُ بِكُمْ الْأَمْثَالَ وَالْيَسِيرُ

ولا تزال لهم في ذاك مأزُمةٌ
أصبحتُ أحذرُ قولَ الناسِ عن أسِفِ
أَكفانُ قومٍ ظننَّا أنَّهم قُبِروا
تَحركَ اللَّحدُ وانشَقَّتْ مُجدِّدةٌ
ولا يزالُ لهم في أخذِكُم وطَر
من أن يروا تِلْكَمُ الآمالَ تَنْدِير
أَكفانُ قومٍ ظننَّا أنَّهم قُبِروا

الى الشباب السوري

- نظمت عام ١٩٣٨ .. أقيمت في حفل تكريمي أقامه شباب دمشق للشاعر خلال زيارته سوريا ولبنان في العام المذكور ...
- وكانت الانتفاضة السورية على الاستعمار الفرنسي على أشدها، وكانت الدعوة إلى توحيد الصفوف في جبهة وطنية، تضم الأحزاب والهيئات الوطنية هي المطلب الأول .
- نشرتها جريدة «الاستقلال العربي» .
- نشرت في جريدة «الرأي العام»، العدد ١٧٦ في ١ شباط ١٩٣٩
- نشرت في طبعة عام ١٩٥٣ الجزء (٣) .

حيّ الصفوف لرأب الصدع تجتمع
إنّ الشباب جنود الله الفهم
مشوا على خطوه تنحط أرجلهم
«دمشق» لم يبق منك الدهر باقية
ولو أردت بك التقرّيع عن مقة
فما انتظارك ميثاً لا ضمير له

وحيّ صرخة أيقاظ بمن هجموا
في «الشام» داع من الأوطان متبع
كما انتهى «المثل الأعلى» وترتفع
إلا السذي في توقي غيره ضرع
لقلت: أنفك رغم العز مجتدع^(١)
حزماً فلا الخوف ذو شأن ولا الطمع

(١) المقة: الحب .

نُبِئْتُ فِي «الْفُوطَةِ» الْغَنَاءِ عَاصِفَةً
مَرَّتْ عَلَى «بَرْدَى» فَالْتَأَتْ مَوْرِدَهُ
فَقُلْتُ: لَا ضَيْرَ إِنْ كَانَتْ عَجَاجَتُهَا
وَهَلْ سَوَى مُتَعٍ زَالَتْ سَتَخِلْفُهَا

تَكَادُ تُجْتَثُّ مَا فِيهَا وَيَقْتَلَعُ^(١)
وَالْغِيَاضُ فَلَاحُ حُسْنٍ وَلَا مَرَعٍ^(٢)
عَنْ غَضَبَةِ الْبَلَدِ الْمَسْلُوبِ تَنْقَشِعُ
مُخْلَّدَاتٍ . حِسَانًا . خُرْدًا . مُتَعٍ

* * *

دَمَشْقُ يَا «أُمُّ» إِنَّ الرَّأْيَ مُحْتَفِلٌ
قَوْلِي يُجِبُّ شَاحِنُ الْأَضْلَاعِ مَرْتَقِبٌ
وَأَجْمَعِي الْأَمْرَ .. نَجْمِعُ لَا يُفَرِّقُنَا
وَطَوْعُ أَمْرِكَ أَجْنَادٌ مَجْنُودَةٌ
يُغْنِيكَ عَنْ وَصْفٍ مَا يَلْقَوْنَ أَنَّهُمْ
وَقَدْ يَكُونُ قَرِيبًا أَنْ تَرَى «حَلَبَ»
«قُبَا» شَوَازِبَ لَا تُلَوِّى شَكَاثُمَهَا

وَالْعَزَمَ مُحْتَشِدٌ وَالسَّوْقَ مُتَّبِعٌ
وَاسْتَصْرَخِي يَنْتَفِضُ غَيْرَانِ مُسْتَمِعٌ
أَنْتِ .. أَمْ نَحْنُ فِيمَا يَنْبَغِي تَبَعٌ
إِلَى «الْعُرْبَةِ» بَعْدَ اللَّهِ تَنْقَطِعُ
خَوْفًا عَلَيْكَ، وَلَمَّا تُفَجَّعِي، فُجِّعُوا
خَيْلَ الْعِرَاقِ قُبَيْلَ النَّجْعِ تَنْتَجِعُ
وَلَا يَرِينُ عَلَى «تَقْرِيبِهَا» الضَّلَعُ^(٣)

* * *

نَقِي «دِمَشْقُ» فَلَا حَدٌّ وَلَا سِيمَةٌ
تُقْصِيكَ عَنْ أَرْضِ بَغْدَادٍ وَدَجَلَتِهَا

وَلَا خَطُوطٌ — كَلْعِبِ الْطِفْلِ — تُبَدِّعُ
أَمَّا «الْفَرَاتُ» فَنَبْعٌ بَيْنَنَا شَرَعٌ

(١) الفوطة هي مجمع البساتين الواسعة والحدائق الغناء التي تحوط الشام، وقد كانت وما تزال حتى اليوم مضرب المثل بجمالها، ونضرتها، والغناء الكثيرة الشجر والماء، ومدكرها «أغن» واغن الوادي إذا كثرت شجره والنف.

(٢) التأت أي تكدر. والقياض جمع «غيضة» وهي مجتمع الشجر في «مغيض» الماء أي موضع تسريه. والمرع الخصب والتماء.

(٣) القَبْ: ومفردها أقب الخيول المضرة المشدودة الأعضاء. والشوازب: اليابسة المضمورة.

إذا «الجزيرة» رَوَّتْ مِنْهُ غُلَّتْهَا
جَرَى عَلَى الْكَأْسِ وَالْأَنْبَاءِ مُفْجِعَةً
وَارْتَاخَ لِلْبَثِّ «حِدْنُ» كَادَ يَخْنَقُهُ
فَقُلْتُ: لَيْتَ «فرنسا» هَا هُنَا لَتَرَى
هَذِي مِبَاهِجُ «بغداد» وَنَشَوْتُهَا

رَوَّى الْغَلِيلَ الْفَرَاتِيُونَ وَانْتَفَعُوا
دَمْعٌ هُوَ الْقَلْبُ نَحْوَ الْعَيْنِ يَنْدَفِعُ
ذَكَرَى «دمشق» وَمَا تَلَقَى وَمَا يَقَعُ
كَيْفَ الْقُلُوبُ عَلَى الْأَرْزَاءِ تَجْتَمِعُ
وَجَدْتُ عَلَيْكَ. فَكَيْفَ الْحَزَنُ وَالْهَجْعُ

* * *

دَارَتْ دِمَشْقُ بِمَا اسْطَاعَتْ فَمَا قَدَرْتُ
كَانَتْ «أَنَا» فَلَمْ تَنْجِعْ.. وَلَا جَنْفُ

عَلَى سِيَاسَةِ خَبٍّ دَاوَّهَا الْجَشْعُ
وَكَانَ رَيْثٌ فَلَمْ يَنْفَعْ.. وَلَا سَرَعُ

* * *

قَلْبَ الْعُرُوبَةِ هَلْ بُشْرَى نُسْرُ بِهَا
و «اللاذقية» هَلْ «رَبٌّ» يَقْبُومُ بِهَا
وَفِي «الجزيرة» هَلَى زَالَتْ وَسَاوَسُهَا

أَنْ «السُّوَيْدَاءِ» بُرَّءٌ مَا بِهِ وَجَعُ
أَمْ رُبُّهَا الْعَلَمُ الْمَحْبُوبُ يَرْتَفَعُ؟
وَهَلْ تَوْحَّدَتِ الْآرَاءُ وَالشَّيْعُ؟

* * *

يَا «جَنَّةَ الْخُلْدِ» لَوْ لَمْ يُوْذِ نَازِلُهَا
بَادِي الْمَخَالِبِ «وحشٌ» لَمْ يَلِدْهُ أَبٌ
«دَمَشْقُ» إِنَّ مَعِيَ قَلْبًا أَضْيَقُ بِهِ
جَمَّ التَّنَزِّي .. إِلَى مَغْنَاكِ مُتَّجَةً
نَاغَى خَيَالِكِ «أَطْفَالِي» فَيَقْظُتْهُمْ
«فَرَاتٌ» أَشْبَهُ كُلَّ النَّاسِ بِي وَلَعَا

ضَيْفٌ ثَقِيلٌ عَلَيْهَا، وَجْهَهُ بَشَعُ
لَكِنَّهُ فِي دِيَارِ الْغَرْبِ مُخْتَرَعُ
يَكَادُ مِنْ خَلْجَاتِ الشُّوقِ يَنْخَلَعُ
كَأَنَّهُ مِنْ رُبَاكِ الْخُضْرِ مُتَنَزِعُ
ذَكَرَى، وَطَيْفُكَ مَغْنَاهُمْ إِذَا هَجَعُوا
فِيمَا أُحِبُّ.. تَبْنَاهُ بَلِكِ الْوَلَعُ

يوم فلسطين

- نظمت عام ١٩٣٨، والثورة الفلسطينية ضد الاستعمار البريطاني على أشدها، وكان الشاعر آنذاك، في سوريا.
- نشرتها جريدة «الاستقلال العربي» الدمشقية ...
- نشرت في جريدة «الرأي العام» العدد ٥٦ في ٥ أيار ١٩٣٨ .. وفي مجلة «الخمائل» العدد ٢ في تشرين الثاني ١٩٣٨

هبت الشام على عاداتها تملأ الأرض شباباً حنقاً
نادباً بيتاً أباحوا قُدْسَهُ في فلسطينَ وشملاً مَزَقاً
بَرَّ بالعهد رجالٌ أُنْفُ أخذَ الشعبُ عليهم مَوْتَقاً
شرفاً يومَ فلسطينَ فقد بلغَ القِمَّةَ هذا المَرْتَقى
ألبس الملكِ رِواءَ وازدهت روعةُ التاريخِ منه رُوْنَقاً

* * *

اسمعي يا «جَلِّقُ»!! إن دماً في فلسطينَ هَضِيماً نطقاً

عريّياً سال من أفعدة
صبغ الأرض وألقى فوقها
تُخَمِلُ الريحُ إلى أرجائها
عريّياتٍ تلظت حرقاً
من فداءٍ وإبساءٍ شققاً
من زكيّات الضحايا عبّقا

* * *

اسمعي يا «جلق» إن دماً!
اسمعي: هذا دمٌ شئت له
شدّ ما احتاجت إلى أمثاله
شاهدٌ عدلٌ على الظلم إذا
إحملي ما اسطّعت من حباته
يسقطُ الطفلُ على والده
ومر الأمُّ غضبي ساءها
نسقٌ للموت لم نسمع به
هكذا نُعلِنُ صرعى أمة
في فلسطينٍ ينادي جلقاً
نخوةً مُهتاجةً أن يُهرقاً
أممٌ يعوزها أن تُعتقاً
كذبٍ التاريخُ يوماً صدقاً
واجعلها لعيونٍ حدّقـ
وارداً مورده معتنقـ
في سباقٍ مثله أن تُسبقـ
لينا نعرِفُ هذا النسقـ
أن شعباً من جديدٍ خلّقـ

ناجيت قبرك ...

● نظمت والشاعر في بيروت في طريقه إلى المؤتمر الطبي العربي، مندوباً عن العراق ... وقد وصله خبر وفاة عقيلته المفاجيء، عن عارض مؤلم لم يمهلهما سوى يومين ... فتخلّى عن الالتحاق بالمؤتمر وقفل راجعاً إلى بغداد ... وكان ذلك عام ١٩٣٩

● نشرت في جريدة «الرأي العام» العدد ١٧٨ في ١٨ آذار عام ١٩٣٩

أهذه صخرة أم هذه كبد	في ذمة الله ما ألقى وما أجد
عنه فكيف بمن أحبابه فُقدوا	قد يقتل الحزن من أحبابه بُعدوا
فلا الشباب ابن عشرين ولا لبد	ليت الحياة وليت الموت مَرَحمة
ولا العجوز على الكفين تعتمد	ولا الفتاة بزعمان الصبا قُصفت
أعمارهن ولم يُخصص بها أحد	وليت أن النور استنزفت نَصفاً
بمثل ما انجبت تُكنى بما تُلد	حُييت «أم فُرات» إن والدة
بُداً، وإن قام سداً بيننا اللحد	تحية لم أجد من بث لأعجها

(١) لبد: هو اسم أحد النور التي احتضنها «لقمان بن عاديا» في الأسطورة الواردة عن طول عمره وأنه استنزف أعمار هذه النور كلها وكان لبد أطولها عمراً. ويوضح ذلك البيتان التاليان.

بَيْنَ الْمَجْبِينِ مَاذَا يَنْفَعُ الْجَسَدَ
رَجَعْتُ مِنْهُ لِحَرْ الدَّمْعِ أَبْتَرِدُ
وَبَانَ كِذْبُ ادِّعَائِي أَنَّنِي جَلِيدُ
وُتَحْتُ حَتَّى حَكَانِي طَائِرٌ غَرِدُ
قَاسٍ تَفْجَّرُ دَمْعاً قَلْبِي الصَّلْدُ^(١)
وَيَسْتَوِي فِيهِ مَنْ دَانُوا وَمَنْ جَحَدُوا

بِالرُّوحِ رُدِّي عَلَيْهَا إِنَّمَا صَلَّةٌ
عَزَّتْ دَمُوعِي لَوْ لَمْ تَبْعَثْنِي شَجَنًا
خَلَعْتُ ثَوْبَ اصْطِبَارٍ كَانَ يَسْتَرْنِي
بَكَيْتُ حَتَّى بَكََا مِنْ لَيْسَ يَعْرِفُنِي
كَمَا تَفْجَّرُ عَيْنًا ثَرَّةً حَجَرٌ
إِنَّمَا إِلَى اللَّهِ! قَوْلٌ يَسْتَرِيحُ بِهِ

* * *

لَا بُدَّ فِي الْعَيْشِ أَوْ فِي الْمَوْتِ نَحْدُ
وَأَمْرُ ثَانِيهِمَا مِنْ أَمْرِهِ صَدْدُ
عَنْ حَالٍ ضَيْفٍ عَلَيْهِ مُعْجَلًا يَفْدُ^(٢)
صَدَى الَّذِي يَتَّبِعِي وَرْدًا فَلَا يَجِدُ
بِجَعْدِ شَعْرِكَ حَوْلَ الْوَجْهِ يَنْعَقِدُ
نَظِيرُ صُنْعِي إِذْ آسَى وَأَفْتَادُ
صَدْرِ هُوَ الدَّهْرُ مَا وَفَى وَمَا يَعِدُ
أُظُنُّ قَبْرَكَ رَوْضًا نَوْرُهُ يَقْدُ
إِذَا تَعْلَمَلْ مَيِّتَ رُوحُهُ نَكْدُ^(٣)
صِرٌّ . فَأَوْرَاقُهَا مَنزُوعَةٌ بَدْدُ^(٤)
ثَغْرًا إِذَا اسْتَيْقَطُوا، عَيْنًا إِذَا رَقَدُوا

مُدِّي إِلَيَّ يَدًا تُمَدِّدُ إِلَيْكَ يَدُ
كُنَّا كَشَقِيقَيْنِ وَافِي وَاحِدًا قَدَّرُ
نَاجِيَتْ قَبْرِكَ أَسْتَوْحِي غِيَاهِبَهُ
وَرَدَدْتُ قَفْرَةً فِي الْقَلْبِ قَاحِلَةً
وَلَفَّنِي شَبَحٌ مَا كَانَ أَشْبَهَهُ
أَلْقَيْتُ رَأْسِي فِي طَيَّابَتِهِ فَرِعَاءُ
أَيَّامٍ إِنْ ضَاقَ صَدْرِي أَسْتَوْحِ إِلَى
لَا يُوجِشُ اللَّهُ رَبْعًا تَنْزِلِينَ بِهِ
وَأَنْ رُوحَكَ رُوحٌ تَأْتِسِيَنَّ بِهَا
كُنَّا كَنَبْتَةِ رِيحَانٍ تَخْطُمُهَا
غَطًى جَنَاحِكَ أَطْفَالِي فَكُنْتُ لَهُمْ

(١) حجر : فاعل لتفجر . عيناً : تمييز منه . والثرة : الفياضة الغزيرة . والصلد : الصلب .

(٢) القطعة كلها تشير إلى وقفة حزينة وقفها الشاعر على قبر عقيلته في النجف ساعة وصوله إليها من بيروت ، وإلى ما طاف به من أشباح الذكريات وخيالاتها .

(٣) الروح بمعنى الراحة والاطمئنان .

(٤) الصر : الريح الشديد والباردة . وتخطمها : أتلفها وكسرها .

قالوا أتى البرق عجلاناً فقلتُ لهم
ضاقتُ مرابعُ لبنانٍ بما رَحِبَتْ
تلكَ التي رَقَصَتْ للعينِ بهجَّتُها
سوداءُ تنفُخُ عن ذِكرى تُحرِّقُني
واللَّهِ لم يحُلْ لي مِغْدَى ومُنْتَقَلٌ
أَيْنَ المَفَرِّ وما فيها يُطارِدُني
أالظلالُ التي كانتُ تُفَيِّئُنا
أم أنتِ ماثِلَةٌ ؟ مِن نَمِّ مُطَّرَحٍ
سُرْعانَ ما حَالَتِ الرؤيا وما اختلفَتْ
مررتُ بالَحَوَرِ والأعراسُ تملأُهُ

واللَّهِ لو كانَ خَيْرٌ أَبْطَأْتُ بُرْدَ
عَلَيَّ والتَفَّتِ الآكامُ والنُّجُودُ
أَيامَ كُنَّا وكانتُ عِيشَةُ رَعْدُ
حَتَّى كَأَنِّي على رِيعانِها حَرْدُ"
لما نُعِيتِ، ولا شَخْصٌ، ولا بَلَدٌ
والذِّكْرِيَّاتُ، طَرِيًّا عُوْدُها، جُدُدُ
أَمِ الهِضابُ أم المَاءِ الَّذِي نَرِدُ
لنا وَمَنْ نَمَّ مُرتاحٌ ومُتَسَدِّ
رُؤْيًى، ولا طالَ— إلا ساعَةً— أَمَدُ
وعُدْتُ وهو كَمْشوى الجانِ يَرْتَعِدُ

الاقطاع

● نظمت عام ١٩٣٩ ...

ألا قُوَّةَ تستطيعُ دفعَ المَظالِمِ
ألا أعينُ تُلقِي على الشَّعْبِ هاويًا
وهَلْ ما يُرجِي المُصلِحونَ يَرونَهُ
تعالَتْ يَدُ الاقْطاعِ حتَّى تعَطَلَتْ
وحتَّى استَبَدَّتْ بالسَّوادِ زَعانِفُ
هي الأرضُ لم يَخْصُصْ لها اللهُ مالِكا
ولم يَبْنِ منها أن يكونَ نَتاجُها
عَجِبْتُ لَخَلْقِ في المَغارِمِ رازِحِ
وأنكأ من هذا التَّغابُنِ قُرْحَةً
وكم من حُمولٍ لآخٍ في وجه مُتَرَفٍ

وإنعاشِ مخلوقٍ على الدُّلِّ نائِمِ
إلى حَمَاةِ الإِدْفاعِ نظَرةَ راجِمِ
مُواجهَةً، أم تلكَ أضغاثُ حالمِ
عن آلبَتٍ في أحكامِها يَدُ حاكمِ
إلى نَفْعِها تستاقُفُهُ كالبَهايمِ^(١)
يُصِرُّفُها مُسْتَهْتَرًا في الجرائمِ
شَقَاوَةَ مَظْلومٍ، ونعمة ظالمِ
يُقَدِّمُ ما تجني يداهُ لغانِمِ^(٢)
غباوَةَ مَخْدومٍ، وفطنةُ خادمِ
وكم من نبوغٍ شَعَّ في عَينِ عادِمِ^(٣)

(١) الزعانف : أراذل الناس .

(٢) المغارم : جمع مغرم وهو ما يتحملة الرجل من خسارة في مال أو دم .

(٣) العادم : الفقير المعدم .

إذا أقبل «الشيخ المطاع» وخلفه
 من المزهقي الأرواح يصلي وجوههم
 قياماً على أعتابه يُمطرونها
 تلوث سباط فوق ظهر مكرم
 وباتت بطون ساغبات على طوى
 أهذي رعايا أمة قد تهيأت
 أهذا سواد يُتغى لِمِلْمَةٍ
 أهذي النفوس الخاويات ضراعة
 أمن ساعد رخو هزيل وكاهل
 من الظلم أنا تطلب العزم صادقاً
 وأن نُنشد الاخلاص في تضحياته
 وأن نبتغي ركضاً خثياً لغاية
 لنا حاجة عند السواد عزيمة
 هنالك لا تجدي فتيلاً عصابة
 وإن سواداً يحمل الجور مكرهاً
 يشن على الاقطاع حرباً مبيدة
 يمد يداً تُعطي الضعاف حقوقهم
 ويحت إقطاعاً أقرت جذوره
 سياسة إفقار، وتجويع أمة

من الزارعين الأرض مثل السوام
 مهب أعاصير، ولفح سمام
 خنوعاً وذلاً بالشفاه اللوام
 من اللوم مأخوذ بسوط الألام
 واتخمت الأخرى بطيب المطاعم
 لتستقبل الدنيا بعزم المهاجم؟!
 ونحتاجه في المأزق المتلاحم؟
 نباهي بها الأقران يوم التصادم؟
 عجوز تُريد الملك ثبّت الدعائم؟!
 من الشعب منقوض القوى والعزائم^(١)
 ونحن تركناه ضحية غاشم
 نحاولها من راسف في أدام^(٢)
 سنفقدُها يوم اشتداد الملاحم
 إذا جدّ خطب فهي أول راجم
 فقير لإهاد بين النصيح حازم
 ولا يخشني في الحق لومة لائم
 ويسطو بأخرى باطشاً غير راحم
 سياسة تفريق، وحوز مغام
 ويسلّط أفراد جناية غواشم

* * *

(١) منقوض القوى: أي مُنحلّها ومنهذها.

(٢) الأدام: القيود التي توضع في أرجل المسجونين.

أَلَا إِنَّ وَضْعاً لَا يَكُونُ رِفَاهُهُ
أَمْتِرِدَاتٍ بِالْخُمُورِ تَتَلَجَّتْ
وَمُفْتَرِشَاتٍ فَضْلَةً فِي زُرَائِبِ
أَمِنْ كَدْحِ آفَافٍ تَفِيضُ نَعَاسَةً
وَمَا أَنَا بِالْهَيَّابِ ثَوْرَةَ طَامِعٍ
فَمَا الْجَوُوعُ بِالْأَمْرِ الْبَسِيرِ أَحْتِمَالُهُ
وَلَمْ أَرْ فِيمَا نَدَّعَى مِنْ حَضَارَةٍ
وَهَا إِنَّ هَذَا الشَّعْبَ يَطْوِي جَنَاحَهُ
غَدًا يَسْتَفِيقُ الْحَامِلُونَ إِذَا مَشَتْ

مُشَاعاً عَلَى أَفْرَادِهِ غَيْرُ دَائِمٍ
وَالْمَاءُ يَغْلِي بِالْعُطُورِ الْفَوَاحِشِ
يُوسِّدُهَا مَا حَوْلَهَا مِنْ رَكَامٍ^(١)
يُمَتِّعُ فَرْدٌ بِالنَّعِيمِ الْمُلَازِمِ
وَلَكِنْ جِمَاعُ الْأَمْرِ ثَوْرَةٌ نَاقِمَةٌ
وَلَا الظُّلُمُ بِالْمَرْعَى الْهَنِيءِ لَطَائِمِ
وَمَا يَعْتَرِي أَوْضَاعُنَا مِنْ تَلَاوُمٍ
عَلَى خَطَرٍ مِنْ سَوْرَةِ الْيَأْسِ دَاهِمِ
رَوَاعِدُ مِنْ غَضَبَاتِهِ كَالزَّمَانِ^(٢)

(١) الزرائب : جمع زريبة وهي حظيرة المواشي .

(٢) الزمان : جمع زمزمة وهي ضجيج الرعد وزئير الأسد أو طقطقة النيران .

لبنان

- نظمت عام ١٩٣٩ عندما كان الشاعر مصطفى في لبنان وقد ألقاها في المهرجان الأدبي الذي أقامته مجلة «العرائس» اللبنانية في بلدة «بكفيا» في يوم عيد الزهور، وهو من الأعياد الشهيرة في لبنان...
- نشرتها مجلة «العرائس».
- نشرتها جريدة «الانباء» العدد ٧٨ في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٣٩
- وجدير بالذكر أن الشاعر تعرض لمضايقة السلطات الفرنسية بعد هذه القصيدة، وإلى منعه من دخول لبنان في السنين التي تلت السنة المذكورة، وذلك لمسّه الاحتلال الفرنسي لسوريا ولبنان في المورد الأخير من القصيدة.

أرجعي ما آستطعت لي من شبّابي
غسل البحر أخصصيّها، ورشّت
وآحتواها «صنّين» بين ذراعي
كلّلت رأسه «الثلوج»، ومستّ
يا سهولاً تدثّرت بالهضاب
عيقات التدى جباه الرّوابي
ه عجزوا له رواء الشّباب^(١)
ه بأذيالها متون السحاب

(١) «صنّين» وهي أعلى جبال لبنان وأجملها.

وَأَتَشَى «كَالْإِطَار» بِحُتْضِنِ الصُّورَةِ تَزْهَى، أَوْ جَذُولٍ فِي كِتَابٍ
 كُلَّمَا غَامَ كُرْبَةً مِنْ ضَبَابٍ فَرَجَتْ عَنْهُ قُبْلَةً مِنْ شِهَابٍ
 وَبَدَتْ عِنْدَ سَفْحِهِ خَاشِعَاتُ الْدُّورِ مِثْلَ «الزَّمِيَتِ» فِي مُحْرَابٍ^(١)
 وَحَوَالِيهِ مِنْ ذُرَايِهِ أَنَّمَا طَ لَطَافٌ، مِنْ مُسْتَقْبَلٍ وَكَانِي

* * *

بِامْتِثَالِ الْأَحْلَامِ، يَا عَالَمَ الشَّعْرِ
 يَا خَيَالاً لَوْلَا الْحَقِيقَةُ تُنْبِي
 حَسْبُ نَفْسِي مِنْ كُلِّ مَا يَأْسِرُ النَّفْسَ
 هَجْعَةً فِي ظِلَالِ «أَرْزِكِ» تُنْفِي
 وَصَدِيقِي وَحِشٌّ أَعَزُّ وَأَوْفَى
 لَا أَقُولُ «الْعَدُوُّ» إِنَّ عِدَائِي
 كُلَّمَا شَاقَنِي التَّأَمُّلُ لَفَتَ—
 بَيْنَ صَفْنِي «صَنْوَبِرٍ» كَشَعُورِ آلِ
 رَطْرِيّاً، يَا جَنَّةً مِنْ تَرَابٍ
 عَنْهُ كُنَّا مِنْ أَمْرِهِ فِي آرْتَابٍ
 سَ اغْتِرَاراً مِنَ الْأَمَانِي الْعِذَابِ
 مِنْ هُمُومِي، وَوَحْشَتِي، وَأَكْثَابِي
 مِنْ حَسُودٍ، وَمِنْ صَدِيقِي مُحَابٍ
 «نَسَبٌ» وَاضِحٌ مِنَ الْأَنْسَابِ
 نَحْيِ مَجَارِي الْمِيَاهِ بَيْنَ الشُّعَابِ
 غَيْدٍ لُمْتُ عَلَى قُدُودٍ رِطَابِ

* * *

آيَةُ اللَّهِ عِنْدَ «لُبْنَانٍ» هَذَا آلِ
 رَبُّ «وَادٍ» بَادِي الْمَقَاتِلِ تَعْلُو
 حَسَنٌ فِي عَامِرٍ لَهُ وَخِرَابٍ
 هُ الْأَخَادِيدُ كَالْجُرُوحِ الرَّغَابِ^(٢)

(١) فِي الْبَيْتِ تَشْبِيهِ لِلدُّورِ الْمُتَطَامِنَةِ عِنْدَ سَفُوحِ صَنِينَ بِـ «الزَّمِيَتِ» وَهُوَ الرَّجُلُ الْمُتَزَمِتُ الْمُتَعَبِدُ .

(٢) بَادِي الْمَقَاتِلِ : أَيُّ مَكْشُوفِ الْمَوَاطِنِ الْمَمِينَةِ مِنْ بَدَنِهِ . وَالْأَخَادِيدُ : الْحَفَرُ وَالتَّشَقُّقَاتُ الْعَمِيقَةُ فِي الْأَرْضِ وَالْمَرْوَجِ الرَّغَابِ : أَيُّ الْوَاسِعَةِ .

مستفيض المياهِ والأعشاب
روعة من مُفِيحَاتِ رِحَابٍ^(١)

كَانَ فِي سِحْرِهِ كَأَنخَرَ زَاهٍ
وَفَجَاجٍ مَعْبَرَةٌ كُنَّ أَبْيَى

* * *

هَلْ يُطِيقُ أَلْيَانُ دَفْعاً لِمَا بِي؟
أَنَا أَدْرَى بَرْدِهِ وَالْجَوَابِ!
«مُسْتَقْلٌ» يَلُودُ بـ «الائْتِدَابِ»؟
وَطُغْيَانٍ «جَوْهَرًا» اللَّهَّابِ
فَطَبِيعاً مُحَكِّمًا فِي الرَّقَابِ
تَحْتَ رِجْلِي «مُسْتَعْمِرٍ» غَلَابِ
كَخِيُولٍ «مُسَوِّمَاتٍ» عَرَابِ
بَطْشَةٍ عَاتٍ، وَخَائِنٍ كَذَابِ
لِي تُرْنِي غَنِيْمَتِي فِي الْإِيَابِ
بَيْنَ سَوَاطِينِ «الْغَرِيبِ» وَإِرْهَابِ؟

إِيهِ «لُبَّانُ»، وَالْحَدِيثُ شَجَوْنُ
حَارَ طَيِّ اللُّهُةِ مَنِّي سُؤَالُ
مَا تَقُولُونَ فِي أَدِيبٍ «حَرِيبٍ»!
خَلْتُ أَنِي فَرَزْتُ مِنْ «جُورِ بَغْدَادِ»
وَمِنْ أَلْبَغِي وَالتَّعَسُّفِ وَالذُّلِّ
وَمِنْ الرَّاحِفِينَ كَالدُّودِ «هُوناً»
وَمِنْ «الصَّائِلِينَ» فِي الْحُكْمِ زُوراً
خَلْتُ أَنِّي نَجَوْتُ مِنْ ذَا وَمِنْ
غَانِمًا «سَفَرَتِي» وَهَذَا أَنَا فِي حَا
أَفِيئَتِي «الْأَحْرَارُ» مِنَّا وَمِنْكُمْ

(١) الفجاج: جمع «فج» وهو الطريق الواسع بين جبلين فانها كانت في سحرها الطبيعي لا تقل روعة
عن «المفحاحات» السهول الممتدة الرحاب.

الأربعينيات

أجب أيها القلب

- نظمت عام ١٩٤٠ . وكان الشاعر على حالة شديدة من التأثر النفسي .
- نشرت في جريدة «الرأي العام» بالعدد ٤٥٤ في ٢٨ كانون الثاني ١٩٤١ ..
وقد أثار نشر القصيدة قرائح رهط كبير من الشعراء والأدباء العراقيين الذين شاطروا الشاعر تأثره وألمه .. وكان في الطليعة منهم الرصافي ..
- لقد طلعت جريدة «الرأي العام» مساء يوم ١ شباط ١٩٤١ وفي صدرها قصيدة الرصافي التي يواسي بها الشاعر ويتفجع له ، ومطلعها :
أقول لرب الشعر مهدي الجواهري
إلى كم تناغى بالقوافي السواحر
ويتصدرها كتاب نشر بعنوان :

من الأستاذ الرصافي
إلى الجواهري

يقول :

٣٠ كانون الثاني ١٩٤١

حضرة الأستاذ الفاضل السيد مهدي الجواهري المحترم

سلام واحترام !

وبعد فقد جاءني العدد الذي تفضلتم بإرساله من جريدتكم الغراء فقرأت فيه قصيدتكم الفريدة ، فحرّكت فيّ سواكن الأشجان ، ودعّنتني إلى قول شيء من الشعر الذي انقطعت عنه منذ زمان . ولست في انقطاعي عنه بمجبل ، ولكنني غير مستريح ، وإن حالتي الصحية ، بانحرافها ، تحول دون قرص الشعر . غير أنني أرسلها إليكم في درج كتابي هذا لتطلعوا عليها وتنتشروها إن شئتم .
هذا وتفضلوا بقبول وافر الاحترام

المخلص

معروف الرصافي

وقد أجاب الشاعر عن هذا الكتاب بالكلمة الآتية والتي نشرت في العدد نفسه :

« هذا هو نص الكتاب الذي شفّع به الأستاذ شاعر العراق الكبير معروف الرصافي قصيدته الغراء المعنونة إلى صاحب هذه الجريدة — أي الشاعر — وهو متأثر بقصيدته العينية المنشورة أخيراً في « الرأي العام » بعنوان :

أجب أيّها القلب الذي لست ناطقاً إذا لم أشاوره ولست بسامع

« ويضيق المجال ، بقدر ما يصعب على اليراع ، عن الإشادة بوقع هذه القصيدة الرصافية وأثرها في النفس ، وبمقدار ما تثيره فينا من مظاهر الاعتزاز والافتخار بتلك النفثة الجياشة التي هزت شاعراً فحلاً عظيماً كالأستاذ الرصافي وهو في صومعته الخالدة في الفلوجة .

« الرصافي الذي ألقى من نفسه الوهاجة ومن شاعريته الفذة ومن نبوغه وعبقريته
شعلة وقبساً أنارت لمواكب الشباب العربي طريقها إلى المجد والطموح ، والذي ناغى
الأمة العربية في دور الاستعباد والغفوة ، حتى دور الاستقلال والنهوض بفيض أشعاره
وغرر قصائده ، والذي ناهض الاستعمار الغاشم في أعنف أدواره وأشد مظاهره .. وهو
الرصافي نفسه الذي يعيش اليوم منطويا على نفسه في الفلوجة يعاني ثقل الشيخوخة ،
ووطأة المرض ، وقسوة الدهر والناس .. هو ، مع هذا أو ذاك ، يحزّ في نفسه أن يكون
منقطعاً عن الشعر ، ضرورة لا جبلة ، ومرضاً لا خموداً وركوداً .

« فلك أيها الشاعر الكبير تحياتنا وامتناننا وتقنياتنا الطيبة ورجاؤنا الشديد أن
تنال ، ومن معك ، من هذه الزمرة الشاعرة نصيبها الوافر المغصوب من الحياة والرفاه
والحرية .

« وسلام عليك وأنت في « الأستانة » و « دمشق » و « بيروت » و « بغداد » ..
وسلام عليك وأنت اليوم في « الفلوجة » ، وأنت اليوم ، كما أنت في أمس وفي غد ، حي
خالد لن تموت » .

أُعِيدُ القوافي زاهيات المطالع	مزاميرَ عَزَافٍ ، أغاريدَ ساجع
لِطافاً بأفواه الرّواة ، نوافذاً	إلى القلب ، يجري سحرُها في المسامع
تكادُ تُحسّ القلب بين سُطورها	وتسحّ بالأردانِ مجرى المدامع
بَرَمْتُ بلوم اللاتمين ، وقولهم :	أأنتَ إلى تغريدةٍ غيرُ راجع
أأنتَ تركتَ الشعرَ غيرَ مُحاولٍ	أم الشعرُ إذ حاولتَ غيرَ مطاوع
وهلْ نضبتَ تلك العواطفُ ثَرَّةً	لِطافاً بجارِها ، غِزارَ المنابع

* * *

إذا لم أشاوره ، ولستُ بسامع
وتخفى عليهم خافيات الدوافع
متى ما أرادوه وسيلعةً بائع
بما ساءه من فادحات القوارع
وداويت أوجاعاً بتلك الروائع
يرونك - إن لم تلتهب - غير نافع
تطأمت حتى جمرها غير لادعي

أجب أيها القلب الذي لست ناطقاً
وحدث فإن القوم يذرون ظاهراً
يظنون أن الشعر قبة قابس
أجب أيها القلب الذي سر معشر
بما ربح منك اللب نفست كربة
قساة مُحجّوك الكثيرون إنهم
وما فارقتني الملهيات وإنما

* * *

شوارِد لا تُصطادُ إن لم تُسارع
شكاةً بأخرى ، داميات المقاطع
ولا هي مما يتقى بالمباضع
برحٍ ولا أبعادهما بشواسع
نسائهما مُرتجّةً بالزعازع
حملتُ غدوي من لبان المراضع

ويا شعرُ سارغ فاقنص من لواعجي
ترايمن بعضاً فوق بعضٍ وغطيت
وفجر قروحاً لا يطاق اختزائها
ويا مُضغّة القلب الذي لا فضاؤها
أنت لذي العاطفات مفازة
حملتُك حتى الأربعين كأنني

* * *

ورحتُ بوسقٍ من «أديب» و «بارع»
خلود أبيهم في بطون الجامع
به غير ما يُودي بحلج المراجع
أقول له : هذا غبار الوقائع
حيلة المُجاري عن حياة المُقارع

تحلب أقوام ضروع المنافع
وعملت أطفالي بشر تعلية
وراجعت أشعاري سيجلاً فلم أجذ
ومستنكر شيئاً قيل أوانه
طرحت عصا الترحال واعتضت متعباً

* * *

نَأَتْ بِي قُرُونٌ عَنْ زُهَيْرٍ وَرَدَّنِي
أَنَا الْيَوْمَ إِذْ صَانَعْتُ ، أَحْسَنُ حَالَةً
حَبَّتْ جَذْوَةٌ لَا أَلْهَبَ اللَّهُ نَارَهَا
بَلَى وَشَكَرْتُ الْعَمَرَ أَنْ مُدَّ حَبْلُهُ
وَأَلْفَيْتُنِي إِذْ عَلَّ قَوْمٌ وَأَنَّهُلُوا
تَمَنِّيْتُ مَنْ قَاسَتْ عَنَاءَ تَطَامُحِي
فَإِنَّ الَّذِي عَانَتْ جَرَائِرُهُ مَحَتْ
عَلَى الرُّغْمِ مَنِّي عِلْمُهُ بِالطَّبَائِعِ^(١)
وَأُحْدِثُهُ مَنِّي كَغَيْرِ مَصَانِعِ
إِذَا كَانَ حَتْمًا أَنْ تَقْضَى مُضَاجِعِي
إِلَى أَنْ حَبَانِي مُهْلَةً لِلتَّرَاجُعِ
حَرِيصًا عَلَى سُورِ الْحَيَاةِ الْمُتَارِعِ
تَعُودُ لَتَهْنَأَ فِي رَحَاءِ تَوَاضُعِي^(٢)
ضَرَاعَتُهُ ذَنْبَ الْعَزِيزِ الْمُمَانِعِ

(١) إشارة إلى بيت « زهير بن أبي سلمى » في معلقته الشهيرة :

« ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم »

(٢) الضمير في « قاست » يعود إلى الفقيدة زوجته والدة فرات .

سواستبول

- نظمت عام ١٩٤٢ حين اشتداد المعارك الضارية في «سواستبول» القاعدة البحرية السوفياتية الشهيرة خلال الحرب العالمية الثانية .. وقد استبسلت القوات السوفياتية المدافعة عن المدينة استبسالاً كان مثار إعجاب العالم ..
- نشرت في جريدة «الرأي العام» ، العدد ٦٠٢ في ٢ تموز ١٩٤٢

يا «سُواسِبـ_____وُل» سَلامُ	لا يَنـ_____لُ مجَدِكِ ذامُ
لا عَرا السِيفَ حُساماً	ذَرَبَ الحَدُّ آثـ_____لام
لا يَنـ_____لُ منكِ بما	أوذيتِ في اللّهُ أَهـ_____تضام
لِكَ فيما يُنقِذُ العَـ_____ام	لَمَ رَوحَ وِجـ_____ام
في الضّحايا العُـ_____رُ من آ	لِكَ للحَقِّ دِـ_____ام
كُلُّ شِـ_____رٍ فوقَهُ مِن	جُئِتِ القَـ_____تلى وِسام
يذهبُ الدّهـ_____رُ وَيَقـ_____ى	من تَفانـ_____يكِ نِظـ_____ام

الحِفَاظُ الْمُرُّ مَا انْتَهَى عَلَيْهِ وَالذَّمُّ مَمَامٌ
وَالْحِفَاظُ الْمُرُّ - أَغْرَمَتْ بِهِ - مَوْتٌ زُؤَامٌ

* * *

يا «سواسبول» سَقَاكَ الـذَّمُّ يَزْكُو لَا الْعَمَامُ
أَعْلَى الذُّبْحِ أَسْتَبَاقُ ؟ أَعْلَى الْمَوْتِ أَزْدَحَامُ ؟
أَهْيَ سَوْقٍ لِمَبَارَاةِ اللَّذَائِثِ ثَقَامُ ؟
يا «سواسبول» سَلَامُ وَأَنْخَسَاءُ وَأَحْسَنُ تَشَامُ
مَا عَسَى يَلُغُ مِنْ هَذَا الـذِّمِّ جُثِّ كَلَامُ
وَعَلَى أَرْضِكَ آيَاتٌ تَبْلِيغَاتٌ «عِظَامُ»
هِيَ فِي السُّلَمِ حَيَاةٌ وَهِيَ فِي الْمَوْتِ أَحْتِرَامُ
حَوْلَ أَسْوَارِكَ مِنْ أَطْبَافِ «أَنْصَارٍ» زِحَامُ

* * *

يا «سواسبول» وَوَجْهُهُ الدَّهْرُ يَصْحُو وَيُغَامُ
وَسَنَا الْبَدْرِ انْتَكَسَا
وَمِنْ السُّقْمِ عِلَاجُ تَنْقِصُ وَتَمَامُ
يَا مَنْاراً يُرْشِدُ الْعَا لَمَ وَالذُّنْيَا ظَلَامُ
مَرَّ عَامٌ ، كُلُّ يَوْمٍ مِنْهُ فِي التَّارِيخِ عَامُ
كُلُّ أَنْ يَسْأَلَ الْعَا لَمْ : مَاذَا يَا عَصَامُ ؟
كَيْفَ «خَرْكُوفُ» وَهَلْ بَغْدَادُ عِتَابُ أَوْ مَلَامُ ؟

(١) الحفاظ : كالحفيظة الغضب .

كَيْفَ «رُسْتَوْف» لَهَا بـ «الْأَسْوَد» الطَّامِي اعْتَصَام^(١)
وَهَلِ الْفَقْهَاسُ — كَالْعَهْ — يَدُ — جِيَادُ وَسَوَام

❖ ❖ ❖

زُرُّ «الفلولاد» قد أفـ
أُمَّة لا صدغ فيها
إِنَّهُ «الايمن» إِيـ
مُـ ل زال بها جو
هكذا تَنْبَتْ أرض
يَمْلِكُ الزَّارِعُ ما يز

رَغَهَا قَيْنٌ هُمَامٌ
لا أرتجاع ، لا أنقسام
سار ، وعدل ووئام
ع ، وجهل ، واحتكام
هي بالحق أقسام
رغ لا عبداً يُسام

✱ ✱ ✱

وَصَرَاحُ الشَّرِّ وَجَلَّيْ
وَبَدَا الْغَدْرُ شَتِيئَمَ الـ

وَأَنْجَلَى عَنْهُ اللَّثَامَ
وَجِهَهُ يَعْلُوهُ أَلْقَتَامٌ^{١٧}

* * *

بَشِيعَ الْفَنَنْ وَذَابَتْ
صُورُ الرَّفْقِ الْوَسَامِ

وَأَنْبَرَى أَشْنَعُ مَا
خَطَّ وَشَطَّ أَلَا جَتَّ رَامِ

(١) «خروكوف» و «روستوف» من المدن السوفياتية التي كان لأهلها بلاء محمود في الدفاع وحصد المعتدين. والأسود «الطامى» يراد به البحر الأسود.

(٢) القين : الحداد .

(٣) القتام : الغبار

يَ فَهَلْ هَذَا أَنْسَجَامُ ؟	جَمَدَ الطِفْلُ عَلَى الثَّدِ
عَرَّ وَهَلِ السَّنَلُ أَنْزَامُ ؟	وَهَلِ الْبَثْرُ أَبْتَدَا
هَوَاءُ ، سَيْقَانٌ وَهَامُ ؟	وَهَلِ الْأَلْوَانُ ، وَالْأَضْدُ
يَهَاءُ ثُبْنَى وَثُقَامُ	وَهَلِ الْحِيطَانُ بِالْأَحْدُ
كُكْهَفٍ ، إِذْ مَلُّوا فَنَامُوا ؟	فِكْرَةً مِنْ وَخِي أَهْلِ الْـ

* * *

وَهِيَامُ ، وَغَرَامُ	يَا «سَوَاسِبُولُ» سَلَامُ
بَلِكُ مَا عَنَى حَمَامُ	وَتَسَايِيحُ تَعَنَّيَ
بُ مِنْ الشُّرِّ قَتَامُ	يَا سَوَاسِبُولُ : سَيَنْجَا
سَالٌ عَلَى الْبَذْلِ نِيَامُ	وَسَتَسْتَيْقِظُ أَجِيَامُ
كِ الْجَاهِيَةِ عَرَامُ	وَسَيَنْجَرُّ عَلَى شَوِ

* * *

غَنِيٌّ مَا دَوَى رَغَامُ ^(١)	يَا سَوَاسِبُولُ : مَصِيرُ الْـ
تَنْقَعِ الْعُهِرِ كَهَامُ ^(٢)	وَحْدِي صُبُّ فِي مُسَدِّ
لَا يَنْزِلُ مَجْدُكَ ذَامُ	يَا سَوَاسِبُولُ : سَلَامُ

(١) الرغام : التراب .

(٢) الكهام : الذي لا يغني ولا ينفع ، ومنه السيف الكهام أي الكليل الذي لا يقطع .

أُمِّ تَجْدُ ونلعب

● نشرت في جريدة «الرأي العام» ، العدد ١٠٠١ في ٦ أيار ١٩٤٤

أُمِّ تَجْدُ ونلعبُ ويُعَذِّبُونَ ونُطْرِبُ
المشرق الواعي يَخُطُّ مَصِيرُهُ والمَغْرِبُ
فَهُنَا دَمٌ يَتَعَهَّدُ الجِيلَ الجَدِيدَ فَـيُسْكِبُ
وهنا كِفَاحٌ - في سِيْلٍ تحرِّرٍ - وتَوَثُّبُ
وهنا جماهيرٌ يَحُبُّ بها زعيمٌ أغْلَبُ

* * *

ونعيشُ نحنُ كما يعيشُ على الضفافِ الطُّحْلُبُ
مُتَطَفِّلِينَ على الوجودِ نَعُومُ فِيهِ وَنَرْسُبُ
ندعو إلى المستعمرينَ لسوطِهِم تَتَحَبَّبُ
نَهْوِي تَقَرِّبَهُم وفيهِ حَتْفُنَا يَتَقَرَّبُ
متخاذلينَ كما يشاءُ تَعَبْنَتْ وتَعْصَبُ

إِنَّ الْعَمَلُ—رَاقَ بِمَا نُحَسِّدُ ضِدَّهُ وَنُؤَلِّبُ—وَلَبَّ
بَيْتَ عَلَى يَدِ أَهْلِهِ مِمَّا جَاءُوا يَتَخَرَّبُ—وَرُبَّ

• • •

إِنَّ الْحَيَاةَ طَرِيقُهُـَا وَعَسْرٌ بَعِيدٌ مُّجِيدٌ
عَرَقَ الْجَيْنَ عَلَى الدَّمِـَاءِ فُورِقُهُـَا يَتَصَبَّبُ
وَمِنَ الْجَمَاجِمِ مَا يَعِيقُ الْوَاهِنِينَ وَهُـَزْهَبَ
يَمْشِي عَلَيْهَا الْإِبْنُ يُنْسِي جَزُ مَا تَرَسَّمَهُ الْأَبُ

• • •

قُلْ لِلشَّيْبَابِ تَحَفُّزُوا وَتَقِظُوا وَتَأَلَّبُوا
وَتَأْهَبُوا لِلطَّارِئَاتِ فَإِنَّهُمْ لَا تَتَأْهَبُ
سَيِّجًا مَا سَيِّطُورٌ إَعْجَابٌ بِهِ تَعَجَّبُ
سَيِّزُورٌ مَا كُنَّا نَقْشُورٌ مُشْرِقٌ وَمُغْرِبٌ
سَتَكُونُ رَابِطَةُ الشُّعُوبِ مِبْغِضٌ وَمُحَبَّبٌ

✿ ✿ ✿

سَيِّرُوا وَلَا تَسْتَوْحِشُوا .
لَا تَظْمَأُوا إِن الْحَيَاةَ
سَيِّرُوا خِفَافاً ، نَفْسُكُمْ
لَا تُثْقِلُوهَا بِالْعَمَلِ وَبِصِرٍ
وَلَلْمُسَا أَفْقاً تَلْبُدُ
وَرُدُّوا وَلَا تَتَّهَيُّوا
مَعِينَهُ لَا يَنْضُبُ
وَصَفَاؤُهُ ، وَالْمَذْهَبُ
وَبِالْغَرِيبِ فَتَعَبُوا
غَيْمُهُ ، وَتَرْقُبُوا

لَا تَجْمُؤْا إِنْ الطَّبِيعَةَ حُرَّةً تَقْلُبُ
 كُونُوا كَرَقٍ بِمَدْرَجَةِ الْحَصَى يَتَسَرَّبُ
 تَأْتِي الصَّخُورُ طَرِيقَهُ فَيَجُوزُهَا وَيَذْهَبُ
 وَتُحْدُوا وَجْهَ السَّانِحَاتِ مِنَ الظُّرُوفِ فَقَلْبُوا
 فَإِذَا آسَتْ وَتُفْتَحَ مَا وَإِذَا أَلْتِ وَتُفْتَحَ مَا
 وَإِذَا وَجَدْتُمْ جَذْوَةً فَضَعُوا الْفَتِيلَ وَالْهَبْ
 مُدُّوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى هَذَا الْخَلِيطِ فَشَذَّبُوا
 وَتَنَاوَلُوا جَمْرَاتِكُمْ أَنْأَ وَأَنَا فَاحْصِيُوا^(١)
 لَا تَحْدَرُوا أَنْ تُغْضِبُوا مَنْ سَرَّهُ أَنْ تُغْضِبُوا
 كُونُوا كَعَاصِفَةٍ تُطَوِّحُ بِالرَّمَالِ وَتَلْسَعُ
 وَتَطْلُبُوا بِالْحَتِيفِ مَنْ لِحُتُوفِكُمْ يَطْلُبُ
 لَا يُؤَسِّنْكُمْ مُقِلُّ عَدِيدِكُمْ أَنْ تَغْلِبُوا
 إِنْ لَمْ يَكُنْ سَبَبٌ يُمْدُ خَطَاكُمْ فَتَسِيُوا
 لَا تَنْفَرُوا إِنْ الْحَيَاةَ إِلَيْكُمْ تَنْقَرُّ
 لَكُمْ الْغَدُ الدَّانِي الْقُطُوفِ وَصَفْوَةُ الْمُسْتَعْدَبِ
 إِنْ النَّضَالُ مَهْمَةٌ يَعِيَا بِهَا الْمُتَرْهَّبُ
 أَنْ الْحَيَاةَ سَرِيعَةٌ وَجَرِيحَةٌ لَا تُغْلِبُ
 تَرْمِي بِأَثْقَالِ السَّنِينَ وَرَاءَهَا وَتُعَقِّبُ
 وَتَدُوسُ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ لِحَاقِهَا وَتَوْدُّ

(٢) الجمرات : الحصى . حصب : ضرب بالحصباء .

بنت بيروت

- نظمت صيف عام ١٩٤٢ عندما كان الشاعر مصطفى في ربوع لبنان ..
- نشرت في جريدة «الرأي العام» العدد ٦٥٥ في ١٤ تشرين الأول ١٩٤٢ ، تنصدها عبارة : «مهداة إلى الأستاذ الجليل عمر فاخوري ذكرى تلك الساعات على «الأبيض المتوسط» .

يا عَذْبَةَ الرُّوحِ يا فَتَاةَ الجَسَدِ	يا بِنْتَ «بِירוَت» يا أنشودةَ البَلَدِ
يا غِيمَةَ الشَّعْرِ مُلْتَأِثاً على قَمَرٍ	يا بَسْمَةَ الثَّغْرِ مَفْتَرّاً عن النَضْدِ ^(١)
يا رَوْعَةَ البَحْرِ في العَيْنينِ صَافِيَةً	يا نَشْوَةَ الجَبَلِ المَلْتَفِّ في العَضْدِ
يا قَطْرَةً من نِطَافِ الفَجْرِ سَاقِطَها	من «أرز» لِبْنانَ خَفَّاقِ الظلالِ نَدِي ^(٢)
يا نَبْتَ اللَّهِ في عَليّا مَظَاهِرِهِ	أَمِنْتُ بِاللَّهِ لَمْ يُؤَلَدْ وَلَمْ يَلِدْ
يا تَلْعَةً الجَيِّدِ نَصَّتْهُ فَمَا وَقَعَتْ	عَيْنٌ على مِثْلِهِ يَزْدانُ بِالجَيِّدِ ^(٣)
يُطِلُّ مِنْها بوجهِ أَيِّ مُحْتَمَلٍ	وَيَسْتَرِيحُ بِصَدْرِ أَيِّ مَقْتَعَدٍ

(١) النضد : ما تنضد وتراصف .

(٢) النطاف : جمع نطفة وهي الماء الصافي .

(٣) تلعة الجيد : وتلعه انتصابه وارتفاعه . والجيد بفتح الجيم والياء : الحسن في الجيد .

لَفْظُ فَيَقْدِفُهُ الشِّدْقَانِ كَالزَّيْدِ
وَفَيْضُ حُسْنِكَ أَنْ يَعْبَا بِرِيَّ صَدِي
عَلَى جَمَالِكَ أَنْ تُطَوِّى عَلَى السُّهْدِ
عَلَى الْهَوَى ، وَبِذِي الْآخَرَى عَلَى كَيْدِي
فَلَيْتَ أَنِّي لَمْ أَظْمَأْ وَلَمْ أُرِدْ
مِنْ وَجْتِي أَهَذَا وَجْهٌ مُبْتَرِدٌ

يَا جَوْهَرَ اللَّطْفِ يَا مَعْنَى يَضِيقُ بِهِ
أَعِيدْ وَجْهَكَ أَنْ أَشْقَى بِرَقَّتِهِ
وَلَا يَلِيقُ بِأَجْفَانٍ أَنْشَرَهَا
يَدٌ مَسَحَتْ بِهَا عَيْنِي لِأَغْمِضَهَا
وَرَدْتُ عَنْ ظَمَأٍ مَاءً غَصِصَتْ بِهِ
قَالَ الرَّفَاقُ وَنَارُ الْحُبِّ آكَلَتْهُ

* * *

أَأَنْتِ أَمْ لَوَعْتَنِي يَا لَيْلَةَ الْأَحَدِ
قَلْبِي بِزَفْرَةٍ قَنَاصِرٍ وَلَمْ يَصِدْ
وَعَدًا ، وَأَيْنَ الَّتِي وَفَّتْ وَلَمْ تَعِدْ ؟

لَمْ أَدْرِ أَذْكَرُ «بِيرُوتَا» بِأَيْكُمَا
عَجَّ الرِّصِيفُ بِأَسْرَابِ الْمَهَا وَهَفَا
فَمِنْ مُوَافِيَةٍ وَعَدًا ، وَرَاقِبَةٍ

* * *

أَشْهَى وَأَعْنَفُ مَا يُعْطَى لِمُنْتَهَدٍ^(١)
جَمُّ النَّدَى سَرَفٌ فِي زَيِّ مُقْتَصِدٍ
فَقَالَ نَهْدَاكَ : لَمْ يَشْغَلْهُ مِنْ أَحَدٍ
رَهْنَ الْغِلَالَةِ لِشِفَاقٍ مِنَ الْحَسَدِ

فَوَيْقَ صَدْرِكَ مِنْ رَفَقِ الشَّبَابِ بِهِ
كَنْزَانِ مِنْ مُتَمَعِ الدُّنْيَا يُقْلَهُمَا
قَالُوا تَشَاغَلَ عَنْ أَهْلِهِ وَعَنْ وَلَدِهِ
سَوَى رَضِيعِي لَبَانٍ تَوَلَّمَ حُبْسَا

* * *

وَمَا تَخْلُفُ مِنْ أَسَارِهِ بِإِيْدِي^(٢)

رَاجَعْتُ نَفْسِي بِمَا أَبْقَى الشَّبَابُ لَهَا

(١) المنتهد : المرأة الناهد .

(٢) الأسار : جمع سؤر وهو البقية في الاناء .

فَمَا أَمْرٌ وَأَقْسَى مَا خَرَجْتُ بِهِ لَوْلَا بَقِيَّةُ قَلْبٍ فِيَّ مُتَّقِدٌ
أَمْسَى مَضَى بُلْبَانَاتِ الْهَوَى وَأَتَى يَوْمِي يُمَهِّدُ بَادِي بَدْعٍ لِعَدِي

ستالينغراد

- نظمت عام ١٩٤٣ نحية للشعوب السوفياتية لدفاعها المجيد عن مدينة «ستالينغراد» وكسر شوكة الجيوش النازية الغازية .
- نشرت في جريدة «الرأي العام» ، العدد ٧٠١ في ٢١ شباط ١٩٤٣

نضت الروح وهزتها لواء وكسّته واكتست منه الدماء
واستمدت من إله الحقّ والبيت والمصنّع عزّما ومضاء
رمت الزرع بعين أثلج الدمع فيها ضرّم الحقد اجتواء
أعجلت عنه قالت قسماً أن ستسقيه دم الأعداء ماء
ومشت في زحمة الموت على قدّم لم تخش ميلاً والتواء
أقسمت باسم عظيم كُرمت باسمه أن لا تُهين العظماء

* * *

يا «ستالين» وما أعظمها في التهجي أحرفاً تأتي الهجاء
أحرف يستطر الكون بها إنعتاقاً وازدهاراً ، وإخاء

خَالَقُ الْأُمَّةِ لَمْ يَمْتَنَنْ وَلَمْ
وَزَعِيْمٌ شَعَّ فِيمَنْ حَوْلَهُ
زَرَّ بُرْدِيْمٌ عَلَى ذِي مِرَّةٍ
مَسَّهُ الظُّلْمُ فَعَادَى أَهْلَهُ
وَانْبَرَى كَالْغِيْمِ فِي مُضْجِيَّةٍ

يَنْغِرُ - لَوْلَا أَرْجُ الزَّهْر - ثَنَاءٌ
قَبَسَ مِنْهُ فَكَانُوا الزَّعْمَاءُ
فَاضَ إِشْفَاقاً ، وَبِأَسَا ، وَعِنَاءٌ^(١)
وَامْتَرَى الْبُؤْسَ فَحَبَّ الْبُؤْسَاءُ
فَسَقَى دَهْرًا ، وَأَحْيَا ، وَأَفَاءَ

* * *

بُورِكَ الْبَانِي وَعَاشَتْ أُمَّةٌ
قِيلَ لِلْعَيْشِ فَفَاضَتْ أُمْنَاءُ
وَمَشَى التَّارِيخُ موزُونُ الْخُطَى
هَذِهِ التَّرْبَةُ لَا مَا سُمِّيتِ
وَهِيَ ذِي الْحُفْرَةِ إِذَا طَارَتْ عَجَاجًا
وَهُوَ ذَا الْعِرْضِ فَهَلْ تَبْغِي وَقَاةً

وَقَتِ الْبَانِي حُقُوقًا وَابْنَاءُ
وَالِ الْمَوْتِ فَفَاضَتْ شَهْدَاءُ
مَا انْخَسَى ذُلًّا وَلَا ضَجَّ ادَّعَاءُ
وَطَنًا يُنْبِتُ جَوْعًا وَعِرَاءُ
أَلْفُ نَفْسٍ مَعَهَا طَارَتْ فِدَاءُ
مِثْلَهُمْ ، أَوْ مِثْلُ ذَا تَبْغِي وَقَاءُ

* * *

يَا عَرُوسَ «الْفَلْعِ» وَالْفَلْعَا دَمٌ
صُبَّعَ «الدُّونُ» دَمَاءَيْنِ هُمَا
وَجَرَتْ أَمْوَاجُهُ حَامِلَةً
وَعَلَى الْجُرْفَيْنِ «عَظْمَانِ» هَا
يَا ابْنَةَ النُّهْرَيْنِ دُومِي شَبَحًا
لِلْمُهْنَيْنِ عِقَابًا وَجَزَاءَ

سَاءَتْ الْبَلَوَى فَأَحْسَنْتِ الْبَلَاءُ
بُعْدُ بَيْنِ الرَّجْسِ وَالطَّهْرِ التَّقَاءُ
فَوْقَهَا الضَّدَّيْنِ صُبْحًا وَمَسَاءُ
رَمَزُ عَهْدَيْنِ انْخِطَاطًا وَارْتِقَاءُ
لِقَاوِيٍّ وَضَعِيفٍ يُتْرَاوِي
وَالْمُهَانَيْنِ انْتِفَاضًا وَإِبَاءُ

(١) المِرَّة : الْقُوَّة .

صَعَقَ الْحَرْبِ اتِقَاداً وَانطفَاء
يُمَهِّرُ الْفَتْحُ بِهِ ثُمَّ انْتِهَاء
ظَمًا لِلدَّمِ مِنْهُ ارْتِواء
أَوْشَكَ الْيَأْسُ بِهَا يَمْحُو الرِّجَاء
وَأَمَّالَتْ كُلَّ كَلِّ الشَّرْقِ فَنَاءً^(١)

حَسِبُوا أَمْرَكَ مَا قَدْ عُوذُوا
وَابْتِدَاءً مِنْ حَدِيدٍ وَدَمٍ
وَاسْتَجَاشُوا فِيلَقَ الْمَوْتِ عَلَى
وَمَضُوا فِيمَا أَرَادُوا خَطْوَةً
أَوْجَفَ الْغَرْبِ عَلَى وَطَائِهَا

* * *

تَنْضَرِي فَتَدُوسُ الْكِبْرِيَاءَ
تُفَعِّمُ الْمَكْرُوبَ كَالرَّوْضِ شِدَاءَ
لَمَحُ النُّجُومِ تَعَالَى فَأُضَاءَ
يَمْلَأُ الدُّنْيَا نَحِيئاً وَبِكَاءَ
طَافِحاً بِالْكِبَرِ ذُلًّا وَاخْتِدَاءَ
وَمَلَأَتْ الصَّلَفَ الْحَضَّ اِزْدِرَاءَ
صَفْعَةً لَمْ تَبْقَ خُنْراً وَانْتِشَاءَ
لِرَفْعِنَاكِ عَلَى الْأَرْضِ سَمَاءَ
كُلُّ قَلْبٍ - تَمْلَأُكَ اجْتِلَاءَ

فَإِذَا الْعِزَّةُ فِي عَلَيَائِهَا
وَإِذَا الْانْقِصَاضُ فِي كُرْبَتِهَا
وَإِذَا الْمُنْقَاضُ مِنْ أَحْجَارِهَا
وَإِذَا الطَّاغُوتُ فِي أَعْرَاسِهِ
أَنْتِ أَمْلَسِي عَلَى تَارِيخِهِ
وَمَحُوتِ الْعُجْبِ مِنْ أَسْطَارِهِ
وَصَفَعَتِ الدُّنْيَا فِي يَافُوقِهِ
نَحْنُ أَهْلُ الْأَرْضِ لَوْ نَقُوى وَفَاءَ
لَجَعَلْنَا كُلَّ عَيْنٍ - مِثْلَمَا

* * *

وَرَأَوْا فِي الْحَرْبِ لِلدِّينِ اقْتِضَاءَ
مِنْ يَدِ الْمَوْتِ - جُنُوداً فَقْرَاءَ
خَبَرُونَا أَنَّ لِلْحَرْبِ نِسَاءَ

وَرَأَوْا فِي السَّلَامِ دِيناً يُقْتَضَى
أَتَرْجَى - أَنْ تَنْجِي وَطَنَا
إِنَّ لِلْحَرْبِ رَجَالاً لِيَتَهُمَ

(١) وجف : اضطرب .

وغيرَ وراثٍ أُنَى تاريخُها
 زانها الطهرُ رُواءَ وارثتِ
 ذاتِ الأمِّ عن البيتِ وقاء
 وتعزَّت حينَ أخلت طُففا
 «أم غوركى» ليت عندي وحيه
 لو يعود اليومَ حيّاً لرأى
 بل ولولا أن غوركى أمه

أن تُرى دون الغيورين غناء
 في مُشارِ النقعِ فازدادت رُواء
 وارثى الطفلُ على الأمِّ افتداء
 لم تُصنّه ، أنّها صانت فناء^(١)
 لأوفي (بنثك) اليومَ الشاء
 مثلها ألفاً تهزّ البلغاء
 مثل هذي لم يُزرّ النبغاء

* * *

يا «تولستوي» ولم تذهب سُدَى
 يا ثريّاً وهبَ الناسَ الثراء
 قُمْ تَجِدْهُمْ مَالِكِي غَلَّتْهُمْ
 هكذا (الفكرة) تزكو ثَمراً
 يا أبنة «النهرين» هذا نَسَبُ
 بُعدِ المرمى بما استهدفته
 وارثى الجِسُّ على الجِسِّ فما
 ومن الظلمِ — الذي تأيَّنه —
 عاطفاتِ حُومٍ عاجت على
 وهي ما كانت لتُبدلي سبيّاً
 لم تُبْرِها نزوة النفسِ ولم
 جُلُّ ما يُسِفُنِي الشعرُ به

ثورةُ الفكرِ ولا طارت هَباء
 قُمْ تَرِ الناسَ جميعاً أثرياء
 من على عهدِكَ كانوا الأجراء
 إن زكّت غريباً ، وإن طابت ثَماء
 من ولّاءٍ لو تقبَّلت الولاء
 واختذى السهمُ فقصرتُ عياء
 يستطيعُ اللفظُ للوعى أداء
 أن تسومي المعجزاتِ الشعراء^(٢)
 أبُحِرِ الشعرِ فردَّتْها ظمَاء
 لك ، لولا أنّها كانت براء
 يزهاها العُجبُ ولم تنبِضْ رياء
 أن يلبّي «الفم» للقلبِ نداء

(١) الطنف : افریز الحائط أو ما أشرف من البناء خارجاً .

(٢) المعجزات : ما يعجز .

الى الرصافي

- نشرت في جريدة «الرأي العام» العدد ١٠٠٨ في ١٥ أيار ١٩٤٤ ، وقدمها الشاعر :
« في عزلة — لولا عرائس عبقر التي تخوم حوها — لقلنا انها موحشة يقضي صاحب
«الاعالم شعر» و «الدستور» و «السجن في بغداد» و «الفقر والسقام» و «البنفسور» ما
تبقى من عمره ، وهو يدلف الى الثمانين موقرة بأثقال الاحساسات المرهفة .. ولواعج
الخطاير المتراكمة .. وذكريات الأدوار العنيفة .. في عزلة كهذه يقضي أيامه المتبقية الشاعر
الذي غنى الاقطار العربية في أعراسها وناح عليها في مآتمها .. ورافقها في أيام محتها
ورخائها .. وبؤسها ونعيمها .. والذي صدح بحرية «الرأي» و قدسية «العقيدة» .. اذ لا
سائل عنهما ، ولا متحدث بهما ، في غمرة «النسيان» و «التجاهل» و «العقوق» يقضي
الرصافي ساعاته وأيامه ، في البلد الذي ناغاه وناجاه وأنار في جنباته شعاباً كثيرة
مظلمة .. فهل أقل من أن «نؤنس» في وحشته هذه بأن نذكره فحسب .. ولكن «قبل
أن يموت» ؟ .. هذا هو كل ما نعتز به في تذكرنا اياه بهذه القطعة التي هي في طريقها الى
القصيدة الكاملة ! » .

وقد أجاب عنها الرصافي بقصيدة مطلعها :

بك اليوم لا بي أصبح الشعر زاهرا وقد كنت قبل اليوم مثلك شاعرا

وَفَكَّرْتُ «بِالْأُخْرَى» فَكُنْتُ الْمُجَاهِرَا
 بِهِ كُنْتُ ، بَلْ لَوْلَاهُ ، مَا كُنْتُ شَاعِرَا
 عَنِ الذَّهْنِ مَشْبُوبَا ، عَنِ الْفِكْرِ حَائِرَا
 عَنِ الْقَلْبِ مَرْتَجَّ الْعَوَاطِفِ زَاخِرَا
 وَقَحْمُهُ «النَّهْجِينَ» قَصْدَا ، وَجَائِرَا
 «أَوَائِلَهُ» أَنْ تَلْتَقِيَ وَالْأَوَاخِرَا

تَمَرَّسْتُ «بِالْأُولَى» فَكُنْتُ الْمُغَامِرَا
 وَفَضَّلْتُ عَيْشاً بَيْنَ تِلْكَ وَهَـذِهِ
 وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا مَا تَفْتَقُّ نَوْرُهُ
 عَنِ النَّفْسِ جَاشَتْ فَاسْتَجَاشَتْ بِفَيْضِهَا
 وَمَا زَجَّ فِي شَتَّى الْمَهَاوِي بَرُّهُ
 وَمَا هُوَ بِالْحَبْلِ الَّذِي رُحِتَ مُرْغَمَا

* * *

مِنَ الْفِكْرِ أَنْ تَدْعُو إِلَيْكَ الْمَخَاطِرَا
 عَلَى مِثْلِهِ — إِلَّا الْقَلِيلَ — مُنَاصِرَا
 وَكَانَ — وَمَا زَالَ — الْمُصَارِحُ نَادِرَا
 تُرَاوِدُ بِالصَّمْتِ الْمُرِيبِ الْمَنََاكِرَا
 وَتَلْتَمِسُ مِنْ «بَغْلٍ هَجِينٍ» حَوََاكِرَا
 وَقَدْ أَشْغَرْتُ — لِلْفَاحِشَاتِ — الضَّمَائِرَا^(١)
 وَقَدْ فَغَرْتُ أَشْدَاقَهَا وَالْمَنَاخِرَا
 وَتُلْقِي عَلَيْهَا مِنْ إِبَاءٍ مَظَاهِرَا
 عَلَى مَخْدَعِ الْعُهِرِ الْحَرِيرِ سَتَائِرَا
 دَنِئَا ، خَبِيثَا ، وَالْغَا ، مَتَصَاغِرَا
 ضَرُورَةُ حَالٍ بِذَلَّتْ مِنْهُ خَاطِرَا
 أَهْزُ بِكَ الْجَيْلَ الْعَقُوقَ الْمُعَاَصِرَا
 نَوَابِغُهُ ، حَتَّى تَزُورَ الْمَقَابِرَا

وَكُنْتُ جَرِيئَا حِينَ يَدْعُوكَ خَاطِرَا
 عَلَى ثِقَةٍ أَنْ لَسْتُ فِي النَّاسِ وَاجِدَا
 وَكُنْتُ صَرِيحَا فِي حَيَاتِكَ كُلِّهَا
 وَإِنَّكَ أَنْقَى مِنْ نُفُوسٍ خَبِيثَةٍ
 تَعِيبُ عَلَى الشَّعْرِ التَّحَايَا رَقِيقَةً
 تُرِيدُ الْقَوَافِي الْمُؤَنَسَاتِ عَفِيفَةً
 وَتُنْكِرُ أَنْ يُسْتَنْشَقَ الشَّعْرُ «نَفْخَةً»
 وَتَطْوِي عَلَى «أُمِّ الدَّنَايَا» مَبَاطِنَا
 كَمَا أَسْدَلْتُ لَيْلَا «هَلُوكَ» مُلْحَةً
 مِنَ الْعَارِ أَنْ نَرْضَى التَّذَبُّذَبَ صَامِتَا
 عَلَى حِينِ نَأْيٍ أَنْ تَحْرَكَ شَاعِرَا
 وَإِنِّي إِذْ أَهْدِي إِلَيْكَ تَحِيَّتِي
 أَهْزُ بِكَ الْجَيْلَ الَّذِي لَا تَهْزُهُ

(١) أَشْغَرْتُ : أَخْلَت .

أبو العلاء المعري

- أُلقيت في مهرجان ذكرى أبي العلاء المعري ، الذي أقامه المجمع العلمي العربي بدمشق ، وكان الشاعر ممثلاً للعراق .
- نشرت في جريدة «الرأي العام» العدد ١١٢١ في ٥ تشرين الأول ١٩٤٤

قِفْ بِالْمَعْرَةِ وَأَمْسَحْ خَذَّهَا التُّرْبَا وَأَسْتَوْحِ مَنْ طَوَّقَ الدُّنْيَا بِمَا وَهَبَا^(١)
وَأَسْتَوْحِ مَنْ طَبَّبَ الدُّنْيَا بِحُكْمَتِهِ وَمَنْ عَلَى جُرْحِهَا مِنْ رُوحِهِ سَكَبَا
وَسَائِلِ الحُفْرَةِ المرموقِ جَانِبُهَا هَلْ تَبْتَغِي مَطْمَعاً أَوْ تَرْجِي طَلَبَا
يَا بُرْجَ مَفْخَرَةِ الأَجْدَاثِ لَا تِهْنِي أَنْ لَمْ تُكُونِي لِأَبْرَاجِ السَّمَاءِ قُطْبَا
وَهَلْ تَصَحَّحْ فِي عُقْبَاكَ مُقْتَرَحُ مِمَّا تَفَكَّرْتَ ، أَوْ حَدَّثْتَ ، أَوْ كُتِبَا^(٢)
نُورَ لَنَا ، إِنَّنَا فِي أَيِّ مُدْلَجٍ مِمَّا تَشْكُكْتَ ، إِنْ صِدَقْنَا وَإِنْ كَذَبَا^(٣)

(١) التُّرْب (بكسر الراء) : الذي يكسوه التراب .

(٢) تَفَكَّرْتَ : بمعنى فكرت .

(٣) المُدْلَج : السائر في آخر الليل خاصة .

«أبا العلاء» ، وحتى اليوم ما برحت
يستنزل الفكر من عليا منازلِهِ
صَنَاجَةُ الشَّعْرِ تُهْدِي المترفَّ الطَّرباً^(١)
رأسٌ يمسح من ذي نعمة ذنباً

* * *

على الحَصِيرِ .. وكوزُ الماء يرفدُهُ
أقامَ بالضَّجَّةِ الدُّنْيَا وأقعدَها
بَكَى لأوجاعِ ماضيها وحاضِرِها
وللكآبةِ ألوانٌ ، وأفجُمُها
لِثُورَةِ الفكرِ تأريخٌ يحدِّثُنا
إنَّ الذي أَلْهَبَ الأفلاكَ مِقْوَلُهُ
حَنَا على كُلِّ مغصوبٍ فضمَّده
سَلِّ المقاديرَ ، هل لا زَلَّتْ سادِرُهُ
«زنجيةُ الليلِ» تروي كيف قلَّدها
لعلَّ بينَ العَمَى في ليلٍ غُرْبَتِهِ
و «ساهرُ البرقِ» والسَّمَارُ يُوقِظُهُم

وذهنه .. ورفوفُ تحمِلُ الكتبَ
شيخٌ أطلَّ عليها مُشفقاً حَدِبا
وشامٌ مُستَقْبِلاً منها ومرتَقِبا
أنَّ تُبَصِّرَ الفيلسوفَ الحرَّ مكتِيبا
بأنَّ أَلْفَ مَسِيحٍ دونَها صُلِبا
والدَّهرَ .. لا رَغَباً يَرجو ولا رَهْبا ..
وشجَّ مَنْ كان ، أَيْباً كان ، مُغتصِبا
أَمْ أنتِ خجلى لِمَا أَرهقتهِ نَصْبا ؟
في غُرْسِها غُرَّرَ الأشعار .. لا الشُّهْبَا^(٢)
وبينَ فحمتِها من أُلْفَةٍ نَسْبا
بالجزعِ يَخفِقُ من ذِكْراه مُضطرباً^(٣)

(١) الصنح : من آلات الطرب وصناعات الشعر المغنون به والمرقون اياه .

(٢) البيت اشارة الى بيت أبي العلاء المشهور :

ليتني هذه عروس من «الزنج»
عليها قلائد من جمان

(٣) اشارة الى مطلع قصيدته الرائية المشهورة أيضا :

يا «ساهر البرق» أيقظ راقد السمر
لعل بالجزع أعواناً على السهر

و « الفجر » لو لم يُلذَّ بالصبح يشربه
من المطايا ظمَاء شُرْعاً شرباً^(١)
والصبحُ ما زال مُصَفِّراً لمقرَنه
في الحُسْن بالليل يُزجي نحوه العتبا^(٢)

* * *

يا عارياً من نتاجِ الحُبِّ تَكْرِمَةً
نعوا عليك — وأنت النور — فلسفة
وحملوك — وأنت النارُ لاهبة —
لا موجة الصِّدرِ بالنهدين تدفعه
ولا تُدغِغُ منه لَذَّة حُلماً
حاشاك ، إِنَّكَ أذكى في الهوى نفساً
لا أكذبَنَّ إِنَّ الحُبَّ مَتَّهَمٌ
كم شَيَّعَ الأدبُ المفجوعُ مُحْتَضِراً
صرعى نَشَاوى بَأَنَّ الحَوْدَ لُعبَتَهُم

وناسجاً عَفَّةً أبردَهُ القُتْبَا
سوداء لا لَذَّة تبغي ولا طَرِبَا
وزر الذي لا يُحسُّ الحُبَّ ملتَهِبَا
ولا يَشْقُ طريقاً في الهوى سَرِبَا
بل لا يُطِيقُ حديثَ اللَذَّة العذبا
سَمْحاً ، وأسلسُ منهم جانباً رطباً
بالجور يأخذ مِنَّا فوقَ ما وَهَبَا
لدى العيونِ وعندَ الصدرِ مُحْتَسِبَا^(٣)
حتى إذا آسَتَقِظُوا كانوا هُمُ اللُّعْبَا

* * *

عائى لَطَى الحُبِّ « بَشَّارٌ » وَعُصْبَتُهُ
فهبل سوى أَنَّهُم كانوا له حَطَبَا

(١) إشارة الى بيته وهو أجمل وأرق ما سمع في وصف تبلج الصباح :

يكاد الفجر تشربه المطايا وتلأ منه أوعية شنان

(٢) إشارة الى بيت له من قصيدته التي مر ذكر البيت السابق منها وهو :

رب ليل كأنه « الصبح » في الحسن وان كان أسود الطيلسان

والبيتان من قصيدته الشهيرة التي يقول في مطلعها :

« عللاني فان بيض الأماني فني والزمان ليس بفان »

(٣) المختصر : من أدركه الموت فأشرف عليه . والمحتسب : المفقود بالموت ويقال ذلك للكبير . فإن كان

المفقود صغيراً قيل فيه « مفترط » بفتح الراء .

وهل سوى أنهم راحوا وقد نذروا
هل كنت تخلص إذ ذابوا وإذ غبروا
تأبى آنحلاً رسالات مقدسة
للحب ما لم يجب منهم وما وجبا
لو لم ترض من جماع النفس ما صعبا
جاءت تقوم هذا العالم الخربا

* * *

يا حاقراً النبع مزهواً بقوته
وشاجب الموت من هذا بأسهمه
ومحرج الموسير الطاغى بنعمته
والتأج إذ تتحدى رأس حامله
وناصراً في مجالي ضعفه العرياً^(١)
ومستيناً لهذا ظلله الرجبا
أن يشرك المفسير الخاوي بما نهبا
بأي حق وإجماع به اعتصبا

* * *

أجلتُ فيك من الميزات خالدة
مجموعة قد وجدناهن مفردة
فرب ثاقب رأي حط فكره
وأثقلت متع الدنيا قوادمه
خربة الفكر والحرمات والغضبا
لدى سواك فما أغنينا أربا
غنم فسف .. وغطى نورها فخبيا
فما آرتقى صعداً حتى أدنى صيبا

* * *

آمنت بالله والنور الذي رسمت
وصنت كل دعاة الحق عن زيف
به الشرائع غراً منهجاً لرجبا
والمصلحين الهداة ، المعجم والعربا

(١) النبع : شجر يعرف بقوته وتتخذ من السهام والقسي . والغرب : شجر معروف بسهولة انكساره
ومعنى البيت الاشارة الى شجب المعري القوة بكل مظاهرها ، واحتضانه الضعفاء من كل جنس

وقد حَمِدْتُ شَفِيعاً لِي عَلَى رَشْدِي أُمَّا وَجَدْتُ عَلَى الْإِسْلَامِ لِي وَأَبَا
لَكِنْ بِي جَنَفًا عَنْ وَعِي فَلَسْفَةٍ تَقْضِي بَأَنَّ الْبِرَايَا صُنُفَتْ رُبِّيَا^(١)
وَأَنَّ مِنْ حِكْمَةٍ أَنْ يَجْتَنِيَ الرُّطْبَا فَرَدَّ بِجَهْدِ أَلُوفٍ تَعْلُكَ الْكَرْبَا^(٢)

(١) الجنف : الميل والانحراف .

(٢) الكرب : أصول يسعف النخل .

جمال الدين الأفغاني

- أُلقيت في حفل الاحتفاء بمرور وفات جمال الدين الأفغاني من العراق في طريقه الى أفغانستان ، الذي أقيم في الحضرة الكيلانية صباح يوم ١٤ كانون الأول ١٩٤٤
- نشرت في العدد الخاص الذي أصدره الشاعر من جريدته «الرأي العام» عن جمال الدين الأفغاني .. العدد ١١٧٥ في ١٦ كانون الأول ١٩٤٤

هَوَيْتْ لِنُصْرَةِ الْحَقِّ السُّهْـلَا
وَلَوْلَا الْمَوْتُ لَمْ تَتْرُكْ جِهَادَا
وَلَوْلَا الْمَوْتُ لَمْ تُفْرِخْ فُرَادَى
وَلَوْلَا الْمَوْتُ لَمْ يَذْهَبْ حَرِيقُ
وَإِنْ كَانَ الْحَدَادُ يُرْدُّ مَيْتَا
فَإِنَّ «الشَّرْقَ» بَيْنَ غَيْدٍ وَأَمْسِرِ
فَلَوْ لَا الْمَوْتُ لَمْ تُطْقِ الرُّقَادَا
فَلَنْتَ بِهِ الطُّغْيَانَ وَلَا جِلَادَا
صَعَقْتَهُمْ ، وَلَمْ تُحْزِنْ سَوَادَا
بِيَانَعَةٍ وَقَدْ بَلَغَتْ حَصَادَا
وَبُلُغُ مِنْهُ ثَاكِلَةٌ مُرَادَا
عَلَيْكَ بِذَلِكَ لَيْسَ الْجِدَادَا !

* * *

(١) فُرَادَى : يعني الخاصة . السَوَاد : يعني العامة .

جمال الدين ، يا روحاً علياً
تجشمت المهالك في عسوف
طريق الخالدين ، فمن تحامى
لأنك حاملاً ما لا يُوازي
وتختلف الدروب وسالكوها
ويختلف البناء ، ورب بانٍ
وجدت اللذة الكبرى فكانت
ولم تحتاج أن البغي جيش
ولا أن الليالي مُحرجات
وأن الأمر مرهون بوقت
معاذير بها اذرعت نفوس
تريد المجد مُرتعياً عليها

تنزل بالرسالة ثم عادا
تجشمت سواك فما استقادا^(١)
مصايرهم تحاماه وحادا
بقوته : العقيدة والفؤادا !
وغايتها ، ذنواً وابتعادا
بنى من فكرة صرحاً وشادا
طريق الفكر والهيم التلادا
وأن الزاحفين من له فرادى
وأن الدهر خصم لا يُعادي
ينادي حين يأزف لا يُنادى^(٢)
ضعاف ترهب الكرب الشدادا
جنى غضاً تلقفه ازدرادا !

* * *

جمال الدين كنت وكان شرق
وكانت جنّة في ظل سيف
وإيمان يقود الناس طوعاً
وناس لا الحضارة دنتهم
وكانت « عروة وثقى » تُرجى

وكانت شريعة تهب الجهادا
حمى الفرد الذمار به وذادا
إلى القمّرات فتوى واجتهادا
ولا طالوا مع الطمع امتدادا
لنقسيم حياً واتحادا^(٣)

(١) العسوف : الصعب الوعر . استقاد : انقاد .

(٢) يأزف : أي يحين .

(٣) « عروة وثقى » إشارة الى المجلة الشهيرة التي كان يصدرها في باريس الفقيهان « الأفغاني » و « عبده » وبناضلان بها الاستعمار البريطاني في الشرق .

جمال الدين كنت وكان عهد
 نما واشتط واشتد غراه
 مئت خمسون بعدك مرخيات
 عملة وسوقاً من فجور
 سقيت لما صمدت له العهد^(١)
 وزاد الصامدون له اشتدادا
 أعنتها ، هجاناً لا جيداً^(٢)
 وشاخة كمحصنة نهادي^(٣)

(١) العهد : المطر .

(٢) خمسون يراد بها السنون التي أعقبت موت السيد الأفغاني . ومرخيات اعنتها : كناية عن استرسالها . والهجان غير الكريمة ولا الأصيلة في أنسابها .

(٣) الوسوق : الأحمال والأنقال .

يافا الجميلة

- نشرت في جريدة «الرأي العام» العدد ١٢٢٨ في ١٦ آذار ١٩٤٥ ، وقد أُلقيت في الحفل الذي أقامه تكريماً له المجمع الثقافي في يافا والذي يمثل عدة نواد ثقافية وأدبية .

بـ « يافاً » يومَ حُطَّ بها الرِّكابُ
ولفَّ الغادةَ الحسناءَ ليلٌ
وأوسعها الرِّذاذُ السَّحُّ ثَمًّا
و « يافا » والغُيومُ تطوِّفُ فيها
وعاريَّةُ المحاسنِ مُغريَّاتٍ
كأنَّ الجوَّ بينَ الشمسِ تُرْهَى
فؤادَ عامِرٍ الإيمانِ حاجتُ
وقفتُ مُوزَّعَ النَّظَرَاتِ فيها
وموجُ البحرِ يَغْسِلُ أحمَصِيَّها

تَمَطَّرَ عارضٌ ودجا سَحَابُ
مُربُّ الخطوِ ليسَ بهِ شِهَابُ
فَفيها مِنْ تحرُّشِهِ اضْطَرَّابُ^(١)
كحَالِمَةٍ يُجَلِّلُها اكْتِسابُ
بكفِّ الغَيمِ حِيطَ لها ثِيَابُ
وبينَ الشمسِ غَطَّاهَا نِقَابُ
وساوسُهُ فحَامِرُهُ اِزْتِابُ
لِطَّرْفِي في مَعَانِيها انْثِسابُ
وبالأنواءِ تَغْتَسِلُ القِيَابُ

(١) الرذاذ : المطر الضعيف في أول نزوله . والسح مصدر أقيم مقام الصفة وهو بمعنى المنصب والمنسكب .

و «بَيَّارَتُهَا» ضَرَبَتْ نِطَاقِهَا
 فَقُلْتُ وَقَدْ أَخَذْتُ بِسِحْرِ «يَافَا»
 «فَلَسْطِينُ» وَنَعَمَ الْأُمُّ ، هَذَا
 يُخَطِّطُهَا كَمَا رُسِمَ الْكِتَابُ^(١)
 وَأَتَرَابٍ لِيَا فَا تُسْتَطَابُ
 بَنَاتُكَ كُلُّهَا خَوْذَ كَعَابِ

* * *

وَلَمَّا طَبَّقَ الْأَرْجُ الثَّنَايَا
 وَلَاخَ «اللُّدُّ» مُنْبَسِطاً عَلَيْهِ
 نَظَرْتُ بِمُقْلَةٍ غَطَّى عَلَيْهَا
 وَقُلْتُ وَمَا أُحِيرُ سِوَى عِتَابِ
 أَحَقَّأَ بَيْنَنَا اخْتَلَفْتُ حُدُودَ
 وَلَا افْتَرَقْتُ وَجُوهَ عَنْ وَجُوهِ
 وَفُتِحَ مِنْ جِنَانِ الْخُلْدِ بَابُ
 مِنَ الرَّهَرَاتِ يَانِعَةً خِضَابُ^(٢)
 مِنَ الدَّمْعِ الضَّلِيلِ بِهَا حِجَابُ
 وَلَسْتُ بِعَارِفٍ لِمَنْ الْعِتَابُ^(٣)
 وَمَا اخْتَلَفَ الطَّرِيقُ وَلَا التَّرَبُّ
 وَلَا الضَّادُ الْفَصِيحُ وَلَا الْكِتَابُ

* * *

فِيَا دَارِي إِذَا ضَاقَتْ دِيَارُ
 وَيَا مُتَسَابِقِينَ إِلَى احْتِضَانِي
 وَيَا غُرَّ السَّجَايَا لَمْ يَمْنُؤُوا
 ثَقُوا أَنَا تَوَحَّدْنَا هَوْمُ
 وَيَا صَحْبِي إِذَا قَلَّ الصِّحَابُ
 شَفِيعِي عِنْدَهُمْ أَدَبُ بُبَابُ
 بِمَا لَطَفُوا عَلَيَّ وَلَمْ يُحَابُوا
 مُشَارِكَةً وَبِجْمَعُنَا مُصَابُ

(١) «البيارات» هي مغارس البرنقال عند أهل فلسطين .

(٢) أَلْدَدُ : من ضواحي يافا ، وفيه مطارها المعروف باسمه .

(٣) لا أحيِرُ : أي لا أجد كلاماً وماضيه أحوار .

تَشِيعُ كَرِيمَةً فِي كُلِّ طَرَفٍ عِرَاقِيٌّ طَيِّفُكُمْ الْعَذَابُ
وَسَائِلَةُ دَمَاءٍ فِي كُلِّ قَلْبٍ عِرَاقِيٌّ جُرُوحُكُمْ الرِّغَابُ^(١)
فَمِنْ أَهْلِي إِلَى أَهْلِي رَجُوعٌ وَعَنْ وَطَنِي إِلَى وَطَنِي إِيَابُ

(١) الرغاب : الواسعة .

طرطرا

- نظمت عام ١٩٤٥
- نشرت ، أول مرة ، في جريدة «الرأي العام» العدد ١٤٨٤ في ٢٤ آذار ١٩٤٦ وقدمتها :

«انها من وحي الظروف خلال تطبيق مرسوم صيانة الأمن العام وسلامة الدولة رقم ٥٦ لعام ١٩٤١ على هذه الجريدة في اليوم الأول من شهر آب ١٩٤٥ التي عطلت بموجبه قرابة شهرين» .

وأضافت :

«وهي على النمط الساخر والوزن من القصيدة الدبديّة المشهورة التي قيلت في العهد العباسي ومطلعها :

اي دبدي تدبدي أنا علي «المغربي»

أني طرطــــرا تطرطــــري	تقدّمــــي ، تأخــــري
تشيّعــــي ، تسنّنــــي	تهــــودي ، تنصّرــــي
تكرّرــــدي ، تعرّرــــي	تهائــــري بالعــــنصر

تَعْمَلُ قَلِي ، تَسْدُرِي
— من قُبُلٍ أو دُبُرٍ
عامرة « كالعمري »

تَعْمَلِي ، تَبْرَنْطَلِي
كوني — اذا رُمِت الـ عَلَى
صالحية « كصالح »

* * *

أَبَا حَيْدَ الْأَثَرِ
دِ طَيْبِ الْمُنْحَدَرِ
يُغْنِيكَ أَنْ تَفْتَحِي
ه النَفْسُ شَرَّ مَفْعَلِ
هُ أَشِيرًا ذَا بَطَلِ
بَادٍ وَمِنْ مُحْتَضِرِ
دَا جُودًا وَزَوْرِي
تَعْنِي زِي نَشْمُورِي
بَدَاوَةِ تَقَهَّقِ رِي

وَأَنْتِ إِنْ لَمْ تَجْعَلِي
وَمَفْعَلًا مِنْ الْجُودِ
وَلَمْ تَرِي فِي النَّفْسِ مَا
شَأْنُ عِصَامٍ قَدْ كَفَعْتِ
فَالْتَمِسِي أَبَا سِوَا
طُوفِي عَلَى الْأَعْرَابِ مِنْ
وَالْتَمِسِي مِنْهُمْ جَدِ
تَزِي لِي تَزِي لِي
فِي زَمَنِ السَّذْرِ إِلَى

* * *

تَقْلِبِي تَقْلِبِ الدَّهْرِ بِشَتَّى الْغَيْرِ
ثِيَابَ وَلَا تَعْنِي لَذِي
بَّ جَاعٍ أَوْ خَلَقَ عَرِي
يَسْنُ عَلَى التَّدْمِيرِ
م الغاصبِ الْمُقْتَدِرِ
د بَائِسٍ وَمَشْتَرِي
مَحَابِرٍ وَأَسْطَرِ

تَصَرَّفِي كَمَا تَشَاءُ
أَي طَرَطَرَا إِنْ كَانَ شَعْرُ
أَوْ أَجْمَعِ السُّتُ الْمَلَا
أَوْ حَكَمِ النِّسَاءِ حُكْمَ
أَوْ صَاحِ نَهْيًا بِالْبَلَا
أَوْ تُفْسِدِ الْمَرْسُومَ فِي

جَرِمَ أَخَذَ «طَرَطَرَ»
قُ لِلذَّلْ أَوِ التَّدْهِـوَرِ
وَتَحَمَّـيْ وَتَوَجَّـيْ

أَوْ أُخِـذَ الْبَرِيءُ بِالْمِ
أَوْ دُفِّـعَ الْعَمْرَا
فَاحْتَكَمَيْ تُحَكَّمَيْ

* * *

وَهَلَّيْ وَكَبَّـيْ
يُخْزِي الْفَتَى وَزَمْـيْ
فَوْنٍ وَشَكَّرَ أَبْـرَ^(١)
شَمَّـرْدَلٍ لِبُحْـتَرِ^(٢)
سَمَاتٍ لَيْثٍ قَسْـوَرِ
وَبِالْمَدِيحِ بَخْـرِي
حَدِيقَةً مِنْ زَهْـرِ
مَاءٍ بِالصَّبَاحِ الْمُسْفَرِ
حَقَّ ثَوْبٍ «عَبَقَـر»
نَيْثٍ دُرُوعٍ «عَتَقَـر»
مَزْيُفٍ فَأَنْكِـرِي
مِنْ بَطْشَةِ الْمُسْتَعْمِرِ
رَ صَوْلَةِ الْعَضَنَفِ
فِي مُسْتَحْـمٍ قَدْرِ
جَنَاحُهَا لَمْ يُعَـرِ

أَيِ طَرَطَرَ تَطَرَطَرِي
وَطَبَّيْ لَكَلَّ مَا
وَسَبَّحِي بِحَمْدِ مَا
أَعْطَى سَمَاتٍ فَارِعِ
وَاعْتَصَبِي لَضِفِّـدَعِ
وَعَطَّـرِي قَاذُورَةَ
وَصَبَّـرِي مِنْ جُعْـلِ
وَشَبَّهِي الظَّلَامَ ظَلَّـ
وَأَلْبَسِي الْغَبِيَّ وَالْأَ
وَأَفْرِغِي عَلَى الْحَا
إِنْ قِيلَ إِنَّ مَجْدَهُمْ
أَوْ قِيلَ إِنَّ بَطْشَهُمْ
وَإِنَّ هَذَا الْمُسْتَعْمِرَ
أَهْـوَنُ مِنْ ذَبَابِـةٍ
فَهَيَّ تَطِيرُ حُرَّةً

(١) الأثر : الخبيث من الحيات .

(٢) الشمردل : الطويل . والبحتر : القصير .

أي طرطرا سيري على تهجهم والأثري
 واستق بلي يومك من يومهم واستدبيري
 وأجمعني أمرك من أمرهم تستكثري
 كوني بغائلاً واسلمني بالنفس ثم استنسيري^(١)

* * *

أي طرطرا لا تنكيري ذنباً ولا تستغفيري
 ولا تغطّي سي سوءة بانت ، ولا تتزيري
 ولا تفضّي الطرف عن فرط الحياء والخفري
 كوني على شاكلية من أمرهم تؤميري
 كوني على شاكلية الـ وزيري بادي الخطري
 أي طرطرا كوني على تاري خك المحتقري
 احرص من صاحبة النحيب إن تذكريري

* * *

طولي على « كسري » ولا تُعني بتاج « قيصر »
 كوني على ما فيك من مساويء ، لم تُحصري
 كوني على الأضداد في تكوينك المبعري
 شامخة شموخ قـ ن الثور بين البقري

* * *

(١) بغاث الطير : الحامل منه والحقير . واستنسر : صار كالنسر .

أني طرطرا أقسم بالسويك المشهـ
والخـرز المعقود في البطـن فويـق المشـعـر
بوجـهك المعتكـر وثغـرك المنـشـور
وعينـك الحمـراء تر مي حاسداً بالشـرر
وصنـوك الثـور يُثـا ر غيظـه بالأحمر
أقسم « بالكافـور » لا أقصـد شـتم « العـنبر »
لأنـي فوـق الـبشـر فوق القـضـا والقـدر

* * *

أني طرطرا « يا لك من قبرة بمعمـر
خلا لك الجو » وقد طاب « فبيضي واصفـري »
« ونقـري » من بعـدهم « ما شئت أن تُثـقـري »
قد غفـل الصيـاد في « لنـسـدَن » عنك فابشـري !

ذكرى وعد بلفور

- أُلقيت في الحفل الذي أُقيم في بهو «الأمانة» في بغداد يوم ذكرى وعد بلفور ، وذلك عام ١٩٤٥
- نشرت في جريدة «الرأي العام» العدد ١٣٧٢ في ٤ تشرين الثاني ١٩٤٥

وَنَامِي فَوْقَ دَامِيَةِ الصِّفَاحِ ^(١)	خِذِي مَسْعَاكِ مُثَخَّنَةَ الْجِرَاحِ
تَسْرُ ، وَبِالْعَنَاءِ إِلَى ارْتِيَاحِ	وَمُدِّي بِالْمَمَاتِ إِلَى حَيَاةِ
مِنَ الْعُقْبَى إِلَى أَمْرِ صُرَاحِ	وَقَرِّي فَوْقَ جَمْرِكَ أَوْ تُرْدِي
فَمَاذَا لَوْ صَبَرْتُ عَلَى اصْطِبَاحِ ^(٢)	وَقُولِي قَدْ صَبَرْتُ عَلَى اغْتِبَاقِ

* * *

عَلَى تِلْكَ الْمَشَارِفِ وَالْبَطَاحِ	«فِلَسْطِينَ» سَلَامُ اللَّهِ يَسْرِي
عَلَى تُحْضُرِ السَّرَى أَحْلَى وَشَاحِ	رَأَيْتُكَ مِنْ خِلَالِ الْقَجَرِ يُلْقِي

(١) الصفاح : السيوف .

(٢) الاغتباق : شرب الخمر وقت المساء . الاصطباح : شربها وقت الصباح .

أَطْلُ «النَّسْرِ» مُتَّصِباً عَلَيْهِ
يُؤَوِّبُ اللَّيْلُ مِنْهُ إِلَى جَنَاحِ
وَعَيْنُ الْفَجْرِ تَذْرِي الدَّمَاعَ طَلًّا
وَعَنَى «أُورُشَلِيمَ» يُعِيدُ لَحْنًا
وَحَوْلِي مِنْ شِبَابِكَ أَيْ رَوْضِ
فَهَبْ الدِّيكُ يُنْذِرُ بِالصَّبَاحِ^(١)
وتبدو الشمسُ منه على جَنَاحِ
وَتَمْسَحُهُ بِمَنْدِيلِ الصَّبَاحِ
«لِدَاوُدَ» هَزَارًا بِالصُّدَاحِ
يُنْمُ حَدِيثُهُ بِشَذَا الْأَقْصَاحِ

* * *

أَأَمَّ «الْقُدْسِ» وَالتَّأْرِخُ دَامَ
وَمَهْدُكَ وَهُوَ مَهِيْطُ كُلِّ وَحْيٍ
و «وَادِي التِّيهِ» إِنْ لَمْ يَأُو «مُوسَى»
وَيَوْمُكَ مِثْلُ أَمْسِكَ فِي الْكَفَاحِ
كَنَعَشِكَ وَهُوَ مَشْتَجِرُ الرِّمَاحِ^(٢)
فَقَدْ آوَى «الصَّلِيبَ» عَلَى «صَلَاحِ»^(٣)

* * *

أَعْيَذُكَ مِنْ مَصِيرِ نَحْنُ فِيهِ
وَوَضِعَ أَمْسٍ كُلُّهُمُ لَوَاهِ
وَرُبَّةَ «صَفْقَةِ» عَقِدَتِ فَكَانَتْ
تُذَبِّرُ فِي الْعَوَاصِمِ مِنْ مُرِيبٍ
تَفْوُحُ الْخَمْرُ مِنْهَا فِي اخْتِتَامٍ
وَيُسْفَرُ نَصُّهَا الْمُسَوَّدُ خِزْيَا
لَقَدْ عَوِذْتَ مِنْ أَجَلٍ مُتَّاحِ
بِهِ ، وَالْيَوْمُ كُلُّهُمْ لَوَاحِي^(٤)
كَمَحْرِمِ الطَّلَاقِ عَلَى نِكَاحِ
خَبِيثِ الذَّكَرِ ، مَطْعُونِ النُّوَاحِي
وَيَبْدُو التِّيْرُ مِنْهَا فِي افْتِتَاحِ
وَمَظْلَمَةٍ عَنِ الْغَيْدِ الْمِلَاحِ

(١) النسْر : كوكبان يشتد لماعتهما وقت الفجر .

(٢) مشنجر : الرماح أي مشتبكة .

(٣) وادي التيه : الصحراء الممتدة على طول سيناء والحدود الفلسطينية — المصرية وفيه تاه اليهود .

(٤) لواه ، لواح : لاهون . واللاحى : هو العاذل .

و «تَصْرِيحٍ» يُمَطِّطُهُ قَوِيٌّ
و «حِلْفٍ» لَسْتُ أَدْرِي مِنْ ذَهُولٍ
لَنَا حَقٌّ يُرْجَى بِالتَّمَّاسِ
وَلَسْتُ بِعَارِفٍ أَبَدًا حَلِيفًا

كَتْلَوْحِ الطَّوْنِ إِذْ يَدْحُوهُ دَاحِي
أَعْنِ جِدُّ يُدَبِّرُ أَمْ مِزَاحٍ
وَبَاطِلُهُمْ يُنْفَذُ بِالسَّلَاحِ
يَهْدُهُ حَلِيفٌ بَاكِتَسَاحِ !

* * *

«فَلَسْطِينُ» تَوَقَّيْ أَنْ تَكُونِي
وَأَنْ تَضْعِي أَمُورَكَ فِي نِصَابٍ
وَهَابِي أَنْ تَمُدَّ إِلَيْكَ مِثْلًا

كَمَا كُنَّا بِمَدْرَجَةِ الرِّيحِ
يُوفِّرُ أَوْ يُطَفِّفُ بِاجْتِرَاحٍ^(١)
يُدُّ الْمُتَضَارِبِينَ عَلَى الْقِدَاحِ^(٢)

(١) الاجتراح : ارتكاب السيئات . يوفِّر ويُطَفِّف : يزيِّد وينقص .

(٢) القداح : هي السهام التي كان العرب في الجاهلية يتقارمون بها ولها درجاتها وأصنافها وأسمائها الخاصة .

ذكرى أبو التَّمَن

- أُلقيت في الحفل الأربعيني الكبير الذي أُقيم لذكرى الفقيد « محمد جعفر أبو التمن » ، في ٥ كانون الثاني ١٩٤٦
- ولقد كان لالقاء هذه القصيدة ، ونشرها في جريدة « الرأي العام » في العدد ١٤٢٢ في ٦ كانون الثاني ١٩٤٦ دويّ كبير وصدى شديد ؛ وقامت السلطة بتحريك الدعوى على الشاعر ..
- نشرت في مجلة « الكاتب المصري » .

قَسَمًا يَوْمَكَ وَالْفَرَاتِ الْجَارِي	وَالثُّورَةَ الْحَمْرَاءَ وَالْثُّوَارَ ^(١)
وَالْأَرْضَ بِالدِّمِّ تَرْتَوِي عَنْ دِمْنَةٍ	وَتُمَجِّجُهُ عَنْ رَوْضَةٍ مِعْطَارَ ^(٢)
وَالخَيْلَ تَزْحَفُ لَمْ تَدْعُ لِمُغِيرِهَا	جَثَّتْ تُعْطِي الْأَرْضَ أَيَّ مَغَارِ !
قَسَمًا بِتِلْكَ الْعَاطِفَاتِ وَلَمْ تَكُنْ	لِي قَبْلَهَا مِنْ حِلْفَةٍ بِالنَّارِ
إِنَّ الَّذِينَ عَهِدْتَهُمْ حَطَبَ الْوَعَى	لَوْلَاهُمْ لَمْ تَشْتَعِلْ بِأَوَارِ

(١) إشارة الى الثورة العراقية في الفرات .

(٢) الدمنة : ما تجمع من فضلات البقر والأوساخ والمعنى أن دم الثوار سال على أرض مقفرة فأحالتها ، بما سقاها وبما نفحها من كرامة وعزة ، روضة معطار .

مَلَكَتْ يَمِينٌ مِنْ جَمَى وَذِمَارٍ
وَالْمُؤَنَسَاتِ شَوَاطِيءَ الْأَنْهَارِ^(١)
حَمَلَتْ بُطُونُ حَرَائِرِ أَطْهَارِ
فِي الْقَفْرِ سَارِحَةً مَعَ الْأَبْقَارِ !
أَنْ تُسْتَرَ الْعَوْرَاتُ بِالْأَطْمَارِ^(٢)

وَاللَّافِحِينَ تَنَاجَهَا بِأَعْزُرٍ مَا
وَالدَاهِنَاتِ دِمَائُهُمْ لِمَمِّ الثَّرَى
وَالنَّاحِرِينَ مِنَ الضَّحَايَا خَيْرَ مَا
مَا إِنْ تَزَالُ حَقُوقُهُمْ كَذَوِيهِمْ
وَأَعْزُرُ مَا تَبْغِي « الْحَلَائِلُ » مِنْهُمْ

* * *

بشُخُوصِهَا خَبَرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ^(٣)
مَنْ قَرِطَ مَا حَمَلَتْ مِنَ الْأَوْزَارِ
لِلخَاطِطِينَ بِكُوكِبِ سَيَّارِ
فِيهَا شَبِيهَةٌ شَيْخِيَّةٍ أَشْرَارِ
لِلنَّازِطِينَ تَقَارُبُ الْأَعْمَارِ
حُكْمٌ أَقِيمَ عَلَى أُسَاسِ هَارِي ؟
فِي ظِلِّ دُسْتُورٍ لَهَا وَشِعَارِ
إِسْدَاءٍ عَارِفِيَّةٍ وَفَكِّ إِسَارِ

خَمْسٌ وَعَشْرُونَ انْقَضَتْ وَكَأَنَّهَا
ضَيْقُنَا بِهَا ضَيْقُ السَّجِينِ بِقَيْدِهِ
وَتَجَهَّمَتْ فِيهَا السَّمَاءُ فَلَمْ تُجِدْ
شَاخَ الشَّبَابِ الطَّيِّبُونَ وَجُدَدَتْ
وَبَدَا عَلَى وَجْهِهِ الْهَفِيدِ وَجْدُهُ
مَنْ كَانَ يَحْسَبُ أَنْ يُمَدَّ بِعُمُرِهِ
وَمِنَ الْفُظَّاعَةِ أَنْ تُرِيدَ رَعِيَّةً
مَا يَطْلُبُ الْمَأْسُورُ مِنْ يَدِ آسِرٍ :

* * *

وَشَكَا الشَّمَالَ فَقِيلَ : صَنَعُ جَوَارِ !
بَعْضُ لِبَعْضٍ ظَنَّةٌ لَفَخَارِ^(٤)

ذُعِرَ الْجَنُوبُ فَقِيلَ : كَيْدُ خَوَارِجِ !
وَتَنَابَزَ الْوَسْطُ الْمُدِيلُ فَلَمْ يَدْعُ

(١) اللمة : في الأصل ما جاور شحمة الأذن من شعر ويراد بها هنا وجه الأرض .

(٢) الحلائل : جمع حليلة وهي الزوجة .

(٣) إشارة إلى المدة التي انقضت على إبتداء العهد البائد حتى عام وفاة الفقيه .

(٤) الوسط المدل : يراد به العاصمة العراقية « بغداد » .

ودعا فريق أن تسود عدالة
ومشى المغيث على الجيع — يقوتهم —
وتساءل المتعجبون لحالة
هي للصحابة من بني الأنصار
للحاكمين بأمرهم عن غيرهم !
من كل غاز شاخر في صدره
هي للذين لو امتحنت بلاءهم
هي للذي من كل ما يصم الفتى
إيه شباب « الرافدين » ومن بهم
الحاملين من الفواح ثقلها
والذائدين عن الحياض إذا انتحت
والباذلين عن الكرامة — أرخصت —
الفقر إذ طرقت الغنى مفتوحة
وموَّججين نفوسهم وقلوبهم
والحاسبين زئيرهم بصدورهم

فرموا بكل شنيعة وشنار !
وعلى العُمرة ، بجحفل جرار !!
نكراء : من هم أهل هذي الدار ؟
من كل بدري ، وكل حواري
ولصفوة الأسباط والأصهار^(١)
زاهي الوسام ، مدوخ الأمصار
لعجت من سُخْرِية الأقدار^(٢)
كاسر ، ومن جهيد يُشرف عاري^(٣)
يرجو العراق تَبَلَج الأسحار
ليسوا بأنكاسر ولا أغمار^(٤)
كُرب ، ولاذ مُكابِر يفِرار
أغلى المهور ، وأفدح الأسعار
والبؤس إذ غدق النعيم جواري^(٥)
شعلاً يسير على هداها الساري
فاذا انفجرت به فأي ضواري

(١) الأسباط : جمع سبط (بكسر فسكون) ، ولد الولد ، ويغلب على ولد البنت .

(٢) امتحن الشيء : اختبره وأبلى في الأمر بلاء : أظهر فيه قدرته .

(٣) كاسر : أي مكسور .

(٤) الأنكاس : جمع نكس الرجل الضعيف . والأغمار : جمع غمر الخامل كالمغمور .

(٥) الفقر منصوب على البلية من « أغلى » و « أفدح » وما مفعولان لاسم الفاعل « الباذلين » .
والغدق : محركة : الماء الكثير .

والقانعين من الحياة رخيصةً بلماظةً ، ومن الكرى بفرار^(١)
والمغريبات مُراوداتٍ ترتجي وتخيُّبُ ، من عونٍ ومن أبكار^(٢)

(١) اللماظة : بقية الطعام في الفم . والفرار : القليل من نوم .
(٢) العون : جمع عون وهي (بالفتح) المرأة المتزوجة . والأبكار : جمع بكر ، والعون والأبكار كناية عن تنوع المغريات .

دجلة في الخريف

- نشرت في مجلة «الكاتب المصري» في العدد الصادر في ٩ كانون الثاني ١٩٤٦ . وكان الدكتور طه حسين قد طلب من الشاعر أن يخص «الكاتب المصري» بقصائد ، فبعث إليها بهذه القصيدة .
- نشرت في جريدة «الرأي العام» ، في العدد ١٤٢٤ في التاسع من كانون الثاني ١٩٤٦

بَكَرَ «الخريفُ» فراح يُوعِدُهُ أَنْ سَوْفَ يُزْبِدُهُ وَيُرْعِدُهُ
وَبَدَتْ مِنَ الْأَرْمَاتِ ، عَائِمَةٌ فِيهِ ، طَلَائِعُ مَا يُجَنِّدُهُ^(١)
وَكَأَنَّ ، مِنْ زَبَدِ الرَّمَالِ عَلَى أَمْوَاجِهِ ، طِفْلاً يُهْدِيهِ
وَاسْتَقْلَ النُّوتَى مُجَذِّفَهُ بِرِمَاءٍ بِمَقْبَضِهِ يُجَدِّدُهُ^(٢)
وَتَحَفَّزَتْ شُمُّ الْجِبَالِ لَهُ بَثْلُوجَهَا كِسْفاً تُهْدِدُهُ^(٣)

(١) الأرمات جمع رمث (يفتح الميم) وهو خشب يضم بعضه الى بعض ويركب في البحر . ويشاهد ذلك بكثرة في دجلة والفرات حتى الآن في مواسم الفيضان لسهولة انحداره مع التيار .

(٢) أي أن النوتي يستقل مجذافه لأنه مصنوع من الخشب الثقيل لمقاومة الماء الطافي وأنه ينهك بتجديد مقبضه خوفا عليه من الانكسار .

(٣) في البيت اشارة الى أن فيضان دجلة ينشأ عن ذوبان الثلوج الذي يتبدىء من فصل الصيف حتى فصل الخريف . الكسف : القطع .

لو يستطيعُ لَرَدُّ خُضْرَتِهِ
وَبِرْغَمِهِ أَنْ حُبَّ خَابِطُهُ
ما سرُّهُ «وَالْبَيْضُ» تُنْكِرُهُ
فَالذِّكْرِيَّاتُ الْعُرُّ يَشْهَدُهَا
وَبِرْغَمِ سَفْحَيْنِ تَوْرُدُهُ
لِلزَّارِعِ وَذُمَّ مَوْرَدُهُ
أَنْ الْمَرَاعِي الْخُضْرُ تَحْمَدُهُ !
رَقَاقُهُ الصَّافِي وَتَشْهَدُهُ

* * *

مُتَطَامِرٌ لَمْ تُخَشَّ صَوْلَتِهِ
فَمِنْ الشَّمَالِ يَدٌ وَتَهْضُهُ
كَالنَّاسِ لِلْحُفَرَاتِ مَرَجَعُهُ
وَحُضُوعُهُ كَحُضُوعِهِمْ أَبَدًا
لَكِنْ تَضْيِقُ بِصَائِلِ يَدِهِ
وَمِنْ الْجَنُوبِ يَدٌ وَتُقْعِدُهُ
وَمِنْ النُّطَافِ النُّزْرِ مَوْلَدُهُ
لِلغَيْبِ أُنْصَى سَارَ يَقْصِدُهُ

* * *

لَمْ يَسْقُ مِنْ هَرَجِ الرِّيْعِ بِهِ
وَمِنْ «العَرِيشِ» عَلَى شَوَاطِئِهِ
رَكْبٌ تَحْمَلُ عَنْهُ نَاشِطُهُ
وَعَلَى الضُّفَافِ ، الْبَطُّ مُنْكَمِشٌ
شَعْتُ النَّسِيلِ ، كَأَنَّ عَابِئَةً
مَا الصَّيْفُ سَبَطَ مِنْ جَدَائِلِهِ
أَلَا الَّذِي قَدْ فَاتَ أَجُودُهُ
إِلَّا خُشْيَاتٌ تَحْدُدُهُ
وَأَقَامَ عَاجِزُهُ وَمُقْعَدُهُ
لَا بِذَاوِي النَّسَبِ يَعْضِدُهُ^(١)
، مَجْنُونَةٌ ، رَاحَتْ تُبَدِّدُهُ^(٢)
جَاءَ الْخَرِيفُ لَهُ يُجْعَلُهُ !

(١) عضد النبت : قضمه وكسره .

(٢) النسيل : ما ينسله الطائر من ريشه وينتفه .

وتَهَضَّمُ التُّوتِيَّ زورَقَه بالقار ، بعد الغيد ، يحشده
يقتات من كِسْرِ يُبْتِئَهَا في اللوح ، أو حبلٍ يُمَسِّدُه^(١)

* * *

يا صامتاً عِيّاً ، وَمَنْطِقُهُ مُتَفَجِّرُ الْيَبُوعِ سَرْمَدِه
تَهْفُو فرائدُ عِقْدِه جَزْعاً مما بها ، وتهيمُ شُرْدُه^(٢)
وَتُثِيرُ فِيهِ الذِّكْرِيَّاتُ شَجاً يعيا به فيخُورُ أَيَّدُه^(٣)
وَمُوكِّلاً بِالذَّهَرِ ، يَزْرَعُهُ في شاطئيه ثمَّ يحصده
يا شَطْطُ ، أَنْتَ أَعَزُّ مُنْقَلَباً في الناطقين بما تُحَلِّدُه

(١) مسد الحبل : قتله .

(٢) يراد بفرائد العقد حبات الماء المتجمعة في النهر ، وكذلك الشرد . وتهفو : بمعنى تتعثر .

(٣) الأيّد : القوي .

الى المناضلين

- أنشدها في المؤتمر الأول لحزب «الاتحاد الوطني» وكان الشاعر أحد مؤسسيه وعضواً في لجنته المركزية .
- نشرت في جريدة «الرأي العام» ، العدد ١٥١٧ في ٢ مايس ١٩٤٦

أَطْلُوا ، كما اتَّقَدَ الكوكبُ
وسيروا وان بُعِدَتْ غايَةُ
وَمُدُّوا سَوَاعِدَكُمْ انها
وهائِثُوا قلوبُكُمْ أَفْرِغَتْ
فما إن يَلِيْقُ بِمَجْدِ النضالِ
وإنَّ «غداً» باسمًا يُجْتَلَى

يُنَوِّرُ ما خَبِطَ العَيْهَبُ^(١)
وشَقُّوا الطَّرِيقَ ولا تَتَّعَبُوا
مَعِينٌ من الجُهدِ لا يَنْضُبُ
على نَجْدَةِ الحَقِّ ، أو فاذْهَبُوا
ضَعِيفٌ على نَصْرِهِ يُغْصَبُ
بشِقِّ النفسِ لا يُوهَبُ

* *

وإِثِّي وإن كُنْتُ صَيَّوَ الرجا ءِ في حومةِ اليأسِ ، لا أُغْلَبُ

(١) الغيب : الظلمة .

وُسْرِفَ فِي الْوَعْدِ مَنْ يَكْذِبُ
بَشْتَى الْخَافِ ، مُسْتَصْعَبٌ
وَتَحْمِي مَسَالِكُهُ أَذْوَبٌ^(١)
وَسُوحُ «السَّجُونِ» بَكُمْ تَرْحُبُ
حَ غَلَّةُ مَزْرَعَةٍ ، تَكْذِبُ
مَطَايَا تُسَحَّرُ : يَا «ثَعْلَبُ»
وَأَنْ يَخْلُفَ «الأَخْبَثُ» الأَطْيَبُ
يَفْرُقُهَا «الْجَدُّ» وَ «الْمَذْهَبُ»
وَأَنْ يَأْخُذَ «الأَرْضَ» مَنْ يَدَأُبُ
مَنْ «العَيْشَ» مَا عَنْهُمْ يُحْجَبُ

لَأَوْعِدْكُمْ عَنْ «غَدٍ» صَادِقاً
أَمَامَكُمْ مُوعِراً ، مُلْعَمٌ
يَسُدُّ مَدَاخِلَهُ أَرْقَمٌ
وَسَوْفَ تَضِيقُ بِكُمْ دُورُكُمْ
فَقُولُوا ، لِمَنْ ظَنَّ أَنَّ الْكُفَا
وَقُولُوا لِمَنْ ظَنَّ أَنَّ الْجُمُوعَ
تُرِيدُونَ أَنْ تَسْتَقِيمَ الْأُمُورُ
وَأَنْ تَجْمَعُوا الشَّمْلَ مِنْ أُمَّةٍ
وَأَنْ يَأْكُلَ «الْتَمَرُ» الزَّارِعُونَ
تُرِيدُونَ أَنْ يَعْرِفَ الْكَادِحُونَ

* * *

«هُوَاةٌ» يَضْمُهُمْ مَلْعَبٌ
ظُلُوماً لِمَصْرَعِهِ يَطْرَبُ
يُثَارُ عَلَيْهِ وَلَا يَغْضَبُ
تُمْلِي عَلَى الذَّهَرِ مَا يَكْتَسِبُ

فَلَا تَحْسَبُوا أَنْكُمْ فِي الْجِهَادِ
وَلَا تَحْسَبُوا أَنْ «مُسْتَمِرّاً»
وَلَا تَحْسَبُوا أَنْ «مُسْتَعْمِراً»
فَلَا تَهْنُوا ، إِنَّ هَذِي الْأَكْفَ

(١) الأرقم : الحية الأرقط .

عمر الفاخوري

- ألقاها ، نيابة عن الشاعر ، الأستاذ الأديب رثيف خوري ، في الحفل التأبيني الكبير الذي أقيم في بيروت لمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الأديب التقدمي الكبير عمر فاخوري ، وكان من أصدقاء الشاعر الأعداء ، وذلك في صيف عام ١٩٤٦

رثــاؤُك ما أشقَّ على لساني ورزُّوك ما أشدَّ على نَجْنــاني
وكيف يُطيقُ عن أَلَمِ بياننا ثكولُ شلٍّ منه الأصغرَّان^(١)
وفقدُك ما أمضَّ وقد تولَّث جِياذُ النصرِ خوضَ المعمران

* * *

فيا «عُمَرَ» النضالِ إذا تشكَّى شجاعُ القلبِ من خَوَرِ الجبان
ويا «عُمَرَ» البيانِ إذا تغدَّى عِجافُ النَّشْرِ بالفكرِ السِّمان
ويا «عُمَرَ» الوفاءِ إذا تحلَّى فلانٌ في الشدائدِ—د عن فلان

(١) الأصغرَّان : القلب واللسان .

بمجدِ الخالدينَ فمَ الزَّمانِ
ومُختَصِينَ فضلكَ باحتضان^(١)
على قَسَمَاتِ وجهِكَ بأثَرانِ
كَأَنَّكَ والهمومَ على رَهَمانِ
ويَخْفَى السِّرُّ لولا المُقلَّتَانِ^(٢)

ويا «عَمَرَ» الخلودِ إذا تَغْنَى
أَسِيْتُ لعاكِفينَ عليكَ حَبَّاً
حَبِيتُكَ بِاسِماً والهمُّ يَمْشِي
تُغَالِبُهُ وتَغْلِبُهُ إِبَاءً
يُزِمُّ فَمَ فما تُفْضِي شِفَاهَ

* * *

عَقِيمُ الفجرِ لا يَتَلَوُه ثاني
تُدْغِدْغُهَا من البُشْرِ أَمَانِي
يَبِيتُ الفردُ مِنْهُ على أَمَانِ
وما مُبْقِي مآثِرَهُ بَفَانِي^(٣)
قُطُوفُ الفِكرِ يانِعَةٌ دَوَانِي
ومَجَّ «النَّيْلُ» فيضاً من بيانِ
فهذا ما يُمَجُّ «الرافدانِ» !
فإنَّ الشَّعْرَ يُعْذَرُ في الحِرَانِ

أبا «الخطَّابِ» رَانَ عَلَيْكَ لَيْلٌ
وَأُغْمِضَتِ الجَفُونُ على شَكَاةِ
أَمَانٍ أَنْ يَسُودَ النَّاسَ حُكْمٌ
فلا تَبْعُدْ وإن أَخْنَى فَنَاءً
ورَهْنُ الخُلْدِ أَضْرَحَةٌ عَلَيْهَا
بَكَى «بَرْدَى» عَلَيْكَ بفيضِ دمعِ
وَجِئْتُ أَغْضُ طَرْفِي عن حَيَاءِ
إذا ما الحُزْنُ طَاوَعَ في مُصَابِ

(١) أَسِيْتُ : حَزَنْتُ .

(٢) يَزِمُّ : بِمَعْنَى يَطْبِقُ وَيَسُدُّ .

(٣) لا تَبْعُدْ (بِفَتْحِ الْعَيْنِ) أَيِ : لَا تَهْلِكْ .

ذات الحجاب

● نشرت في مجلة «عالم الغد» ، في العدد ١٧ في ١٥ من تشرين الأول ١٩٤٦

دَعَانِي جَمَالُكَ فِيمَنْ دَعَا
حَشَدْتُ لَهُ مِنْ عِيْدِ الْهَوَى
عَوَاطِفَ لَمْ تَغْذُ مِنْهَا السَّنُو
تَرَامَتْ عَلَى عَذَبَاتِ الشِّفَا
وَلَا حَتَّ بَرِيقاً وَقَمِيتَ الصَّبَا
اسَيِّدَتِي مَا أَرْقُ الْحِجَابَ
لَقَدْ حَرْتُ أَيْضاً مِنَ الْفِتْنَتَيْنِ
فَلْيُثِّثْهُ مُسْرِعاً طَيِّعاً
عَطَاشِي مُحَلَاةً جُوعاً
نَ رَجَاءً ، وَلَا أَنْعَشْتُ مَطْمَعاً
وَ حَائِثَةً مَقْطَعاً مَقْطَعاً
وَعَادَتِ زَمَاداً فَلَنْ تَسْطَعاً
يُثِيرُ الْفُضُولَ وَمَا أَبْدَعاً
أُصْدُّ ، سَنَّاكَ ، أَمْ الْبُرْقُعَا ؟

أخي الياس

- نظمها في رثاء صديقه الشاعر اللبناني «الياس أبو شبكة» .
- نشرت في جريدة «الرأي العام» ، العدد ٥٢ في ٢٥ شباط ١٩٤٧

أخي إلياسُ : ما أفسى الليالي
تَسْمَعُ إذ تَصَامَمُ لِلنَّجَاوِي
وتَحْدُغُنَا بِمُقْمِرَةٍ لَعُوبٍ
وَتُعْطِينَا اللَّذَازَةَ عَنْ يَمِينٍ
وَتَفْرُسُنَا أَمَانِيَّ مِنْ حَرِيرٍ
وَتُدْنِينَا ، وَتُبْعِدُنَا ، وتَلْهَوِ
وَتَلْمِسُنَا عِيَاناً

تُيَخُّ بِكُلِّكَلٍ وتَقُولُ : ما لي^(١)
وَتَهْمِسُ إذ تَخَارَسُ لِلنُّمَالِ
وَتَرْمِينَا بِقُوسٍ مِنْ «هِلَالٍ»
وتَطْعُنُنَا دِرَاكُأً بِالشُّمَالِ^(٢)
وفي طَيَّاتِهِمَا سُمُّ الصَّلَالِ^(٣)
بِنَا هُوَ الْعَوَاصِفُ بِالرَّمَالِ
وَتَمْرُقُ مِثْلَ طَيْفٍ مِنْ خِيَالٍ

* * *

- (١) «الكلكل» : هو في الأصل ما بين مخزم الناقة أو الفرس الى ما يمس الأرض منه اذا ربطت . ثم استعير لكل ما يلقي بثقله . وأناخ الدهر أو الخطب بكلكله أي نزل بساحة الرجل أو القوم .
- (٢) الطعن الدراك : هو المتابع .
- (٣) «الصلال» : جمع صل وهو نوع من الحيات القتالة بسمها .

يُوقَى ما احتواك من الجبال
ولم نَنعم بوارفة الظلال
ولم نَتَمَلَّ من سحرِ حلال
وَأَنَا لا نصيرُ إلى زوال
ولم يسخرُ بنا سِخةُ الأمالي !

أخي إلياس : لا تَحُلِ المَبْقَى
كَأَنَّ الشَّمْسَ لم تَطْلُعْ عَلَيْنَا
ولم تَنسِرْ من كأسِ حرام
ولم نَتَمَنَّ أَنَّ الدَّهْرَ خُلِدَ
ولم نَسْخَرْ بما نُملِي عليه

* * *

وعاطفة أرق من الزلال
وحلاها من الفكر الغوالي
وإن كدرت ، ولا عنها بسالي^(١)
وثوصيني به سيرُ الرجال
حبيباً ، ثم نُعَقِّبه بتالي
أليم ، نستزيد من الوصال
أحبته بكذب أو مُحال
حشاي ، وانت محترِب جِالي^(٢)

أخي إلياس : لا وصرِج وُد
وما شدَّ التَّصافي من عُرَانَا
يَمِيناً لَسْتُ لِلدُّنْيَا بَقَالِي
لَأَنَّكَ كُنْتَ تُوصِينِي بهذا
ويوصينا به أَنَا نُوَارِي
ونرجعُ مِنْ جَدِيدٍ عن فراقِ
وما أَنَا مَنْ يُحَاوِلُ أَنْ يُدَاجِي
بلى إِنِّي لَتُغْتَصَرُّ اعْتِصَاراً

(١) قال : كاره ، مبغض .

(٢) محترِب : ميت .

المقصورة

- المقصورة من مختارات قصائد الشاعر ، وقد نظمها في أواسط عام ١٩٤٧ ، ونشر قطعاً منها في أمهات الصحف العراقية . وفي العدد ١٩١٠ في ١١ آب ١٩٤٨ من جريدة «الرأي العام» نشر هذا النص المثبت هنا .

ومن المؤسف أن يكون جزء كبير منها يزيد على مائة بيت قد أطارته الريح وألقته في دجلة في أثناء اشتغال الشاعر بتنقيحه خلال صيف عام ١٩٤٧ حيث كان يسكن داراً مظلة على النهر ، وأن يكون جزء منها يؤلف حوالي خمسين بيتاً منها قد فقدت جذوره الأساسية التي يعتمدها الشاعر ساعة تدوين خواطره فيما فقد من أوراقه الخاصة في أثناء انتقال جريدته «الجهاد» خلال عام ١٩٥٢ .. وعلى هذا تكون «مقصورة الجواهري» مشتملة في الأصل على ما يقارب أربعمائة بيت من الشعر .

ورغم أنسوف كرام المـلا	برغم الإباءِ ورغم العُلى
ضُ عطفاً تحوطك حوط الحمى	ورغم القلوب التي تستفيـ
ويَهْفُو لجرسِكَ سَمْعُ الدُّنَى ^(١)	وإذ أنتَ ترعَاكَ عَيْنُ الزَّمانِ

(١) الجرس : الصوت الخفيض ، والنغم .

تَجِيْشُ بِشْتَى ضَرْوِبِ الْأَسَى
كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ نَفْسٍ حَشَا
وَحَلُمُ الْعِذَارَى إِذَا اللَّيْلُ جَا
وَحِطُّ بِكُلِّكُلِهِ فَارْتَمَى^(١)
بِدَاجِي الْخُطُوبِ ، بَرِيقَ الْمُنَى
أَتَى أَلَدُ بُمُرِّ الْجَنَى^(٢)
تَلَذَّذَانِ فِي النَّوْمِ طَعْمَ الْكَرَى
إِذَا جَدَّ ، يَعْلَمُ «أَنِي الْفَتَى»^(٣)

وَتَلْتَفُّ حَوْلَكَ شَتَّى النُّفُوسِ
وَتُعْرِبُ عَنْهَا بِمَا لَا تُبَيِّنُ
فَأَنْتَ مَعَ الصَّبْحِ شَدُوُ الرِّعَاةِ
وَأَنْتَ إِذَا الْخُطْبُ أَلْقَى الْجِرَانَ
أَلَحَّتْ بِشِعْرِكَ لِلْبَائِسِينَ ،
بِـ «عَلْقَمَةِ الْفَحْلِ» أَزْجِي الْيَمِينَ
وَبِـ «الشَّنْفَرَى» أَنَّ عَيْنِي لَا
وَبِـ «الْمُتَنَبِّئِ» أَنَّ الْبَلَاءَ ،

* * *

بِجِيفَةِ جَلْفٍ زَنِيمٍ عَتَا^(٤)
يُخَفِّفُ مِنْ فَحْشِ أَهْلِ الْبَغَا
بِمَا اقْتِيَدَ مِنْ سَادِرٍ مَا ارْعَوَى^(٥)
رِ لَوْ أَنَّ حُرّاً كَرِيماً شَفَى
فَقَدْ ضَاقَ بِالْجِذْمِ مِنْهَا الثَّرَى^(٦)

أَلَا مِنْ كَرِيمٍ يَسُرُّ الْكَرَامَ
فِيَا طَالَمَا كَانَ حَدُّ الْبَغْيِ
وَيَا طَالَمَا تُنْسِي السَّادِرُونَ
عَلَى أَتْنِهِ مِنْ شِفَاءِ الصُّدُو
تَأَصَّلَ هَذِي الْعُرُوقُ الْخَبَاثَ

* * *

(١) جِرَانُ الْبَعِيرِ : رَقَبَتُهُ . وَكُلُّكُلُهُ : صَدْرُهُ . وَأَلْقَى جِرَانَهُ وَحِطَّ بِكُلِّكُلِهِ : بَرَكَ وَأَنَاخَ .

(٢) عَلْقَمَةُ الْفَحْلِ وَالشَّنْفَرَى : شَاعِرَانِ جَاهِلِيَّانِ عَرَفَ عَنْهُمَا خَشَوْنَةُ الْعَيْشِ وَصَلَابَةُ الْعُودِ .

(٣) إِشَارَةٌ إِلَى بَيْتِ الْمُتَنَبِّئِ فِي مَقْصُودَتِهِ :

لَتَعْلَمَ مِصْرٌ وَمِنْ الْعِرَاقِ وَمِنْ الْعَوَاصِمِ أَنِّي الْفَتَى

(٤) جَلْفٌ : الرَّجُلُ الْحَقِيرُ الْجَائِي الطَّبَاعُ . الزَنِيمُ : الْمَلْحَقُ بِالْقَوْمِ وَلَيْسَ مِنْهُمْ .

(٥) لِسَادِرٍ : لِلَّاهِي الْعَابِثِ ، الَّذِي يَعِيشُ بِلَا هَدَفٍ .

(٦) جَذَمَ الشَّجَرَةَ : جَذَرَهَا .

أُنْبِيكَ عَنْ أَطْيَبِ الْأَحْبِيثِينَ زِقَاقٌ مِنَ الرَّيْحِ مَنْفُوحَةً وَأَشْبَاحُ نَاسِرٍ ، وَإِنْ أَوْهَمُوا أَلَمْ تَرَ أَنَّنِي حَرْبُ الطُّغَا وَأَنِّي تَرَكْتُ دَهْيَيْنِ السَّبَالِ مِنْ الْخَوْفِ كَالْعَيْرِ قَبْلَ الْكُؤَا بِمَاذَا يَخُوفُنِي الْأَزْدُلُونَ أَيْسَلُّبُ عَنْهَا نَعِيمُ الْهَجِيرِ ، بَلَى ! إِنْ عِنْدِي خَوْفُ الشُّجَاعِ إِذَا شِئْتُ أَنْضَجْتُ نَضْجَ الشَّوَاءِ وَأَبْقَيْتُ مِنْ مَيْسَمِي فِي الْجَبَا فَوَارِقُ لَا يَمْحِي عَارُهُنَّ بَحِثُ يُقَالُ إِذَا مَا مَثَى الصَّلَاةُ حَيْثُ يُعَيَّرُ أَبْنَاؤُهُ

فَقُلْ أَنْتَ بِالْأَحْبِيثِ الْمُزْدَرَى وَإِنْ ثَقُلَ الزَّهْوُ مِنْهَا الْخَطَى^(١) بَأْتَهُمْ : «قَادَةُ» فِي السُّورَى إِ سَلَّمَ لِكُلِّ ضَعِيفِ الدَّمَا^(٢) كَثِيرَ الصِّيَالِ ، شَدِيدَ الْقَوَى^(٣) يَحْبِقُ مِمَّا اصْطَلَى وَكَتَوَى^(٤) وَمِمَّ تَخَافُ صِيْلُ الْفَلَا ١٩ وَنَفْحُ الرَّمَالِ ، وَبَذْخُ الْعَرَا ٢٠ وَطَيْشُ الْحَلِيمِ ، وَمَوْتُ الرَّدَى جُلُوداً تَعْصَتْ فَمَا تُشْتَوَى وَشَمَاءُ كَوْشَمِ بِنَاتِ الْهُوَى^(٥) وَلَا يَلْتَبِسُنَّ بِوصْفِ «سَوَى» ! بَحِثُ يُقَالُ إِذَا مَا مَثَى الصَّلَاةُ حَيْثُ يُعَيَّرُ أَبْنَاؤُهُ بَأَنَّ لَهُمْ وَالِدًا مِثْلَ ذَا

* * *

أَقُولُ لِنَفْسِي - إِذَا ضَمَّهَا تَسَامَيْ فَاثَلِكُ خَيْرُ النَّفُوسِ وَأَتَرَاهَا مَحْفَلٌ يُزْدَهَى : إِذَا قَيْسَ كُلِّ عَلَى مَا أَنْطَوَى

(١) زِقَاق : جمع زق وهو الجراب .

(٢) الدماء : بقية الروح .

(٣) السبال : اللحمي ، والواحدة سبلة .

(٤) العير : الحمار . الكواء : اسم من كوى يكوي كالشواء من شوى يشوي . يحق : يضطر .

(٥) الميسم : اسم آلة يوسم بها .

(٦) الصلي : الموسوم بالميسم .

يَصِيحُ مِنَ الْقَلْبِ إِنِّي هُنَا
يَقْرَآنِ إِلَّا عَلَى مُرْتَقَى
حِ وَالْهَمُّ ، مَخْلُوقَةٌ لِلذُّرَى
لَأَبْعَدَ مَا فِي الْمَدَى مِنْ مَدَى
بِمَا تَتَرَكَّبُ نَبَا مِنْ صَدَى
تَهَابُكَ إِلَّا كَلَمَسِ النَّدَى
يُخَافُ عَلَى الرُّوحِ مِنْهُ الْعَمَى
وَيُنْعَى بِهِ «الْأَمَلُ» الْمَرْغَى
لَتَبْكِي عَلَى عَقْبَرِي قَضَى
حَوَاشِيهِ .. رَدَّتْكَ كَفُّ الْقَضَا^(١)

وَأَحْسَنُ مَا فِيكَ أَنَّ «الضَّمِيرَ»
تَسَامَنِي فَإِنَّ جَنَاحِيكَ لَا
كَذَلِكَ كُلُّ ذَوَاتِ الطَّمَا
شَهِدْتُ بِأَنَّكَ مَذْخُورَةٌ
وَأَنَّكَ سَوْفَ تَدْوِي الْعَصُورُ
بِآيَةٍ أَنَّ يَدَ الْمُغْرِبَاتِ
وَأَنَّكَ إِنْ يَلْتَمِعْ مَطْمَعٌ
يَمُوتُ «النَّبُوغُ» بِأَحْضَانِهِ
وَتَشِي الْجَمْرُوعُ عَلَى ضَوْئِهِ
وَكَادَتْ تُلْفُكُ فِي طَيْهَا

* * *

وَكُلُّ مَطَافٍ إِلَى مُنْتَهَى
تُسَاقُ إِلَى حَتْفِهَا بِالْعَصَا
وَيَعْرِقُهَا الذُّلُّ عَرَقَ اللَّحَا^(٢)
كَأَنَّ دُحْرَجَتِ كُرَّةٍ تُرْمَى
إِذَا قِيلَ عَهْدٌ بَغِيضٍ مَضَى
إِلَى الْأَجْنَبِيِّ تُجَرُّ الْحُصَى
هَجَّانٌ عَلَيْهَا غَرِيبٌ نَزَا^(٣)
لَعَرَّكَ الْخُطُوبُ وَعَصَرَ الشُّقَا

لِشَرِّ النِّهَايَاتِ هَذَا «الْمَطَافُ»
مَتَى تَرَعَوِي أُمَّةً بِالْعِرَاقِ
تُذَرِّي عَلَى الضَّيِّمِ ذَرَوُ الْهَشِيمِ
وَتَنَزُّو بِهَا شَهْوَةُ الْمُشْتَهِيْنَ
يُجِدُّ بَغِيضٌ بِهَا عَهْدُهُ
وَتَسْمَنُ مِنْهَا عِجَافٌ مَشَتْ
تُرَاوِدُهَا عِزُّهَا كَالْقُرُومِ
عَجِبْتُ وَقَدْ أَسْلَمْتُ نَفْسَهَا

(١) ردك : جواب شرط (ان) في قوله وانك ان يلتمع مطمع .

(٢) عرق العظم : أزال ما عليه من لحم . واللحاء : قشر جذع الشجرة .

(٣) القروم : السادة : واحداها قرم . الهجان : جمع هجين وهو الذي ولد من أبوين مختلفين في الجنس .

وَقَرَّ عَلَى الذَّلِّ خَيْشُومُهَا
وَأَغْفَتْ فَلَمْ أَذِرْ عَنْ خَيْرِةٍ
وَلَمْ أَذِرْ مِنْ طَيْبٍ لِإِغْفَائِهَا
أَهْمًا تَغْشَاهُ بَعْدَ الْعِنَا
مَتَى تَسْتَفِيقُ وَفَحْمُ الدُّجَى

كَأَخْطَمِ الصَّعْبِ جَذْبُ الْبُرَى^(١)
بِهَا : كَيْفَ لِيَقَاطُهَا أَوْ مَتَى ؟
عَلَى الذَّلِّ ، أَيُّ خَيْالٍ تَرَى
كَرَى ، أَمْ صَبِيًّا بَرِيئًا غَفَا ؟^(٢)
عَلَيْهَا مَشَتْ فِيهِ نَارُ الضُّحَى ؟

* * *

وَأَصْنَامٍ بَغَى يَصُبُّونَهَا
يُثِيرُونَ مِنْ حَوْلِهَا ضَجَّةً
كَأَحْجَبَتْ بِالْغُبَارِ الْعَيُونَ
فَهَذَا سَيَمُضِي ، وَهَذَا مَضَى
وَهَذَا « زَعِيمٌ » ، لِأَنَّ « السَّفِيحَ »
وَفِي ذَاكَ عَنْ سُخْطِ أَهْلِ الْبِلَادِ
وَهَذَا بِعِمَّتِهِ ، سَاجِرٌ ،
تَطُوقُ الْمَسَابِغُ مِنْ حَوْلِهَا
تَحْيَاءُ الْمَطَامِعُ مِنْقَادَةً
وَلَيْسَتْكَ تَحْسِبُ أَزْيَاءَهُمْ
فَتِلْكَ اللَّفَائِفُ كَالْأَقْحَوَانِ
وَتِلْكَ الشَّرَاشِيفُ كَالْيَاسِمِ

وَيَذْعُونَهَا مَثَلًا يُقْتَدَى
بِهَا عَنْ مَخَازِنِهِمْ يُلْتَمَى
خِيفَافٌ مُهْرَاءَةٌ تُحْتَذَى^(٣)
وَهَذَا سَيَأْتِي ، وَهَذَا أَتَى !!
رَ» يَرْنُو إِلَيْهِ بَعِينَ الرِّضَا
عَلَى حُكْمِهِ أَوْ رِضَاهُمْ غِنَى
مِنْ « الْجَنِّ » يَرْفَعُهَا لِلْعَلَى
لِتُعْلِنَ أَنَّ مَلَكَهَا أَتَى
إِلَيْهِ إِذَا شَاءَ أَوْ لَمْ يَشَأْ
فَتَجْمَعُ مِنْهَا زَهْوَرُ الرُّبَى
بِهَا الْعِلْمُ يَنْفَحُ طَيْبَ الشَّدَا !
مِنْ تَاةِ « الْعِقَالِ » بِهَا وَازْدَهَى !

(١) قرَّ على الذل : خضع للذل . والخيشوم : أعلى الأنف . البري : جمع برة ، وهي الخزامة وحلقة تجعل في أنف البعير الصعب القياد لينقاد . وخطم : ههنا بمعنى أذل وأخضع .

(٢) أهم : الشيخ الكبير .

(٣) خفاف : جمع خف . ومهراً : ممزقة بالية .

تَدَلَّتْ عَنَاقِيدُ مِثْلِ الْكَرُومِ
يَوْدُ مِنْ «التِّيهِ» ! لَوْ أَنَّه
لِيعْلَمَ سَامِعُهُ أَنَّه
إِذَا رَفَعَ الْيَدَ لِلْحَاكِمِينَ
وَبَيْنَهُمَا مَحَدَّثٌ نَاشِيءٌ
تَعَوَّذَهُ أُمُّهُ إِنْ مَشَى

عَلَى كَهْفِي «يَابِس» كَالصُّوَى^(١)
يَشُدُّ بِهَا «جَرَسًا» ! إِنْ مَشَى
«يَنْوِبُ» ! عَنِ الْبَلَدِ الْمُبْتَلَى
بَدَتْ «نَعَمٌ» وَهِيَ فِي زِيٍّ «لَا» !
إِذَا خَطَّ تَعْرِفُهُ أَوْ حَكَى
إِلَى «الْبِرْلَانِ» بِأَمِّ الْقُورَى^(٢)

* * *

وَمُسْتَسْلِمِينَ يَرُونَ الْكَفَاحَ
فَتَغَرَّرُ فِي رَخْوَةٍ سَمَحَةٍ
يَرُونَ السِّيَاسَةَ أَنْ لَا يُمَسَّ هَذَا ،
وَهَذَا وَذَا فِي صَمِيمِ الْبَلَا
مَسَاكِينُ يَقْتَحِمُونَ الْكَفَاحَ

قَوْرَاءَ مَدْحُوَّةٍ تُمْتَطَى^(٣)
وَتَنْفِرُ عَنْ ذِي مِسْنٍ قَسَا
وَأَنْ يُتَّقَى شَرُّ ذَا
دِ سُلٍّ ، وَفِي السَّعِينِ مِنْهَا قَذَى
وَقَدْ شَرَعَتْ بِأُبُهِ مِنْ كُورَى^(٤)

* * *

وَمُنْتَحَلِينَ سِمَاتِ الْأَدِيبِ
كَجَاوِبِ «بُومَةٍ» ! بُومَةٍ

يُظَنُّونَهَا جُبِيًّا تُرْتَدَى
تَقَارِضُ مَا بَيْنَهَا بِالْثَنَا

(١) الصوى : العلامات التي توضع في الطريق لتدل السائرين . ويريد بالعناقد ما تدلى من خيوط
«العقال» !

(٢) أم القرى : مكة .

(٣) قوراء : مستديرة .

(٤) الكوى : جمع كوة وهي النافذة الصغيرة .

من القولِ ، رعيَ الجمالِ الكلا^(١)
من العيشِ لا رغبةً تُبتغى
لمن يعتلي ، صهوةً تعلى
زوايا المقاهي لهم مُتسدى

ويرعون في هذرٍ يابسٍ
يروون «ورقاتهم» بُلغةً
فهم والضميرُ الذي يصنعون
ولا هيّنَ عن جدّهم بالفراغِ

* * *

ومما يُركي أديباً خلا
بينَ التّراعِ الرخيصرِ احتمي
فوغداً أهرّ ، ووغداً شلاً^(٢)
تديرُ على الأرضِ حُكمَ السّما
على الناسِ يجري : بأيدي سبا
وأخذُ «ثمودٍ» بسِقِّ رغا^(٣)
على بلدٍ ظلّ حتى اختزى ؟!
ومنّ لهما في الشرورِ انتمى
وجارٌ على أهلها واحتمى
في بلدٍ ضاعَ فيه الحيّا
أنحُنُ أخذنا وهذا نجا ؟!
«شدّا» إلى غايةٍ تُبتغى
بفلسينِ أمثالها تُشتري
على كلّ ذي حُرمةٍ قد سطا

وعارٍ تحلّى بشوب الأديب
ومن تبعات النفوس الكبار
ووغدٍ تحيّرَ أمثالَه
يقولون إنَّ يداً في الغيوبِ
ولمّا يزلْ مئلٌ سائرٌ
وتحريقُ «لوطٍ» بذنبِ أُنّ
فما بال كَفِّ القضا لا تدورُ
وأضحى «ثمودٌ» و «لوطٌ» به
ومن عاثَ في أممِ المشرقينِ
حيّينَ بينَ ولاةِ الأمورِ
يسائلُ بعضٌ به بعضهم
أخذتُ لأتّي ركبثُ الطريقِ
وأنتِ أخذتِ على ناقيةٍ
وجدنا هنا كلّ ذي عورةٍ

(١) الكلا : الحشيش .

(٢) أهر الكلب وشلاه : أغراه على التحرش والاعتداء .

(٣) السقب : ولد الناقة . والرغاء : صوت البعير .

وَكُلُّ كَرِيمٍ الثَّنَا أَصِيدُ
وَجَدْنَا الرُّجَالَ هُنَا «بِالرُّجَا
عَلَى حِينٍ تَخْتَصُّ نِسْوَاتَهُمْ
وَجَدْنَا الزَّعِيمَ - كَمَا يَنْعَتُونَ -
تَقَلَّصَ فِي كَيْفِهِ وَانْزَوَى
لِ «لَاهِينَ» ، فِي وَضْعٍ مِنْ سَنَا !!
«نِسَاءً» ، وَمِنْتَصِفٌ مَنْ جَزَى !!
عَلَى قَدَمِي غَاصِبِيهِ ارْتَمَى

* * *

بَيْنِي إِذَا الدَّهْرُ أَلْقَى الْقَنَاعَ
وَدَالَتْ لَهُمْ دَوْلَةٌ كَأَلَّتَنِي
فَلَا تَبْخَلُوا أَنْ تَزُورُوا أَبَا
وَلَا تَبْخَلُوا أَنْ تُمَدُّوا يَدًا
وَطِيفًا أَتَاكُمْ يُهَنِّكُمْ
وَشَرُّ «السَّهَامِ» رُؤَا النِّعِيمِ
وَصَرَّحَ مِنْ حَسْرَةٍ مَا ارْتَفَى
لدى النَّاسِ فِي وَجْهِهَا وَالْقَفَا
جَرِيرَتُهُ أَنْ ذُلًّا أَى
لِتَحْضِينَ مِنْهُ خِيَالًا سَرَى
بِأَنْ قَدْ وَقَيْتُمْ زَمَانًا مَضَى
وَشَرُّ «النِّصَالِ» بَرِيقُ الْغَنَى^(١)

* * *

سَلَامٌ عَلَى هَضَبَاتِ الْعِرَاقِ
عَلَى النَّخْلِ ذِي السَّعَفَاتِ الطُّوَالِ
عَلَى الرُّطْبِ الْعُضْزِ إِذْ يُجْتَلَى
بِإِسَارِهِ يَوْمَ أَعْدَاقُهُ
وَشَطِّهِ وَالْجُرْفِ وَالْمُنْحَنِى
عَلَى سَيْدِ الشَّجَرِ الْمُقْتَنِى
كَوْشِي الْعُرُوسِ وَإِذْ يُجْتَنِى
تَرْفٌ ، وَبِالْعَسْرِ عِنْدَ الْقَنِى^(٢)

(١) الاصيد : السيد "حريم".

(٢) اذا احيط الانسان بالنعيم أو لوحوا له بالغنى ولم يكن صلبا في النضال تخاذل وفر ، فالنعيم والغنى شر السهام وشر النصال .

(٣) أي سلام عليه في حالة ايساره باغداقه الرأفة وفي حالة اعساره اذ قنواته متعذلة يابسة .

وبالسَّغْفِ وَالكَرْبِ الْمُسْتَجْدُّ ثوباً «تَهراً» وثوباً نضاً
 ودجلة إذْ فَارَ آذِيْهَـا كما حُمَّ ذُو حَرَدٍ فَاغَى—تلى^(١)
 ودجلة تَمْشِي عَلَى هَوْنِهَـا وتمشي رُحَاءٌ عَلَيْهَا الصَّبَّ—
 ودجلة زهوَ الصَّبَايَا الملاح تُخَوِّضُ مِنْهَا بِمَاءٍ صَرَى^(٢)
 تُرِيكَ العِرَاقِيَّ فِي الحَالَتِيْـهَ— مَنْ يُسْرِفُ فِي شُحِّهِ وَالنَّادِيْ !

✿ ✿ ✿

سَلَامٌ عَلَى قَمَرٍ فَوْقَهَا
تُدْغِدِغُ أَضْوَاؤُهُ صَدْرَهَا
كَأَنَّ يَدًا طَرَزَتْ فَوْقَهَا
رَوَاءَ التَّمِيرِ لَهَا لُحْمَةٌ
وَنَجْمٌ تَقْوَرُ مِنْ حُبِّهَا
عَلَيْهَا هَفَا وَإِلَيْهَا رَنَا
وَتَمْسُحُ طَيَّاتِهَا وَالثَّنْيُ^٣
مِنَ الْحُسْنِ مَوْشِيَةٌ تُجَلِّتِلِي
وَذَوْبُ الشَّعَاعِ عَلَيْهَا سَدَى
وَنَجْمٌ عَلَيْهَا اِذْنِي فَادَلِي

✱ ✱ ✱

عَلَى الْجِسْرِ مَا انْفَكَّ مِنْ جَانِبِيهِ
فِيَا لَيْتَهُنَّ الَّذِي يَعْتَدِي
يُتِيحُ الْهَوَى مِنْ عَيُونِ الْمَيِّتِ
وَيَا لَيْتَكَ الرَّجُلُ الْمُعْتَدِي

(١) آذى البحر أو النهر : مآؤه الكثير «المواضع العميقة» . ذو حرد : صاحب ثأر ، يشبه دجلة في تدفق مياهها الفوارة بصاحب ثأر يغلي غضبا .

(٢) ماء صرى : وشل بقية ماء .

(٣) الثنى : الكسر جمع ثنية وهي الطية .

(٤) يثير بهذا البيت الى بيت علي بن الجهم :

عميون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وَلَعَسَ الشَّفَاهِ ، وَبَيْضُ الطُّلَى^(١) يَا سَلَامَ عَلَى بِلَوَاكَ قُبُ الصُّدُورِ
عَلَى الشَّاطِئَيْنِ ، بَرِيدَ الْهَوَى سَلَامٌ عَلَى جَاعَلَاتِ النَّفِيقِ ،
وَمِنْ شَيْخَةِ دَهْرَهَا تُصْطَبِي لَعَنَنْ مِنْ صَبِيَةٍ لَا تَشِيخُ

* * *

سَجَا اللَّيْلُ إِلَّا حَمَاماً أَجَدَّ هَدِيلاً وَتَرْجِيْعَ كَلْبِ عَوَى^(٢)
وَجُنْدُبَةً طَارَحَتْ جُنْدُباً وَبُوماً زَقَا وَسَحِيلاً ثَغَا^(٣)
وَدَيْكُوساً يَذُنُ فِي جَمْعِهِمْ بَأْنَ قَدْ مَضَى اللَّيْلُ إِلَّا إِنْى^(٤)
سَلَامٌ عَلَى عَاطِرَاتِ الْحَقُولِ تَنَاطَرُ مِنْ حَوْلِهَا الْقُورَى
وَيَا لَلْغَاظَةِ هَذِي الدُّنَى يُتَمَّمُهَا لُطْفُ تِلْكَ الْقُصَى
وَجِبَارِ ضِيَاءٍ تَدَلَّى بِهِ عَلَى أَفْقٍ أَفْقٍ وَالتَّقَى

* * *

سَلَامٌ عَلَى بِلَوَاكَ صُنْتُهُ وَإِيَّايَ مِنْ جَفْوَةٍ أَوْ قَلَى^(١)
كَأَنَّا يَكْبِدُ مَرُّ الْفِرَاقِ عَلَى كَبْدَيْنَا ، وَلَذَعُ النَّوَى
وَكُلُّ يُنَسِّئُ إِلَى طِيَّةٍ لَنَا عِنْدَ غَايَتِهَا مُلْتَقَى^(٢)

(١) قُبُ الصُّدُورِ : مَرْتَبَاتِ الصُّدُورِ ، وَالوَاحِدَةُ قَبَاءُ ، وَأَقْبُ لِلْمَذْكَرِ ، لَعَسَ الشَّفَاهِ : حَمْرَةُ الشَّفَاهِ
مُتَّالِةٌ إِلَى السَّمَاءِ وَالطُّلَى : الرَّقَابُ ، وَالوَاحِدَةُ طَلِيَّةٌ .

(٢) سَجَا اللَّيْلُ : خَفِيَ هَذَا .

(٣) جُنْدُبٌ : الْعَبَسُ ، وَالسَّحِيلُ : الثَّعْلَبُ .

(٤) إِنْى : نِيَّةٌ وَنِيَّةٌ .

(٥) تَقَلَّى : التَّكَبَّرَ وَالْمُتَعَزَّى .

(٦) أَغْدَى السَّيْرُ : اسْرَعَ إِلَى طِيَّةٍ : إِلَى نِيَّةٍ يَقْصِدُ إِلَيْهَا .

غداً إِذْ يَطْنُ فضاءَ العراقِ طينَ الثرى من هزيرٍ خالٍ^(١)
وَإِذْ يَسْتَقِلُّ بِضْبُعِي فتىً يرى الغنمَ في العيش كسبَ الشا^(٢)
وَيَقْدُرُ إِنْ ضَمَّ مِنْهُ اليديـ من أيِّ ثمينٍ نفيسٍ حوى^(٣)
غداً إِذْ فَرِيقٌ يَحُوزُ الثنا يعُضُّ فَرِيقٌ بصمَّ الصفا

.

(١) يَطْنُ : يصفر أي يخلو .

(٢) الضبع : العضد ، ويستقل بضبعي أي يتعلق بها .

(٣) يَقْدُرُ الشيء : يعرف قدره وفي القرآن : ﴿ وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدره ﴾ .

نمدنا وقوداً

● نظمت عام ١٩٤٧

ولّى شابّ فهل يعودُ	ولاح شَيْبٌ فما يُريدُ ؟
يُريدُ أنْ يُنْقِصَ الليالي	مَنْيَ ظُلماً بما يَزِيدُ
يا أبيضَ الريشِ طَرَنَ منه	غِدْفَانُ ريشِ الجَنّاحِ سُدُ ^(١)
يا هَوْلَةً تَفْزَعُ المَرايا	منه ويستصرخُ الوليدُ ! ^(٢)
يا حامِلاً شارةَ الرّزايا	يا ساعي الموتِ ، يا بَرِيدُ !
يا ناغِرَ الجُرحِ لا يُدَاوِي	إلّا بأنْ يُقَطِّعَ الورِيدُ
برغمِ أنْفِ الصِّبَا وأنْفِي	يَخْضِبُ قُودِي منك الصّديدُ ^(٣)
وأنْ رأسي يمشي عليه	تِهياً عَدُوٌّ لَهُ لَدُودُ !

- (١) الغدقان : جمع غداف وهو الأسود الجناح ويطلق أيضاً على الغراب الكبير الطويل الريش والمقصود به « أبيض الريش » : الشيب ، وبـ « غدقان » الشباب والشعور السود فيه .
- (٢) الهولة : ما يفزع به الصبي من الأشكال والهيئات .
- (٣) القود : جانب رأس الرجل مما يلي الأذنين منه .

كم ليلـة خوف أن تُواتي أنـرِعَ كأسَ ورنٍ عود
وكم وكم ، والشبابُ يدري روعَ ظبيِّ فنصَّ جيد^(١)

* * *

أعائـد للشباب عيـد ؟ أم راجعَ عهدِ السَّعيد ؟
أيـامَ شرخِ الصِّبا وريق وظلَّـه سجعٍ مديـد^(٢)
ونحنُ ، مثلَ الجمانِ زهواً ، ينظـمنا عـقـدُ الفريـد

(١) نصر : رفع .

(٢) السجع : البارد اللطيف .

مقطعات من لندن

هنا يرقدان

● أبيات من وحي «نجمة الأخوين» .

هنا يرقدان وخضر الجبالِ تبُلُ الينايبُعُ أردائها
بحيث البحيرة تُنسيهما عناء الحياة وأدرانها
وحيث الرعاة تُغنيهما ، إذا شَعَشَعَ الفجرُ ألحانها
وحيث يهيج نسيمُ الصبا حِ غرامَ العَذارى وأشجانها
هنا يرقدان بحيثُ السما ءُ تَصْبِغُ بالوردِ ألوانها
يُثْنِيهما الزهرُ أشواقه وتُعطي الخمايلُ غنوانها

المقام في لندن

مَلِكُ مُقامي في لندننا مُقام «العَذارى» بدور الزنا
مُقام «المسيح» بدار اليهو دِ مُقام العذابِ ، مُقام الضنى

صاحبي !

صاحبي لو تكون من أعدائي
تنتيت أن يكون لك الطو
تنتيت أن تكون من أعدائي
لأن طول الأذى وطول البقاء

جين ...

● نشرت في «خلجات» .

أسرفت في ترف الجمال
وثنتيت طرفك فانشي
أعيا جمالك منطقة
يا «جين» لطف الخمر
ما شاء فليكتب علي
إذ كان خضر في اليم
وسكرت من خمر الدلال
يرمي الظلال على الظلال
وسما خيالك عن خيالي
أنك كنت ماثلة جوالي
الدهر، إني لا أبالي
نـ وكان كأس في الشمال

آمنت بالحسين

- ألقاها الشاعر في الحفل الذي أُقيم في كربلاء يوم ٢٦ تشرين الثاني عام ١٩٤٧ ، لذكرى استشهاد الحسين .
- نشرت في جريدة «الرأي العام» ، العدد ٢٢٩ في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٤٧
- كتب خمسة عشر بيتاً منها بالذهب على الباب الرئيسي الذي يؤدي الى «الرواق الحسيني» .

فِدَاءَ لَمْثَوَاكَ مِنْ مَضْجَعٍ تَنَوَّرَ بِالْأَبْلَجِ الْأَرُوعِ^(١)
 أَبْعَقَ مِنْ نَفَحَاتِ الْجَنَّا نِ رَوْحاً ، وَمِنْ مِسْكِيهَا أَضُوعِ^(٢)
 وَرَعِيّاً لِيَوْمِكَ يَوْمِ «الطُفُوفِ» وَسَقِيّاً لَأَرْضِكَ مِنْ مَصْرَعِ^(٣)
 وَحُزْناً عَلَيْكَ بِحَبْسِ النُّفُوسِ عَلَى نَهْجِكَ النَّيِّرِ الْمَهْيَعِ^(٤)

- (١) «الأبلج» : الوضاء الوجه . و «الأروع» : المعجب بشجاعته أو حسنه .
 (٢) الروح هنا نسيم الريح . و «ضاع» من ضاع المسك يضيع اذا عبت رائحته .
 (٣) الطفوف : هي الأراضي المشرفة من جوانب الشاطئ ، وهي تطلق بصورة خاصة على ما أشرف من أراضي «الغاضرية» — وهي مدينة كربلاء الآن — على نهر الفرات وفيها كان مصرع الحسين الشهيد وآله وأبنائه .
 (٤) المهيع : البين الواضح .

وصَوْتاً لِحَدِّكَ مِنْ أَنْ يُذَالَ
فِيهَا أُيْهَا الْوَيْلُ فِي الْخَالِدِي—
وَيَا عِظَّةَ الطَّامِحِينَ الْعِظَامِ
تَعَالَيْتِ مِنْ مُفْرِعٍ لِلْحُتُوفِ
تَلَوِّذُ الدُّهُورِ فَمِنْ سَجَّدَ
شَمَمْتُ ثَرَاكَ فَهَبْ النِّسِيمُ
وَعَفَّرْتُ خَدِّي بِحَيْثُ اسْتَرَا
وَحَيْثُ سَنَابِكُ خَيْلِ الطُّغَا

بِمَا أَنْتَ تَأْبَاهُ مِنْ مَبْدَعٍ"
نَ قَدْأَ ، اِلَى الْآنَ لَمْ يُشْفَعْ
لِلْأَهِيْنَ عَنْ غَدِهِمْ قُتِّعَ
وَبُورِكَ قَبْرُكَ مِنْ مَفْرَعٍ
عَلَى جَانِبِيهِ وَمِنْ رُكَّعِ
نَسِيمُ الْكَرَامَةِ مِنْ بَلْقَعِ
حَ خَدُّ تَفَرَّى وَلَمْ يَضْرَعْ
ة جَالَتْ عَلَيْهِ وَلَمْ يَخْشَعِ

* * *

تَعَالَيْتِ مِنْ صَاعِقٍ يَلْتَظِي
تَأْرُمُ حِقْدًا عَلَى الصَّاعِقَاتِ
وَلَمْ تَبْذُرِ الْحَبَّ لِإِنْرِ الْهَشِيمِ
تَعَالَيْتِ مِنْ «فَلَك» قُطْرُهُ
فِيَا بَنَ «الْبَتُولِ» وَحَسْبِي بِهَا
وَيَابْنَ التِّي لَمْ يَضْعَ مِثْلُهَا
وَيَابْنَ الْبَطِينِ بِلَا بَطْنِيَّةِ

فَإِنْ تَذُجُ دَاجِيَّةٌ يَلْمَعُ
لَمْ تُنْءِ ضَيَّراً وَلَمْ تَنْفَعِ"
وَقَدْ حَرَّقَتْهُ وَلَمْ تَزْرَعْ
يَدُورُ عَلَى الْمِحْشُورِ الْأَوْسَعِ
ضَمَاناً عَلَى كُلِّ مَا أَدْعَى
كَيْثْلِكَ حَمَلاً وَلَمْ تُرْضِعِ
وَيَابْنَ الْفَتَى الْحَاسِرِ الْأَنْزَعِ"

(١) يُذَالَ : يهان . الْمَبْدَعُ بفتح الدال من «الدعة» .

(٢) التَّأْرُمُ : حك الأسنان بعضها ببعض من الغيظ ، أي انك تتحرق اذ ترى الصاعقات لا تدفع ضرراً ولا تجلب نفعاً .

(٣) البطنة : النهم . الأنزع : من انحسر الشعر عن جانبي جبهته . وكان يقال للامام علي «الأنزع البطنين» .

ويا غُصْن «هاشِم» لم يَنْفَتَحْ
ويا واصلًا من نَشِيدِ «الْخُلُودِ»
بأزهر منك ولم يُفْرِع^(١)
خِتَامَ القصيدة بالمطلع

* * *

تَمَثَّلْتَ «يَوْمَكَ» في خاطري
وَمَحَّصْتُ أَمْرَكَ لم «أَرْهَبْ»
وقلتُ : لعلَّ دويَّ السنين
وما رَتَّلَ الْمُخْلِصُونَ الدُّعَا
أريدُ «الحقيقة» في ذاتها
وجدتُكَ في صورة لم أَرُغْ
وماذا ! أَرُوغُ مِنْ أَنْ يَكُو
وخيرَ بني «الأم» من هاشم
وخيرَ الصُّحَابِ بخيرِ الصدو
ورددت «صوتك» في مسمعي
بنقلِ «الرَّوَاة» ولم أُخَدِّعْ
بأصداءِ حادِثِكَ المُفْجِعِ
ةٌ مِنْ «مُرْسِلِينَ» ومن «سُجَّعِ»
بغيرِ الطَّبيعَةِ لم تُطْبِعْ
بأعْظَمَ مِنْهَا ولا أَرْوَعِ
نَ لِحْمِكَ وَقَفَاً عَلَى الْمِنبُّعِ
وخيرَ بني «الأب» من تُبَّعِ
ر ، كانوا وقاءك ، والأذرع

* * *

وَأَمَّـنْتُ إِيْمَانً مِّنْ لَا يَرَى
بَأَنَّ (الإِبَاءَ) ، ووحى السماء ،
تَجَمُّعُ فِي (جوهر) خالص
سيوى (العقل) في الشكِّ مِنْ مَرْجِعِ
وفيضَ النبوة ، مِنْ مَنبُعِ
تَنْزَعُ عَنْ (عَرْضِ) الْمَطْمَعِ

(١) لم تنون «هاشم» للضرورة فجرت بالفتحة .

أخي جعفر

- ألقاها الشاعر مساء يوم ١٤ شباط ١٩٤٨ في الحفل الكبير الذي أُقيم في جامع الحيدرخانة في بغداد ، لمناسبة مرور سبعة أيام لاستشهاد أخيه محمد جعفر الجواهري واخوانه من الشهداء في معركة الجسر الباسلة يوم ٢٧ كانون الثاني عام ١٩٤٨ ، ثورة على معاهدة «بورتسموث» .. وكان يوم تشييع جنازته يوماً لم تشهد بغداد مثله في تاريخها الحديث .
- نشرت في جريدة «الرأي العام» ، العدد ١٨٣٦ في ١٥ شباط ١٩٤٨

أَتَغْلَمُ أَمْ أَنْتَ لَا تَغْلَمُ بَأَنَّ جِرَاحَ الضَّحَايَا فَمُ
فَمَ لَيْسَ كَالْمُدْعَى قَوْلَهُ وَلَيْسَ كَأَخَرٍ يَسْتَرْجِمُ
يَصِيحُ عَلَى الْمُذْقِعِينَ الْجِيَاعَ أَرِيقُوا دِمَاءَكُمْ تُطْعَمُوا^(١)
وَيَهْتَفُ بِالنَّفَرِ الْمُهْطِعِينَ أَهِينُوا لِكَاثِمِكُمْ تُكْرَمُوا^(٢)

* * *

(١) المدقع : الفقير المعدم .

(٢) المهطع : الذليل .

أَتَعْلَمُ أَنَّ جِرَاحَ الشَّهِيدِ
أَتَعْلَمُ أَنَّ جِرَاحَ الشَّهِيدِ
تُمْصُ دِمَاءً ثُمَّ تَبْغِي دِمَاءً
فَقُلْ لِلْمُقِيمِ عَلَى ذَلِكَ
تَقَحُّمٌ ، لُعْنَتٌ ، أَزِيْزَ الرِّصَاصِ
وَحُضْنَهَا كَمَا خَاضَهَا الْأَسْبِقُونَ
فَأَمَّا إِلَى حَيْثُ تَبْدُو الْحَيَاةَ
وَأَمَّا إِلَى جَدَثٍ لَمْ يَكُنْ

تَنْظُلُ عَنِ الثَّأْرِ تَسْتَفِهِمُ
مِنَ الْجُوعِ تَهْضِمُ مَا تَلَهُمُ
وَتَبْقَى ثُلُوحٌ وَتَسْتَطِيعُ
هَجِيئاً يُسَخِّرُ أَوْ يُلْجِمُ
وَجَرَّبُ مِنَ الْحِظِّ مَا يُقَسِّمُ
وَتَنْ بِنَا فَتَفْتَحِ الْأَقْدَمُ
لِعَيْنَيْكَ مَكْرُمَةً تُغْنِمُ
لِيَفْضُلِهِ يَبْثُكَ الْمُظْلِمُ

* * *

تَقَحُّمٌ ، لُعْنَتٌ ، فَمَا تَرْجِي
أَأَوْجَعُ مِنْ أَنَّكَ الْمُزْدَرَى
تَقَحُّمٌ فَمَنْ ذَا يَخُوضُ الْمَنُونَ
تَقَحُّمٌ فَمَنْ ذَا يَلُومُ الْبَطِينِ
يَقُولُونَ مَنْ هُمْ أَوْلَاءُ الرُّعَاغِ
وَأَفِينَهُمْ بَدِمُ أَنَّهُمْ
وَأَنَّكَ أَشْرَفُ مِنْ خَيْرِهِمْ

مِنَ الْعِيْسِ عَنْ وَرْدِهِ تُحَرِّمُ ؟
وَأَقْتُلُ مِنْ أَنَّكَ الْمُعْصِمِ ؟
إِذَا عَافَهَا الْأَنْكَدُ الْأَشَامُ ؟
إِذَا كَانَ مِثْلَكَ لَا يَقَحُّمُ ؟
فَأَفِينَهُمْ بَدِمُ مَنْ هُمْ
عَبِيدُكَ إِنْ تَدْعُهُمْ يَخْدُمُوا
وَكِعْبُكَ مِنْ خَدِّهِ أَكْرَمُ

* * *

أَخِي «جَعْفَرًا» يَا رُؤَاةَ الرِّبْعِ إِلَى عَفْنِ بَارِدٍ يُسَلِّمُ^(١)

(١) العفن البارد : يراد به هنا القبر . ورواء الربيع : بهاءه ولطفه .

تَفْـلُـوْهَا عَاصِفٌ مُرْزِمٌ^(١)
 نَجْبًا حِينَ شَبَّ لَهُ مَضْرَمٌ^(٢)
 وَيَا ضِحْكَةَ الْفَجْرِ إِذْ يَسِيمُ
 هِيَ الْمُصْحَفُ الطُّهْرُ إِذْ يُلْثَمُ^(٣)
 مِنَ الْقَلْبِ ، مُنْخَرَقًا ، يُخْرَمُ
 بِهِ فَهِيَ ، مُفْزَعَةٌ ، حُومُ
 وَضَمُّ مَعَادِنِهَا مَنْجَمٌ^(٤)

وَيَا زَهْرَةً مِنْ رِيَاضِ الْخُلُودِ
 وَيَا قَبْسًا مِنْ لَهَبِ الْحَيَاةِ
 وَيَا طَلْعَةَ الْبَشَرِ إِذْ يَنْجَلِي
 لَثَمْتُ جِرَاحَكَ فِي « فَتْحَةٍ »
 وَقَبْلْتُ صَدْرَكَ حَيْثُ الصَّمِيمِ
 وَحَيْثُ ثُلُودُ طَيُورِ الْمُنَى
 وَحَيْثُ اسْتَقَرَّتْ صِفَاتُ الرِّجَالِ

* * *

وَذُو الثَّأْرِ يَقْظَانُ لَا يَحْلُمُ
 وَقَدْ يَقْرَأُ الْغَيْبَ مُسْتَلْهِمُ
 تَنْوَرُ ، وَاخْتَفَتِ الْأَنْجُمُ
 كَمَا قَذَفَ الصَّاعِدَ السُّلْمُ
 تَصْدَى لِيَقْطَعَهَا مُبْرَمُ

أَخِي « جَعْفَرًا » لَا أَقُولُ الْحَيَالَ
 وَلَكِنْ بِمَا أَلْهِمَ الصَّابِرُونَ
 أَرَى أَفْقًا بَنَجِيعِ الدَّمَاءِ
 وَجَبَلًا مِنَ الْأَرْضِ يُرْقِ بِهِ
 إِذَا مَدَّ كَفًّا لَهُ نَاكثُ

* * *

أُنْبِيكَ إِنْ كُنْتَ تَسْتَعْلِمُ
 وَخَفَّ لَكَ الْمَلَأُ الْأَعْظَمُ

أَخِي « جَعْفَرًا » إِنْ عَلِمَ الْيَقِينُ
 صُرْعَتْ فَحَامَتْ عَلَيْكَ الْقُلُوبُ

(١) المرزم : المرنان الصخاب .

(٢) مضرم : فاعل لشب وهو مصدر ميمي بمعنى الضرام كأنه يقول : شب ضرامه .

(٣) الفتحة : هنا إشارة الى فوهة الجرح المفتوحة .

(٤) حيث استقرت صفات الرجال يراد به القلب الذي منه تنبعث عناصر القوة .

وسُدَّ الرُّوْاقُ ، فلا مَخْرَجٌ
وأبْلَغَ عَنْكَ الْجَنُوبُ الشَّمَالُ
وَشَقُّ عَلَى «الْهَاتِفِ» الْهَاتِفُونَ
تَعَلَّمْتُ كَيْفَ تَمُوتُ الرِّجَالُ
وكَيْفَ تُجَرُّ إِلَيْكَ الْجَمُوعُ
وضَاقَ الطَّرِيقُ ، فلا مَخْرَمٌ^(١)
وعَزَى بِكَ الْمُعْرِقُ الْمُشْتَمُ^(٢)
وضَجَّ مِنَ الْأَسْطُرِ الْمِرْقَمُ^(٣)
وكَيْفَ يُقَامُ لَهُمْ مَائَتَمٌ
كما انْجَرَّ لِلْحَرَمِ الْمُحَرَمِ

* * *

ضَحِكْتُ وَقَدْ هَمَّهَمَ السَّائِلُونَ
يَقُولُونَ مِتَّ وَعِنْدَ الْأَسَا
وَأَنْتَ مُعَافَى كَمَا نَرْتَجِي
وَشَقُّ عَلَى السَّمْعِ مَا هَمَّهُوا^(٤)
عَ غَيْرِ الَّذِي زَعَمُوا مَزَعَمَ
وَأَنْتَ عَزِيزٌ كَمَا تَعَلَّمُ

* * *

أَخِي «جَعْفَرًا» بَعُودَ الْأَخَا
وَبِالْدَمْعِ بَعْدَكَ لَا يَتَشَنَّى
وَبِالْبَيْتِ تَغْمِرُهُ وَحْشَةٌ
وَبِالصَّحْبِ وَالْأَهْلِ «يَسْتَغْرِبُونَ»
يَمِينًا لَتَنْهَشُنِي الذِّكْرِيَّاتُ
إِذَا عَادَنِي شِبْحٌ مُفْرِحٌ
عِ خَالِصَةً بَيْنَنَا أَقْسِمُ
وَبِالْحُزَنِ بَعْدَكَ لَا يُهْزِمُ
كَقَبْرِكَ يَسْأَلُ هَلْ تَقْصِدُ
لَأَنْتَ مَنْحَرٌّ رَفَّ عَنْهُمْ
عَلَيْكَ كَمَا يَنْهَشُ الْأَرْقَمُ^(٥)
تَصَدَّى لَهُ شِبْحٌ مُؤَلِّمٌ

(١) المخرم : صرق في الجبل يريد به أي طريق .

(٢) المعرق والمشتَم : أي العراقي والشامي .

(٣) المرقم : القم .

(٤) الهمة : الكلام الخفي .

(٥) الأرقم : الأفعى .

وَأَتَيْ عُوذَ بِكَفِّ الرِّبَا
أَخِي «جَعْفَرًا» وَشَجَوْنَ الْأَسَى
أَزْحَ عَنْ حَشَاكَ غُثَاءَ الضَّمِيرِ
فَإِنْ كَانَ عِنْدَكَ مِنْ مَعْتَبٍ
وإن كنتَ فيما امْتَحَنَّا بِهِ
تُخَرِّجُ عُذْرًا يُسَلِّي أَخَا
عَصَاةٍ عُمِرَ بِشَتَّى الصَّنُوفِ
به ما أَطِيقُ دِفَاعاً بِهِ
أَسَأَلْتُ ثَرَاكَ دَمَوْعُ الشَّبَابِ

ح. يَسْأَلُ مِنْهَا مَتَى يُقْصَمُ
سَتَصِرُ حَبْلِي وَلَا تُصَرَمُ^(١)
وَلَا تَكْتُمَنِّي، فَلَا أَكْتُمُ^(٢)
فَعِنْدِي أضعافُهُ مَنْدَمٌ
وَمَا مَسَّنَا قَدَرٌ مُحْكَمٌ
فَأَنْتَ الْمُدِلُّ بِهِ الْمُنْعِمُ
مَلِيءٌ، كَمَا شَجِنَ الْمُعْجَمُ
وَمَا هُوَ لِي مُخْرِسٌ مُلْجِمٌ
وَنُورٌ مِنْكَ الضَّرِيحَ الدَّمِ

(١) صرم : قطع .

(٢) الغناء : ما يخالط الضمير من كدرة . وأزح : أي صرح .

يوم الشهيد

- نظمت بمناسبة الذكرى الأربعينية لاستشهاد الشهيد «جعفر الجواهري» الذي جرح في معركة الجسر الشهير يوم ٢٧ كانون الثاني عام ١٩٤٨ ، واستشهد متأثراً بجراحه يوم ٤ شباط .
- ألقى الشاعر قسماً منها ، وهي لما تكتمل في الحفل الذي أقيم في النجف لهذه الذكرى حول قبر الشهيد .
- ألقاها ، كاملة ، في أول مؤتمر عام للطلاب العراقيين ، نظمه اتحاد الطلاب العراقيين العام ، وقيم في «ساحة السباع» في بغداد .
- نشرت في جريدة «الرأي العام» العدد ١٨٧١ في ٢٨ آذار ١٩٤٨

يَوْمَ الشَّهِيدِ : تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ بَكَ وَالسُّنْضَالِ تَوَرُّخُ الْأَعْوَامِ
بَكَ وَالضُّحَايَا الْعُرَّ يَزْهَوُ شَاخِحاً عِلْمُ الْحِسَابِ ، وَتَفَخُّرُ الْأَرْقَامِ
بَكَ وَالَّذِي ضَمَّ الثَّرَى مِنْ طِيهِهِمْ تَتَعَطَّرُ الْأَرْضُونَ وَالْأَيَّامُ
بَكَ يُبْعَثُ «الْجِيلُ» الْمُحْتَمُّ بَعْثُهُ وَبَكَ «الْقِيَامَةُ» لِلطُّغَاةِ تُقَامُ

وبك العتاة سُبْحَشَرُونَ ، وجوههم
صَفًّا إلى صفِّ طَغَاماً لم تذُقْ
ويُحَاصِرُونَ فلا « وراء » يحتوي
وسُيَسْأَلُونَ مَنْ الذين تسَحَّرُوا
وَمَنْ استُيْحَ على يديهم حقُّها
وَمَنْ الذين عَدَّوا عليه فشَوَّهوا
خَلَصَ النعيمُ لهم فهم من رَقَّةٍ
وصفا لهم فَلَكَ الصِّيا فتَلَأَلُوا
يتدلَّلون على الزمان كما اشْتَهِت
ومَدَّاس أرجلهم ونَهَبُ نِعَالهم
يُمسي ويُصبح يستظلُّ بِخَدْنِهِ
سُيَحَاسِبُونَ ، فان عَرَّتْهم سَكَنَةٌ
سُيُنَكَّسُ الْمُتَذَذِبُونَ رِقَابَهُم

سُودٌ ، وَحَشَوُ أَنْوْفَهُم إِرْغَاماً^(١)
ما يَجْرَعُونَ مِنَ الْهَوَانِ طَغَاماً^(٢)
ذَبَاباً ، ولا شَرْطاً يَحْزِرُ « امام »
هذي الجموعُ كَأَتْهَا أَنْعَاماً^(٣)
هَذَرًا ، وديست حرمةً وذِمَامَ
وجه الحياة فَكَدَّرُوا وَأَغَامُوا
وغضارةً يبيضُ الوجوه وسَامَ
فيه كما تَتَلَأَلُ الْأَجْرَامُ
شَهَوَاتُهَا قُبُ البطونِ وَحَاماً^(٤)
شَعَبٌ مَهِيضُ الْجَانِحِينَ مُضَامَ
بَقَرِ الزَّرَبِ ، ويرتعي وَيَنَامُ
من خيفةٍ فَسَتْنِطِقُ الْآثَامُ
حتى كَأَن رُؤُوسَهُم أَقْدَامُ

* * *

يَوْمَ الشَّهِيدِ ! وما الخيالُ بسادر
الشعرُ — يا يَوْمَ الشَّهِيدِ — تجارِبُ

بئسَ الخيالُ تقوِّذه الأوهامُ^(١)
وبلاؤها ، لا لِأَوَّلُو رِنَظَامِ

* * *

(١) من الرغام : وهو التراب .

(٢) الطغام : السفلة من الناس .

(٣) تسخروا : أي سخروا بالضعيف .

(٤) القب : جمع أقب وهو البطن الضخم . وحام : من الوحوم وهو ما يعرض للمرأة الحامل من شهوة .

(٥) السادر : المتحير .

تَبَّأَ لِدَوْلَةٍ عَاجِزِينَ تَوَهَّمُوا
وَالْوَيْلَ لِلْمَاضِينَ فِي أَحْلَامِهِمْ
وَإِذَا تَفَجَّرَتِ الصُّدُورُ بَغِيظَهَا
وَإِذَا بِهِمْ عَصْفًا أَكْبَلًا يَرْتَمِي
وَإِذَا بِمَا جَمَعَ الْغُصَاةَ خُشَارَةً
أَنَّ «الْحُكُومَةَ» بِالسِّيَاطِ تَدَامُ
إِنْ فَرَّ عَنْ «حُلِيمٍ» يَرُوعُ مَنَامُ
حَنَقًا كَمَا تَتَفَجَّرُ الْأَغْنَامُ
وَإِذَا بِمَا رَكَنُوا إِلَيْهِ رُكَامُ
«وَإِذَا عَصَاةُ كُلِّ ذَاكَ أَثَامُ»^(١)

* * *

إِنِّي لَيَخُونُنِي الْأَسَى وَيُهْزُنِي
عِلْمًا بِأَنْ دِمَاءَهُمْ لَيْسَتْ لَهُمْ
لِلنَّاسِ بَعْدَ الْيَوْمِ مِيلَادُ الْفَتَى
يَوْمَ الشَّهِيدِ ! بِكُلِّ جَارِحَةٍ مَشَى
كَأَدِ الضَّعِيفِ يَشْكُ فِي إِيْمَانِهِ
طَاحَ الْبَلَاءُ بِخَائِرٍ فِي مَعْرَكِ
وَإِنْجَابَ عَنْ مَرْتَدِّدِينَ طِلَاؤُهُمْ
مَا لَاحَ طِفْلٌ يَحْتَبِي وَغِلَامُ
وَبِأَنَّهَا لِلْجَائِعِينَ طَعَامُ
وَمَمَائِهِ ، وَرِضَاعَةٌ وَفِطَامُ
دَاءٌ تَعَاوَرَهُ الزُّمَانُ عُقَامُ
وَالصَّبْرُ كَادَ يَشْتُلُهُ اسْتِسْلَامُ
أَشْيٍ تَطْيِشُ بِهِوْلَهُ الْأَحْلَامُ^(٢)
وَانْزَاحَ عَنْ مُتْرِبُصِينَ لِثَامُ

* * *

شَعْبٌ يُجَاعُ وَتُسْتَدَّرُ ضُرُوعُهُ !
وَأُمِدَّ لِلْمُسْتَهْتَرِينَ عِنَانُهُمْ
وَلَقَدْ ثَمَارُ لُحْلَبِ الْأَغْنَامِ^(٣)
فِي الْمُخْزِيَّاتِ فَأَرْتَعُوا وَأَسَامُوا^(٤)

(١) الخشارة : الرديء من كل شيء والعجز تضمين من بيت لأبي نواس .

(٢) الأشب : المختلط .

(٣) ثمار : ثقات ، وتغذى : والمعنى أنه حتى الأغنام والمواشي ثقات وتغذى جيداً قيل أن تُجَلَبَ .

(٤) ارتعى وأسام : بمعنى رعى .

وَتَعَطَّلَ الدِّسْتُورُ عَنْ أَحْكَامِهِ
فَالْوَعْيُ بَغْيٌ ، وَالتَّحَرُّرُ سُبَّةٌ
وَمُدَافِعٌ عَمَّا يَدِينُ مُخَرَّبٌ
مَنْ قَرِطَ مَا أَلَوَى بِهِ الْحُكَّامُ
وَالْهَمْسُ جُزْمٌ ، وَالْكَلَامُ حَرَامٌ
وَمُطَالِبٌ بِحَقْوَقِهِ هَذَامٌ

* * *

وَمَشَى بِأَصْلَابِ الْجُمُوعِ يَهْزُهَا
وَلَقَدْ تَرَقَّرَقَ فِي الْعِيُونِ تَسَاوُلٌ
أَعْفَا الْقَطِيبُ فَمَا بِهِ مُتَنَفِّسٌ
أَفْوَغْدُ مُرْتَقِبٍ « الْقِيَامَةِ » حُلْبٌ
أَوْ يَكْثُرُ الْأَبْطَالُ حِينَ سِلَاحِهِمْ
أَلْجَهْلُ ، وَالْإِدْقَاعُ ، وَالْأَسْقَامُ
وَعَلَى الشِّفَاهِ تَحِيَّرُ اسْتِفْهَامُ
وَحَلَا الْعَرِينُ فَمَا بِهِ ضِرْغَامُ ؟
وَبَرِيقُ مُنْتَظَرِ « النُّشُورِ » جَهَامُ ؟^(١)
بَيْنَ الْجُمُوعِ قَصِيدَةٌ وَكَلَامُ ؟

* * *

يَوْمَ الشَّهِيدِ : وَكُلُّ يَوْمٍ قَادِمٌ
دَالُ الزَّمَانِ وَبُدِّلَتْ نُظُمٌ بِهِ
وَمَضَى الْحُدَاةُ « بِحَاثِمِ » وَبِرَهْطِهِ
فَهُمْ وَقَدْ حَلَبُوا « الصَّرِيحَ » أَمَاجِدٌ
وَهُمْ لِأَنَّ الضَّيْفَ يَنْزِلُ سَاحِهِمْ
وَأَتَى زَمَانٌ مِنْ مَكَارِمِ أَهْلِهِ
سُتْرِيهِ كَيْفَ الْجُودُ وَالْإِكْرَامُ
وَلِكُلِّ عَصْرِ دَوْلَةٌ وَنِظَامُ
وَتَبَدَّلَتْ لِمَكَارِمِ أَحْكَامُ
وَهُمْ وَقَدْ عَقَرُوا « الْجَزُورَ » كِرَامُ^(٢)
لِلْفَقْرِ فِي سَاحَاتِهِمْ إِمَامُ^(٣)
السَّجْنُ ، وَالتَّشْرِيدُ ، وَالْإِعْدَامُ

(١) الجهم من السحاب : الذي لا مطر فيه .

(٢) الصريح : الخالص من اللبن . الجزور : الناقة المذبوحة .

(٣) أَلَمٌ : نزل .

والسَّوْطُ يَحْتَرِشُ الظُّهُورَ وَوَقْعُهُ
وَكَأَنَّه «لِلْمُسْتَفِثِ» إِغَاثَةٌ
جِلٌّ يَرَى أَنَّ الضِّيَافَةَ وَالْقِرَى
يَقْرُونَ جَائِعَةً الْبِلَادَ نَفْسَهُمْ
وَيُروْنَ ضَيْفَهُمُ الْكِرَامَةَ تُزْدَرَى
يَتَقَامِرُونَ عَلَى الْمَنَايَا بَيْنَهُمْ

فِي سَمْعٍ مُحْتَرِشٍ بِهِ أَنْغَامٌ^(١)
وَكَأَنَّه «لِلجَائِعِينَ» إِدَامٌ^(٢)
لِلطَّارِئَاتِ الصَّبْرُ وَالْآلَامُ
فَلَهَا لَحْوٌ مِنْهُمْ وَعِظَامُ
وَالْحَقُّ يُغْصَبُ ، وَالْدِيَارُ تُضَامُ
خُمْرًا ، فَلَا الْأَيْسَارُ وَالْأَزْلَامُ^(٣)

* * *

يَوْمَ الشَّهِيدِ : وَمَا تَزَالُ كَعَهْدِهَا
قَصَرُوا عَنِ الْعَلِيَا فَلَمْ يَتَنَاوَشُوا
وَتَقَطَّعَتْ بِالْمَكْرُمَاتِ حِبَالُهُمْ
وَعَنَاهُمْ أَحْذُ الْكِرَامِ عِنَانَهَا
وَتَنَابَزُوا بِالْجَاهِلِيَّةِ شَجَّهَا
فَأَوْلَايَ أَعْرَابٌ ! فَكُلُّ مُحَرَّمٍ
وَأَوْلَايَ «أَغْمَارٌ» فَلَا رَأْسٌ وَلَا
وَأَوْلَايَ «أَشْرَارٌ» لِأَنَّ شَعَارَهُمْ

هُوجٌ تَدْنُسُ أُمَّةٌ وَلَكَامٌ^(١)
مَا احْتَارَ مِنْهَا فَارَعُونَ جِسَامٌ^(٢)
وَمَا ابْتَنَتْ هِمَمٌ فَهَنْ رِمَامٌ^(٣)
مِنْ بَعْدِ مَا دَارُوا عَلَيْهِ وَحَامُوا
مِنْ قَبْلِ نَوْرِ «الْفِكْرِ» وَ «الْإِسْلَامِ»^(٤)
جِلٌّ لَهُمْ ! وَأُولَئِكَ أَعْجَامُ
كَعَبٌ ، وَلَا خَلْفٌ ، وَلَا قُدَامٌ^(٥)
بَيْنَ الشُّعُوبِ مَحَبَّةٌ وَسَلَامُ

(١) يَحْتَرِشُ : يَرِيدُ بِهِ يَلْهَبُ الظُّهُورَ .

(٢) الْإِدَامُ : الطَّعَامُ .

(٣) يَتَقَامِرُونَ : يَتَسَابِقُونَ . الْأَيْسَارُ وَالْأَزْلَامُ : الْقِدَاحُ الَّتِي يُضْرَبُ بِهَا الْجَاهِلِيُّونَ يَسْتَطْلِعُونَ بِهَا الْغَالُ .

(٤) الْهُوجُ : جَمْعُ الْأَهْوَجِ وَهُوَ الْأَخْرَقُ الْأَحْمَقُ .

(٥) يَتَنَاوَشُونَ : يَتَنَاوَلُونَ .

(٦) الرِّمَامُ : جَمْعُ رَمَةٍ ، بَضْمُ الرِّاءِ وَكَسْرُهَا — الْقِطْعَةُ مِنَ الْحَبْلِ بِالْيَةِ .

(٧) تَنَابَزُوا : تَعَارَوْا . شَجٌّ : قِطْعٌ وَحَرَمٌ .

(٨) الْأَغْمَارُ : جَمْعُ غَمَرٍ وَهُوَ الرَّجُلُ مِنْ سَوَادِ النَّاسِ .

وَكأَنَّ «أَرْحاماً» تُرْصُ ! فَرِيضَةٌ
 مِنْ كُلِّ مُعِدٍ فِي الصَّغَارِ كَأَنَّهُ
 «سَلْمَانُ» أَشْرَفُ مِنْ أَيْكُمُ كَعْبُهُ
 وَ «مُحَمَّدٌ» رَفَعَتْ رِسَالَةَ رَبِّهِ
 وَلَقَدْ يُذَلُّ مُسَوِّدًا أَعْقَابُهُ

وَكأَنَّ «أَفْعُـ» إِذَا «تُلْزَزُ لِرِزَامٍ»^(١)
 جَرَّبَ تُخَافُ شُدَائِهِ وَجُذَامٍ^(٢)
 وَ «عِصَامُ» مَا عَرَفَ الْجُدُودَ عِصَامٍ^(٣)
 كَفَّاهُ ، لَا الْأَحْوَالَ وَالْأَعْمَامَ
 وَلَقَدْ يَسُودُ عَشِيرَةً حَجَّامٍ^(٤)

* *

أَلْحَيَّ : لَوْ سَمِعَ النَّدَاءَ رُغَامُ
 مَنِّي عَلَيْكَ تَحِيَّةٌ وَسَلَامُ
 يَا نَائِمًا وَالْمَوْتُ مَلَأَ جُفُونَهُ
 وَمُلَائِمًا بِيَدِ الْمَنُونِ جِرَاحَهُ
 قَدْ كُنْتَ تَقْدِرُ أَنْ تُظَلِّلَكَ بِهِجَةً
 أَوْ أَنْ يَرِفَّ عَلَيْكَ فِي رَيْعَانِهِ
 لَوْ شِئْتَ أَعْطَيْتَكَ الْحَيَاةَ زَمَانَهَا
 لَتَضُمَّكَ الْعُودَرَانُ فِي أَحْضَانِهَا
 وَشَقِيقُكَ الْقَمَرُ الْمُدِلُّ بِلُطْفِهِ
 لَوْ شِئْتَ ، عَنْ شَرَفٍ أَرَدْتَ فَصِيدَتَهُ

وَلَوْ اسْتَجَابَ إِلَى الصَّرِيخِ جِمَامُ
 وَلَذَكَرَكَ الْإِجْلَالَ وَالْإِعْظَامُ
 أَعْلَمَتْ مِنْ فَارَقَتْ كَيْفَ يَنَامُ ؟
 جُرْحُ الْمُقِيمِ عَلَيْكَ لَا يَلْتَامُ^(٥)
 وَنَضَارَةٌ ، لَا ظُلْمَةٌ وَرَغَامُ^(٦)
 هَذَا الرِّبْعُ - كَوَجْهِكَ - الْبِسَامُ
 وَلَهَا عَلَى كَفِّ الشَّبَابِ زِمَامُ
 وَثَقُلْتُكَ الْهَضْبَاتُ وَالْآكَامُ
 نَشْوَانُ ، يَصْحُو تَارَةً وَيُغَامُ
 بَدَلًا ، لَكَانَتْ صَبُوءٌ وَغَرَامُ

(١) لَزَهُ : شَدَهُ وَأَلْصَقَهُ .

(٢) الشَّدَاةُ : الْحَدَّةُ ، وَهِيَ هُنَا حِدَّةُ الْحَرْبِ وَشِدَّتِهَا .

(٣) سَلْمَانُ : هُوَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ . وَعِصَامُ : مَصْدَرُ النَّشَاءِ عَلَى الْعِصَامِيَّةِ نَحْوُ لِلْبَيْتِ الشَّهِيرِ :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامًا وَعَلِمَتْهُ الْكُرَّ وَالْإِقْدَامَا

(٤) الْمَسْوَدُ : الَّذِي أُعْطِيَ لَهُ السِّيَادَةُ .

(٥) «مُلَائِمًا» أَيُّ مُضْمَدًا وَمِدَاوَى .

(٦) الرُّغَامُ : التُّرَابُ .

ولجئتُ مُقْتَنَصَ الشَّبابِ وَلَا زِمْتُ
لو شئتُ ؟ لكن شاءَ مجْدُكَ غَيْرَهَا
رَدَّ الْبُكَاءَ عَلَيْكَ أَنَّكَ قَائِدٌ
تَمْشِي الْجُمُوعُ عَلَى هُدَاكَ كَمَا هَدَى
لو غَيْرُ ذَاكَ أَطَاخَ رَأْسُكَ لَا زِمْتِي
ولما اسْتَقْلَلَ بِرَأْسِ «مُرَّة» خِنْصِيرٌ
مِنْ حَوْلِكَ الظَّلِيلَاتِ وَالْآرَامِ
فَتَلَقَّكَ مِنْ الثَّرَى أَكْـوَامُ
ولو اسْتَبَدَّ بِكَ الثَّرَى ، وَإِمَامُ
تَمْشِي الْجُمُوعُ عَلَى هُدَاكَ كَمَا هَدَى
بِشِيرَاكَ نَعْلِكَ طَائِحاً «هَمَامٌ»^(١)
لَكَ ، وَاسْتَقَادَ بِوَجْهِهِ إِبْهَامُ

* * *

يَوْمَ الشَّهِيدِ ! وَنَعِمَتِ الْإِيَّامُ
لو يَرْعَوِي الْمُنَابِذُونَ وَكُلُّهُمْ
ولو التَّقَى مِنْ بَعْدِ طُولِ تَفَرُّقٍ
ولو اتَّفَقْنَا كَيْفَ يَهْتَفُ هَاتِفٌ
وَبِمَنْ يَقْوُدُ الزَّاحِفِينَ أَخَالِدُ
هِيَ أُمٌّ خَافَ الطُّغَاةَ شِدَائِهَا
وَإِذَا بِهَا وَالسُّدْلُ فَوْقَ رُؤُوسِهَا
يَحْتَازُهَا وَالْجَوْعُ يَنْهَشُ لَحْمَهَا !
لو تَسْتَيْمُ أَخَوَةٌ وَوُئَامُ
بُهُومِهِمْ ، وَشُعُورِهِمْ ، أَرْحَامُ
الشَّيْخُ ، وَالْقِسَيسُ ، وَالْحَاخَامُ
فِينَا ، وَكَيْفَ تُحَرَّرُ الْأَعْلَامُ !
وَمَحْمَدٌ ، أَمْ أَحْمَدُ وَهْشَامُ ؟
فَسَعَوْا بِهَا ، فَذَا بِهَا أَقْسَامُ^(٢)
قُبِّ لَهَا مَضْرُوبَةٌ وَخِيَامُ
بِاسْمِ «الرَّغِيفِ» مَعْرَّةٌ وَصِدَامُ

(١) شام : ملح ، رأى .

(٢) إشارة إلى همام بن مرة في حرب البسوس .

(٣) الشداة : الحدة .

غضبة

- ضمت عام ١٩٤٨ ، على اثر تعريض صحيفة منسوبة الى أحد لأحزاب العراقية بالشاعر كذباً وافتراء .. وكانت بعض القوى السياسية قد أخذت تُدير ظهرهما للشعب ، بعد أن بدأ الاستعمار وعملاؤه بسلب مكتسبات وثبة كانون المجيدة ، وبتملص من الارهاب من جديد ، باعلان الأحكام العرفية ، بحجة حماية مؤخرة الخيوش العربية التي كانت تحارب في فلسطين ، بعد قرار التقسيم .
- نشرت في جريدة «الحضارة» العدد ٦٤ في ٢٤ تموز ١٩٤٨ بعنوان :

عرت الخطوب

وقدمتها :

« هذه قطعة ملتبة ينتزعها الشاعر الجواهري من هذه الحياة الماكرة الساخرة .. فيتصاعد من شررها لهب يحرق به نفوساً صغيرة سخرت من الحق واستسلمت للباطل ، فكان جزاؤها هذه الثورة الشعرية الخالدة في قصيدة نشرت قطعة من أبياتها في الزميلة «العصور» ونشرها كاملة في «الحضارة» ... وهي آية من آيات الجواهري .. ومعجزة خالدة من معجزاته .

أفلا يفهم هؤلاء أن بيتاً واحداً من أمثال هذه القصيدة هو الذي سيقى للأجيال القادمة .. اما هذه الفقايق التي يرمي بها الجبايرة فانها ستذهب هباء وجفاء .

لقد قال الجواهري قوله الحق : « ان الغضنفر لحمه مر » « فهل فهم المتحرشون ؟!!! » .

- نشرت جريدة «الحضارة» في العدد نفسه البيان الذي أملاه الشاعر على محرر الجريدة، وكان قد اتصل به لاستطلاع رأيه حول الموضوع ... ونشر تحت عنوان:

بيان الأستاذ الجواهري

بمناسبة ما نشر في صحيفة اسبوعية بغدادية

«أجل استغللت دم أخي .. فأصبحت وزيراً .. وغدوت نائباً .. وتصرفت بما عهد إليّ من مسؤولية الحكم أسوأ تصرف، وأكثره غرماً للمصلحة العامة، وغنماً لنفسي ولأتباعي .. واستغللته في المظاهر الفخمة والسيارات المظهمة .. واستغللته بطبيعة اشتراكي في الحكم تمشية المعاملات الباطلة، والشفاعات الشخصية، وهددت بالاستقالة إن لم تخرج الحكومة نواباً من أصحابي .

ولست أنا الذي زهد في كل ذلك، واكتفى بالجو المكمل بالسواد والدموع، وبذل كل ما يملك من حطام لمحاولة انقاذ أخيه، أولاً، من الموت، وللقيام، ثانياً، بمراسم الموت .

— وغيري كان ممن صدف متمعداً عن كل الأبواب التي كانت مفتحة في وجهه .. وعطل نفسه حتى عن مصلحة عمله الشخصي، ومورد رزقه الوحيد ..

— وغيري — ولست أنا — من اكتفى عن دم أخيه ودم قلبه أيضاً المراقين في سبيل هذا البلد .. اكتفى :

— ان يعتزل المجتمع كله ..

— وأن يكون حلساً للمقاهي وحيداً يتفرج على مواكب المستغلين ..

ان التاريخ القريب وليس البعيد سيحارب بكل قسوة المستغلين دم الشهداء من أخ وغير أخ، وأنا في طليعتهم .. سيكافئ الآخريين ممن عداي ، والذين ضربوا حولهم نطاقاً قاسياً من الحرمان يتجانس والعالم الكتيب الذي يعيشون فيه .. والجو القدسي الحزين الذي يلفهم ..

— وعندما يثار الشعب لدم جعفر ورفاقه سيثار أيضاً من مستغلي هذا الدم ..

محمد مهدي الجواهري

- نشرت في جريدة «المصور» ، العدد ٣٩ في ٢٤ تموز ١٩٤٨

عَرَبَ الخطوبُ وكيف لا تعرفو
وصَبَرْتَ أَنْتَ وَأَنْتَ ذُو ثَقَلِيَّةٍ
لأنَّجَابِ عُسْرٍ مِنْ فرائسه
وَلَدَرٌ ضَرْعٌ رُحَتْ تَحْلِيهِه
وصَبَرْتَ أَنْتَ وَدِرْعُكَ الصَّبْرُ
أَنْ لَوْ تَشَاءُ لَزَحَزِحَ الْأَمْرُ
صَيْدُ الرِّجَالِ وَلَا تَمَيَّ السَّيْرُ^(١)
إِنْ كَانَ أَعْوَزَ غَيْرَكَ الدَّرُ

* * *

عَرَبَ الخطوبُ فما خَفَضَتْ لها
وَمَضِيَّتْ تَنْتَهَبُ السَّمَاءَ صُعُوداً
وعلى جَنَاحَيْكَ ارْتَلَمَتْ كِسْراً
من جَانِحٍ وَكَذَلِكَ السَّنَرُ
لَكَ عِنْدَ غُرِّ نُجُومِهَا وَكَر
مِثْلَ الضَّبَابِ عَوَاصِفٌ صِرُّ^(٢)

* * *

عَرَبَ الخطوبُ وكيف لا تعرفو
عَدَتِ الضَّبَاعُ عَلَيْكَ عَارِيَةً
فَتَذَوَّقْتِكَ فَقَالَ قَائِلُهَا :
وطريقُ مِثْلِكَ ، صَامِداً ، وَغَر
ظَنّاً بِأَنَّكَ مَأْكُلٌ جَزْرُ^(٣)
إِنَّ الْعَصْفَرَ لِحُمَاهُ مَرُّ

* * *

و «زَعِيمٌ» قَوْمٌ كَالْغُرَابِ بِهِ
يَغْتَرُّ فِيمَا لَا يُشْرَفُ بِهِ
يَغْتَرُّ أَنْ أَلْقَوْا بِمَعْدِنِهِ
صَيْغَرٌ وَفِي خُطُوبَاتِهِ كِبَر
جَهْلُ الْمُعْقِلِ كَيْفَ يَغْتَرُّ
عَنِ الطَّعَامِ فَرَاخٌ يَجْتَرُّ

(١) صيد الرجال : كرامهم .

(٢) الصر : الشديدة .

(٣) مأكَل جزر : سهل ، هين .

بادي العباء تكادُ تقرأه
أضحى «وزيراً» فاغتدى رهقاً
لله أنت مطيعة عريت
ومفرقين «مذاهباً» جمعت
مثل اللصوص يلثم شملهم
يا عبد سوءٍ في مزاعمه
قبلية والكون وخذله
أفأنت كونٌ يستظل به

بالظن لا خبر ولا خبر
مثل «الحمار» يؤوده الوزر
منها الشوى ، وتأكل الظاهر^(١)
وحنأ عليها الآي والذكر
خيط الدجى ويحلله الفجر
يشط حيث تحرر الفكر
فكر ، وخط مصيره ذر؟!
أم أنت يا ابن «جهالة» عصر؟

* * *

قل «للصحيفة» انت قائدها
إني - ولي في المجد متسع -
لم ادخر منه سوى تشيب
غيت به الأجيال طاعمة
لا أستغل فأنت لي عظة

سفهاً وأنت زعيمها الحر
عف عن استغلاله بر
هو للبلاد وأهلها ذخير^(٢)
منها السمين ، وعضي الفقر
فيما أتيت ، وانت لي زجر!!

(١) الشوى : الأطراف .

(٢) النشب : المال (المنوي - هنا) .

أطل مكثاً

- نظمت صيف عام ١٩٤٨ ، وكان الشاعر يسكن بيتاً قريباً من بناية السجن المركزي في بغداد ، مما كان يلزمه أن يمر على أفواج من المعتادين الى السجن وهم مكبلون بالسلاسل وبأفواج من ذويهم وعوائلهم المتكدسين على باب بناية السجن لمواجهة أبنائهم وأقاربهم . وكان الاستعمار وأذناؤه من حكام العهد البائد ، وقد أذهلتهم وثبة كانون المجيدة ، قد أشاعوا حكماً إرهابياً بوليسياً فظيعاً ، لسلب مكاسب الوثبة ، مستخدمين الأحكام العرفية التي أعلنت بحجة حماية مؤخرة الجيوش العربية المحاربة في فلسطين ، سلاحاً لاشاعة هذا الحكم .

عسى أن لا يطول بك الوقوف وأن يتعجل الزمن الرئيف^(١)
وأن ينجاب عنك غبار بؤس يضيقُ به مُحياك الأسيف
أقم كَيْفِيكَ لا يثْقِلْكَ ذُل ولا يسمت بك القصرُ المنيف
ولا يقل السريُّ هنا شقي يضيقُ بذلَّ وقفته الوصيف
تقدّم إن خلفك راسفاتٍ جماهيراً يضيحُ بها الرصيف

(١) الرصيف : المقيد الذي يمشي بأغلاله ويرسف بها .

صُفُوفاً لِلسُّجُونِ بِهَا تُعْبَأُ إِذَا أُرِفَتْ ، وَتَنْتَظِمُ الصُّفُوفُ
وَأَجْنَحَةٌ وَإِنْ طُوِيَتْ فَفِيهَا عَلَى الْأَجْيَالِ ، قَادِمَةٌ ، رَيفُ

* * *

أَطْلُ مَكْنَأً فَإِنَّكَ عَنْ قَرِيبٍ سَتَنْقُصُ فِي الضَّحَايَا أَوْ تُضِيفُ
وَطُفْ دَهْرًا فَقَدْ كَرَّثَ دَهْوَرٌ عَلَى الدُّنْيَا ، وَأَحْرَارٌ تَطُوفُ
وَلَمْ يَنْرَحْ بِحَيْثُ نَزَلَ ضَيْفًا يُبِخُ الرَّحْلُ حُرٌّ مُسْتَضِيفُ

* * *

أَطْلُ مَكْنَأً فَسَوْفَ يُزَاحُ لَيْلٌ تُلْفَكَ مِنْهُ وَالدُّنْيَا سُجُوفُ
وَمِنْ هَذَا الْكُؤَى سَيُطْلُ فَجَرٌ ضَحْوَكٌ يَمَلُّ الدُّنْيَا كَشُوفُ
وَلَمْ تَزَلِ الدُّنْيَا مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ يُصَرِّفُ مِنْ أَعْتَبَتِهَا «الرَّغِيفُ»
تَمَرَّغَتْ الْخُدُودُ مُصَعَّـرَاتٍ بِهِ ، وَاسْتَرْغَمَتْ مِنْهَا الْأَنُوفُ
وَضَلَّ ابْنُ «الْمَطَاحِنِ» مَشْمَخِرًا عَلَيْهِ الْهَامُ مِنْ فَرْعٍ عُكُوفٌ^(١)
يَدُورُ الْفِكْرُ جَبَّارًا عَنِيدًا بِحَيْثُ يَدُورُ وَالْقَلَمُ الرَّهِيْفُ

* * *

أَطْلُ مَكْنَأً إِلَى يَوْمٍ تُوقِي بِهِ كَفَّيْكَ ، أَوْ تُلَوِي كُفُوفُ
وَدَعْ رُسْعَيْهِمَا لِلْقَيْدِ نَهْيًا لِئَابَيْهِ بِلَحْمِهِمَا صَرِيفٌ^(٢)
فَمِنْ تَارِيخِكَ الْأَلْقَى الْمُدْمَى تَبَيَّنَ بِهَذِهِ الثَّقَطِ الْحُرُوفُ

(١) ابن المطاحن : الرغيف .

(٢) صريف : صوت .

من الألم الذبيح وما تُعيف^(١)
تُشتي ، أو بجاحية تصيف
يحيق بهم ، ومظلمة تحيف
وأي نوى تعاوُرهُم قذوف
رؤوم في مراضعهم رَؤوف
ولا أي السُموم لها تديف

وملك الدهر أنت بما توفي
ولست مخيراً في زمهرير
ولا في أن يمس ذوك ضر
ولا أي المصاير يحتويهم
ولا أي الجنين تُدر أم
ولا أي الأكف بها تهاوي

* * *

رشيقي في تأطيره ظريف
عليك ، بحيث تلتجى السُفوف
فقد ألوى بمشيتِه الرّيف
عليك بساحة الألم الصُفوف
عسوفاً خصمهُ بغّي عسوف
تُحاول أن تُخوّف من يُخيف
ومهما طال فالدنيا ظُروف

أطل مكثاً فلم يبرح أنيق
يتيه بحيث تلتجى الرّزايا
مشى فتعجب « الطاووس » منه
أطل مكثاً إلى يوم تلاق
أطل مكثاً : وفاخر أن خصماً
ونصب من جبينك فالليالي
عسى أن لا يطول بك الوقوف

(١) في اللسان : أعاف القوم أعافة عافت إبلهم الماء فلم تشرب .

أنيتا

- نظمت في أواخر عام ١٩٤٨ وأوائل عام ١٩٤٩
- كان حباً عارماً لا يريد — ولا يقدر لو أراد — أن يقف عند حد !
وكان كأنه يتمجر عن « ينبوع » خفي ثجاج ..
وكان سرّ الخفاء في هذا ينبوع .. رغبات ! وآلام ! .. ومطامح ! .. ظلت طوال ثلاثين عاماً هي عصارة العمر الزاحف ! .. يسحق بعضها بعضاً ! ...
حتى لو وجد هذا ينبوع المختنق منفذاً بديلاً عنه لما اختلف الأمر بكثير !
لقد كان هذا الحب من « الفورة ! » و « السورة ! » بدرجة أن صاحبه كان لا يرى في ملامح المرأة التي أحبّ إلا ما يراه العازف المتجرد في أنغام قيثارته من انها طريق للتعبير !
وشعار للانطلاق ..
على هذا الضوء تلتقط الصورة .. الصادقة لقصيدة .. أنيتا !

أتى وجدت « انيت » لاح يَهْزَنِي طيفٌ لوجهك رائغُ القسمات
ألق « الجبين » أكاد أمسح سطحه ! بغمي ، وأنشيق عطسه بشذاتي
ومُنور « الشفتين » ، كادت فرجة ما بين بين تسدُّ من حسرائي

وحيثُ كنتُ تساقطتُ عن جانبي
نهب العيون يُثيرها ويزيفها
متوزّع الجنبات يرقب قادمأ !
حسبي وحسبك شقوة ! وعبادة !
نظراتُ محترسين من نظراتي !
إطراق أشعث زائف اللفتات
شق وأخر مال للطرقات
أن ليس تفرغ منك كأس ! حياتي

شهرزاد

- شهرزاد من أجمل «المراقص» الفنية في باريس .. انه يمت بخياله الفني الرائع ، وبجوده السحري الفاتن وبهندسة الألوان الخالمة فيه ، الى الخيال الشرقي المستوحى من «ليالي شهرزاد» ، المعروفة بـ «ألف ليلة وليلة» .
- وقد عالج الشاعر هذه القصيدة أثناء وجوده في «باريس» عام ١٩٤٨

إِنَّ وَجْهَ الدُّجَى «أَنْتِـنَا» تَجَلَّى
عن صَبَاحٍ مِنْ مُقَلَّتَيْكِ أَطْلَا
وَكأنَّ النَجْمَومَ الْقَيْنَـنَ ظَلَا

في غَدِيدٍ مَرَقٍ رَقٍ ضَخْضَاحٍ
بَيْنَ عَيْنَيْكِ نُهْبَةً لِلرِّيحِ
وغيَاضُ المُرُوجِ أَهْدَتْكِ طَلَا

إِنْ هَذَا الطَّيْرَ البَلِيلَ الجَنَاحِ
المُدَوِّي عَلَى مُتُونِ الرِّيحِ
والَّذِي أَرْعَجَ الدُّجَى بِصَبَاحِ
عَبَّ فِي اللَّيْلِ مِنْ «نُغُورِ» الْأَقْصَاحِ

رَشْفَةً مَجَّ عِطْرَهَا وَتَوَلَّى
 حَيْثُ هَذَا الرَّأْسُ الْجَمِيلُ تَدَلَّى
 وَالْفِرَاشُ الَّذِي بِهِ يَتَمَلَّى
 وَحَيْثُ ارْتَضَتْ هَبَاءٌ نَثِيرًا
 تَمَلَأُ النَّفْسَ وَالْفَضَاءَ عَبِيرًا

خَصِيلَاتٍ مِنْ شَعْرِكَ الذَّهَبِيِّ
 كُنْتُ فِيهِ الْثَرِيَّ أَيْ ثَرِيَّ
 اِسْمَعِي ، اِسْمَعِي «أُنَيْتَا» فَهْنًا
 وَهْنًا ، صَادِحٌ صَبَا فَتَغْنَى
 وَالطَّرِيقُ الْمَهْجُورُ عَادَ فَرْنًا
 مِنْ جَدِيدٍ يَبْعُثُهُ يَتَهَنَّى
 فَلَقَدْ دَبَّتِ الْحَيَاةُ إِلَيْهِ
 وَتَشَّى الْمَعَادُونَ عَلَيْهِ

اِسْمَعِي وَقَعَ رَائِحَتِنَ وَغَادِي
 وَتَمَلَّى مِنَ الْوُجُودِ الْمُعَادِ
 وَالْقَطَارَ الْمَجْلَجِلَ الْمُتَهَادِي
 فِي سُفُوحٍ مُنْسَابَةٍ وَوَهَادِ
 اِسْمَعِي ، اِسْمَعِي «أُنَيْتَا» صَدَاهُ
 تَجِدِي عَنْ صَدَى الزَّمَانِ بَدِيدًا

وَتَرَيْنَ الدُّنْيَا تُجِدُّ رَحِيلاً
بِالْأَمَانِي غُدُوَّةً وَأَصِيلاً

* * *

إِنَّ وَجْهَ الدُّجَى «أَنْتَا» يُلِيحُ
وَاللَّيَالِي فِي «شَهْرَزَادَ» تَصِيحُ
هَهْنَا ، هَهْنَا يَطِيبُ الصَّبَّوحُ

حُلُمٌ رَائِعٌ وَطِيفٌ لَذِيذُ
بَهْمَا الْيَوْمُ مِنْ غَدٍ يَسْتَعِيدُ
وَاللَّيَالِي مِنَ اللَّيَالِي تَلْسُودُ
فَطَرِيدٌ مُؤَمِّلٌ ، وَأَخِيذُ

حُلُمٌ رَائِعٌ كَأَنَّ الْحَيَاةَ
حِينَ ضَاقَتْ بِهِ الْحَيَاةُ مَجَالَا
مَلَّ أَسْفَارُهُ فَحَطَّ الرَّحَالَا

يَا حَبِيبِي ! وَهَذِهِ الْأَطْيَافُ
عَنْ قَرِيبٍ يَبْقُظُ سُهُودًا
وَالِى مِثْلَهَا أَنْقَضَتْ ، سَتُضَافُ
يَا حَبِيبِي ! وَهَذِهِ الْأَعْطَافُ

تَتَشَبَّهُ عَلَى الْكُتُوسِ دَلَالَا
كُلُّ عِطْفٍ ، لَوْلَا الْحَيَاءُ لَسَالَا
سَوْفَ تَنْهَدُ بَعْدَ حِينٍ كَلَالَا

حِينَ تَسْتَأْهِمُهَا الْحَيَاةُ الْبَاطِلَا
حِينَ تَلْقَى مَا لَا تُطِيقُ احْتِمَالَا

* * *

يا حبيبي : وهذه النظرات
في مُذابِ الفُتُورِ مُنْكَسِرَات
والوجوهُ الحَيَّةُ الخَفِرَات
والنفوسُ الفَيَّاضَةُ الحَيَّرات
والشِّفَاهُ النَّدِيَّةُ العَطِرَات

والشُّعُورُ الْمُسْتَرْسِلَاتُ انْسِيَابَا
وجفونٌ تَسْتَقِيلُ الْأَهْدَابَا
والأُكُفُ التِّي تَذُوبُ انْجِدَابَا

* * *

يا حبيبي ! وللنديمِ هُمُومُ
يُقْعِدُ « الْكَأْسَ » ثِقْلُهَا .. وَيُقيمُ
يا حبيبي ! و « لَيْتَ .. » شَيْءٌ عَقِيمُ
لَيْتَ أَنَّ الْحَيَاةَ ظِلٌّ مُغِيمُ
هكذا :

لَيْتَ أَنْ عِشًّا يَدُومُ

مثل هذا ،

لَيْتَ «الشَّقَاءُ» سَرَابٌ
يرتعي المرءُ ظلَّهُ وبهـ

من بعيدٍ

لَيْتَ «النَّعِيمَ» شَرَابٌ
كلما ألْهَبَ السَّرَابُ النَّفْسَ
نهَلَتْ مِنْهُ ، تستزِيدُ ، الكُؤُوسُ
لَيْتَ «دَمْعَ» الفَجْرِ الحَزِينِ البَاكِ
لفراقِ الدَّجَى ، بعينِ السُّورِ
وبُذُوبِ النَّدَى ، يعوْدُ فَيَرَقَا
لَيْتَ أَنَّ «الظَّلَامَ» يَرْتَقِ فتَقَا
شَقَّهُ الصَّبْحُ فِي «الرُّبَى» والسَّكَاكِ
لَيْتَ أَنَّ «الدَّجَى» يعوْدُ فَيُسْقَى
من كُؤُوسِ النَّدَمَانِ ، والأَقْدَاحِ
لَيْتَ هَذَا الظِّلُّ الخَفِوَقُ الْجَنَاحِ
يرتمي فوقَهَا من المِصْبَاحِ
مُشْعِراً بانصرامِ حَبْلِ تَبَقَّى
من حَبَالِ الدَّجَى يعوْدُ فَيَرَقُ

* * *

يا حَبِيبِي رَاخَ «الظَّلَامُ» يُدَاخِ
والْأَبَارِيْقُ ظَلَّهَُا يَنْزَاحِ
عن مُغْدٍ فِي سَيْرِهِ ، وَطَلِيحِ

وَمُبَاحٍ لِحُكْمِهَا ، وَمُبَاحٍ
و «ظَلَالٌ» مِنَ السُّدُمِ الْمَسْفُوحِ !
يَبْدُ «الصُّبْحِ» فِي الْفَصَاءِ الْجَرِيحِ !

* * *

يَا حَبِيبِي ، وَرَغَبْتَنِي ، وَدَلِيلِي !
إِنَّ لَوْنَ الظُّلَامِ حَالَ فُحُولِي !
وَالدَّرَارِي بَعْدَ الصَّرَاعِ الطَّوِيلِ
وَسَنَا الْفَجْرِ يَنْحَدِرْنَ فَلَوْلَا
وَبَنَاتُ النَّعْشِ الْمُقِلُّ الْقَتِيلَا
يَتَذَوَّبْنَ حَسْرَةً وَعَوَلَا
وَيُجَرَّرْنَ مِنْ جِدَادٍ ذِيُولَا
مُسَبَّلَاتٍ عَلَى الْمَجَرِّ الذَّلِيلِ
يَا حَبِيبِي ! مَا الزَّمَانُ فَمِيلِي
وَأُمِّي يَلِي بِمَوْضِعِ التَّقْيِيلِ

* * *

ذكريات

- في هذه القطعة، وهي الثانية من قصيدة «انيتا»، والتي نظمت في فترة من القطيعة، استعراض وتذكر للفترة السابقة، وتعدد لمظاهر تلك الذكريات!
- وقد عالجها الشاعر وكان ما يَرى هناك ... في «باريس».

لا تُرَي «أْنَيْتُ» طيماً بيالي
ما لطيف يسمُ حسي ومالي؟

أنا عندي من مُحشَاتِ الخيالِ
الطيوفُ المُعْرَّساتُ جيالي
كذئابٍ مسعورةٍ وسعالي
بل تعالني إلى يدي، تعالني
فهما الآنَ يحضنانِ الفراشا
خالياً منكِ يستفيضُ ارتعاشا

* * *

ههنا، ههنا، مكائك أمسي
ههنا، مسّ أمسي رأسك رأسي
ههنا أمسي، أمسي، ذوّبت نفسي

في ييسر من الشفاء الظلومي
تتساقى من القلوب الدوامي

* * *

أمسي كنّا هنا هنا نتساقى
من كؤوس الهوى دهاقاً وفاقاً
أمسي كنّا رُوحاً بروح تلاقى

ويداً تحتوي يداً، وفؤادا:

لأخيه يثّ نجوى، وعينا:
ترتعي أختها، فكيف وأينا؟

عادَ ما كانَ أمسي منّا طباقاً
وحشةً، وارتعاشةً، وفراقاً

* * *

أمسي، أمسي، التقت هنا شفتان
كانتا من عجيب صنع الزمان
ذوّب الدهر من مزيج الأماني

فيهما، كلّ موحش ولطيف
وبليد، وحائر، وعصوف

أَمْسِ، أَمْسِ، التقت هنا شفتانِ
يستطيرانِ «وَقَدَّةً» وأوارا
ويسيلان في المرائيف نارا

وُثيران من شكاية الزمانِ
في لهاثِ الأنفاسِ مثلَ الدخانِ
وكأن العيونَ بلهأً، سكارى
من عثارِ اللهاثِ تُكسى عُبارا

* * *

أَمْسِ، راحت على الشفاهِ تدور
قُبَلاتٌ من قبلُ كانت أسارى
في شِغافِ الفؤادِ، حيرى، تمورُ
وزوان! كأنهُنَّ العذارى

أَمْسِ، رُدَّتْ إِمأوها أحارارا
وأماطت عن «الضمير!» الستارا

فبدا ذلك «الجَمَارُ!!» الصغيرُ
مثقلاً، فوقه الخنا، والفجور!
يأكُلُ الشهوةَ الفظيعةَ.. نارا
ويعدُّ الصبرَ القبيحَ فخارا

ثمَّ يَطغى سعيُها ويشورُ
فوقَ وجهِ يَضوى، وعَيْنِ تغور
ثم يُلوى بِثَقْلِهِ.. وبحور

أَمْسِي «نَبْعٌ» بَيْنَ الشَّفَاهِ طَهْوَرُ
غَسَلَ الْحَقْدَ، وَالْخَنَا، وَالْعَارَا
وَنَهَى «الرَّجَسَ» أَنْ يَكُونَ شَعَارَا
أَمْسِي، رَاحَتْ عَلَى الشَّفَاهِ تَدْوَرُ
هَمَسَاتٌ تُصْغِي لَهْنَ الدَّهْوَرِ

ويذيل «المجر» منها عيبر!

* * *

هَهْنَا أَمْسِي، كَانَ خَيْطٌ يَرِقُ
مِنْ نَسِيجِ الدُّجَى، وَفَجَرَ يَشُقُّ
دَرَبَهُ، وَالنَّجْوَمُ شَقٌّ وَشَقٌّ
هَهْنَا أَمْسِي، كَانَ جَرَسٌ يَدُقُّ

ضَرَبَاتٍ «سَيَّأ» يَرْنُ صَدَاهَا
وَتَفِيقُ الدُّنْيَا عَلَى نَجْوَاهَا

* * *

أَمْسِي مَدَّ الصَّبَاحُ كَفًّا فَحَلَا
مِنْ نَجْوَمِ السَّمَاءِ عِقْدًا تَحْلَى
بَسْنَاهُ الدُّجَى، وَفَرَّقَ شَمَلَا
أَمْسِي، إِلَّا نَجْمًا دَنَا فَتَدَلَّى

يُرْغَمُ الشَّمْسَ أَنْ تَرَى مِنْهُ ظِلًّا
أَمْسِ، هَذَا النَّجْمُ الْغَرِيبُ أَطْلَا

مِنْ عَلَى شُرْفَةٍ نَطُلُ عَلَيْهَا
وَنُزَجِّي هَمْسَ الشَّفَاةِ إِلَيْهَا

* * *

أَمْسِ، هَذَا النَّجْمُ الْمَنُورُ كَانَا
يَرْتَبِي مَنْ ذُرَى السَّمَاءِ مَكَانَا
أَمْسِ، وَالْآنَ لَا يَزَالُ عِيَانَا

وَسَيَرْتَدُّ بُكْرَةً وَعَشِيرَةً
مَائِلًا ظِلُّهُ الْخَفُوقُ لَدَيْهَا
يَمْلَأُ النَّفْسَ لَوْعَةً وَحَنَانَا

* * *

كَانَ فِي ظِلِّ غَيْمَةٍ تَتَهَرَّى
تَرْتَدِيهِ طَوْرًا، وَطَوْرًا تَعْرِى
وَمَشَى «سَانِحٌ» إِلَيْهِ، وَمَرًّا

«بَارِحٌ» جَنْبَهُ، وَكَانَ جَنَاحُ
يَلْتَقِي جَنْبَ آخِرٍ يَنْزَاحُ:

عَنْهُ: فِي حَيْنَ رَاحَ يَغِي مَمَرًا

بَيْنَ هَذَا وَذَلِكَ حَتَّى اسْتَقَرَّا
أَفْتَدِرِينَ أَيْنَ؟ تَدِرِينَ أَيْنَا!!

فَلَقَدْ كُنْتَ تَمْلَأِينَ الْعَيْنَا
مِنْ جَمَالِ «الشَّجِيرَةِ» الْوَرَفَاءِ
تَتَرَاءَى كَقُبَّةِ خَضِرَاءِ
عَنْ يَمِينِ الْحَدِيقَةِ الْغَنَاءِ

بُرْهَةً! ثُمَّ رَاحَ يَمْشِي الْهُوَيْنَا
وَالْهُوَيْنَا! حَتَّى اضْمَحَلَّ فَغَابَا
وَانْطَوَى. ثُمَّ عَادَ أَمْسٍ فَأَبَا

وَتَمَشَّى فُوقَ، ثُمَّ دُونَنَا!
وَرَأَا — وَلَا نَوُوبُ — انْطَوَيْنَا

وَرَأَى غَيْرَنَا يُجِدُّ مَكَانَا
كَانَ فِي أَمْسٍ مَرْتَعاً لِهَوَانَا
هَكَذَا، هَكَذَا، أَرَدْنَا فَكَانَا
فَلْتَحَلَّ الْقَضَا! وَتُعِفِ الزَّمَانَا

فراق

- هذه القطعة، وهي الثالثة من قصيدة «أنيتا»، والتي تتوسط «ذكريات» و «وداع» نظمت بعد فترة من «التلاقي» أعقب تلك الفترة، القطيعة، التي ابتعثت القطعة السابقة.

رَفَّ جُنْحُ الدُّجَى «أَنِيتُ» عَلَيَا
رَفَةً خِلْتُ وَقَعَهَا فِي عِظَامِي
كَانَ أَحْنَى، وَكَانَ أَشْهَى إِلَيَا
لَوْ طَوَانِي عَنْهُ جَنَاحُ الْجِمَامِ
لَوْ تَعَوَّضْتُ ثُمَّ عَنْ مُقْلَتَيَا
مُقْلَتَي هَانِيءٍ تَعَرَّى فَنَامَا
وَتَنَاسَى اللَّذَاتِ وَالْآلَامَا!

* * *

خِلْتُ أَنِي مِنْهُ أَنْزِلُ ذُبَابَا
رَجَفْتُ بِالْعَوَاءِ مِنْهُ الْقِفَارُ

خِلْتُ أَنَّ النجومَ تَنْقُضُ رُعباً
وسماءَ ثِقْلُهَا تنهارُ
والأحــاسيسُ شَبَّ منها أوارُ
لَفَّ عَيْنِي وَهَجَّه فاستطارا
ضَرَمًا يُمِطِرُ الْفُؤَادَ شَراراً

* * *

يا هَنائي وشَقوتي: يا نعيمِي
وجحيمي: يا كوثري وحميمي
يا وَقائي من وافداتِ الهمومِ
جنيني رثَعَ الظلامِ البهيمِ
في عِظامي بالثَغْرِ مِنْكَ البسيمِ
وأدلي من حُكْمِ هذا الظَّلومِ
بِصِراطٍ من لُطْفِكَ المستقيمِ

* * *

يا رُقادي إذا استطال سُهّادي
وسُهّادي إذا ذمّت رُقادي
يا صميماً أضَعْتَهُ مِنْ فُؤادي

ثم أَلَيْتُ في يَدَيْكَ الصميماً
لا تَهَيَّ عَلَيَّ إِلَّا نسيماً

يَنْفُخُ اللَّطْفَ والهُوى والشَّبابا

يا يد الله رحمةً وعذاباً
افتحي لي من الهناء باباً

* * *

سامحي، سامحي، فإنَّ اللَّيالي
التَّوالي منهنَّ مثلَ الخوالي
ناقلاتُ ساعاتِها كالظُّلالِ

لسِواننا، ونحن عمّا قريبٍ
نترأى مثلَ الحَيالِ المُريبِ

* * *

سامحي! إنَّ روعةً وشباباً
وجلوداً مجلّوةً وإهاباً
سوف تغدو — إذا أطارَ الغُرابُ
منكِ هذا «الثلج» النديفُ سرّاباً

وسيقى على الزَّمانِ ندياً
وعلى لافحِ الهجيرِ عصياً
خافقٌ لا ترينه اليومَ شيئاً

وداع

- بهذه القطعة، وهي القطعة الرابعة والأخيرة من قصيدة «أنيتا» ينهي الشاعر قصيدته «أنيت» .. وقد نظمها في الأسبوع الأخير من إقامته في «باريس»، قبل مغادرته إياها إلى العراق يوم ١٣ شباط ١٩٤٩

«أُنَيْتُ» نَزَلْنَا بَوَادِي السِّبَاغِ
بَوَادٍ يُذَيِّبُ حَدِيدَ الصِّرَاعِ
يُعَيِّرُ فِيهِ الْجَبَانَ الشُّجَاعِ
«أُنَيْتُ» لَقَدْ حَانَ يَوْمُ الْوَدَاعِ

* * *

إِلَيَّ إِلَيَّ حَبِيبِي «أُنَيْتُ»
إِلَيَّ إِلَيَّ بِجِيدٍ وَلَيْتَ
كَأَنَّ عُرُوقَهُمَا النَّافِرَاتِ
تُحْطِوْطُ مِنَ الْكَلِمِ السَّاحِرَاتِ

إِلَيَّ بِذَاكَ الْجَبِينِ الصَّلَـيْثِ
تَخَافَقَ عَنْ جَانِبِيهِ الشَّعَرُ
يُثُّ إِلَيَّ أَرْبَجَ الزَّهَرِ

سَيَعِثُ فِي خَاطِرِي مَا حَيِّثُ
وَيُذَكِّرُنِي صَبَوْتِي لَوْ نَسِيتُ
إِلَيَّ إِلَيَّ حَبِيبِي «أُنْسِيتُ»

* * *

إِلَيَّ إِلَيَّ بِذَاكَ الدَّرَاغِ
أَبْضَرُ تَفَايِضُ مِنْهُ الشُّعَاعِ
أَطْلِي عَلَيَّ بِهِ كَالشِّرَاعِ

فَقَدْ لَفَحْتَنِي سَمُومُ الْعِرَاقِ
فَأَلْهَبَنَ مَنِّي جُرْحَ الْفِرَاقِ
إِلَيَّ إِلَيَّ بِهِ لِلْعِنَاقِ

لَغَيْرِ الْعِنَاقِ الَّذِي تَعْرِيفُنْ
بَحِثْ يُلْزُ الْوَتِينَ الْوَتِينَ
عَشِيَّةَ أَهْتَفُ أَوْ تَهْتَفِينَ

لَنَجِمِ الْقَضَا، وَلَسَهَمِ الْقَدَرِ
وَلِلْمُسْتَقَرِّ بِذَاكَ الْمَقَرِّ !!!

بَأَنْ لَا يُمِيلَ هَذَا السُّفِينُ
إِلَى حَيْثُ أَرَهَبُ، أَوْ تَرَهَّبِينَ
إِلَى وَحَلٍ مِنْ دُمُوعِ وَطِينِ

إِلَيَّ بِصَدْرِكَ ذَاكَ الْخِصَمَ
مِنَ الْعَاطِفَاتِ الْعُجَابِ الشَّيْمِ
مِنَ الْعَاصِفَاتِ بِلَحْمٍ «وَدَمَ»

* * *

تُلَوُّنُ وَجْهِكَ فِي كُلِّ آنٍ
بِمَا لَمْ تُلَوُّنْ فُصُولُ الزَّمَانِ
أَحَاسِيسُ تُعْرَبُ عَنْ كُلِّ شَانِ

هاشم الورتري

● ألقاها الشاعر في الحفل التكريمي الذي أقيم للدكتور هاشم الورتري، وكان عميداً للكلية الطبية، بمناسبة انتخابه عضواً شرفاً في الجمعية الطبية البريطانية.. وذلك في شهر حزيران عام ١٩٤٩

● ولنظمها بواعث رواها الشاعر في المقابلة التي نشرت له في العدد الثاني من مجلة « المثقف العربي » لشهر حزيران ١٩٧١
قال :

— ... كان الجو السياسي محتدماً، وكنت أشعر أن الواجب يقضي بأن أحدد موقفي .. كان كل شيء يدفع إلى الحدية : الجو السياسي .. المناسبة .. شخص نوري السعيد .. شخص الجواهري .. كنت موطناً نفسي حتى الموت !

— إتصلوا بي تلفونياً، وطلبوا إليّ بالحاح أن أشارك بقصيدة في الاحتفال، فتظاهرت بالرفض .. فألحوا، وأصررت على الرفض .. وفي حقيقة الأمر كنت أهمل للطلب، كنت أرقص وراء التلفون، وإنما كان الرفض تظاهراً ودلالاً .. لأنني أردت ألا أدع لهم مجالاً للتنصل من الدعوة إذا ما علموا بما كنت مُزمعاً عليه ..

— قلت لاسماعيل ناجي — سكرتير الوتري — إن القصيدة قد توقعهم في مأزق .. فقال : لا عليك ان نقابة الأطباء ستتحمّل المسؤولية . « وبالمناسبة فالدكتور اسماعيل ناجي هذا هو نفسه الذي أذاع بياناً على الصحف يقول فيه : انهم لم يدعوني إلى المشاركة في الاحتفال ، كل ذلك — والبطاقة « المذهبة » بالدعوة إياها كانت ما تزال معي — وربما حتى الآن بين أوراقى » .

ويعمضي :

— على هذا النحو تَنَبَّأْتُ ، ومن فوري عرضتُ مطبعتي للبيع ، ونشرتُ إعلاناً في الصحف بذلك .. أردتُ أن أدّخر ثمن المطبعة للعائلة ضماناً لها وتحسباً لما قد يحدث فيما بعد .. ولا أكتمك أن العائلة كانت يومئذ تشتري حتى الخبز والحليب بالدين !! .

— وما إن نُشر الإعلان حتى صادفني في مقهى « حسن العجمي » شاب ذكر ان اسمه « حسن » .. كانت الجريدة مغلقة (يقصد جريدة « الرأي العام ») ، فعرض عليّ حسن — ولم أكن أعرفه من قبل — أن يقرضني ثمن المطبعة دون أن يطلب مني أية ضمانات .. فقلتُ الأفضل أن نرهنها ، فوافق بعد إلحاح مني وأعطاني في اليوم التالي ٥٠٠ دينار . وقد وفّيتها له بعد ذلك بقليل ، أي بعد بيع المطبعة نهائياً .

— لقد أنعشني هذا أكثر فأكثر وزاد من عنفي في القصيدة ، بخاصة وانني قد اطمأنت ، لما حصلت عليه من نقود ، على مصير العائلة .

— وفي الليل .. في سطح الدار .. كنت منبطحاً على حصير ، وكنت أحذو — كما هي عادتي — بما أنظمه من القصيد .. كان صوتي رقيقاً جداً ومؤثراً .. وما إن وصلت المورد الذي يبدأ ب : « أيه عميد الدار شكوى صاحب » ، حتى سمعت زوجتي

وهي خالة فرات تقول: «عوافي أبو فرات» .. كنت أظنها نائمة، ففوجئت بها تنصت لي، ولا تضنّ عليّ بالتشجيع. مهما كانت العقبي التي تنتظرها ومن معها!

— وقبل الموعد بيوم اعطيها النقود وسفرتهم جميعاً إلى «النجف» وهيات ما يلزم لما قد يقع ..

— وحلّ اليوم الموعد .. كانت القصيدة قد اكتملت، فلبست بدلة جديدة حطتها للمناسبة، وذهبت وألقيت القصيدة ..

— كان المكان يفضّ بالحضور، وقد احتشد الشباب فيه احتشاداً، غير أنّ أحداً لم يستعدّ بيتاً واحداً من فرط الرهبة .. اما «الوترى» الممتدح المقصود فكان يتلفت حوله مُستغرباً أو كالمُستغرب .. خائفاً أو كالخائف .. متصلاً أو كالمُتصل .. وأما أقطاب الحكم وكل وجوهه البارزة تقريباً فقد أخذوا الذين كفروا!!

«وأما أنا فقد مضيتُ في الإلقاء حتى النهاية .. وبعد أن أكملت مرّقت أوراقى وذريتها أمام الجمهور، ثم غادرت المكان سيراً على الأقدام ومضيتُ إلى المطبعة» حيث كانت هي مقرّي بعد سفر العائلة ..

ويختتم القصة:

— ومر يومان وثالث ولم يأخذني أحد .. وفي صباح اليوم الرابع جاؤوني ففتشوا المطبعة بحثاً عن القصيدة فلم يجدوها ثم اعتقلوني ومكثت في الاعتقال شهراً واحداً .. وأطلق سراحى بمناسبة العيد ..

«وفي معتقلي — في مديرية التحقيقات الجنائية — جاعني وفد من الشباب ومعه قصاصات القصيدة» الممزّقة وقد جمعوها من حديقة المسيح حيث أقيم الاحتفال وذلك لغرض مقابلتها ..

إليه «عميد الدار»! شكوى صاحب
 خَبِرْتُ أَنَّكَ لَسْتَ تَبْرُحُ سَائِلًا
 وتقول كيف يَظَلُّ «نجم» ساطع
 الآن أنبيك اليقين كما جلا
 فلقد سَكَتُ مخاطِباً إذ لم أجِدْ
 أنبيك عن شرِّ الطَّغَامِ مَفَاجِراً
 الشَّارِبِينَ دَمَ الشُّبَابِ لِأَنَّهُ
 والحاقدِين على البلادِ لِأَنَّهُا
 ولأنَّها أبداً تدوسُ أفاعيها
 شَلَّتْ يَدُ المستعمرِينَ وفرضُها
 ألقى إليهم وِزْرَهُ فَنَحَلُوا
 وأذاهُمْ في «المُوبِقَاتِ» فأصبحوا
 يَتَمَهَّلُ الباغي عواقبَ بَغْيِهِ
 حتى كأنَّ مصابراً محتومةً
 قد قلتُ لِلشَّاكِينِ أَنَّ «عِصَابَةَ»
 لَيْتَ «الموالي» يَغْصِبُونَ بِأَمْرِهِمْ
 فيُهادِنونَ شُهامةً ورجولةً

طَفَحَتْ لَوَاعِجُهُ فَنَاجَى صاحبا
 عني، تُناشدُ ذاهباً، أو آيباً
 ملءُ العيون، عن المحافل غائباً
 وضُحُ «الصَّبَاحِ» عن العيون غياها
 مَنْ يَسْتَحِقُّ صَدَى الشُّكَاةِ مُخاطِباً
 ومَفَاخِراً، ومَسَاعِيّاً منكَاسِبا
 لو نَالَ مِنْ دَمِهِمْ لَكَادَ الشَّارِبَا
 حَقَرْتُهُمْ حَقَرَ السَّلْبِ السَّالِبَا
 منهم تَمُجُّ سَمَوَمَهَا.. وعقاربا
 هذي العُلُوقُ على الدِّمَاءِ ضرائبَا
 أثقالُهُ حَمَلَ «الثَّيَابِ» مشاجبا
 منها «فُجُوراً» في فجورِ ذائبا
 وتراهُمُ يَسْتَعْجِلُونَ عواقبا
 سُوداً تُنِيلُهُمْ مُنَى وَرَغَائِبَا
 غَصَبَتْ حَقُوقَ الأكثَرِينَ ثَلَاغِبَا:
 بل لَيْتَهُم يَتَرَسَّمُونَ «الغاصبا»
 ويُحَارِبُونَ «عقائدًا»! ومذاهبا

* * *

أنبيك عن شرِّ الطَّغَامِ نكايَةً
 لَقَدْ ابْتُلُوا بي صاعقاً مُتْلَهَباً
 بالموثرين ضميرهم والواجبا
 وَقَدْ ابْتُلِيتُ بِهِمْ جَهَاماً كاذباً

(١) الجهام الكاذب: هو السحاب الذي لا يعقبه مطر.

حشدوا عليّ المُغريات مُسيلةً
بالكَاسِ يَقرَعُها نديمٌ مالفاً
ويتلَكُمُ الخَلَوَاتِ تُنمَسِّخُ عندها
وبأنّ أرواحَ ضُحَى «وزيراً» مثلما
ظناً بأنّ يدي تُمدُّ لتشتري
وبأنّ يروحَ وراءَ ظهري موطنٌ
حتى إذا عَجَمُوا قِناةَ مُرَّةٍ
واستياسُوا منها ، ومن مُتخَشِبٍ
حُرٌّ يُحاسِبُ نفسه أن تَرَعُوي
ويحورُ مدحَ الأكثرينَ مفاخرأً
حتى إذا الجُنْدِيُّ شَدَّ حِزامه
حشدوا عليه الجوعَ يَنْشِبُ نَابَهُ
وعلى شُبُولِ اللَّيْثِ خرقُ نعالِهِم!
يتساءلونَ أينزلونَ بلادَهُم؟
إن يعصِرِ المتحكّمونَ دماءَهُم
فالأرضُ تشهدُ أنّها خُضِبَتْ دماً
ماذا يضُرُّ الجوعُ؟ مجدُّ شامِخٍ
أَتَيَ أَظْلُ مع الرعيّةِ مُرهَقاً
يتبحّحونَ بأنّ موجاً طاغياً
كذبوا فملءُ فمِ الزّمانِ قصائدي

صغراً لُعابُ الأذليّنِ رغائباً
بالوعدِ منها الحافّتينِ وقاطباً^(١)
تُلَعُ الرّقابِ من الظّبَاءِ ثعالباً!!
أصبحتُ عن أمرٍ ليلٍ «نائباً»
سقطَ المتّاعُ ، وأن أبيعَ مواهباً
أسمتُ نحرأً عنده وترائباً
شوكاءً ، تُدمي من أتاها حاطباً^(٢)
عَتّاً كَصِلَ الرَّمْلِ يَنْفُخُ غاضباً
حتى يروحَ لِمَن سواه مُحاسِباً
ويحورُ ذَمَّ الأكثرينَ مثالباً!!
ورأى الفضيلةَ أن يظلَّ مُحارباً
في جلدِ «أرْقَطَ» لا يُيالي ناشباً!
أزكى من المُترهّلينَ حقائباً^(٣)
أم يقطعونَ فداً فداً وسابباً؟
أو يغتدوا صُفراً الوجوه شواحباً
مَنّي ، وكان أخو النعيمِ الخاضباً
أَتَيَ أَظْلُ مع الرعيّةِ ساغباً
أَتَيَ أَظْلُ مع الرعيّةِ لاغباً
سدُّوا عليه مَنافذاً ومَسارباً
أبدأ تجوبُ مَشارقاً ومَغارباً

(١) البيت والتاليان له تعريضٌ بالوصي على عرش العراق آنذاك الأمير عبد الآله .

(٢) القناة الشوكاء : هي التي يكثر في فروعها وأغصانها الشوك .

(٣) يريد الشاعر بـ (شبول) الليث أولاده وأطفاله .

تَسْتَلُّ مِنْ أَظْفَارِهِمْ وَتَحْطُّ مِنْ
أَنَا حَتْفُهُمْ أَلْجُ الْبَيْوتَ عَلَيْهِمْ
حَسَبُوا: فَلَمْ تَزَلِ الرَّجُولَةُ حُرَّةً
وَالْأَمْثَلُونَ هُمُ السَّوَادُ: فَدَيْتُهُمْ
بِمُمْلَكِينَ الْأَجْنَبِيِّ نَفْسُهُمْ

أَقْدَارِهِمْ، وَتَثْلُ مَجْدًا كَاذِبًا
أَغْرَى الْوَلِيدَ بِشْتَمِهِمْ وَالْحَاجِبَا
تَأْتِي لَهَا غَيْرَ الْأُمَائِلِ خَاطِبَا
بِالْأَزْدِلِينَ مِنَ الشُّرَاةِ مَنَاصِبَا
وَمُصَنِّدِينَ عَلَى الْجُمُرِ مَنَاصِبَا

* * *

بَغْدَادُ كَانَ الْمَجْدُ عِنْدَكَ قَيْنَةً
وَرِقَاقَ خَمَرٍ تَسْتَجِدُّ مَسَاجِبَا
و«الْجَسْرُ» تَمْنَحُهُ الْعَيُونُ مِنَ الْمَهَا
الْحَمْدُ لِلتَّأْرِخِ حِينَ تَحُولَتْ
الشُّعْرُ أَصْبَحَ وَهُوَ لُغْبَةٌ لَاعِبٍ
وَالْكَأْسُ عَادَتْ كَأْسُ مَوْتٍ يَنْتَشِي
و«الْجَسْرُ» يَفْخَرُ أَنَّ فَوْقَ أَدِيمِهِ،
وَعَلَى بَرِيقِ الْمَوْتِ رُحْنٌ سَوَافِرَا

تَلْهَوُ، وَعُودًا يَسْتَحُثُّ الضَّارِبَا
وَهَشِيمَ رِيحَانٍ يُذَرَّى جَانِبَا
فِي النَّاسِيَيْنِ وَنُجْجَا وَمَنَاسِبَا
تِلْكَ الْمَرَافَةُ فَاسْتَحْلَنَ مَتَاعِبَا
إِنْ لَمْ يَسِلْ ضَرَمًا وَجَمْرًا لَاهِبَا
زَاهِي الشَّبَابِ بِهَا، وَيَسْحُ شَارِبَا!
جَثَّ الضَّحَايَا قَدْ تَرَكْنَ مَسَاجِبَا
بِيضٌ كَوَاعِبُ، يَنْدَفَعْنَ عَصَائِبَا

* * *

حَدَّثَ عَمِيدَ الدَّارِ كَيْفَ تَبَدَّلَتْ
كَيْفَ اسْتَحَالَ الْمَجْدُ عَارًا يُتَّقَى
وَلَمْ اسْتَبَاحَ «الْوَعْدُ» حُرْمَةً مِنْ سَقَى

بُورًا، قِبَابٌ كُنَّ أَمْسٍ مَحَارِبَا
وَالْمَكْرُمَاتُ مِنَ الرِّجَالِ مَعَايِبَا
هَذَا الدِّيَارِ دَمًا زَكِيًّا سَارِبَا

* * *

لا بُدَّ واجدةً لئيماً صاحباً
سوقٍ تُتِيحُ لها دَمِيماً راعياً
مناً، وألقوا كلبَ صيدٍ سائباً!
يَبْرُونَ أنياباً لَهُ وَمَخَالِيباً
لِلخائنينَ الخادمينَ أجانباً؟
ويكافأونَ على الخرابِ رواتباً
مِثْلَ السَّبَاعِ ضَرَاوَةً وَتَكَالِباً
نارٌ تَلْفُ أباغيداً وأقارباً
دُعرأ، وتُبدلتُ الأسودُ أرناباً

إليه «عميدُ الدار» كُلُّ لئيمةٍ
ولكلِّ «فاحشةٍ» المتاعِ دَمِيمةٍ
ولقد رأى المستعبرونَ فرائساً
فتعهدوه، فراحَ طوعَ بَنَانِهِمْ
أَعَرَفَتْ مملكةُ يُباحٍ «شهيدُها»
مستأجرينَ يُخربونَ ديارَهُمْ
مُتَمَرِّينَ يُنصَّبونَ صدورَهُمْ
حتى إذا جَدَّتْ وغى وتضرمتْ
لَزُمُوا «حجورَهُمْ» وطارَ حليمُهُمْ

* * *

يُجري مع الصَّفْوِ الزُّلالِ شوائباً
ويطيرُ من ليلٍ «غراباً» ناعباً!
بوماً مشوماً يَسْتَطِيبُ خرائباً
هذي الطيُوفُ خوادعاً وكواذباً
تلكَ العهودُ وإنْ حُسِبْنَ ذواهباً

لا بُدَّ «هاشمٍ» والزَّمانُ كما ترى
والفجرُ ينصرُّ لا محالةً «ديكهُ»
والأرضُ تَعْمُرُ بالشعوبِ فلنَ ترى
والحالِمونَ سَيَفْقَهُونَ إذا انجَلَّتْ
لا بُدَّ عائدةً الى عُشائِهَا

أطبق دجى

● نظمت في بغداد خريف ١٩٤١

أطبق دجى، أطبق ضباب
أطبق دُخان من الضمير
أطبق دماراً على حُما
أطبق جزاءً على بُناة قُبورهم
أطبق نعيم، يُجب صدا
أطبق على مُتبلِّد
لم يعرفوا لون السماء
ولفـرط ما ديسَ رؤو
أطبق على المعزى بُرا
أطبق على هذي المُسوخ
في كلِّ جارحة يلسوخ
يجري الصديد من الهوا
أطبق جهاماً يا سحاب
مُحرقاً أطبق، عذاب
دمارهم، أطبق ثباب
أطبق عِقاب
لك البوم، أطبق يا خراب
ين شكا ثُمولهم الذباب
لفـرط ما انحنت الرقاب
سهم كما ديس التراب
دُ بها على الجوع احتلاب
تعاف عشتها الكلاب
لجارج ظفر وناب
ن كأنه مسك مُلاب

مَلَتْهَا فَيَافِيكَ الرَّحَابُ
جَوَّهَ كَأَنَّهَا صُورَ كِذَابِ
فَلَا سَوْأَلٌ وَلَا جَوَابِ
كَأَنَّ صَحْصَحَهُمَا سَرَابِ
وَضَجَّ بِالرُّوحِ الْإِهَابِ
يَزِيدُ فُرْقَتَهُم مَّصَابِ
تَهْمُ يَحُلُّ بِهِمْ عَذَابِ
حُقُوقَهُمْ يَوْمًا فَتَابُوا
حَهُمْ نَعْمَ الْمَأْبِ!

أَطْبَقَ عَلَى الدِّيدَانِ
أَطْبَقَ عَلَى هَذِي أَلْسِنِ
الْمُخْرَسَاتِ بِهَا السُّعُوفُ
بُلْهَاءٌ تَدُورُ بِهَا الْعَيْنُ
مَلَّ الْفُؤَادُ مِنَ الضَّمِيرِ
أَطْبَقَ عَلَى مُتَفَرِّقِينَ
يَتَجَحَّحُونَ بِأَنَّ إِنْخِرَافَ
نَدِمُوا بِأَنَّ طَلَبُوا أَقْلَ
وَتَأَوَّبُوا. لِلذَّلِّ يَأْكُلُ رُؤُ

* * *

شَرَّ يَمْطُهَا شَخْمٌ مُذَابِ
رُ، وَحَوْلَهُ غَرْنِي سِغَابِ
لِلخَابِطِينَ بِكَ احْتِطَابِ
كَمَا تَنْفَجِي الْعِيَابِ^(١)
كَأَنَّهُمْ أُسْدٌ غِلَابِ
عَنِ الْعِلْيَاءِ صَابِ^(٢)
خَلَفَهُمْ بِمَيْسَرَةِ رِكَابِ^(٣)

أَطْبَقَ عَلَى هَذِي الْكُورُ
مِنْ حَوْلِهَا بَقَرٌ يَخُو
أَطْبَقَ إِلَى أَنْ يَنْتَهِي
أَطْبَقَ عَلَى مُتَنَفِّجِينَ
مُسْتَوِقِينَ وَيَزَارُونَ
يَزْهَوُهُمْ عَسَلٌ وَيُلْهِمُهُمْ
يَمْشِي مِنَ الْأَمْجَادِ

(١) انتفج: كالنافج والنفاج: المتعاطم والمتكبر والمتضخم. والعياب جمع «عيبة»: السفط توضع فيه الثياب.

(٢) زها الشيء الرجل: استخفه واستطاره. والصاب: شجر شديد المראה.

(٣) الميسرة: ضد المعصرة.

فاذا التقت حَلَقُ الْبَطَانِ وَجَدَتِ الثُّوبُ الصُّعَابُ^(١)
خَفَقَتْ ظِلَالُهُمْ وَمَاعُوا مِنْ نُعُومَتِهِمْ فذَابُوا
وَنَجَّوْا بِأَنْفُسِهِمْ وَرَاحَتْ طُعْمَةُ النَّارِ الصَّحَابِ

* * *

(١) حلق البطان : ما يربط به الحزام من آلة وعدة . و « التقى » : حلق البطان مثل يضرب لعظمة المكروه واشتداده .

حنين

● نظمت في أواخر عام ١٩٤٩

أَجِنُّ إِلَى شَبَحٍ يَلْمَحُ بَعَيْنِي أَطْيَافُهُ تَمْرَحُ
أَرَى الشَّمْسَ تَشْرِقُ مِنْ وَجْهِهِ وَمَا يَنْزِلُ أَثْوَابُهُ تَجْنَحُ^(١)
رَضِيَ السَّمَاةِ، كَأَنَّ الضَّمِيرَ عَلَى وَجْهِهِ أَلْقَا يَطْفَحُ
كَأَنَّ الْعَبِيرَ بِأَرْدَانِهِ عَلَى كُلِّ «خَاطِرَةٍ» يَنْفَحُ
كَأَنَّ بَرِيْقَ الْمُنَى وَالْهَنَا بَعَيْنِيهِ عَنْ كَوَكِبٍ يَقْدَحُ
كَأَنَّ غَدِيرًا فَوْقَ الْجَبِينِ ع نَ ثَقِيَّةٍ فِي «غِدٍ» يَنْضَحُ
كَأَنَّ الْعُصُورَ عَلَى وَجْتِيهِ يَكُنُّ بِهَا نَغَمٌ مُفْرِحُ^(٢)
كَأَنَّ بَهَامَتِهِ مَتَبَعًا مِنَ الثُّمُورِ، أَوْ جَمْرَةٍ تَجْدَحُ
كَأَنَّ «فَقَارًا» عَلَى «كَاهِلِ» يُنَارُ بِهِ عَالَمٌ أَفْسَحُ
وَأَخْسَرَ شُدَّتْ عَلَيْهِ يَدُ فَلَا يَسْتَيْبِنُ، وَلَا تُفْتَحُ!

(١) جنح يجنح جنوباً: أقبل .. ومال .

(٢) العصور : جمع غَصْنٍ أو غَصَنٍ ، وهو كل تجعد وتثن في جلد أو ثوب أو غيرها .

أَجْنُ لَهُ : وَكَأَنَّ الْحَيَاةَ خَضِرَاءَ مِنْ دُونِهِ ، صَخَصَح^(١)
 أَجْنُ لَهُ : وَأَجْبُ الْكَرَى لَسَانِيَّةٌ مِنْهُ قَدْ تُسَنِّح
 أَجْنُ لَهُ : لَيْسَ يَفْقَوِي النُّعِيمُ وَكُلُّ لَذَاذَاتِهِ مُرَبِّح
 وَلَا كُلُّ مَا نَهَزَ النَّاهِزُونَ مِنَ الْمُتَعَاتِ وَمَا اسْتَنَزَحُوا^(٢)
 وَلَا كُلُّ مَا أُمِّلَ الْآمِلُونَ وَلَا مُحْفِقٌ مِنْهُ ، أَوْ مُنْجَح
 لَتَعْدَلَ مِنْ نَعْرِهِ بِسْمَةٍ بِهَا نَسْمَةُ الْخَلْدِ تُسَنَّرُوح

* * *

فِيَا لِيَتَنِي بَعْضُ أَنْفَاسِهِ لِأَمْنَحَ مِنْهُنَّ مَا يَمْنَح
 وَيَا لِيَتَنِي « ذَرَّةٌ » عِنْدَهُ لِأُسَبِّحَ فِي فَلَكَ يَسْبَح
 أَجْنُ إِلَى شَبَحٍ يَلْمَحُ
 بَعِيْنِي أَطْيَافُهُ تَمْرَحُ

(١) صَخَصَح : جمعه صَخَصَح ، وهو ما استوى من الأرض وكان أجرد .

(٢) نهز بالدلو في البئر : ضرب بها في الماء ليمتلئ واستنزع من نزع البئر إذا استقى ماءها حتى قل كثيراً أو نفد .

الخمسينيات

الى الشعب المصري

- ألقاها الشاعر في الحفلة التي أقامها الدكتور طه حسين لوفود الدول العربية المشاركة في المؤتمر الثقافي الذي كانت تقيمه جامعة الدول العربية بين آونة وأخرى .
- وكان الشاعر قد تلقى دعوة خاصة لحضور المؤتمر المذكور ، ونزل ضيفاً رسمياً على وزارة المعارف أولاً ثم على الحكومة المصرية .
- واختتم الدكتور طه حسين الحفلة ، بعد انتهاء الشاعر من قصيدته ، بخطاب مرتجل منوهاً بالشاعر وبشعره وبالشعب العراقي .
- نشرت في جريدة «الأوقات البغدادية» ، العدد ١ في ٢٢ شباط ١٩٥١

يا «مصر» تستبِقُ الدهورَ وتعْثُرُ والنيلُ يزخرُ والمسلةُ تزهر
وبنوكِ والتاريخُ في قصبيهما يتسابقانِ فيصْهرونَ ويصْهر^(١)
والأرضُ يُنْقِذُ من عَمَايةِ أهلِها نورٌ يرفُّ على ثراكِ ويُـنْشَر^(٢)
هذا «الصعيد» مشت عليه مواكبُ للدهرِ مثقلةُ الخطى تبختر

(١) في قصبيهما : أي مضماريهما .

(٢) العماية : بفتح العين كالعمية والعمية بالتشديد وهي الغواية والضلال .

في كل مطّرح وكلّ ثنيّة
يهزا من الأجيال في خطراتها
مشيت القرون متمّات، سابق
يصل الحضارة بالحضارة ما بنى
وتنائر الجمرات حولك، نابغ
ووسعت أشتات الفنون كأنها
يا مصر لم تبخس جمالك ريشة
لله جوك. أيّ مبعث فتنة
الليل عندك غير ما عُرف الدجى
وكأنما من صنّع جوك وحده
وكان مذهب الأصيل ملاءة
وتورث حبات رملك بينها
ومشى الضباب على سماك كأنه

حجر بمجد العاملين معطر
«الكرنك» الثاوي بها و«الأقصر»
منها يحدث لاحقاً ويخبّر
فيك «المعز» وما دحا الإسكندر
يخفى، وآخر عبقري يظهر
فلك يدور وأنت أنت المحور
مرت عليه، ولم يخنك مصور
حتى الطبيعة عنده تمصر
في أرض غيرك، والصبح المسفر
قمر على كبد السماء منور
بمذاب ما نضت القرون تعصفر
رفق الدهور وعنفها يتمور^(١)
مما أثارت الحوادث عثير^(٢)

* * *

يا «مصر» مصر الشعب: لا غايته
باق وكل معمر فالى مدى
جبروته الأعلى، فلا «نيروئه»
يلوى على ما لا يطاق، ويرتضى
يزري به المتحكمون فيزدري

تفنى، ولا خطواته تتقهقر
عال، وكل منيعه تتدهور
شيء، ولا «فرعونه» المتجبر
ما لا يليق، ويستكين ويصبر
وتنال منه الحادثات ويسخر

(١) تمور: تحرك وتموج.

(٢) العثير: العجاج.

حتى يَظُنُّ به الظنونَ مؤمِّل
ويروحُ يَسْدُرُ في العَوَايِةِ سادِرٌ
فإذا استوى أَجَلٌ، وحانت ساعةٌ
واستنفدَ المتضاربونَ قِداحَهُم
ألقى لهم يَدَهُ وشدَّ ذراعَهُ
ويحارَ في تعليلِهِ مُتفَكِّرٌ
ويشطُ في غُلُوِّهِ مُسْتَهْزِئٌ
وتكافأتْ فُرُصٌ، وحُمَّ مَقْدَرٌ
وانفضَّ عن حُسرِ الرِّيحِ المَيسِرُ^(١)
فإذا يدُ الطاغِيِ اذُلَّ وأقصر

* * *

يا مصرُ مصرَ الأَكثَرينَ ولم يزل
وهنا، وثَمَّةً، لا يزالُ مُنْعَمٌ
هذا السوادُ أعزُّ ما ضَمَّتْ يَدُ
مُدِّيهِ بالعِيشِ الرخيِّ فلم يكنْ
ودعيهِ يشعرُ أنَّ شِقَّةَ بيتِهِ
ثم اقدفي المستعمرينَ بوعيهِ
وتفحَّمي العَمَراتِ صدركَ مُحْتَمٍ
يا مصرُ ليسَ بِمُنْقَذٍ أوطائِهِ
والمُلكُ ينسِفُ من قِواعِدِ أسِهِ
في الشرقِ يرضخُ للأقلِّ الأَكثَر
أشِرُّ بنعمةِ خالقيهِ يكفر
للطائراتِ وخيرُ ما يُستذخر
ليصونَ مُلكاً جائِعٌ يتضورُ
عَلِقَ يَصان، ونعمةٌ لا تُكفر
ناراً تشبُّ، وصاعقاً يتمطَّر
ومَدَاكِ مَتَسِّعٍ، ووجهُك مُسْفِر
حرجُ الفؤادِ، ولا عديمٌ مُعْشِر
صدرٌ بمضطَّرمِ الحَزازَةِ مُوْغِر

* * *

أنا ضيفُ مصرَ وضيفُ طه ضيفُها
أنا ضيفُ مصرَ فلنْ أَثْقُلَ فوقها
وإذا عتبتُ فمثلما مَسَّ الغرى
ما بعدَ ذلكَ للمُفاجِرِ مَفخر
ظَلَّيْ بِمَالِكِيَّةِ تُعَابِ وتُنكر
غيثٌ تَخْلَلُهُ سحَابٌ أَكدر

(١) القداح: جمع قدح بكسر القاف وهو هنا سهم الميسر، والميسر هو القمار.

يامصرُ: لاعتِ البسيطةُ شملها
وتلاقتِ الدنيا فكادَ مشرقُ
ويكادُ يبتُّ في العراقِ بجذوةٍ
وهنا يكادُ بمصرَ يسألُ أهلها
ويكادُ يُجهلُ أنَّ «بغداداً» بها
أو أنَّ «كوفاناً» و«بصرة» منهما
أبكونُ عذرَ الجهلِ أنَّ عمومةً
أو أنَّ تضيقَ بخنصرِها راحةً

فالكونُ أصغرُ، والمسافةُ أقصرُ
من أهلها بمُغْرِبٍ يتعثرُ
مضرومةً في «تبيّت» يتنورُ
هل في العراقِ أعاجِمُ، أم بربرُ؟
كانت يدُ الدنيا تطولُ وتقصُرُ
كانت إلى الأممِ الحياةُ تُصنُرُ
أغنى، وأنَّ بني أخينا أفقرُ؟
إذ كان أصغرُ ما تضمُّ الخنصرُ؟

* * *

«طه».. ونورُ الفكرِ أوفى حُرمةً
سبعونَ من سُوحِ الجهادِ قضيتها
تستنُّ زحمةَ دربهما وتجوّزه
وتجيءُ بالرأيِ الصريحِ وإنه
ويقيمُ من رهجِ القيامةِ حاقِدُ
وتمرُّ مرفوعَ الجبينِ مُجَلِّياً
للهِ درُّكُ أيُّ همٍّ شاغِلُ
ويُسامرُ الدنيا فكلُّ ضميمة
يروي القريبُ إلى البعيدِ حديثه
يا صاحبَ «المتعذِّين» وعنده
ومنورُ الجليلِ الجديدِ كما هدى

والجُدُّ أوفرُ، والمكانةُ أوفرُ
للخيرِ تعملُ جاهداً وتفكرُ
وتشقُّ خابطَ ليلها وتُنورُ
لِلآنِ أصعبُ ما يكونُ وأندرُ
ويشورُ الدنيا عليكِ مشورُ
تخسُّ الترابَ بوجهه وتُغبرُ
يُحيا به الليلُ الطويلُ ويُسهرُ
فيها نديٌّ من نِشاهِ وسُمرٍ^(١)
ويُسِرُّ فيه الغائبينَ الحُضُرُ
مما يعانون، العذابُ الأكبرُ
في الليلِ مختبطاً شهابَ نيرُ

(١) النشأ ما أخبرت به من حسن .

أشكو إليك؛ لأنَّ مثلك عارفٌ مثلي، وليس لأنك المستورز!
ركضت بي الخمسون لا حلبائها تُوقِي العِشارَ ولا العِنانُ يُقصرُ
وناهبت شعري بمحض غبارها فياضه بسواده يتنذر

* * *

باق وأعمار الطغاة قصار

● نشرت في جريدة «الأوقات البغدادية» ، العدد ٤ في ٢٥ شباط ١٩٥١

باق — وأعمار الطُّغاةِ قصارُ —
متجاوبَ الأصداءِ نفحُ عبيره
رَفُ الضميرُ عليه فهو منورٌ
وذكا به وهَجُ الإِبَاءِ فردّه
العمرُ عُمُرُ الخالدينِ يُمُدّه
يتمخّصُ التاريخُ في أعتابهم
أما النفوسُ الرّاحراتُ عروقها
من سفرِ مجدك عاطرٌ موارُ
لُطْفٌ . ونفحُ شدائِه إعصار
طُهرًا كما يتفتّحُ النُّوَارُ
وقدأ يُشبُّ كما تُشبُّ النار
فلَکَ بطيبِ نّاهم دَوَارٌ^(١)
حَمْدًا ، وتعرفُ ليلةً ونهار
بالمُغرياتِ فتشوةً وخُمار

* * *

وصحافة صِفَرُ الضميرِ كأنها
ومُبصِّصونَ كأنهم عن غيرهم
سِلَعُ ثُبَاعٍ ، وتُشْتَرى ، وتُعار
مِسَخٌ ، ومن آثامه آثار

(١) النّاش: الذّکر .

يُومِي لَهُمْ بِكُفُوبِهَا وَيُشَار
فَنَبَا بِهِ مَتْنٌ، وَزَلَّ فَقَار
عَتَاً فَلَا غَيْثٌ وَلَا إِصْحَار^(١)

يَتَهَاوُونَ عَلَى مَوَاطِيءٍ أَرْجُلِ
قَدَّرَ أَنْاعَ عَلَى الْبِلَادِ بِكُلِّ كِلِ
وَنِغْمَامَةٍ سَوْدَاءٍ رَانَ جِرَائُهَا

* * *

وَالْعَلِمُ يُقَطِّفُ، وَالنَّهْيُ تُشْتَار^(٢)
تَحَسَّفُ. وَحِينَ تُشَرِّدُ الْأَحْرَارَ
وَمَسَحَتْ تُرْبَكَ وَالْهَوَى لِي دَارَ
بِخَفِيفٍ «أَرْزَكَ» تَلَكُمُ الْأَوْتَارَ
وَجَمَالَهَا الْأَنْجَادُ وَالْأَغْوَارَ
ثَقُلَ الْحَيَاةِ تَحْطُمُ الْقَيْشَارَ
أَشِيرَ، وَسَوَّطَ عَذَابُهُ هَذَا
أَوْ أَنْ أَرْزُوكَ، وَ«الْحَبِيبُ يُزَارُ»^(٣)
عَاتٍ، وَيَوْمَ يُفَكُّ عَنْكَ إِسَارَ
بِالْحَزَنِ - يَوْمَ خُلَاصِكَ الْأَنْجَارَ
جَيْشٌ لآخرَ غَاصِبٍ جَرَّارَ
رَجْمَ سِوَاهُ مُذْنَبٌ سَيَّارَ

لُبْنَانُ يَا بِلَدَ الصَّبَاحَةِ تُجْتَلِي
يَا مَوْطِنَ الْأَحْرَارِ حِينَ يَسُومُهُمْ
نَاغِيَتْ حُسْنَكَ وَالصَّبَا لِي شَانِعُ
وَأَثَرَتْ مِنْ «قَيْشَارِي» فَتَجَاوَيْتُ
وَمَشَتْ تُذْبِعُ عَلَى الْقَوَافِي عِطْرَهَا
حَتَّى إِذَا زَحَمَ الشَّبَابَ وَلُطْفَهُ
وَنَهَضَتْ لِلْمُحْتَلِّ أَرْضَكَ، بَطْشُهُ
وَمُنَعَتْ أَنْ أَغْشَى رِبْعَكَ بَعْدَهَا
وَوَلَّيْتُ أَرْقُبُ يَوْمَ يُوثَقُ آمِيرُ
أَسْفَاً فَقَدْ أَنْهَتْ إِلَيَّ - مَشْوَبَةٌ
أَهْدَاكَ إِذْ فَرَّ جَحْفَلُ غَاصِبٍ
وَبَدَا يُزَحْزِحُ عَنْ سَمَاكَ مَذْنَباً

* * *

(١) رَانَ : هَمِنَ، وَقَعَ وَلَمْ يُمْكِنَ الْخُرُوجُ مِنْهُ . جَرَانُ الْبَعِيرِ مُقَدِّمُ عُنُقِهِ يَرِيدُ ثَقُلَ الْغِمَامَةِ .

(٢) تُشْتَارُ : تَجَنَّبُ كَمَا يَجَنَّبُ الْعَمَلَ .

(٣) التَّضَعُّعُ مِنْ بَيْتِ الْجُرُودِ لِي زَوْجَتِهِ .

لَبَنَانُ نَجْوَى مُرَّةٍ وَسِرَارُ
 مَاذَا يُرَادُ بِنَا؟ وَأَيَّنَ يُسَارُ؟
 وَالْوَحْشُ يَرِيضُ فِي الشَّيَا مُنْذِرًا
 أَعْقَابُ لُبْنَانٍ تَدْنُسُ وَكَرَهُ
 أَوْ بَحْرُهُ نَبْعُ الْفَخَارِ يَشْقُهُ
 أَوْ فَخْرُ مُنَهَاضِ الْجَنَاحِ بَأَنِهِ
 الْيَوْمَ يَنْزِلُ عِشَّةً وَيَلْدُوسُهُ
 وَغَدًا يُلْقِفُهُ وَيَنْتِفُ رِيشَهُ

لَبَنَانُ نَجْوَى مُرَّةٍ وَسِرَارُ
 مَاذَا يُرَادُ بِنَا؟ وَأَيَّنَ يُسَارُ؟
 وَالْوَحْشُ يَرِيضُ فِي الشَّيَا مُنْذِرًا
 أَعْقَابُ لُبْنَانٍ تَدْنُسُ وَكَرَهُ
 أَوْ بَحْرُهُ نَبْعُ الْفَخَارِ يَشْقُهُ
 أَوْ فَخْرُ مُنَهَاضِ الْجَنَاحِ بَأَنِهِ
 الْيَوْمَ يَنْزِلُ عِشَّةً وَيَلْدُوسُهُ
 وَغَدًا يُلْقِفُهُ وَيَنْتِفُ رِيشَهُ

* * *

يَنْبَى وَيَأْمُرُ فَوْقَهَا أَسْتَعْمَارُ
 هَوَاتٍ، وَالْأَسْبَاطُ، وَالْأَصْهَارُ
 وَرَفَاهُهَا - فَأَمْدُهَا «الدُّوَلَارُ»
 ذِمُّ الرِّجَالِ، وَتُحْجِزُ الْأَفْكَارُ
 فِي الْمَشْرِقِيِّينَ، وَلاَحِثِ الْأَنْوَارِ
 عَاتٍ، وَقَرُّ مِنَ الشَّعْوَوبِ قَرَارِ
 إِذْ عَرَّسُوا، وَخُبُورَهُمْ إِذْ طَارُوا^(١)
 حَفْنًا، وَلِلْمُضْبِّ الضَّلِيلِ وَجَّارِ^(٢)

تَنْبَى وَيَأْمُرُ مَا تَشَاءُ عِصَابَةٌ
 خَوِيَتْ خَزَائِنُهَا لِمَا عَصَفَتْ بِهَا الشَّ
 وَاسْتَنْجَدَتْ - وَدُمُ الشُّعُوبِ ضَمَانُهَا
 يُلَوِّى بِهِ عَصَبُ الْبِلَادِ، وَتُشْتَرَى
 عَرَّفُوا مَصَابِرَهُمْ إِذَا جَلَّى غَدٌ
 وَإِذَا اسْتَوَى أَجَلُ فَرْعِ طَارِيءٍ
 وَرَأَوْا بِأَعْيُنِهِمْ فَجِيعَةَ أَهْلِهَا
 وَتَيَقَّنُوا أَنَّ لَا وَجَّارَ يَمِيقُهُمْ

(١) الأقم: أغبر اللون.

(٢) الأجدل: الصقر.

(٣) عرسوا ... وطاروا: يقصد أقاموا ... ورحلوا.

(٤) الوجار: بفتح الواو وكسره: حجر الضب وغیره.

فَهُمْ وَفَرَطُ الْحَقْدِ لَأَنِّ دِمَائِهِمْ كَلَبَ بِهِمُ لِدِمَائِنَا وَسُـمَارِ
وَهُمْ يَجِدُونَ الْأَظْفَرَ مِنْهُمْ عِلْمًا يَوْمَ تُقْلَمُ الْأَظْفَارُ

معروف الرصافي

- أَلْقَيْتَ مِنْ إِذَاعَةِ بَغْدَادَ .
- نُشِرَتْ فِي جَرِيدَةِ «الْأَوْقَاتِ الْبَغْدَادِيَّةِ» ، الْعَدَدُ ٢٢ فِي ٢٠ آذَارِ عَامِ ١٩٥١ ، وَهُوَ خَاصٌّ بِالذِّكْرِ الْخَامِسَةِ لَوَفَاةِ الرِّصَافِيِّ .
- وَنُشِرَتْ فِي جَرِيدَةِ «الثَّبَاتِ» ، فِي الذِّكْرِ السَّادِسَةِ لَوَفَاةِ الرِّصَافِيِّ ، الْعَدَدُ ٨٤ فِي ١٧ آذَارِ ١٩٥٢

لَا قَبِيْثَ رُبُّكَ بِالضَّمِيْرِ	وَأَنْزَلْتَ دَاجِيَةَ الْقُبُورِ
وَأَشَعْتَ فِي الْأَبْدِ الْبَهِيْـ	حِ طَلَاقَةَ الْأَبْدِ الْمُنِيْرِ
وَذَهَبْتَ لَمْ تُعْلَقْ يَدَا	كَ بَغِيْرِ مَكْرُمَةٍ وَخِيْرِ
وَسَمَرْتَ وَالْأَلَمَ الدَّفِيْـ	نَ وَنَعَمَ ذَلِكَ مَنْ سَمِيْرِ
وَنَطَقْتَ بِالْحَرَمِ الْمُيْـ	نِ وَلَسْتَ بِالْعَيِّ الْحَصُوْرِ
إِنْ زَمَ مِنْ فَمِكَ الزَّمَا	نُ فَلَنْ يَزَمَ فَمُ الشُّعُوْرِ

* * *

أَضْفَيْتَ قَافِيَةً تُشِيعُ عَلَى «قَصِيْدَةٍ» مِنْ عَشِيْرِ

وَأَجِدُ فِي سِفْرِ الرُّدَى سَطَرَ لِمَوْلَى السَّطُورِ
 وَكَشَفَتْ عَنْ صَدْرِ يَتِيهِ بِقَلْبِهِ يَبِينُ الصُّدُورِ
 غُرِيحَانِ إِلَّا مِنْ صَمِيحٍ مِ الْحَبِّ وَالْأَلِيمِ الْغَزِيرِ
 لِلَّهِ دُرُّكَ مِنْ جَرِيءٍ دُونَ فِكْرَتِهِ جَهِيءٍ
 أَنْكَرْتَ أَنَّ «الدَّيْن» لَمْ يَنْبَرْخْ مَلِيحاً بِالْقَشُورِ
 يَجْتَرُّ مِنْ «أَحْكَامٍ» بِشَرِّ لُوثٍ بِدَمِ الْبَعِيرِ
 يَلْهُو بِهِ مِنْ لَيْسَ يَعْرِ رَفِ مَا «الْبَجِيرُ» مِنْ «الْعَجِيرِ»
 قَدْ كُنْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ عَقْدَ جَبَى الْمَوْتِ شَيْءٌ فِي الضَّمِيرِ
 وَحَيَاتِكَ الدُّنْيَا لَجْنُ يَتَهَا مِثَالُ السَّعِيرِ
 «اللَّهُ» عِنْدَكَ كَانَ رَمَى رَ سَعَادَةِ الْجَمْعِ الْغَفِيرِ
 وَالْكَفَرُ أَلَا تُغَضِبُ الْأَشْرَارَ فِي شَجَبِ الشُّرُورِ
 وَالْفَسْقُ فِي شُرْبِ الدِّمَا ءِ، وَلَيْسَ فِي شُرْبِ الْخَمُورِ

* * *

مَا زِلْتَ تَقْدَحُ مِنْ زِنَا دِ الْفِكْرِ مُوَهِّباً قُتُورِي
 أَبْقَظْتَ هَاجِعَةً عَلَى فَرَشٍ مِنَ الْبَلْبَلِ وَوِي
 تَغْفُو عَلَى حُلُمِ الْخَنُوِ عِ وَتَرْتَمِي طَيْفَ الثُّبُورِ
 وَوَقَيْتَهَا شَرُّ الْمَزَا لِقِي فِي الْجَهَالَةِ وَالْوَعُورِ
 قَرَعْتَهَا أَنْ تَسْتَنِيحَ مِ مِنَ الْهَوَانِ عَلَى شَفِيرِ
 وَأَذَلْتَ مِنْ رَزَقِ النُّعْمَا مِ بِجَفْنَيْهَا التَّعَبِ الْحَسِيرِ
 وَطَلَّ بَتْ مِنْهَا أَنْ يَوْفَى رَ وَعِيَهَا سَهْرَ «الْخَفِيرِ»
 سَاءَتْهَا أَيْسَنَ الْمَصِيرُ؟ وَأَلْفُ وَحْشٍ فِي الْحَظِيرِ

وَأَرَيْتَهَا التَّارِيخَ نَز
تَتَفَاغَرُ «الْهُوَاثُ» فِيهِ
يَتَنَادِيَانِ عَلَيْكَ أَيَّامًا
كَمْ تَخْلُدِينَ، وَكُلُّ شَيْءٍ
تُحَرِّبُ بِالْبَشِيرِ وَبِالنَّذِيرِ
وَتَنْجِلِي سُبُلَ الْعُبُورِ
شَيْءٌ مِنْ دَرْبِ فَسِيرِي
يَسْتَحْكُمُكَ أَنْ تَتَوَرَّى

* * *

وَنَحَتْ مِنْ عُودِ الطُّفَاةِ
زَعَزَعَتْ سَاقَةً بَغِيهِمْ
وَشَجِبَتْ أَنْ تَبْقَى الْجَمُورِ
وَفَضَحَتْ غِشَّ الْمُسْتَعِيرِ
وَقَدَّ جَسَا نَحْتِ الشَّجَرِ
وَضَرَبَتْ مِنْهَا فِي الْجَذُورِ
عُ لَعَابِهَا كَالْجَسُورِ
بِمَا فَضَحَتْ مِنَ الْمُعِيرِ

* * *

وَسَحَقَتْ «دِيدَانُ» الزُّعَا
يَتَجَبَّبُونَ عَنِ الْعَسِيرِ
يُعِيهِمُ الدَّرْبُ الطَّوِيلُ
مَا الْمَجْدُ كَأَسَّ تَجْلِيلِ
مِ أَفْرَحَتْ بَيْنَ الْجَحُورِ^(١)
وَيَشْجَعُونَ عَلَى السَّيْرِ
هَذَا لِلْمُقَاتِلِ يَدُ الْمُدِيرِ
تَارِ، وَوَلِيدَانِ، وَخُورِ
ضَوْءِ الْكَسَاكِبِ وَالْبُدُورِ؟
رِ وَلَا مَصَاحِبَةَ «السَّفِيرِ»
يَ وَاللَّسْجُونِ وَلِلْقَبُورِ
الْمَجْدُ يُخَنَّقُ يَمِينِ أَوْ
مَا فَخْرٌ مِنْ يَمَشِي عَلَى
وَالْمَجْدُ لَيْسَ رِضَا الْوَزِيرِ
الْمَجْدُ صِنْفٌ لِلدُّمَامِ

(١) أفرحت: تكاثرت

وَأَطَرَتْ مِنْ تِلْكَ «النَّحْوِ س» مَعَشَاتٍ فِي الْوَكُورِ
 تِلْكَ «التَّقَالِيدُ» الْعَرِيقَةُ فِي الْغُبَاءِ وَفِي الدُّرُورِ
 وَرَفَعَتْ مِنْ تِلْكَ «الْأَسِيرَةُ» بِاسْمِ رُبُوبَاتِ الْخُدُورِ!
 مِثْلَ السَّوَامِ أَجَلٌ يَبْعُ رِقَابَهَا بِاسْمِ «الْمُهْجُورِ»!
 وَالْوَائِدُ السَّفَاحُ بُرَّرَ رَجُومُهُ بِاسْمِ «الْغَيُورِ»
 فَحَمَلَتْ عَنْهَا طَيْعاً دِيَةَ التَّحْرِيرِ وَالسُّفُورِ

* * *

«مَعْرُوفٌ» أَمْسٍ مَنَحْتَنِي عَطْفَ الْكَبِيرِ عَلَى الصَّغِيرِ^(١)
 وَأَسَيْتَ جُرْحِي، إِنَّ جُرْحَكَ نَاغِرٌ جَمُّ الْبُشُورِ^(٢)
 خَيْرٌ تَنَسَّيَ: أَنْ تُحْضَتْ قَبْلِي مَا اسْتَفْضَا مِنْ الْبَحْرِ
 سَيَّرْتَ فِيهَا كَالسَّفِيرِ نَ مَوَاحِرَ الْكَلِمِ الشَّهِيرِ
 وَكَكَيْتَ مَجْدًا ضَاعَ مَا بَيْنَ «الْخَوَرْتِي» وَ«السُّدِيرِ»!
 يَلْهُو عَنِ «الْغَدِ» بِالَّذِي قَدْ كَانَ فِي أَمْسٍ السُّدِيرِ
 خَيْرٌ تَنَسَّيَ: كَيْفَ انْكَفَأَتْ وَأَنْتَ تَغْثُرُ بِالْثَمُورِ
 نَهَبَ الْعَيُونَ الْحَاقِدَا تِ عَلَيَّكَ مَنَ خُزْرِ وَصُورِ

* * *

«مَعْرُوفٌ» نَمَ فَوْقَ الثُّرَا بِ فِلَسَتْ مِنْ أَهْلِ الْخُرَيْرِ

(١) يشير الشاعر إلى قصيدة الرصافي الرائية التي وجهها عام ١٩٤١ إليه من الفلوجة على أثر نشر الشاعر قصيدته العينية «أجب أيها القلب» ، والقصيدتان منشورتان في هذه المجموعة من العيون .

(٢) ناعر : أي جرح فؤاد بالدم .

وَتَمَلُّ مِنْ «دُودٍ» أَعْرَ—
 مِنْ نَاصِرٍ لَكَ فِي الْعَـشِ
 وَمُعِـرٍ لَكَ أَنْ جَدَّ
 لَمْ يُرَضِ بِالْمَلِيقِ الْوَلَا
 عَلَيْكَ مِنْ لَكْعِ شَرِيرٍ؟
 سَيِّ وَعَاقِرٍ لَكَ فِي الْبُكُورِ
 كَ لَمْ يَمُصَّ دَمَ الْفَقِيرِ
 ةَ، وَلَا تَزْلُفَ لِلْأَمِيرِ!

* * *

«مَعْرُوفٌ» نَمَ فَوْقَ التَّـرَا
 بِالْمَحْسِنَاتِ الصُّنْعِ لَمْ
 وَالْعَاقِبَاتِ كَأَنَّهَا
 وَالصَّاحِبَاتِ كَأَنَّهَا
 وَإِذَا سَأَلْتَ عَنْ «الْعَـسْـرَا
 بِ مَضْمَخاً بِشَذَا الْعُطُورِ
 تَطَلَّبَ بِهَا أَجَرَ الشُّكُورِ
 مُتَفَتِّحُ الزَّهْرِ النَّضِيرِ
 مَوْجٌ يُزَجْرُ بِالْهَدِيدِ—
 قِ، فَقَدْ وَقَعَتْ عَلَى الْخَبِيرِ

* * *

«مَعْرُوفٌ» كُنْتَ تُعْبُ مِنْ
 أَنَا مِنْهَا أَسْقِي وَأَشْرُبُ
 مَا كَانَ أَشْبَهَنَا وَمَا
 إِنَّا كَلَانَا نَازِلَا
 ضَنْكَ وَفَكْرٍ فِي غَدِيرِ
 بِالصَّغِيرِ وَبِالْكُـبْرِ
 أَدْنَى مَصِيرَكَ مِنْ مَصِيرِي
 نِ مِنَ الْقَضَاءِ عَلَى حَفِيرِ

تنومة الجياع

● نشرت في جريدة «الأوقات البغدادية»، العدد ٢٨ في ٢٨ آذار ١٩٥١

نامي جياع الشعب نامي	حرسنك آلهة الطعام
نامي فان لم تشبعني	من يقظة فيمن المنام
نامي على زبد الوعود	يداف في غسل الكلام
نامي تزرع عرائس الـ	أحلام في جنح الظلام
تتنوري قرض الرغيـ	ف كدورة البدر التمام!
وترني زرائب الفسا	ح مبلمات بالرخام

* * *

نامي تصحي! نغم نو	م المرء في الكبر الجسام
نامي على حمة القنا	نامي على حد الحسام
نامي إلى يوم النشو	ر ويوم يؤذن بالقيام
نامي على المستقعـ	ت تموج باللجج الطوامي

حِمْيُوهُ نَفْحُ الْخُزَامِ
ضِ كَأَنَّهُ سَجْعُ الْحَمَامِ
عَمَةٍ لَمْ تُحَلِّ بِهِ «مِيَامِي»
أَاءُ» عَلَيْكَ أَثْوَابَ الْغَرَامِ
صَدَّ عَارِيَاتٍ لِلْحُزَامِ
طُ تَجِدُّ عَزْفًا بَارْتِزَامِ^(١)
بِ الزَّاحِفَاتِ مِنَ الْهُوَامِ
وَتَوَسُّدِي خَدَّ الرَّغَامِ^(٢)
وَتَلَحُّفِي ظُلُلَ الْقَمَامِ
عُ الشَّعْبِ» أَيَّامَ الصِّيَامِ
هُ الْحَرْبِ» أَلْحَانَ السَّلَامِ !

زُخْرَارَةٌ بِشَذَا الْأَقْسَامِ
نَامِي عَلَى نَعِيمِ الْبَعْوِ
نَامِي عَلَى هَذَا الطَّبِيحِ
نَامِي فَقَدْ أَضْفَى «الْعَرِ
نَامِي عَلَى حُلُمِ الْخَوِ
مَتَرِاقِصَاتِ وَالسَّيْبِ
وَتَغَاذِلِي وَالتَّاعْمِ
نَامِي عَلَى مَهْدِ الْأَذَى
وَأَسْتَفْرِشِي صُمَّ الْحَصَى
نَامِي فَقَدْ أَنْهَى «مُجِيحِ
نَامِي فَقَدْ غَنَّى «إِلَـ

* * *

الْفَجْرِ آذَنَ بَانَصْرَامِ
لُ بِمَا تَوَقَّعُ جِ مِنْ ضِرَامِ
نَا قَدْ جُبِلْنَ عَلَى الظُّلَامِ
وَيُلْطَفُهُ مِنْ عَهْدِ «حَامِ»
عَسَلٍ وَخَمْرِ أَلْسَفِ جَامِ
لِدَةٍ إِلَى الْعَلِيَا ظُومَامِي
مِلِكٍ مَا آسَاطَعَتِ إِلَى الْأَمَامِ

نَامِي جِياعَ الشَّعْبِ نَامِي
وَالشَّمْسُ لَنْ تُؤْذِيكَ بَعْدَ
وَالنُّورُ لَنْ «يُعْمِي» جُفُو
نَامِي كَعَهْدِكَ بِالْكَرَى
نَامِي .. غَدَّ يَسْقِيكَ مِنْ
أَجَرَ الذَّلِيلِ، وَبَرَدَ أَفْـ
نَامِي . وَسِيرِي فِي مَنْـ

(١) الالتزام : شدة الصوت ، وقد تعني شدة الضرب .

(٢) الرغام : التراب .

نامي على تلك العظما
يُوصيك أن لا تطعمني
يُوصيك أن تدعي المباحج
وتعوضني عن كل ذ
نامي على الخُطْبِ الطَّوَا
نامي يُساقطُ رزقك الموعودُ فوقك بانتظام
نا. ي على تلك المباحا
لم تُبق من «ثقل!» يسرك لم تجثه... ومن إدام
بنت البيوت وفجرت جرد الصحارى والمواصي^(١)

* * *

نامي ولا تنجادلي
نامي على المجدي القديم
يحي بأشبهاه العصا
الرافعيَن آلام من
والواحيمن ومن دما
نامي فنومك خير ما
ألقول ما قالت «حذام»
جم وفوق كرم من عظام
ميين! منك على «عصام»
جثت قرشت لهم وهام
ئك يرتوي شره الوحام
حمل المورخ من وسام

* * *

نامي جياغ الشعب نامي بُرئت من عيب وذام

(١) الغطارفة : جمع غطريف (بكسر الغين) وهو السيد الشريف . وجاءت هنا من باب السخرية .

(٢) المواصي : جمع موصاة وهي القفر .

نامي فأنَّ الوحدةَ الـ
نامي جياغَ الشعبِ نامي
تتوحدُ الأحزابُ فيـ
تهذا الجمـوعُ بهِ ونسـ
إنَّ الحماقةَ أنْ تُشَقِّي
والطيشُ أنْ لا تلجأُي
النفْسُ كالفرسِ الجـمـو
نامي فأنَّ صلاحَ أمـ
والعروة الوثقى! اذا آسـ
نامي وإلا فالصُفـو
نامي فنومك فتنةٌ
هل غيرُ أنْ تتيقظـي

عصماء تطلُبُ أنْ تنامي
النومُ من نعيمِ السلامِ
ه ويتقوى خطـرُ الصـدامِ!
تغني الصفوفُ عني انقسام
بالنـهـوضِ عصا الوئـام
من حاكميكِ إلى احتكام
ح وعقلها مثلُ اللجامِ
ر فاسدٍ في أنْ تنامي
تتقـطـتِ ثـوذنُ بانـفـصـام
فُ تؤولُ منكِ إلى أنـفـصـام
إيقاظها شرُّ الأتـام
فتعاودي كـرَّ الـخـصـام

* * *

نامي على جـوـرٍ كما
وقـعي على البـلـوى كما
نامي على جيشٍ من الآ
أعطي القيادةَ للقضا
وأستسلمي للحادثـا
إنَّ التيقظَ - لو علمـ
والوعـيُ سيفٌ يُـتـلى

حُمِلَ الرضيعُ على الفِطامِ
وقـع «الحسامُ» على الحسامِ
لامٍ محتشِدٍ لهُـام^(١)
ع وحكميـه في الزمـامِ
تِ المُشفقاتِ على النيامِ
تِ - طليعةُ الموتِ الزوامِ
يَوْمَ التقـارُعِ! بانـثـلام^(٢)

(١) اللهم: الجيش العظيم .

(٢) يتلى: يصاب .

نامي جِيعَ الشَّعْبِ نامي النُّومُ أَرعى لِلذُّمَامِ
وَالنُّومُ أَدعى لِلنُّزْوِ لَ عَلَى السَّكِينَةِ وَالنَّظَامِ
نامي فَأَنْكِ فِي الشَّدَا تُدِ تَخْلُصِينَ مِنَ الزَّحَامِ
نامي جِيعَ الشَّعْبِ لَا تُغْنِي بِسِقْطٍ مِنْ كَلَامِي
نامي فَمَا كَانَ الْقَصِيْـمُ دُ سَوَى خُرَيْزٍ فِي نَظَامِ
نامي فَقَدْ حُبَّ الْعَمَا ءُ عَنِ الْمَسَاوِيءِ، وَالتَّعَامِي
نامي فَبُئْسَ مَطَامِعُ الْـ وَاعَيْنَ! مَنْ سَيْفِ كَهَامِ^(١)
نامي: إِلَيْكَ تَحِيَّاتِي وَعَلَيْكَ، نَائِمَةً، سَلَامِي

نامي جِيعَ الشَّعْبِ نامي
حَرَسْتُكِ آلِهَةَ الطُّعَامِ

(١) الكهام : لا يقطع .

قفص العظام

- نشرت في جريدة «صوت المبدأ» العدد ١٠ في ٤ حزيران ١٩٥١، وقالت في تقديمها:

نشرت جريدة «النصر» الدمشقية النص الكامل لقصيدة شاعر العراق الكبير الأستاذ محمد مهدي الجواهري، بعد زيارته الوداعية لوالدته في النجف، بمناسبة هجرته إلى مصر. وقد مهدت الجريدة المذكورة لهذه القصيدة بالمقدمة الآتية:

« في حياة شاعرنا العراقي الكبير الأستاذ محمد مهدي الجواهري مآتم كثيرة، وفي قلبه الثائر المتحرر جراح عميقة تكسرت فيها النصال. فهذا الانسان دفن في قلبه كل شهيد عربي وبكاه وراثه. وفي يوم ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٨ سقط شقيقه الشاب محمد جعفر في معركة الوثبة الكبرى، وثبة الشعب العراقي ضد معاهدة بورتسموث، فرثاه بقصيدة تسيل دماً وتقطر حناناً. وقد أثار مصرع شقيقه الشاب في نفس والدته الوقور وتملكها الحزن فاعتزلت المجتمع ولجأت إلى مرقد الامام علي (ع) في النجف لتقضي ما تبقى من أيامها.

وقبل أسابيع منعت جريدة «الأوقات البغدادية» التي يصدرها الأستاذ الشاعر من الصدور، ووجد الجواهري أن مجال الدفاع عن حقه وعقيدته ضاق

في العراق فغادره إلى مصر .. وقبيل مغادرته زار أمه في النجف وتلى من صفاء جبينها، وشعرها الأبيض ورضاها ما ملأ به قلبه وروحه .. ولكن شعوراً مائتياً خيم عليه، فلما استقل السيارة مرتحلاً هطلت دموعه، وثارت في نفسه عوامل الحنو، ودار فيها انه قد يكون يشاهد أمه للمرة الأخيرة، ففاضت سليقته الشعرية بهذه القصيدة الجديدة التي نقدمها للقراء وللعالم العربي دون أن نقول فيها شيئاً، فهي تتحدث عن نفسها .. وحسبنا أن صاحبها لحن ثوري يتجاوب معه كل وتر حساس في دنيا العرب .

تعالى المجدُّ يا قفصَ العظامِ	وبورك في رحيلك والمُقامِ ^(١)
وبورك ذلك العُشُّ المُضَوِّي	بوحيته .. وبالقُصص الدوامي
وصابتك التحايا عاطرات	بما لم يحتمل صوبُ الغمامِ ^(٢)
تعالى المجدُّ لا مأل فيخزي	ولا مُلكٌ يُحلُّ لُـل بالحرام
ولا نشبُ ثُهانُ الروح فيه	فَتَحْضَعُ للطُغاة وللطُغامِ ^(٣)
ولكن مهجةً عَظُمَتْ فجَلَّتْ	وجَلُّ بها المروءُ عن المَرام

* * *

تعالى المجدُّ يا أمَّ الرزايا	تَمَحُّضٌ عن جبابرة ضِخام
تملأ القبرُ منها أيَّ عطرٍ	ووجهُ الأرضِ أيَّ فتى مُمام
وهبتِ الدرةَ الكبرى دماءً	وروحاً وارتكنتِ إلى حُطام

(١) قفص العظام : الصدر الذي لم تبد منه إلا الضلوع لضعفه ويريد به أمه .

(٢) صاب المطر : نزل .

(٣) النشب : المال .

وَنَوَّرَتِ الدُّرُوبَ لِسَاكِنِهَا وَآبَتِ كَمَا يُؤُوبُ التَّسْـُورُ هِيضَتْ
قَوَادِمُهُ بِعَاصِفَةِ عُرَامٍ^(١) فَدَتِكَ الْأُمَهَاتُ مَكْرُشَاتِ
تَنَاقُلُ بِالْفُضُولِ مِنَ الطَّعَامِ^(٢) تَبَلَّدُ كَالرَّيْطَةِ فِي رَحَاءِ
وَتَتَغَسَّرُ فِي الثَّأْوِبِ كَالسَّوَامِ^(٣)

* * *

فِيَا شَمْسِي إِذَا غَابَتْ حَيَاتِي نَشْدُتُكَ ضَارِعاً أَلَا تُغَامِي
وَيَا «مَتَعُوبَةً» قَلْباً وَرُوحاً أَخَافُ عَلَيْكَ عَاقِبَةَ الْجَمَامِ^(٤)
وَيَا مَكْفُوفَةً عَنْ كُلِّ ضَرْ نَشْدُتُكَ أَنْ تُكْفِيَنِي عَنْ مَلَامِي
فَلَيْسَ يُطِيقُ سَهْماً مِثْلَ هَذَا قَوَادِي وَهُوَ مُرْتَكِزُ السَّهَامِ
لَقَدْ كُنْتُ الْحَسَامَ عَلَى ظُرُوفِ حُمِلْتُ بِهَا عَلَى حَذِّ الْحَسَامِ
وَقَدْ كُنْتُ الْحَرُونَ عَلَى هَجِينِ يَحَاوِلُ أَنْ يُسَيِّرَ مِنْ زَمَامِي
وَلَيْسَ رَضِيعُ ثَدْيِكَ بِالْمَجَارِي وَلَيْسَ رَبِيبُ جَجْرِكَ بِالْمُضَامِ

تعالى المجد يا قفصَ العظام

وبورك في رحيلك والمقام

(١) عاصفة عرام : أي عارمة شديدة .

(٢) الفضول : الزائد .

(٣) الربيطة : الشاة والغناء صوتها ، والسوام الماشية .

(٤) الجمام (بالفتح) الراحة .

مقالة كُبرت

- حين قرر الشاعر ترك مصر عام ١٩٥١ غاضباً .. وكان قد رحل إليها احتجاجاً على ما كان يلقاه من تضيق في العراق ، أراد ألا يكون رحيله عن مصر دون هزّة .. فبدأ بنظم قصيدة ، إلا أنّه تركها عند بيتين فقط ، استجابة لرجاء الدكتور طه حسين ..

والبيتان :

ما انفك يا مصرُ والإذلالُ تعويدُ يسومُكِ الحَسَفُ « كافور » و« إخشيدُ »
مقالةٌ كُبرتُ ألحَبَّ شافِعُها حبُّ المَسودين لو شأؤوا لما سِيدوا

في مؤتمر المحامين

- أقيمت في الحفلة التي أقامتها نقابة المحامين العراقيين في بغداد يوم ٢٩ تشرين الثاني ١٩٥١ تكريماً لوفود المحامين العرب . ونشرتها جريدة «الجهة الشعبية» لسان حزب «الجهة الشعبية المتحدة» في عددها المرقم (١٢٢) الصادر بتاريخ ١٠/١٢/١٩٥١، وكان من الحكومة العراقية أن أقامت الدعوى على الشاعر وعلى مدير الجريدة المسؤول عبد الرزاق الشبخلي المحامي وظلت الدعوى تنام وتستيقظ مدة غير قصيرة قبل أن تأخذ طريقها إلى المحكمة، حتى يوم ١٧/١٢/١٩٥٢ حيث أفرجت المحكمة عن الشاعر والمدير المسؤول بعد أن حكمت ثلاثة من شعراء العراق في تفسير القصيدة وفيما إذا كان فيها تعريض بالملك المباد.

سلامٌ على حاقِدٍ نائِرٍ على لاحبٍ من دمٍ سائِرٍ^(١)
يَخُوبُ ويعْلَمُ أن الطريقَ قى لا بُدَّ مُفْضِرٍ إلى آخِرٍ
كَأَنَّ بَقايا دمِ السابقِ من ماضٍ يُعْهَدُ للحاضرِ

(١) اللاحب : الطريق الواضح .

تُسَدُّ مَنْ زَلِيلِ الْعَائِرِ
مُقِيمٍ عَلَى ذُلِّهِ صَابِرِ
وَمِنْ مَشْجَرِ كَاسِدِ بَائِرِ
لِكْسِرِ يَدِ الْحَاكِمِ الْجَائِرِ
عَلَى إِمْرَةِ الْفَاسِقِ الْفَاجِرِ

كَأَنَّ رَمِيمَهُمْ أَنْجَمَ
وَلَيْسَ عَلَى خَاشِعٍ خَانِعِ
عَفَا الصَّبْرُ مِنْ طَلِيلِ دَائِرِ
يَغْلُ يَدَ الشَّعْبِ عَنْ أَنْ تُمَدَّ
وَيَأْمُرُهُ أَنْ يُقَرَّ النُّزُولُ

* * *

فَ جَسراً إِلَى الْمَوْكِبِ الْعَابِرِ
يَنْوِيُونَ فِي الْمَجْمَعِ الصَّاهِرِ
سَلَامٌ عَلَى الْوَاهِبِ النَّاذِرِ
ضَحَايَاهُمْ نَخْشِيَةَ النَّاحِرِ
لُدٍّ مِنْ فِيمُ مُسْتَذْنِبِ كَاسِرِ
بِخِيْطٍ مِنَ الْأَمَلِ السَّادِرِ^(١)
بِ يُتَتَاعُ بِالْثَمَنِ الْخَاسِرِ

سَلَامٌ عَلَى جَاعِلِينَ الْخَتُو
عَلَى نَاكِرِينَ كِرَامَ الْنَفُوسِ
سَلَامٌ عَلَى طَيِّبَاتِ النَّذُورِ
وَلَيْسَ عَلَى وَاهِبِينَ الْعِرَاءِ
سَلَامٌ عَلَى غَاصِبٍ مَا يُرِيدُ
وَلَيْسَ عَلَى رَابِطٍ حَقُّهُ
بَلِيدٍ يَظُنُّ خِلَاصَ الشُّعُو

* * *

وَيَشْمَخُ كَالْقَائِدِ الظَّافِرِ
مِفَاتِيحُ مُسْتَقْبَلِ زَاهِرِ
هَزْوٍ بِأَهْوَالِهَا سَاخِرِ^(٢)

سَلَامٌ عَلَى مُثْقَلٍ بِالْحَدِيدِ
كَأَنَّ الْقِيُودَ عَلَى مِعْصِيهِ
أَقُولُ لِمُلْقَى بَتْلِكَ الْجِبَابِ

(١) السادر : الحائر .

(٢) الجباب : جمع جب ، الحفر العميقة ويراد بها هنا قصور السجون .

تبوأ من سجنه غابةً
مقيم على العهد كالديببان :
تعاليت من مُحَنَّقٍ لا يطيق
تعاليت من عاجزٍ قادرٍ
تعاليت من قدوة تُقتدى
تعاليت من مثل مُنَجِّحٍ سائر

تَلَوُّرٌ عَلَى أُسْدٍ خَادِرٍ^(١)
تَعَالَيْتَ مِنْ حَارِسٍ سَاهِرٍ^(٢)
بَيَاناً سَوَى النَظَرِ الْخَازِرِ
وَبُورَكَّتْ مِنْ دَارِعٍ حَاسِرٍ^(٣)
وَمِنْ مَثَلٍ مُنَجِّحٍ سَائِرٍ

* * *

أقول: وقد لَاحَ غُولُ البلاءِ
وَحَفَّتْ «لِلنَدَنِ» تِلْكَ اللِّصُوفُ
تَحُوكُ بِرَغَمِ أَنْوْفِ الْبِلَادِ
وَرَا حَتْ تُسِيلُ بِالْعَابِهَا
وَذَرَّتْ قُرُونٌ لِمُسْتَعْبَدٍ
إِلَى كَمْ تُدَارِي شِيُوخَ الْعِرَاقِ
عُجُولاً تُرَبِّي لِمُسْتَعْمَرٍ

يُفْرِجُ عَنْ شِدْقِهِ الْكَاشِرِ
صُ ثَلَبُ ثَوْبِ الدُّجَى الْعَاكِرِ
نَسِجَ الْهَلَاكِ لَهَا الدَّامِرُ^(٤)
لُعَابَ الْأَفَاعِي يَدُ السَّاحِرِ
بَنَعْرَةٍ سَيِّدِهِ نَاعِرٍ:
وَأَقْطَابُ مِحْوَرِهِ الدَّائِرِ
وَيُلْعَنُ فِي عِجْلِهِ «السَّامِرِي»؟

(١) الخادر: المقيم في أجمته .

(٢) الديببان: الرقيب .

(٣) الدارع: المتحصن بالدرع .

(٤) الدامر: مثل المدمر، ودمر الشيء أو الشخص، ودمره سواء .

نوري السعيد

● نظمت صيف عام ١٩٥٢

أيا ابنَ سعيدٍ يُلهبُ الناسَ سوطُهُ
لقد كنتُ أرجو أن ترى لك عِبرَةً
ولكنه بغِيّ وطيشٍ وإثرة
ويحلف فيهم أن يخط المصايرا
بمن رامها قبلاً فزار المقابرا
وواحدةً منهن تُعمي البصائرا

الدم الغالي

● نظمت بالقاهرة عام ١٩٥١ إذ كان الشاعر مهاجراً إلى مصر، وإذ نشبت المقاومة الشعبية المسلحة على الاحتلال العسكري البريطاني المتمثل بقواعده العسكرية في السويس والاسماعيلية.

● نشرت في جريدة «الثبات» التي كان الشاعر يرئس تحريرها بعد إغلاق جريدة «الأوقات البغدادية» التي كان يصدرها بدلاً عن جريدته «الرأي العام» المعطلة، في العدد ٣١ في ١٤ كانون الثاني ١٩٥٢

خَلَّى الدَّمُ الغالي يَسِيلُ	إِنَّ المُسِيلَ هو القَتِيلُ
هَذَا الدَّمُ المَطْلُوعُ يُخْـ	تَصَرَّ الطَّرِيقُ به الطَّوِيلُ
هَذَا الدَّمُ المَطْلُوعُ إِنَّ	عِزَّ الكَفِيلِ هو الكَفِيلُ
أَنْ يُسْتَرْدَّ به الأَسِيرُ	رُ، وَأَنْ يُعْزَّزَ به الذَّلِيلُ

* * *

خَلَّى الدَّمُ الغالي يَسِيلُ ضَوْءاً يُنَارُ به السَّيْلُ

عذراً يقوم على الطغيا إِ السافحين، به الدليل
هذا الدم الرقراق رَكَّاضٌ لغايته عَجْـوَل
متحذّر كالتَّهَمِ صُلْـجاً بَأْ لا يَزِيغُ ولا يَمِيل
يَصِلُ المناضلَ بالمننا ضِلَّ حينَ يُعَيِّهِ الوصول
غَرُّ الكفاح إليه تُعـ زى حينَ تُنْسَبَ والحُجُول

* * *

خَلَّى الدم الغالي يَسِيلُ فلطالما جَفَّ المَسِيل
ولطالما ذوتِ الكرا مةً مثلما تَذوي الحُقُول
هذا السُّحَابُ الجون يس تسقي به البلدُ المَحِيل^(١)
خَلَّى الدم الغالي يَسِيلُ كما يَسِيلُ السلسيل
عذباً، وإنْ غَصَّ الدعـيُّ يُّ به، وإنْ شَرِقَ الدخيـل
هذا الدم الرقراق نَهـا ضٌ بما يُعَيِّ حَمُول
يُنْـكِي بجمرتِه العـزا ثمْ إذْ يُبَلِّدُها الخُمُول

* * *

خَلَّى الدم الغالي يَسِيلُ فالبغيُّ مرتعُهُ وَيـلُ
هذا الدم الغالي حييُّ في تواضعه حَجْـوَل
كالدُّودِ يزحفُ في الترا بٍ وعنده المجدُ الأثـيل
هذا الدم الغالي غريـ مٌ للمـحِبِّ له عذول

(١) الجون : الأسود .

يقلي الضنين المستعز به ويعشّى من يُذيل^(١)
هذا الدم المطلب أول حل حين تعتاص الحلول

* * *

داسث محاربه تحيول	سئل هيكل التاريخ كم
ل به .. وكم سحبت ذبول	كم موكب للبغى جا
ق دما؟ ولم يُشف الغليل	كم فصدت فيه العرو
بك الشهود به العُدول	سئل هيكل التاريخ ثنـ
كما تهاذرت الفحول	المهدرات من الدما
يا مثلما عفت الطلول	والعافيات من الضحا
غال المواكب فيه غول	سئل هيكل التاريخ كم
تنهى الشعوب به الفصول	ومل انتهت - إلا بما

(١) يقلي: يلهض. يذيل: يمين.

أطيان بغداد

● نشرت في جريدة «الجديد»، العدد ٥ الخميس ٢٨ أيار ١٩٥٣

كم في غمارِ الناس من متوقدٍ
وكم استقرَّ على الرُّبى من خاملي
فأعند على بغداد ظلُّ غمامةٍ
أيامَ كان لِمَذهب متعرقٍ
بالكرخ بغداد تتيه، وكوفةٌ
أيامَ كان الشعرُ أيَّ كثيةٍ
كان المقصرُ تُستَفَرُّ شذائِه
أطيان مَجْدٍ ما يزالُ خيالها
ورؤى كأن الجنَّ تَبَعَتْ هزَّةً

لو قِيدَ شَعٌ على البلادِ كَفَرَقِدِ^(١)
قد كان أليق بالحضيض الأوهِدِ^(٢)
باللطفِ تَنَضُّحُ والتدى والسُّودِ
تعنو الورى، وتمودج متبغدد^(٣)
بالمسجدَيْن، وبصرَّةَ بالمرَّبدِ
تُخَمَى الثُّغُورُ بها وأيُّ مُهَنَّدِ
لُجْجِدَ عَقَبَى حاذقٍ ومجودِ
مَرِحاً بأيقاظِ يَطُوفُ ومُجدِ
منها بأعطافِ الحسانِ الخُرْدِ^(٤)

(١) غمار الناس — مثلك: جماعتهم ولقيفهم. لو قيد: لو أحسنت قيادته وتوجيهه.

(٢) الأوهد: المنخفض من الأرض.

(٣) المتعرق هنا: العراق. المتبغدد: البغدادي.

(٤) الخرد: جمع خرقة وهي البكر الحية الجميلة.

وَمَرَدُ أَصْدَاءٍ يُجَاوِبُ بَعْضُهَا
تَتَأَزَّجُ الْأَلْوَانُ فِيهَا عَنْ سَنَا
عَنْ بَاسٍ «هَارُونَ» وَرَقَةٍ «مَغْبَدٍ»
دَرَجَتْ سَدَى لَمْ تُبْقِ غَيْرَ لِمِظْطَةِ
وَتَعَرَّتْ الْآرَادُ فِي ضَحَاوَاتِهَا
أَضْفَاثُ رِيحَانٍ جَنِيٍّ نَسْتَشِي
فِي كُلِّ سَفَرٍ نَفْحَةً مِنْ عَبْقَرٍ
وَبِكُلِّ دِيْوَانٍ مَرْتَنَةٌ سَاجِعٍ

بَعْضاً بَضْخِمَ ثُرَائُهَا الْمُتَبَدَّدُ
شَفَقِي بِكُلِّ صَبِيغَةٍ، مُتَوَرَّدُ
وَهْوَى «الْخَلِيعِ» بِهَا وَتُسْكُ «المَهْتَدِي»^(١)
مِنْ لَحْمِهَا بِفَسْمِ الزَّمَانِ الْأَدْرَدُ^(٢)
إِلَّا كَوْمَضَةٍ جَمْرَةٍ فِي مَوْقَدٍ
بُمُعَرَّقٍ مِنْ عَوْدِهَا وَمُعْضَدُ
لِطَامِنٍ فِي الرَّأْيِ أَوْ مُتَمَرِّدُ
وَمَحَزُّ ثَوْبٍ بِالْعَبِيرِ مُجَسَّدُ^(٣)

* * *

آمَنْتُ بِالْخَلَاقِ مِنْ شَعْرَائِهِ
بِالْأَرْحَمِيِّ «أَبِي نُؤَاسٍ» وَصَحْبِهِ
وَمَقَاطِعِ بَغَنَائِهِ فِي حَانَةٍ
لَمْ يُلَفِ جَبَّارُ السَّمَاءِ مَدْلُلاً
بِأَبْنِ الْمَعْرَِّةِ تَرْغَمِي جَمْرَائِهِ
بِالْبُخْتَرِيِّ أَبِي السَّلَاسِلِ لُمْعَاً
بِمَذَلِ «كَافُورٍ» عَجِييَّةٍ دَهْرِهِ

بِئْبُيْضِرْ صُحُفَ الْوَرَى وَمُسَوِّدُ
مِنْ شَارِبٍ نَحْبَ الْحَيَاةِ مُعْرِبِدُ
سَحَرَا أَذَانَ الْعَابِدِ الْمُتَهَجِّدِ
فِي الْمَذْنُونِ كَقَائِلٍ: قُمْ سَيْدِي
بِأَمْضٍ مِنْ غَنَتِ الزَّمَانِ وَأَحَقِّدُ^(٤)
بِالْعَبْقَرِيِّ «أَبِي مُحَمَّدٍ» أَحْمَدُ^(٥)
وَمَعَزُ آلِ «الْأَرْمَنِ» وَ«مُخَلَّدُ»^(٦)

(١) هَارُونَ: هو الرشيد. معبد: المقني المعروف. الخليع: هو الشاعر الحسين بن الضحاك. المهتدي:
أحد خلفاء بني العباس.

(٢) لفظ: إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فمه. الدرد: فقدان الأسنان.

(٣) مجسد: مُشَبَّحٌ «بِالْجِسَادِ» وهو «الزعران».

(٤) ابن المعرة: أبو الولاء المري.

(٥) أبو محمد: أبو الطيب المتنبي.

(٦) مذل كافور: المتنبي.. ومعز آل الأرمني ومخلد: هو البحري.

ذكري

- نشرت في العدد الخاص من جريدة «الثبات»، بالذكرى الرابعة لوثبة كانون المجيدة.. العدد ٤٣ في ٢٨ كانون الثاني ١٩٥٢ على «أنها من قصيدة جديدة»..

ذكري تصيحُ على المدى آثارها
ويضاء من شرر الفتية ليلها
وتجلُّ عن فيض الدموع مخافة
ذكري سيعلق بالأثير غبارها
ستظلُّ تضرخُ هذه آثاره
ذكري ستعبق من شفاء رؤيتها
سروح مضمفورا لكل مناضل
ستطوف كاساً يستلذ سقاته
وتشب جذوتها، وتذكو نارها
حقدا، ويشرق بالدماء نهارها
من أن يشاب بمائهن أوارها
ويرف فوق ثرى الشهيد عمارها^(١)
أما الجناة فخرتها آثارها
أبد الأيد ندية أخبارها
من زهر أضرح الضحايا غارها
مما يفوخ. وينتشي سمارها

(١) العمار : الرمحان .

ما تشاؤون

● نشرت في جريدة «الجهاد»، العدد ١٣٣ في ٧ تشرين الأول ١٩٥٢

ما تشاؤون فاصنعوا
فُرْصَةً أَنْ تَحْكُمُوا
وَتُدَلُّوا عَلَى الرُّقَا
فُرْصَةً لَا تُضَيُّعُ
وَتَحُطُّوا، وترفعوا
بِ وَتُعْطُوا وتمنعوا

* * *

ما تشاؤون فاصنعوا
لَكُمْ النَّاسُ أَكْتَعِ
خَوَلٌ عِنْدَكُمْ، خُذُوا
قَدْ خَلَقْتُمْ لَتَحْصِلُوا
لَكُمْ «الرَّافِدَانِ» وَ«الزَّابُ» ضَرْعٌ فَأَضْرَعُوا
لَكُمْ الْأَرْضُ أَجْمَعُ
مِنْ ذَوِيهِمْ وَأَبْصَعُ^(١)
مَنْ تَشَاوُونَ أَوْ دَعُوا
وَعَبِيداً لِيَزْرَعُوا^(٢)

(١) أكتع وأبصع: كلمتا تركيز بمعنى (أجمع) وتردان بعد (أجمع) غالباً.

(٢) أي: وخلق الناس عبيداً.

تُخَصَّبُ الْأَرْضُ تَحْتَكُكُمْ — ما أَمَرْتُمْ — وَثُمَّ يَرِيعُ
 لَيْتَ أَنَّ الْجُمُوعَ فِيهِنَّ شَاءَ وَتَرْتَمِعَ —
 ما تَشَاوَرُونَ فَأَصْنَعُوا — الجماهيرُ هُطُوعٌ^(١)
 ما الَّذِي يَسْتَطِيعُهُ — مُسْتَضَامُونَ جُوعًا!

* * *

كَاذِبٌ مِنْ يُخَيِّفُكُمْ — بَعْظَاتٍ وَيَصْدَعُ
 وَيُرِيكُمْ مَصَارِعًا — لَطْفًا «تَصْرَعُوا»
 حَسِبُوا اللَّيْلَ مَرْكَبًا — فَإِذَا الْفَجْرُ يَطْلُعُ
 وَإِذَا السَّمَاءُ مُدْرَبٌ مُوَصَّدٌ — وَإِذَا الرِّيحُ رَغَزَعُ
 وَإِذَا كُلُّ رَوْضَةٍ — أَزْهَرَتْ أَمْسِي بَلَقَعُ
 كَذِبٌ! كُلُّ هَمٍّ — أَنْ تَخَافُوا وَتَفْزَعُوا
 لَكُمْ «الْجِنَّ» تُهْرَعُ — مَثَلًا «الْإِنْسُ» تَخْضَعُ

* * *

أَنْتُمْ «الشَّمْسُ» فِي السَّمَاءِ، وَأَزْكَى وَأَرْفَعُ
 وَ«عُقَابٌ» عَلَى الْجِوَاءِ مَنِيْعٌ.. وَأَمْنَعُ
 أَنْتُمْ «الْمَوْتُ» هَلْ يَحْيِيَنَّ مِنَ الْمَوْتِ مَضْرَعُ؟
 أَنْتُمْ «الْخُلْدُ» هَلْ يَغِيضُ مِنَ الْخُلْدِ مَنِيْعٌ؟
 أَنْتُمْ «السُّلُ» يَخْتَفِي فِي صَدُورٍ.. وَيَرْجِعُ

(١) هُطُوعٌ: أَي خَائِفَةٌ مُتَسَلِّمَةٌ.

أَنْتُمْ «اللَّهُ» وَاحِدًا وَهُوَ لَا شَكَّ .. أَرْبَعٌ^(١)
فرصة لا تُضَيِّع ما تشاؤونَ فاصنعوا

(١) وجه الأستاذ إبراهيم الوائلي سؤالاً إلى الشاعر عما يعنيه بهذا البيت فأجابه تحريراً بقوله :
« بعد أن سخرت من الحاكمين وجيروتهم بالأبيات الخمسة أو الستة المتقدمة ، وبعد أن هزئت
بطغيانك المزيف وشبهتهم من باب (العكس) بالشمس والسماء بل انهم لأرفع وبعقاب الجو بل أمنع
إنهم — وهم الأربعة أشخاص مثلاً : أصبحوا نجبروتهم هذا وكأنهم الله الواحد ، وكأن الله الواحد هم
أنفسهم ، فهم (واحد) موحد ، وهو — لا شك — أربع ... »

مهدي الجواهري

الشباب المستخنت

- نشرت في جريدة «الحياة» البيروتية أواخر عام ١٩٥٢
- نشرت في مجلة المواهب الصادرة في سان باولو .

مَنْ مُبْلِغُ الأَجْيَالِ أَنَّ شَبِيئَةً يَتَكَلَّهَوْنَ
يَتَخَطَّطُونَ فَانْ عَجِبْتَ فَأَنْتَهُم يَتَحَمَّرُونَ
أَمْ هُمْ وَقَدْ لَبَسُوا الْجَدِيدَ غَرَانِقُ يَتَأَنَّقُونَ^(١)
المَائِعُونَ مِنَ الدَّلَالِ الْمُنْعَمُونَ الْمُتَرْفُونَ
يَتَأَطَّرُونَ مِنَ التَّعِيمِ كَمَا تَأَطَّرَتِ الْقُصُوفُ
أَنِّي رَأَيْتُ وَلَيْتَنِي قَدْ كُنْتُ مِمَّنْ يَعْمَهُونَ
زُمَرًا مِنَ النَّفَرِ الْمُخَنَّثِ يَسْرَحُونَ وَيَمْرَحُونَ
يَتَمَاجَنُونَ وَبِالْمَنَاقِبِ يَبْتَهِمُ يَتَدَافَعُونَ
فِي حَيْثُ يَنْخَفِضُ الْحَيَاءُ وَحَيْثُ تَرْتَفِعُ السَّجُونَ^(٢)

(١) الغرائق (بفتح الغين) : جمع غرائق وغرنوق بضم الغين في كليهما وهو الشاب الناعم الأبيض .
(٢) حيث ترتفع السجون : إشارة إلى ضرب آخر من الشباب جاداً في الحياة طامح إلى تغييرها نحو
الأحسن فيلقي — عندئذ — من الحكومة الخائنة السجن ، وتاريخ نظم القطعة (١٩٥٢) شاهد على
ذلك ؛ فقد كانت السجون تغص بالمناضلين .

كما يستكلبُ الذيبُ

● نظمت ببغداد عام ١٩٥٣ وكان رهط من الحاكمين يساندهم نفر من طلاب مجد كاذب، وزعامات مزيفة قد تألبوا على الشاعر أثر فضحه تحالفا سياسيا بغیضا بين هؤلاء وهؤلاء، وأغرى كل واحد من الفريقين دعائه المأجورين والحاسدين والحاقدین بشتمه. وكان لهذه القصيدة دوي كبير في مختلف الأوساط الأدبية والسياسية، وتناقلتها عدة صحف عربية.

● نشرت في جريدة «الرأي العام»، في العدد ٧ الاثنين ٢٠ تموز ١٩٥٣

عدا عليّ كما يستكلبُ الذيبُ	خَلَقَ ببغدادَ أنماطُ أعاجيبُ
خَلَقَ ببغدادَ منفوخٌ، ومُطَّرَحٌ	والطُّبُلُ للناسِ منفوخٌ ومطلوبُ
خَلَقَ ببغدادَ ممسوخٌ يُفِيضُ به	تاريخُ بغدادَ لا عُزْبٌ ولا نُوبٌ! (١)
لا الأرحمُ الذي ضَمَّتْ ملاعبُها	ولا التَّقِيُّ الذي ضَمَّتْ محاربُ
ولا الكريمُ يميناً جودها رَفَةً	ولا الكريمُ ضميراً جوده طيبُ
ولا الرفيعُ عن الدُّنيا يَلِيْقُ به	لَوْمْ لمَطْلِبُ دنيا وتقريبُ

(١) نوب: نوبيون سكان النوبة.

لو شئتُ مَرَقْتُ أَسْتَاراً مُهْلَهْلَةً فَرَاخَ سَيَّانٍ مَهْتَوِكٌ وَمَحْجُوبٌ
لَبَّانٌ لِلنَّاسِ مَصْدُوقاً بَلَا دَعْلٍ مُبْرَقٌ مِنْ إِبَاءِ الْقَوْمِ مَكْذُوبٌ

* * *

إِنِّي لِأَعِزُّرُ «أَحْرَاراً» إِذَا بَرِمُوا بِالْحَرِّ يَلْوِيهِ تَرْغِيبٌ وَتَرْهِيْبٌ
وَالصَّابِرِينَ عَلَى الْبَلْوَى إِذَا عَصَفُوا بِالصَّابِرِ الشُّنْهَمِ آدَتُهُ الْمَطَالِيبُ
وَالخَاطِبِينَ بِظُلْمَاءٍ كَأَنَّهُمْ «بَغْلُ الطَّوَّاحِينِ» يَجْرِي وَهُوَ مَعْصُوبٌ
فَمَا لِعُبْدَانِ أَهْوَاءٍ، وَعِنْدَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ التَّغْرِيرِ أُسْلُوبٌ
عُفِّرُ الْجَبَاهِ عَلَى الْأَقْدَامِ شَيْخُهُمْ مِنَ السَّيَّالِينَ بِالْإِيمَاءِ مَسْحُوبٌ^(١)
الْقَاعِدُونَ إِذَا أَشْتَدَّتْ مَجْلَجَةٌ وَطَاحَ ضَحْيَانٌ مَحْرُوبٌ وَمَكْرُوبٌ^(٢)
وَالرَّاكِضُونَ إِذَا آتَجَابَتْ عَجَاجُهَا كَأَنَّهُمْ فِي الْمِيَادِينِ الْيَعَاسِيبُ^(٣)
النَّافِجُونَ مِنَ الْأَحْضَانِ أَخْبَاهَا وَإِنْ غَدَّتْهَا وَرَيْتُهَا الْأَطْيَاسِيبُ^(٤)
وَالْعَافُونَ حَصِيدَ الذَّلِّ رَاكِمُهُ هُمْ وَالْجُدُودُ فَمُورُوثٌ وَمَكْسُوبٌ

* * *

مِثْتُ إِلَيَّ بِمَوْضَاتٍ ثَلَدُغْنِي وَهَلْ يُحْسُ دَبِيبَ التَّمْلِ يَعْسُوبُ^(٥)

-
- (١) عفر : جمع عفراء و (أعفر) من العفر وهو التراب ، كناية عن الذل . والسبالات : الشاريان .
(٢) المجلجلة : يراد بها هنا الكريمة والبلوى . الضحيان السافر كالضحى للشدائد ، ويوم ضحيان : أي متمسك ، مشرق .
(٣) اليعاسيب : جمع يعسوب .. وهي في الأصل الغرر تكون في وجوه الجياد الأصلية ، ثم أطلقت على الأفراس والجياد الأصائل .
(٤) نفج حصنه : أن نفخ منه وأثاره ، والنفج التعاظم بفرار والتكاثر بدون موجب ، والتفاخر بغير فخر .
(٥) اليعسوب : أمير النحل .

وعنده للكريم الحرّ تأديب
 كي يستر الناس، ثوب عنه مسلوب
 ضوء من القمر المنبوح مسكوب^(١)
 دمي فعندهم من فيضه كوب
 «أبا محمّد» بالشّتم الأعاريب^(٢)

ما أغرب الجلف لم يعلّق به أدب
 وصاحب السّواة النكراء أعوزّه
 تسعون كلباً عوى خلفي وفوقهم
 ممّن غدتهم قوافي التي رضعث
 وقبل ألف عوى ألف فما آتقصّث

* * *

أني لدى النّاس، أني كنت، محبوب
 دون وكعبي رفيع الشأن مرهوب
 منه الخطوب وشدّته التّجاريب^(٣)
 فهنّ في الدّهر تشريق وتغريب^(٤)
 وبالحنين له ما حنّ النّيب^(٥)
 وكسّ، وحاربه بالسّبّ مسبّوب^(٦)
 يمشي الضلال به، والإفك، والحب^(٧)
 فجاوز العدو مشي منه تقريب^(٨)

يا منظوين على بُغضي لعلمهم
 تُغلي الحزازث فيهم أن أروّسهم
 ويستثير شجاهم أصيد عصرت
 يردّد الجيل عن جيل أوابده
 يشدو بجمراته ما شبّ مضطرم
 ما كنت أوّل محسود تهضمّه
 ولست أوّل مأخوذ بمجتمع
 ولست آخر ركاض مشي رهقاً

(١) القمر هنا هو الشاعر .

(٢) «أبو محمّد» هو أبو الطيب المتنبي . وقيل ألف : أي قبل ألف عام .

(٣) أصيد : الكريم .

(٤) أوابده : القوافي الشرذ أي قصائده .

(٥) النيب : النوق .

(٦) الكسّ : الحسيس .

(٧) الإفك : الكذب . الحب : الأثم .

(٨) التقريب : ضرب من السير . هنا عطية .

يا غامرينَ حَلَّتْ من كُلِّ مَكْرُمَةٍ
مُسَهِّدينَ على مجدي ونسبِهِ
يُريحُ جَنبِي أَنْ يُذَكِّي جِوانِحَكُمْ
أَطلْتُ هَمَّكُمْ وَالذَّهْرُ يُنْذِرْكُمْ
يَبْقَى القَصِيدُ لَظَى والأَرْضُ مشربةً
نفوسُهُمْ، وخلا من قَبْلُ «ملحوب»^(١)
كما تُسَجَّلُ للنَّهْرِ المناسيبِ
جمْرٌ من الضُّعْنَةِ الحمراء مشبوب
أَنْ سوف لا يَنْقُضِي هَمٌّ وتَعْذِيبُ
دَمًا، وتُذَرَى مع الرِّيحِ الأكاذيبُ

(١) الغامر ضد العامر، وأرض غامرة أي خراب. و «ملحوب»: اسم مكان ورد في مطلع معلقة عبيد
ابن الأبرص: أفقر من أهله «ملحوب» .. الخ.

صبوة

- كان الشاعر حين عاد إلى إصدار جريدة «الرأي العام» عام ١٩٥٣ ينشر من شعره أو من شعر آخرين، في أعلى الصفحة الأولى من الجريدة داخل إطار بيتين من الشعر، أو ثلاثة أبيات، في حالات نادرة... والأبيات الأربعة الآتية كان قد نشر الأولين منها في العدد ٢٩ في ١٦ آب ١٩٥٣ بعنوان «صبوة».. والآخرين في العدد ٤١ في ١٥ أيلول ١٩٥٣

يتقضى عهد التصاني واصبُو وتُحِبُّ الأيامُ بي وأُحِبُّ
يا فؤادي أأنتَ جذوةُ نارٍ كلما هبت الرياحُ تُشَبُّ

* * *

طال عمرُ الدُّجى وإن نَوَّرَ الفجْدُ رُ وإن راح شارِقُ يَسْتَسْتَب
الدياجي في القلب .. لا التَّغَرُّ يغتَرُّ ولا العينُ من ضياءِ ثُعب

خَبَتْ لِلشَّعْرِ أَنْفَاسُ

- نظمت عام ١٩٥٤، وبعد سنة تقريباً من نظم قصيدة « كما يستكلب الذيب »!. وفي أغراض قريبة من أغراضها أيضاً.
- نشرت في جريدة « الرأي العام »، العدد ٢٤٧٧ في ١٧ حزيران ١٩٥٤

خَبَتْ لِلشَّعْرِ أَنْفَاسُ أَمْ أَشْتَطَّ بِكَ أَلْيَاسُ؟
أَمْ الْحَيُّ، وَقَدْ أَغْفَيْتَ، إِبْلَاسُ وَإِخْرَاسُ؟^(١)
كَأَنَّ لَمْ يَعْتَرِفْ نَاساً فَهَلْ أَنْتَ بِهِ النَّاسُ؟
وَبِإِذَا رَبِّ الْمَقَامِيسِ تُرَى أَعْيَاكَ مَقِيَّاسُ؟
أَكُفِّرُ بِالْقِيَّاسَاتِ وَمَا قِيَسَ، وَمِنْ قَاسُوا؟
أَمْ الْخَيْرُ شَكَا النَّذْرَةَ حَيْثُ الشَّرُّ أَكْـدَاسُ؟
أَمْ الثَّرْوَةُ لِلْقُبْحِ وَعِنْدَ الْحُسْنِ إِفْلَاسُ؟
أَمْ الْعَبْدُ عَلَى الْأَحْسَرَارِ قَوَّامٌ وَنَحْوَاسُ؟!
أَمْ الْفَكْرُ بِأَظْلَافِ الْوَحْشِ الْعُبْرَ يَنْـدَاسُ؟

(١) الإبلّاس : الانكسار والحزن واليأس .

أَمِ الْأَصْنَافُ أَرَبَابٌ أَمِ الْأَرْؤُسُ أَعْجَاسٌ؟^(١)
 أَمِ الصَّيْدُ الضَّرَاغِيْمُ لَهَا لِلْبُيُومِ إِسْلَاسٌ؟
 أَمِ الْمَوْتُ غَشَى الْحَيَّ فَمَا فِي الدَّارِ أَحْلَاسٌ؟^(٢)

* * *

أَدِرْ كَأْسَكَ «بَاخُوسُ» فَقَدْ صَوَّحَتِ الْكَاسُ^(٣)
 وَعُنْدَ يَحْمَازِكَ سُمَارٌ وَلَسَّحَ يَتَبَعُكَ جُلَاسٌ
 وَدَغْدِغٌ ضَرَعَ خَابِيِيَّةً يُدِيرُ الضَّرْعَ إِسْـسَاسٌ^(٤)
 وَأَسْرَجَهَا بِمُضْمَارٍ تَخَلَّتْ عَنْهُ أَفْـرَاسٌ
 تَفْجَّرُ أَيُّهَا الْيَنْبُوعُ يَنْطِطِفُ مِنْكَ إِحْسَاسٌ
 يَرُوي الْبَلْقَمَعَ الْأَجْرَدَ لَا الزَّهْرُ، وَلَا الْآسُ
 نَعْوُكَ كَأْتِمَا مَنَعَاكَ لِلْغَرِيْبَانِ أَعْـرَاسٌ
 وَخَالَتْ نَفْسَهَا دَوْحاً عَلَى قَبْرِكَ أَغْـرَاسٌ
 وَدَقَّ هُنَاكَ نَاقُوسٌ وَرَثَتْ ثُمَّ أَجْـرَاسٌ
 وَقَامَ عَلَيْكَ لِلنَّاعِمِينَ رَجَاءٌ وَقَدْ دَاسٌ
 وَلَلْـعَبْرَاتُ أَشْكَالٌ وَلِلْبَاكُونَ أَجْنَاسٌ

* * *

تَرَفَّفْتُ إِنَّ جُرَحَ الْقِيَامِ قَتَّالٌ وَحَسَّاسٌ

(١) أعجاس: جمع عجم (بضم الجيم) وهو العجز (بضم الجيم أيضاً).

(٢) المجلس: هو كل ما يُلازم من متاع ويستعار للرجل الملازم بيته.

(٣) باخوس: إله الخمر عند الاغريق، ويريد به الشاعر هنا نفسه.

(٤) الإيساس: دعاء ذي الضرع من الحيوانات من البقر والغنم ليدر لبنها.

أثَّارُ مَنْهُ أَدَوَاءُ وَأَقْذَاءُ، وَأَرْجَاسُ
تَثَبُّتْ أَثَّهَاسَا الْإِيمَانُ لَا يَطْـرُقُكَ وَسْوَاسُ
وَقُلْ: هَلْ غَيْرُ مَا حَجَرٍ لَأَلَّهُهُمْ أَوْ أَلْمَاسُ
وَيَا صِلَّ الرَّمَالِ السُّمْرِ لَا يُزْهِبُكَ نَسْنَاسُ
تَجَامُخْ أَثَّهَاسَا اللَّيْثُ فَمَا شَأْنُكَ إِسْلَاسُ
وَلَمْ تُغْزِكَ أَظْفَارٌ وَلَمْ تُخْذِلْكَ أَضْرَاسُ
وَعِنْدَكَ أَشَعْتُ لَبَدٌ عَلَى كَتَفَيْكَ نَوَاسُ
لَكَ الصَّبْغَةُ لَمْ تَعْلَقُ بِهَا شَيْئَةٌ وَإِلْبَاسُ
فَمَا أَنْتَ وَأَصْبَاغٌ مَهْرًا، وَأَوْرَاسُ^(١)
وَقَدْزَسْ غَائِبُكَ الْمَلْتَفُ لَمْ تُدْرِكْهُ أَقْـدَاسُ
فَمَا أَنْتَ وَأَقْفَاصٌ بِهَا يَزْحَفُ خَنْـدَاسُ
تَجَامُخْ حَارِسَ الْغَابِ وَإِنْ هَـوَمٌ حُرَّاسُ
فَأَنْتَ «الْقَيْلُ» وَالْبَاغُونَ صَيْدًا مِنْكَ أَخِيَّاسُ

* * *

وَأَنْتَ لِكُلِّ مَفْتَرَسٍ رَيْبِ الْغَدْرِ قَرَّاسُ
سَلَامًا أَثَّهَاسَا النَّاسُ فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَاسُ
وَإِيمَانًا وَلَـيْسَ تَنْهَارَ لِلْإِيمَانِ آسَاسُ
مَنْعِيًّا .. لَا أَلْمَى .. لَا الشُّكُّ .. لَا أَحْرَمَانُ .. لَا أَلْيَاسُ
وَجِبَّارًا كَمَا شَدَّتْ ضُلُوعَ الصَّيْدِ أَتْرَاسُ

(١) الأوراس: جمع ورس وهو نبت أصفر .

وَحُلُوا مِثْلَمَا حُلِّي
«أَلَا لَا تَحِبُّ أَنْفَاسُ
من السَّوْحَةِ إِيْنَسِ
ولا يذهب بك اليْنَسُ»

كفارة وندم

● نشرت في جريدة «الرأي العام»، العدد ٢٤٧٩ في ٢٠ حزيران ١٩٥٤

ستبقى — وَيَفْنَى نَيْزِكَ وَشِهَابُ —
لَطَافُ كَأَنْفَاسِ التَّسِيمِ نَوَافِحُ
هُوثُ عَذَابَاتِ الْعَمْرِ إِلَّا صَوَامِدًا
وَجَفَّ وَرَيْقٌ مِنْهُ إِلَّا نَدِيَّةٌ
عَيْتُ بَطْبُ الْأَحْمَقِينَ وَجَهْلِهِمْ
فَهَنَ إِذَا مَا الْأَمْرُ هَانَ أَبَاطِحُ
وَهَنَ «مَنِفَاتُ» لِأَنَّ هُوِيَّهَا
وَهَنَ «عَظِيمَاتُ» لِأَنَّ صَرِيحَهَا
يَضِيقُ بِهَا كَوْنٌ وَهَنَ فَسَائِحُ
عُرُوقُ أَيْيَاتِ الدِّمَاءِ غَضَابُ
كَرِيَاهُ صُمٌّ كَالصَّخُورِ صِلَابٌ^(١)
عَلَى لَفْحِ إِعْصَارٍ فَهَنَ رِطَابٌ^(٢)
تَعَاصَتْ عَلَى الْأَيَّامِ فَهِيَ شَبَابُ
بِأَنَّ النُّفُوسَ الْخَيْرَاتِ عَجَابُ
وَهَنَ إِذَا مَا الْجِدُّ جَدَّ هِضَابُ
بِالسُّنْهِنَ يُزْدَرَى وَيُعَابُ
يَكُنْ أُنَيْنَ الْكَلْبِ حِينَ يُشَابُ
وَسَبْعُ سَمَاوَاتٍ وَهَنَ رَحَابُ

(١) النفع : هبوب السيم .

(٢) عذبات : جمع عذبة (بفتحيتين) وهي طرف كل شيء . واللفح : هبوب السموم .

يُسَاقِينَ أَحْقَاباً وَهَنَ ظَوَامِيٌّ
وَيُحْتَنَنَ وَالِدُنِيَا لَهُنَّ نَمُودَجْ
وَيُطْعَمُنَ أَجْيَالاً وَهَنَ سِيغَابٌ^(١)
وَيُرْسُمُنَ وَالرُّؤْيَا لَهُنَّ خِضَابٌ

* * *

أَقُولُ وَقَدْ كُلُّ الْجَوَادُ فَلَمْ تَجُلْ
وَلَا حِمْكٌ لِلرَّجَالِ فَلَمْ يَكُنْ
وَصَوَحَ قَاعُ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْلَوْلَتْ
وَقَاءَ اللَّئِيمِ الدُّوْنُ مَا فِي ضَمِيرِهِ
حَنَائِيكَ نَفْسِي لَا يَضُوقُ مِنْكَ جَانِبٌ
وَلَا يَتَهَضَّمُكَ أَنْخَفَاضٌ فَطَالَمَا
وَشَاخِئَةُ الْأَدْوَا حِ يُلَوِي عِنَانُهَا
وَمَا لَكَ مِنْ عَتَبٍ عَلَى الدَّهْرِ إِنَّمَا
تَقَحَّمَتِهِ حَتَّى كَأَنَّكَ فَوْقَهُ
وَرُحْتَ سَمَاحاً تَحْضِنُ صُرُوفَهُ
فَلَا تَهِنْ أَلْشَكْوَى عَلَيْكَ وَإِنْ مَشَتْ
فَإِنْ تَقْتَنَصْ مِنْكَ اللَّيَالِي فَرِيَسَةً
وَإِنْ تَتَشَابَكَ لِلْحَزَازَاتِ أَجْمَةً
فَلَلَيْتُ أَضْرَى مَا يُرَى إِذْ تَهَيَّجُهُ

مَسْؤَمَةٌ غَالُوا بِهِنَّ عِرَابٍ
هَنَالِكَ إِلَّا زَائِفُونَ كِذَابٍ
عَلَيْهَا مِنَ الضِّغْنِ الْخَبِيثِ ذُنَابٍ
وَجَفَّ فَمَا عِنْدَ الْكَرِيمِ شَرَابٍ
إِذَا ضَاقَ مِنْ رُحْبِ النُّفُوسِ جَنَابٍ
تَخَفَّضَ نَسْرٌ صَاعِدٌ وَعُقَابٌ
مَعَ الرِّيحِ ، وَالْحَضُّ الصَّرِيحُ يُرَابٍ
عَلَيْكَ لَمَّا هَوَّتْ مِنْهُ ، عِتَابٍ
وَأَنَّكَ إِذْ طَمَّ الْعُبَابُ غُبَابٌ^(٢)
كَمَا أَحْتَضِنَ السِّيفُ الْجُرَارَ قِرَابٌ^(٣)
بِمَنْحَسِرٍ بَادِي الضَّلُوعِ حِرَابٍ
وَإِنْ يَجْتَمِعُ ظَفَرٌ عَلَيْكَ وَنَابٍ
وَيَلْتَفُّ لِلْحَقْدِ الْمَبْرُوحِ غَابٍ
وَأَقْتُلْ مَا تَخْشَاهُ حِينَ يُصَابُ

* * *

(١) السِّغَابُ : جمع سَاغِبٍ وَسَغَبِيٌّ بمعنى جَائِعَاتٍ .

(٢) طَمَ : عَلَا وَغَمَرُ .

(٣) الْجُرَارُ (بِالضَّمِّ) : الْقَاطِعُ .

جَمِيلًا، وَلَمْ تُخْضَبْ عَلَيَّ ثِيَابُهَا رَاحَ يُجْزِي مُدْعٍ وَيُثَابُ
وَالْحَيْسُ تَدْعَى خُثْعَمٌ وَكِلاَبٌ^(١)
إِلَى نَقْصِ أَزْكَاهُمْ حَصَى وَتَرَابِ

هَبِينِي لَمْ أَسْلَفْ جَمِيلًا وَلَمْ أَقْلُ
وَلَمْ أُزَجِرْ تِلْكَ التَّضْحِيَّاتِ كَرِيمَةً
وَلَمْ أُدْعَ لِلْجُلَى كَقَيْسٍ وَرَهْطِهِ
فَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ سَوَادِ نَقَائِصِي

* * *

كَمَثَلِكِ فَذُ جَلَّلَتْهُ صَعَابُ
لِكُلِّ الِهْمُومِ الْخَائِقَاتِ مَثَابُ
يَخِيفُ قِرَاعٌ، أَوْ يَهُونُ طِلَابُ
إِذَا لَمْ يَشُبْهُ لِلْحَرَاஜَةِ عَابُ
كَمَا لَاحَ مَا بَيْنَ الْغُيُومِ شِهَابُ
وَمَا أَنْتِ إِلَّا خَمْرَةٌ وَحَبَابُ

تَعَالَنِي فَقَدْ أَغْلَى نَسِيجَكَ حَاضِرُ
وَشَعْبٌ عَلَى الْبُلُوى يَعْيشُ وَمَوْطِنُ
وَلَنْ يَجِدَ الْآتُونَ مَثَلَكِ عِنْدَمَا
فَلَا تَكْتُمِي عَابًا فَمَجْدُكَ كَاذِبُ
وَلَوْحِي خِلَالِ الْحَادِثَاتِ مُشْعَّةُ
وَمَا هِيَ إِلَّا غَمْرَةٌ ثُمَّ تَنْجَلِي

* * *

جِرَاحٌ أُجِدَّتْ فَانْتَكَأَنَّ، رَغَابُ^(٢)
وَهَنَّ لِعَطْرِ الذِّكْرِ يَاتِ عِيَابُ^(٣)
وَتَغَرُّ كَعَابِ رُودَةٍ وَرُضَابُ^(٤)
وَخَلَوْا مِنَ الْقَلْبِ الْجَرِيحِ سَرَابُ
وَغَيْرُ الدَّمِ الْمَنْزُوفِ مِنْهُ شَرَابُ؟

دَعِيهَا تَسِيلُ قَيْحًا «لَوْحِدِكَ» ثَرَةً
فَهَنَّ لِنَفْحِ الطَّيِّبَاتِ مَجَامِرُ
وَهَنَّ وَمَا يَنْزِفَنَّ كَأْسٌ وَخَمْرَةٌ
هُوَ الشَّعْرُ مَوْجُوعًا يَنْايِعُ رَحِمَةً
أَلَلَّ النَّاسُ زَادَ غَيْرُ آهَةٍ شَاعِرٍ؟

(١) الْحَيْسُ : تَمْرٌ يَخْلُطُ بِسَمْنٍ .

(٢) نَكَأَ الْجَرَحَ : أَزَالَ قَشْرَتَهُ . وَالرَّغَابُ : اللَّيْنَةُ .

(٣) الْمَجَامِرُ : الْمُبَاخِرُ . وَالْعِيَابُ : الْحَقَائِبُ .

(٤) الرُّودُ : الْمَرْأَةُ الْحَمْسَةُ اللَّيْنَةُ .

ويا وطناً رُدَّتْ عَلَيَّ ظلالُهُ
ندى المسك فيما غَبَرْتُني عِجاجةً
ولكنني آسِرٌ لِنَهْبِ مَقْسَمِ
وبَيْتِ لِسْرَاقٍ تَلُوذُ بِرُكنِهِ
مِجَافِيَّةٌ أَحْكَامُهُ.. فَهُوَ جَنَّةٌ
وَمَعْكُوسَةٌ حَتَّى كَأَنَّ حَيَاةَ
أَطَاحَتِ بِأَعْشَاشِ النُّسُورِ بُغَائِثُهُ
وَجَاعَتِ مَلَائِكُنَّ بِهِ وَزُرُوعُهُ،
مَصْوُوحَةٌ رَوَى ثَرَاكَ سَحَابُ
وَفِيهَا سِيْحَتُنِي بِالْجِمَامِ تَرَابُ
وَلَيْسَ بِهِ لِلصَّالِحِينَ نِصَابُ
سَبَاقٌ عَلَى تَهْدِيمِهِ وَغِلَابُ
لِرَجْسٍ، وَلِلزَاكِي لَظْيٌ وَعَذَابُ
بِهِ خَطَأٌ.. وَالْأَرْدَلُونَ صَوَابُ
وَحُلٌّ بِهِ خَيْرُ الْوُكُورِ غُرَابٌ^(١)
لِسَبْعِ سَمَانٍ يَعْتَلِفُنَّ، نِهَابُ

(١) بغاث الطير (بفتح الباء وضمها وكسرها) : شرارها وما لا يقوى على الصيد منها .

قال ... وقلت !

● نشرت في جريدة «الحرية»، العدد ٣٦٦ في ٢٨ آب ١٩٥٥

ونحي مثلي غبي وحمل الـ
من أولاء الذين يسخر راع
قال: والحال، قلت: إنني من حا
قال: والناس، قلت: شيء هراء
غني الدود عن سواه بمسعا
ومسفون ينكرون على الصفا
الضحايا لديهم النبعا
وقريب منهم خنوع وإسفا

مرء هم المغفلين غباء
ورعايا منهم، وذئب وشاء
إل هباء خلوا كهذي براء
خدم عند غيرهم أجراء
ه وهم من تواكل فقراء
ر المعلى أن يحتويه سماء
والبعيدون عنهم الأعظماء
ف وكذب وغفلة ومراء

* * *

قال: لله أنتم الشعراء
أمر والشعب كله معجزات
عدد الرمل عندكم أهواء
لك اليوم كله أسواء

قلت مهلاً يا صاحبي ظلمات الـ
أرأيت الكواثر أنفس ما يد
صانعاً منه ألف شكل «جراراً»
يتغنى بكوزِه وكأنَّ الـ
وكذا كلُّ خالقي يتَرْضَى

ليل في عينِ حاليِّم أضواء
ملك ذخراً طينٌ خبيثٌ وماء
قائلاً في نُغوتِها ما يشاء
كوزَ في الحسنِ كوكبٌ وضاء
ما تَبْنَى .. وهكذا الشعراء

يا أُمَّ عَوْفٍ

- نظمت عام ١٩٥٥ ، وكان الشاعر قد نزل وهو في طريقه إلى مدينة « علي الغربي » ضيفاً على راعية غنم تدعى « أم عوف » في حماد من الأرض .. ولقي منها كرمًا وحسن ضيافة ..

يا « أُمَّ عَوْفٍ » عجيات ليالينا
في كلِّ يومٍ بلا وعي ولا سببٍ
يَدْفَنُ شَهْدَ آبَتَسَامٍ في مراشفنا
ويَقْتَرِحُنَ عَلَيْنَا أَنْ نُجَرَّعَهُ
يُدْنِيَنَ أَهْوَاءَنَا الْقُصُوى وَيُقْصِيْنَا
يُنْزِلُنَ نَاساً عَلَى حُكْمٍ وَيُعْلِيْنَا
عَذْباً بِعَلْقَمِ دَمْعٍ فِي مَاقِينَا
كَالَسَمِّ يَجْرَعُهُ « سُقْرَاطُ » تَوُطِينَا

* * *

يا « أُمَّ عَوْفٍ » وما يُدْرِيكَ مَا خَبَأَتْ
أَنْتَى وَكَيْفَ سِيرُخِي مِنْ أَعْتَنَّا
أَزْرَى بِأَيِّاتِ أَشْعَارٍ تَقَاذَفُنَا
لَنَا الْمَقَادِيرُ مِنْ عُقْبَى وَيُدْرِينَا
تَطَوَّأُنَا .. وَمَتَى تُلْقَى مَرَّاسِينَا؟!
بَيْتٌ مِنْ « الشَّعْرِ الْمَفْتُولِ » يُوَوِّنَا

فَجَعَلُونَا .. وَتَعْلِيهَا فَتَدْنِينَا^(١)
وَتَسْتَقِي دَمْنَا مَحْضًا وَتُظْمِينَا^(٢)
فِيْنَا لِتُسْرِجَ هَاتِيكَ الدَّوَابِينَا
مَطَالَعٌ، يَتَمَلَّاهَا بَرَاكِينَا

عِشْنَا لَهَا حَقَبًا جُلَى نَدْلَلُهَا
تَقَاتُ مِنْ لَحْمِنَا غَضًّا وَتُسْغِنَا
يَا «أُمَّ عَوْفٍ» حُرْمَنَا كُلَّ جَارِحَةٍ
لَمْ يَدِرْ أَنَا دُفْنَا تَحْتَ جَاحِمِهَا

* * *

هَنَا، وَعِنْدَكَ، أَضْيَافًا، ثَلَاقِينَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ بِمَوْمَاةٍ وَبِرَمِينَا^(٣)
آوِ عَلَى عَابِثٍ رَخْصِرٍ لِمَاضِينَا^(٤)
شَمْسُ الرِّبْعِ وَأَهْدَتَهُ الرِّيحَانَا^(٥)
بِالْمَنْ تَنْطِفُ وَالسَّلْوَى لِيَالِينَا^(٦)
حِينًا .. وَنَعْثُرُ فِي أَذْيَالِهِ حِينَا
وَجَائِرِ الْقَصْدِ ضَلِيلٍ وَيَهْدِينَا
وَيَسْتَبِدُّ بِنَا - أَقْصَى أَمَانِينَا
نَظِيرَ رَهْوًا بِمَا آسَطَاعَتْ خَوَافِينَا^(٧)
وَمِنْ رَفِيفِ الصَّبَا فِيهِ أَغَانِينَا

يَا «أُمَّ عَوْفٍ» بِلَوْحِ الْغَيْبِ مَوْعِدُنَا
لَمْ يَبْرَحِ الْعَامُ تَلَوَ الْعَامِ يَقْدِفُنَا
يَا «أُمَّ عَوْفٍ» وَمَا آهٌ بِنَافَعَةٍ
عَلَى خَضِيلٍ أَعَارَتْهُ طَلَاقَتُهَا
سَالَتْ لِطَافًا بِهِ أَصْبَاحُنَا وَمَشَتْ
سَمَحَ نَجْرٌ بِهِ أَذْيَالُنَا مَرَحًا
آوِ عَلَى حَائِرٍ سَاهٍ وَيَرْشُدُنَا
آوِ عَلَى مَلْعَبٍ - أَنْ نَسْتَبِدُّ بِهِ
مَثْلَ الطَّيُورِ وَمَا رِيشَتْ قَوَادِمُنَا
مِنْ ضِحْكَةِ السَّحَرِ الْمَشُوبِ ضَحِكْتُنَا

* * *

(١) تَجَعَلُونَا : تَكْرَهْنَا . تَدْنِينَا : تَنْزِلُنَا .

(٢) تَسْغِنَا : تَجْعِلُنَا .

(٣) الْمَوْمَاةُ : الصَّحْرَاءُ .

(٤) الرَخْصِرُ : النَّاعِمُ .

(٥) الْحَضْلُ : الرُّطْبُ .

(٦) تَنْطِفُ : تَسِيلُ .

(٧) رِيشَتْ قَوَادِمُنَا : نَبَتَتْ وَطَالَتْ . وَرَهْوًا : نَاشِرِينَ أَجْنَحَتِنَا أَيْ نَظِيرَ فِي سَكُونِ .

يا «أُمّ عوفٍ» وكاد الحِلْمُ يَسْلُبُنَا
 خمسون زُمْتُ مليئاتٍ حقائقُها
 إذ نحنُ مِن هذه الدنيا ضارواؤها
 يا «أُمّ عوفٍ» بريئاتٍ جرائزُنا
 نستلهمُ الأمرَ عفواً لا نخرُجُهُ
 ولا نُعاني طويّاتٍ معقّدةً
 نأتِي المآتي من تلقاءِ أنفسِنا
 يا «أُمّ عوفٍ» أدالَ الدهرُ دولتنا
 خبا من العمرِ نوءٌ كان يرزُمنا
 وغاضَ نبُعُ صفا كُنّا نلوذ به

خيرَ الطِّباعِ وكاد العقلُ يُردينا
 من التجاربِ بِنِعمائها بعشرينا^(١)
 وإذ مغاني الصِّبا فيها مغانينا
 كانت، وآمنةُ العقبى مَهاوينا
 من الفحاي ولا نَدري المضامينا^(٢)
 كما يَحُلُّ تلاميذُ تمارينا
 فيما تصرفنا منها وتُثَنِّينا
 وعاد غَمَراً بنا ما كان يزهُونا
 وغابَ نجمٌ شبّابٍ كان يَهْدِينا^(٣)
 في الهاجراتِ فيرونا ويُصفينا

* * *

يا «أُمّ عوفٍ» وقد طالَ العناءُ بنا
 آوِ على أئمنٍ من ريعِ صبوتنا
 كانت تُجِدُّ لنا الأحلامَ حاشيةً
 كُنّا نقولُ إذا ما فاتنا سَحَرٌ:
 لا بُدَّ من مَطْلَعٍ للشمسِ يُفْرِحنا
 واليومَ تَرُقُبُ في أسحارنا أَجْلاً

آوِ على حِقْبَةٍ كانت تعانينا
 كُنّا نَجُولُ به غَراً ميامينا
 مذهوبةً كُلّما قُصَّتْ حواشينا
 لا بُدَّ مِن سَحَرٍ ثَانٍ يُواتِينا
 ومن أَصِيلٍ على مهلٍ يُحَيِّنَا
 تقوّمُ من بعده عَجَلِ نواعينا

* * *

(١) زمت : شدت أي مضت .

(٢) الفحاي : جمع فحوى .

(٣) النوء : المطر . يرزم : يشتد صوته .

دَمْشاً، فَسِيحاً، نَدِيّاً كَانَ وَادِينَا^(١)
كَانَتْ تَحُبُّ «عَفَارِيئاً» مَهَارِينَا^(٢)
كَانَتْ تَرِفُّ عَلَى رَمِلِ صَوَارِينَا

يَا «أُمَّ عَوْفٍ» كَوَادٍ أَنْتِ نَازِلَةٌ
فِي مِثْلِ رَمْلَتِكَ الْحَمْرَاءِ زَاهِيَةً
وَمِثْلِ خِيَمَتِكَ الدِّكْنَاءِ فَارِهَةً

* * *

فِيمَا نُحِبُّ وَلَا كُنَّا مُرَابِينَا
وَمُشْتَرِينَ مَوَدَّاتٍ وَشَارِينَا
مِنَ الصَّبَابَةِ يَعْتَادُ الْمُحِينَا^(٣)
وَلَا تُرَاحُ إِلَّا مَنْ يُغَادِينَا
مَنَّا، وَلَا زَائِفٌ مِنْ قَوْلِ مُطْرِينَا
وَلَا حُجُولٌ وَإِنْ رَفَثَ هَوَادِينَا^(٤)
بِالْعَهْرِ تُرْجَمُ أَوْ تُرْضَى الشَّيَاطِينَا
فِيهَا يَلُحُّ شَبَحٌ لِلذَّلِّ يُصْمِنَا
أَمْ الْأَسَاطِيرُ يُدْعِنُ الْأَسَاطِينَا
، خَوْفَ الشَّرُورِ، الضَّحَايَا وَالْقَرَايِينَا
لِلْخَيْرِ صَيَّرَهَا شَرّاً ثَعَابِينَا!؟

يَا أُمَّ عَوْفٍ «وَمَا كُنَّا صَيَارِفَةً
لَمْ نَذِرْ سُوقَ تِجَارٍ فِي عَوَاطِفِهِمْ
لَا نَعْرِفُ الْوَدَّ إِلَّا أَنَّهُ دَنَفٌ
فَمَا نَصَابِحُ إِلَّا مَنْ يُمَاسِينَا
يَا «أُمَّ عَوْفٍ» وَلَا تَغُرُّرُكِ بَارِقَةٌ
غُفْلًا أَتَيْنَاكِ لَمْ تَعْلُقِي بِنَا غُرُرٌ
إِنَّا أَتَيْنَاكِ مِنْ أَرْضٍ مَلَأَتْكُهَا
إِنْ لَمْ يَلُحْ شَبَحٌ لِلْخَوْفِ يُفْزَعُنَا
يَا «أُمَّ عَوْفٍ» أَلْهَامٌ مُضَلِّلَةٌ
مِنْ عَهْدِ «آدَمَ» وَالْأَقْوَامُ مَزْجِيَةٌ
أَكَلَّمَا أَبْتَدَعَ الْإِنْسَانُ آلِهَةً

* * *

(١) دَمْشٌ : لَيْنٌ .

(٢) الْمَهَارِيُّ وَالْمَهَارِي : جَمْعُ مَهْرَةٍ .

(٣) دَنَفٌ : مَرَضٌ (لِإِزْمَةٍ مِنْ لَوَازِمِ الصَّبَابَةِ) .

(٤) الْهَوَادِي : الْأَوَائِلُ .

تَرْبُ سِقْطَيْنِ شَرِيرًا وَمِسْكِينًا^(١)
 قَفْرًا، وَإِنْ مُلِئْتُ وَرْدًا وَنَسْرِينَا^(٢)
 فِي الصَّدْرِ لِلشَّرِّ أَوْ لِلْبُؤْسِ تَيْنَا^(٣)
 حَوَاطَ السَّجُونِ مَنَاقِيدًا مَسَاجِينَا^(٤)
 جَذَبُ الْجَوَازِبِ مِنْ هَنَا وَمِنْ هِينَا^(٥)
 وَمَا نَكَافَحُ رَقُومًا وَغَسَلِينَا^(٦)
 نَرَعَى الْمَقَايِيسَ مِنْهُ وَالْمَوَازِينَا^(٧)
 مَعْقُودَةً بِتَوَالِيهِ نَوَاصِينَا^(٨)
 حَتَّى عُدِينَا بِفُحْشٍ فِي تَظْنِينَا^(٩)
 مَا لَمْ يُقْمَنْ عَلَيْهِنَّ الْبِرَاهِينَا^(١٠)
 بَأَنَّ أَنْيَاطَهَا لَيْسَتْ ثَعَابِينَا^(١١)

يَا «أُمَّ عَوْفٍ» سَعِمْنَا عَيْشَ حَاضِرَةٍ
 وَحَشٍّ وَإِنْ رَوَّضَ الْإِنْسِيَّ جَامِحَهَا
 ضَحَّاكَةُ الثَّغْرِ بُهْتَانًا وَحَامِلَةٌ
 وَخَانِقًا مِنْ «قَرَامِيدٍ» يَحْوَطُنَا
 رَانَ الْخَمُولُ عَلَيْهِ.. وَاسْتَبَدَّ بِهِ
 وَلُقْمَةٍ رَدَّهَا مَا نَسْتَرُقُّ بِهِ
 يَا «أُمَّ عَوْفٍ» وَقَدْ شَبْنَا بِمَعْتَرِكِ
 عُيَا نَدُورَ عَلَى مَرْمَى حَوَافِرِهِ
 مَا أَنْفَكْ فُحْشٌ تَظْنِيهِ يُلَاحِقُنَا
 فَمَا نَصَدِّقُ أَفْوَاهًا بِالسَّنَةِ
 وَلَا بِأَفْتَدَةٍ حَتَّى تُعَاهَدُنَا

* * *

لُقْيَا حَبِيبٍ أَقَامُوا حُبَّهُ دِينَا
 كَمَا تَضُمُّ الْمَحَارِبُ الْمَصْلِينَ
 بِالْمُؤْنَسَاتِ.. وَلَا أَزْهَى مِيَادِينَا
 وَلَا أَرْقَ لِمَا تُوْحِيهِ تَبِينَا

جِئْنَا مَغَانِيكَ نُسَاكًا يُرَحِّهِمْ
 وَلَاءَ مَتْنَا شِعَابٌ مِنْكَ طَاهِرَةٌ
 لَمْ أَلِفْ أَحْفَلَ مِنْهَا وَهِيَ مَوْحِشَةٌ
 وَلَا أَدَقَّ بِيَانِمَا مِنْ مَجَاهِلِهَا

(١) ترب : تربي . السقط : المولود قبل أوانه .

(٢) التين : ضرب من الحيات .

(٣) القراميد : جمع قرميد ، وهو نوع من الطابوق .

(٤) ردها : جعلها وصيها . الرقوم والغسلين وردتا في القرآن : تعني الأولى شجرة تخرج من أصل الجحيم ، وتعني الثانية ما اغسل من لحوم أهل النار ودمائهم .

(٥) النواصي : جمع ناصبة وهي مقدم الرأس .

(٦) التظني : الظن .

(٧) النياط : جمع نيط بفتح النون وهو العرق .

حتى كأنَّ الفجاجَ العُبرَ تفهمنَا
تجاوبتْ بصدى الدُّنيا مفاوِزُهَا
وأنساب حشدُ الرمالِ السافياتِ بها
كم لَمَّتْ الشمسُ أوراساً وكم قطفتْ
وكم حوتْ من ربيع الدهر أخيلةً
أحالها النور شيئاً غيرَ عالمها
حتى كأنَّا - وضوءُ البدر يفرشها -
والمبهماتِ من الوادي تُناغينا^(١)
وآستعرضت من بني الدنيا الملايينا^(٢)
يُحصي الأناسي منها والأحايينا^(٣)
من الأهلّةِ عُرجوناً فعرجوناً^(٤)
فطرَنَ رعباً، وأفراساً فَعُرَيْنَا^(٥)
حتى كأنَّا بوايدٍ غيرِ وادينَا
نمشي على غيمةٍ منه ثُمّاشينا

(١) الفجاج : جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين .

(٢) المفاوز : جمع مفارة وهي الصحراء .

(٣) السافية : المتحركة . الأحايين : الأزمان .

(٤) الأوراس : جمع ورس وهو نبت أصفر . العرجون : عتق التمر إذا يبس .

(٥) أخيلة : جمع « خيال » ، من التخيل والتظنن والتوهم . والمعنى أنها حوت الكثير من تخيلات الصبا .
و « ربيع الدهر ثم طارت عنها » و « افراسا » فَعُرَيْنَا : كناية عن مثل وإشارة إلى قول الشاعر المأثور : وَغَرِي
أفراس الصبا ورواحله .

خلفت غاشية الخنوع ..

- أُلقيت في الحفل المهيب الذي أقيم في دمشق عام ١٩٥٦ احتفالاً بذكرى مصرع الشهيد عدنان المالكي . وكان الشاعر ممثلاً للعراق في هذا الحفل بدعوة تنبأها من الجيش السوري . وقد اضطر إلى الإقامة في سورية قرابة عام ونصف العام . من جراء تنمر المسؤولين آنذاك وحنقهم بسبب هذه القصيدة . وكان طوال هذه المدة ضيقاً على الجيش السوري .

خَلَفْتُ غَاشِيَةَ الْخُنُوعِ وَرَأَيْ
وَدَرَجْتُ فِي دَرَبٍ عَلَى عَنَتِ السُّرَى
خَلَفْتُهَا وَأَتَيْتُ يَعْصِرُ الْأُمَى
وَحِمْدْتُ نَفْساً حُرَّةً لَمْ تَنْتَقِصْ
صَبْغَانٍ يَأْتَلِقَانِ مَا عَصَفَ الدُّجَى
يَلْدَانِ فَجْراً صَادِقاً حَلَوَ السَّنَا
مِنْ عَهْدِ «قَابِيلٍ» وَكُلِّ ضَحِيَّةٍ
وَمِرَاةِ الثَّكْلِ الْمَقْدَسِ لِإِثْرَةِ
وَفْظَاعَةِ التَّارِيخِ بِلَوَى فِكْرَةٍ

وَأَتَيْتُ أَقْبَسُ جَمْرَةَ الشَّهْدَاءِ
أَلْقَى بِنُورِ خَطَاهُمْ وَضَاءَ
قَلْبِي وَيَنْتَصِبُ الْكَفَّاحُ لِزَائِي
شَهِدَ الْوَفَاءِ بَعْلَقَمِ الْإِغْرَاءِ
بِالنَّاسِ لَوْ سَنَاءٌ وَلَوْ دُمَاءُ
خَضِلَ الظِّلَالِ مَنْعَمَ الْأَفْيَاءِ
رَمَزُ اصْطِرَاعِ الْحَقِّ وَالْأَهْوَاءِ
مِنْ «آدَمَ» جَاءَتْ وَمِنْ «حَوَاءِ»
تَهْدِي السَّبِيلَ بِفِكْرَةٍ عِمَاءِ

أَتَى تَكُونُ مَعَالِمُ الْفِيحَاءِ؟
 مِنْهُ نَسِيلٌ قَوَادِمُ حِمَاءِ^(١)
 مَلِكُ السَّمَاءِ مَدُوحُ الْأَجْوَاءِ
 أَيُّهَا عُرْسُ رَجُولَةٍ بَيْكَاءِ؟
 لِلْمَجِيدِ مِنْ أَلْفٍ بِهِ أَوْ يَاءِ
 مَنَسَابَةٍ فِي فَكْرَةٍ عَصْمَاءِ
 أَبْدَأُ وَلَفَّحُ دُمَائِهَا أَضْوَائِي
 جُرْحُ الشَّهِيدِ بَثُورَةٌ خِرْسَاءِ
 لَتَلْفَنِّي وَضَمِيرُهُ بَرْدَاءِ
 دُونَ «الْعَنَاصِرِ» عَنَصْرُ الْأَرْزَاءِ

قَدْ قَلْتُ لِلْإِلَافِ الْخَدِيدِ يَذُنِّي
 قَفِ بِي عَلَى النَّسْرِ الْخَضِيبِ وَلَمْ لِي
 وَتَخَطُّ بِي أَرْضاً تَعْفُرُ فَوْقَهَا
 قَفِ بِي فَلَسْتُ بِمَأْتَمٍ لِرِثَاءِ
 قَفِ بِي أَلَمْ هُنَا قَوَافِي جُمِعَتْ
 أَنَا لَا أَرَى الْعَصْمَاءَ غَيْرَ عَقِيدَةٍ
 هَذَا أَنَا.. عَظُمُ الضَّحِيَّةِ رِيشتِي
 أَسْتَلْهُمُ النَّعَمَ الْخَفِيِّ بِمَوْجٍ فِي
 وَأَحْسُ أَنَّ يَدَ الشَّهِيدِ تَجْرُنِي
 هَاتِيكَ أَبْيَاتِي يَصُوغُ خِيَالَهَا

* * *

أَنَا مِنْ صَمِيمِ دَعَاتِهَا الْأَمْنَاءِ
 يَسَاءُ، أُرِيحُ الْوَاحِدَةَ الْخَضْرَاءِ^(٢)
 وَالْمَسْمَعَاتِ الصَّمِّ أَيُّ دَعَاءِ
 وَرِسَالَةَ الْآبَاءِ لِلْأَنْبَاءِ
 وَبَنِيهِ لِلْآتِينَ رَمَزَ فِدَاءِ
 لَكِنْ بِمَا أَسْلَفْتُ مِنْ تَخْلَصَائِي
 فَهَنَّاكَ لِي جَدْتُ عَلَى الْبَطْحَاءِ^(٣)

عَدْنَانُ إِنَّ دُمَاءً وَهَبْتَ رِسَالَةً
 آمَنْتُ بِالْحُمْرِ النَّوَافِعِ فِي الثَّرَى
 الْمَهْدِيَّاتِ الْعُمِّيَّ أَيْةَ رُؤْيَا
 وَالْمَنْزِلَاتِ عَلَى الْمَدَى سُوْرَ الْهُدَى
 وَالْجَاعِلَاتِ «الْجَيْلِ» جَسْرَ رَدِيفِهِ
 آمَنْتُ لَا وَحْيَ الْعَقِيدَةِ وَحْدَهَا
 آمَنْتُ إِيمَانًا الْحَجِيجِ بِقَصْدِهِ

(١) النسيْل: مَا سَقَطَ مِنْ رِيَشِ الطَّائِرِ .

(٢) يَرِيدُ بـ «الْحُمْرِ»: الدَّمَاءُ .

(٣) إِشَارَةٌ إِلَى قَبْرِ أَخِيهِ الشَّهِيدِ «جَعْفَرِ الْجَوَاهِرِيِّ» فِي النَّجَفِ .

فلقد غُمِرْتُ بنورها الوضاء
فأنا الصبيغُ بها صباح مساء

آمنتُ إيمانَ النهارِ بشمسه
آمنتُ إيمانَ الدماءِ بنفسها

*

بفمي البليغِ مقالةَ البلغاء
في معرضِ التصريحِ للإيماء
فيكِ الخمولُ ولستِ من خُلَطائي
عن خانعٍ، ومهادنٍ، ومرائي
مَنْ سَنَ حُبِّ الموتِ للضعفاء؟
نضحتُ أمانِي عِزَّةً وإباء؟
في الجهرِ ما وسعتُ حروفُ هجاء
إلا كراضيةً عن الفحشاء

عدنانُ أنطقني فقد خَنَقَ الشُّجَا
حاسبتُ نفسي والأناةَ تردُّها
بيني لُعِنْتَ فلستُ منكِ وقد مَثَى
ماذا يَمِيزُكَ والسكوتُ قسيمة
أبأضعِفِ الإيمانِ يخدعُ نفسه
أَيُزُمُ من شَفَةِ على عذاباتها
خَلَى النُّقَاطَ على الحروفِ وأوغلي
ما أَنْتِ إِذْ لا تصدِّعينَ فواحشاً

* * *

لَكَ في تَكشِيفِ سوءِ الهُجَناء^(١)
رِخٌ مِثْلَ خرافةِ «الحلفاء»
تعشي العيون كفحمة الطُّرفاء
يقرانِ فَرِطَ خناً بفِرطِ غباء
ومسخَّرينَ، وسيِّدٍ وإماء

أضحِيَّةَ الحليفِ الهجينِ بشارة
أسطورة «الأحلاف» سوف يُمَجِّها التا
سرَّعان ما تنهَّدَ بعد أواره
قالوا «تعاقدنا» فقلتُ هنتنمُ
وا هُزاةَ الأحلافِ بين مسخَّرٍ

(١) المقصود هنا هو «حلف بغداد» الذي كان الشهيد في جملة الأحرار الشجعان الذين يناصبونه وعاقديه العداء .

يا من رأى « حلفاً » عجيباً أمره
وتعلقت هُزءاً على أضوائه
بين الثرى وكواكب الجوزاء
بنسب ذؤبانٍ أكارغ شاء

* * *

هاتيك أنعم حلفة وإخاء
وعصارة للرجس تنسِف ما آبتنى
وجيوشٌ بغيرٍ تستعينُ بمثلها
نسجوا نسيجَ العنكبوتِ وها همُ
من خائني وطنٍ ومن دخلاء
منه بليلةٍ حاطبٍ عشواء
فكأنهم منه بغيرِ غطاء
سأُم الكلال على يدِ الرِّقاء
واعتاصِرَ رتقُ فتوقه حتى مثنى

* * *

قسماً بقرِكَ وهي حِلْفَةٌ صادق
ما ضيعةُ الشهداء في أسر الردى
في كلِّ يومٍ ميتةٌ ملحودةٌ
ويكلُّ زاويةً ضميرٌ يلتوي
أبدأ تنزُّ دماً جراحُ كرامةٍ
حَسْبُ الكريم من الأذى لإحجامة
وكَفَى الشجاع رويةً وعزيمةً
وسُقيتَ من وعي البلاد وعزها
أجلى بياناً من أجل ثناء
كمتاهةِ الشهداء في الأحياء
بالصَّبْرِ آونةً وبالإغضاء
لَيَّ الطعين بحربةٍ عَقفاء
هانت هوان الجُرح في عجماء^(١)
حتى عن الشكوى من الإيذاء
ذلاً تُمتَي عيشة الجناء
ما يصطفيك بروضة غناء

(١) العجماء : البهيمة .

رجل

● نظمت عام ١٩٥٦

وتساءلت عرسي وفي دمهـا
أمر استمعتك تطري رجلاً
أوضح سلّمت فانت من غنيّة
رجل .. وما إن كان بينهم
هل قالت «الأبقار» ذا بقر
أم هل تنفّج شامخاً جبل
لا شك أن وريفة شجر
قلق ، وفي قسماتها وجل !!
من زائريك بأنّه رجل
المفردات لديه والجمل
أنثى ، ولا طير ، ولا جمل
فينا ، أم «الحنلان» ذا حمل
يوم التفأخر أنّه جبل
ومنيّة بترابها جبل

* * *

ها قد صمت .. أنت محتقري
أن لست بالكلمات أشتمل
أن لست أعرف سير قافية
أن لست أعرف ما هو الجدل ؟
أن لست بالإبداع أنتعل !!
ما بين «إن» وأختها تصل

يا بنتِ فطرتها وكم غلبت
الحقَّ عندك آمنٌ أبداً
والبريرةُ شلَّ منطقتها
لم تدرِ بنتُ الغابِ ما زلل
لا تُخجليني إنني شرُّ
قل الرجال .. فقل ذا رجل
وستسألين وكيف تعرفه
يا بنتِ فطرتها سنّا ودجى
سأكونُ مثلكِ ساعةً سبحت
أنا في محطِ عشقه ملكٌ
فتصوري ملكاً يروده
وتصوري ما شئتِ مُجتمعةً

بالفطرة الراء تَنَحَّل
طلق وعندي غائِمٌ وجِل
عقلاً ، يخافُ شذائِه الشَّل
وبنو الدهاء .. أخوهم الزل
جَمُ العُيوب . وبعضُها الخجل
أما «الوعول» فلم يُقلْ وعِل
رجلاً ، ألسَتِ تروح ترتجل ؟
ورؤى تَعِنُ وعارضٌ خضِل
يا ليتَ عُمرِي عندها بدل
لو صَحَّتِ الأمثالُ والمثل
الكِذْبُ ، والبهتانُ ، والدَّجَل
أنا فيه يومَ تفاخرٍ بطل

(١) تلميح إلى كتاب « البريرة تبحث عن الله » لـ « برنارد شو » .

وحي الموقد

● نظمت في دمشق شتاء عام ١٩٥٧ ، اثر حادثة أُشير إليها في القصيدة نفسها .

إِنَّ عِرْسِي وَهِيَ جَامِحَةٌ فَجَّسَةً .. لَوْنٌ مِنَ الْأَدَبِ
جَاءَتْ « الْكَانُونُ » تُوقِدُهُ وَبِهِ جَزْلٌ مِنَ الْخَشَبِ^(١)
فَوْقَ بَعْضِ بَعْضُهَا ، طَبَقاً لَائِذَاتٍ .. صُنْعَ مُرْتَعِبٍ
خَفِنَ فَاسْتَسْلَمَنَ عَنْ فَرْعٍ لِلْمَنَايَا .. شَرُّ مُرْتَقِبٍ
وَمَشَى بَرْدُ الرَّمَادِ بِهَا كَمَشَى الْمَوْتِ فِي الرُّكْبِ
خَلَّتْهَا وَالْعُودُ يَلِمُسُهَا تُثْقِلُ « الْكَبِيرَتِ » بِالْعَتَبِ
فَتَأَبَّتْ ، ثُمَّ ارْتَعَدَتْ ثُمَّ أَقْشَعَتْ ، ثُمَّ لَمْ تَثْبُتْ !^(٢)
وَانْبَرَتْ مِنْ يَاسِهَا سَكَنِي هَرَّةً مَفْضُوحَةً الْغَضَبِ
قَلْتُ : أَذْكَى — وَيلِكُ — جَذْوَتُهَا وَأَرْحِيهَا مِنَ التَّسْعِ ..!
أَطْعَمِيهَا الزَّيْتَ يَمْشِ بِهَا مَشْيَةَ الْكُفْرَانِ فِي السَّغَبِ^(٣)

(١) الكانون : الموقد .

(٢) ألقى : جلس .

(٣) الكفران : مصدر كفر . السغب : الجائع .

فاستعاذت وهي قائلَةٌ :
 إنها أفعى .. وقد عِلقت
 إي وأمي !.. أحرقْتُ كِتدي
 قلتُ هاتيه .. وثار لها
 شَبٌّ في مَبِيضٍ سالفَتِي
 وأنى وجهي فلطَّخه
 ومثت عرسي لتُسَعِفَنِي
 هتفتُ : بثتُ مُغامرةً
 أو ما تنفكُ مُحْتَضِنًا
 راح في حرفٍ يزخرُ فـه
 قلتُ يا هذي لو اختـرمتُ
 أنا ذا من أربـعين خلثُ
 فاذا خَفْتُ وضعتُ لها
 نحن في العُقَبَى سواسيةً
 أنتِ قد أوصتك شُعـلَتها
 وأنا يُوحى إليَّ بها
 وكذا يدري الجبانُ وغى
 وترى نفسُ الشجاعِ بها
 قد حَبِثُ النارَ عن صَعِدِ

ليس هذا « الجِدُّ !.. » من لعبي
 عضَّةٌ منها .. على ذنبي
 فأطارتـه .. وشيَّبَ أبي !^(١)
 ضَرَمَ كالبرقِ في السُحُبِ
 فكأنني بَعْدُ لم أَشِبَّ^(٢)
 كخليطِ البُسْرِ والرُّطَبِ^(٣)
 — وكما تهوى لتشمَّتَ بي !
 يا بنَ خمسينِ .. أأنتَ صَبِي ؟
 لُغْبَةً .. من هذه اللُّنْعَبِ
 وهو عن شيءٍ سواه غـبي
 مَفـرِّقٍ شِقِينِ لم أَتُبِ
 أَطْعِم النيرانَ بالذهبِ
 خيرَ لحمي مَوْضِعَ الخطبِ
 نلتقي طوعاً على سببِ
 أنْ توقَّـي سوءَ مُنْقَلَبِي
 أنْ تقحَّـننِي .. ولا تهبِ
 فيسمِّي الحربَ بالحـَرَبِ
 لَذَّةً .. كالحلِّكِ في الجربِ !
 وأثـرْتُ النارَ عن صَبَبِ^(٤)

(١) الكتد : مجتمع الكتفين من الانسان وقيل هو أعلى الكتف .

(٢) السالفة : شعر الرأس .

(٣) البسر : التمر قبل أن يكون رطباً .

(٤) الصعد والصيب : الصعود والهبوط .

ورأيتُ «الوغد» يُشعلها
يجتلي بالنور يسكبُ به
ويرى في بؤس فحمتها
أنت خير منهم ، سكنني
وأنا أذكأكم أربأ
أشعل «النيران...!» لا رغباً
غير علم .. أنها سبب

لا لشیطان .. ولا لنبي
وهج الألقاب والرُّب
بهرجات «الماس» .. والذهب
تقتلن الخوف بالهرب
أستشف «الخير» في العطب^(١)
وأصاليها بلا رهب
لحياة .. أيماسب

(١) العطب : الهلاك .

ذكرى المالكى

- ألقاها الشاعر في الحفل الكبير الذي أُقيم على ساحة الملعب البلدي بدمشق في شهر نيسان عام ١٩٥٧ ، لإحياء الذكرى الثالثة لمصرع الشهيد العقيد عدنان المالكى .

ترنّحت من شكاةٍ بعدك الدارُ
وأرعد الوطنُ الغالي وقد ثقلت
واستصرخت حلباتُ السبقِ فارسها
ومرّ طيفك بالفرسانِ فانعقدت
مشى الهداةُ على أضواءِ ضحكته
يا من سقى دمه خيرَ الزروعِ مشّت
ويا أخا الجدثِ الشاوي بمدرجةٍ
منذ اصطفاك فداءً مُعجلاً قدر
من كلّ فجٍّ تنادت والتقت زُمراً
وهبّ بالغضبِ الخلاق إعصارُ
عليه مما جنى الجانونَ أوزار
وقد هوى وأتخى شوطَ ومضمار^(١)
عليه كالحلیم الخمورِ أبصار
واستلهمت دمه الفوارِ ثُوار
تصدّ بعذك عنه الماءُ أشرار
تهفو عليه رياحينٌ وأزهار
تعاورت وطناً فدّيت أقدار
إنّ المقاديرَ أرحامٌ وأصهار

* * *

(١) انتخى : زهى ، وهو مزهو .

يَحْضُنْ عروساً كأرضِ الشامِ آذار
وَأَزِينَتْ مِنْهُ أَنْجَادٌ وَأَغْوَارُ
حتى الجلاميدُ بالأغصانِ أشجار
كما يَشْدُ الضُّلُوعُ العِشْرَ زَنَارُ^(١)
تعلَّقتْ من عيونِ الزهرِ أنظار
مما يُلَوِّنُ حالاتٍ وأطوار
عنه القميصُ ، وحُلَّتْ مِنْهُ أزرار
وكيف تلعبُ بالأدوارِ أدوار

مشتَ بمغناكِ أعراسُ الربيعِ ولم
أبدتْ بما وهبتُهُ الأرضُ زُخْرَفَهَا
وانشَقَّ حتى عمودُ الصخرِ ، وافتَرَعَتْ
تباركتُ «عُوطَةٌ» شدَّتْكِ خضرُتُها
وقُدِّستْ هامةٌ من «قاسيونَ» بها
مجلَبَبٌ بشيفِ الغيمِ تصبِغُهُ
حتى إذا خالطته الشمسُ شقَّ بها
سبحانَ ربِّكِ كيف الأمرُ منتقلُ

* * *

للنزاليلِكِ وإيلافٍ وإينار
هُم لِي الأهلُ ، والجيرانُ ، والبدار
فيما تَجَاوَبُ أنغامٌ وأوتار
لا تضطنِها حزازاتُ وأوغار^(٢)
وقولِ حقِّ لُباناتٍ وأوطار
ونحنُ من كلِّ ما يُستامُ أصفار
فيها حياةٌ لأجيالٍ وأعمار
لو كان للحقِّ ميزانٌ وأسعار
إذ يُرهقُ الناسَ «فرعونٌ» وجبار

«دمشقُ» : كُلُّكِ الطافُ وتكرِمةُ
دمشقُ : لي في رُبَاكِ الحُضُرِ جمهرةُ
أحببتهم وأحبوني كما امتزجت
دمشقُ : نحنُ بناءُ الشعرِ آلهةُ
وما لنا كسوانا في مُجالدةِ
نُقيمُ للناسِ أسواقاً محسدةً
ويحطِّمُ العمرَ منّا صوغُ قافيةِ
عن كلِّ حرفٍ دفعنا فِدْيَةً فدحت
نحنُ الجبابرةُ الأعلىونَ . يُرهبُنَا

* * *

(١) زنار : حزام .

(٢) تضطنها : تحركها . الأوغار : الأحقاد .

وَمُرْجِفِينَ بِأَغْمَاضِهِ وَغَمْغَمَةٍ
رَمَوْا عَلَيَّ ظِلَالاً مِنْ سَرَائِرِهِمْ
إِنَّ الْكَذُوبَ جَبَانٌ دَرَعُهُ خَتَلٌ
دَمَشَقُ : لَمْ يَأْتْ بِي عَيْشٌ أَضِيقُ بِهِ
وَتَمَّ ، لَوْلَا ضَمِيرٌ عَاصِمٌ ، خُفِرَ
لَوْ شِئْتُ كَافِئاً مُثْقِلاً أَصْرُفُهُ
لَوْلَا رِسَالَةُ حَقٍّ قَدْ يَحْيِيقُ بِهَا
تَبَجَّحُوا أَنَّهُمْ حَرْبٌ لِمَنْ ظَلَمُوا
عَجِبْتُ لِلْقَوْمِ فِي أَمْرِي أَهْمُ سَنَدٌ
يَا سَادَتِي إِنَّ بَعْضَ الْعَتَبِ مِنْهَبَةٌ
أَنَا « الْعِرَاقُ » لِسَانِي قَلْبُهُ .. وَدَمِي

هُمْ مِنَ النَّاسِ فِي الْإِعْرَابِ إِضْمَارُ !
كَمَا ارْتَمَتْ فِي التَّمِيرِ الْعَذَبِ أَقْدَارُ
وَدَرَعُ كُلِّ شَجَاعٍ الْقَلْبُ إِصْحَارُ^(١)
فَضْرَعُ « دَجَلَةٌ » لَوْ مَسَّحَتْ دَرَّارُ !
لِلْمَغْرِبِيَّاتِ ، وَ « لِلْبَتْرُولِ » آبَارُ !
شِعْرًا مِنَ الذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ قَنْطَارُ
حَتَّى مِنَ الْمُدَّعِينَ الْحَقِّ إِنكَارُ !
فِي « الرَّافِدِينَ » ، وَأَعْوَانٌ لِمَنْ ثَارُوا !
لِلظَّلَمِ .. ٩. أَمْ هُمْ عَلَى الثُّوَارِ ثَوَارُ ؟ !
لِغَافِلِينَ ، وَبَعْضَ الشَّعْرِ إِشْعَارُ . !
فَرَاثُهُ .. وَكِيَانِي مِنْهُ أَشْطَارُ

(١) الاصحاح : ان يكون الرجل من الظهور والصراحة .

أرمت العود فانكسرا

● نظمت في بغداد عام ١٩٥٦

أرمت العود فانكسرا ؟ أم تجافى لحنك التوتــــرا ؟
أم تقول :

النطقُ أعوزني	أنت يا مَنْ يُنطق الحجر
أنت يا مَنْ إن رمى حنقاً	فحمة الليل ارتقت شررا
فإذا غطت كآبته	فلكاً لم يُطلع القمر
وإذا ألقى بسمته	لييس الروضة ازدهرا

* * *

يا غريب الدار في وطن	بهدة قبله كفــــرا
بدم سوى لهم حُفــــراً	وبورد كلل الحُفــــرا
راجماً حقداً وموجدة	شجراً يُهدي لها الثمــــرا

وأصدق قومك الخيرا
أبدأ تجتبر ما علفت
أغير الموت يفجئوها
بل كأن لم تُعْطَ باصرة
لَهَا لَيْلٌ .. فَأَنْزَلَهَا
أسلمت للذُّلِّ مَقْوَدَهَا
وتخلت عن مصايرها
وتناست أَنَّهَا قَدْرٌ

انهم لم يفضلوا « بقسرا »
ثم تعطي الضرع مَنْ عصرا
أمة لا تُبصر الخطرا
تستبينُ النفع والضرا
عن سماء أطلست غُرا
لا تبالي زلَّ أو عثرا
واستنامت نرقب القدرا
والله يخلق البشر

نحن والكلم

- أبيات أهداها الشاعر إلى الشاعر السوري شوقي بغدادي وذلك عام ١٩٥٧
- نشرت في مجلة «هنا دمشق» السورية ، العدد ٦٢ في ١٦ كانون الثاني ١٩٥٧

إننا ، وحسبك تلك مهزلة	نفنى ، وتبقى بعدنا الكلم
أبدأ تسخرنا فتبعها	فكأننا لأدائها قلم
ورق يضم شتاتنا مزقاً	كحوادث الأيام تنتظم
أنا ذاك بين سطورها عمّة	متحير ، يمشي ويرتطم

كم ببغداد الأعيب

- نظمت في دمشق عام ١٩٥٧
- نشرت في جريدة «الصرخة» السورية .

كم ببغداد الأعـيـبُ
وأساطيـنُ إذا امـتـحـنـوا
و «تـهـاويـنُ» لـلـ يدان لها
وعـلـجـ في بـلـهـيـة
سـرـر من فـوقـهـا بـقـر
وبـهـيـم من دـم سـرـب
مـد سـحـت من غـبـاغـيـه
ولـوى من عـطـفـه بـذخ
كـذب التـارـيـخ لا عـرـب
أو فـاعـراف وأنـعمـة
وأساطيـر أعـاجـيـبُ
فمـهـازيـل مـناخـيـبُ
طـوع ما ثـومـي حـواجـيـبُ
في خـناها يـعـبـق الطـيـبُ
بـسـبـيـك التـبـر مـعـصـوبُ
طـل .. مـطـعـوم فـمـرـبـوبُ
وَعـذَـاهـا الاثـم والحـوبُ^(١)
مـن سـوادِ جـاع مـغـصـوبُ
إنـهـم ، لا بُدَّ ، تـعـرـيـبُ
ومـمـرـوات أكاذيـبُ

(١) السحت : كل حرام قبيح ، وما خبث في المكاسب . الغباغب : اللحم المتدلي من البقر والديك ، جمع غبغب . الحوب : الائم .

كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ مَقْلُوبٌ
وَنَعِيقُ الْبُيُوتِ تَشْبِيبٌ^(١)
وَالنَّهْيُ جَلْدٌ وَتَعْذِيبٌ
وَعَرِيقُ اللَّيْلِ مِنْهُوبٌ
مِنْ تُفَايَاتِ أَصْحَابِيبٍ
مِنْ غَبَاوَاتِ أَطَايِيبٍ
عَشَعَشَتْ فِيهَا الْعَنَاكِيبُ
وَزَعَامَاتُ أَسَالِيبِيبٍ
مِنْ زَنَادِيقِ مَحَارِيبِ

خَزِيبٌ بَغْدَادُ مِنْ بَلَدِ
فَلَقُ الْإِصْبَاحِ غَرِيبٌ
وَالْحَنَّا غُنْمٌ وَمَحْمَدَةٌ
وَيُيُوتُ الْفِسْقُ عَامِرَةٌ
وَتُفَايَاتٌ تَحْفُ بِهَا
وَعَبَاوَاتٌ يُتَبَّاحُ لَهَا
و «دَسَاتِيرٌ» مُمَخْرَقَةٌ
وَسِيَّاسَاتٌ مَلْفَقَةٌ
دُونَ أَجْنَادٍ .. كَمَا خَلِيبَتْ

* * *

فِي الْمَذَلَّاتِ التَّجَارِيبُ
بِيَدِ الْبُلُوبِ تَلَابِيبٌ^(٢)
أَنَّهُ بِالذَّلِّ مَقْطُوبٌ
وَهَوَاتُ تِلْكَ الْأَهْوَاضِيبِ^(٣)
قَبَسٌ غَيْرَانُ مَشْبُوبٌ
لَمْ تَعُوْذْهُ الرَّعَابِيبُ^(٤)

خَزِيبٌ بَغْدَادُ .. حَنَّكَهَا
دَهْرَهَا مَتَلُولَةٌ .. وَلَهَا
«الْفَرَاتُ» الْعَذْبُ لَوْنُهُ
هَطَطَتْ صَيْدُ الرِّقَابِ بِهِ
وَحَبَّابَا فِي أَيِّ مَحْتَبِّطٍ
وَمَشَى فِي دَجَلَةٍ خَنْطٌ

(١) غريب : شديد السواد .

(٢) تلابيب : أطراف .

(٣) هطعت : دانت وذلت .

(٤) الرعابيب : جمع رُعبوب أي النساء الحسنان النواجم .

وَحْطُ الْمَشِيبِ

● نظمت بدمشق ربيع عام ١٩٥٧ ، وقد قبلت إثر جلسة حاملة على (جبل المهاجرين) .

مشى وَحْطُ الْمَشِيبِ بِمَفْرِقِيهِ	وطَارَ غُرَابٌ سَعِيدٌ مِنْ يَدَيْهِ ^(١)
وَرَا حَتَّ مِنْ زَهَاها أَمْسٍ حَبًّا	تَقُولُ الْيَوْمَ : وَ أَسْفَى عَلَيْهِ
سَدَلٌ عَيْرَ رَوْنَقِهِ وَلا حَتَّ	تَضَارِيسُ الْمَنِينِ بِأَخْدَعِيهِ ^(٢)
رَمَاداً خَلَّتْهُ لَوْلَا بَقَايَا	تَوَقَّـدَ جَهْرَتَيْنِ بِمُقْلَتِيهِ ^(٣)
أَهَذَا مَنْ بِهِ فُتِنَتْ كَعَابٌ	وَمَنْ سَحَرَ النَّدَى بِأَصْغَرِيهِ ^(٤)
أَهَذَا تَائِهًا مَنْ نَقَلَتْهُ	عَلَى الْأَحْدَاقِ أَحْلَى خُطُوتِيهِ
وَمَنْ أَصْبَى «فَلَانَةً» وَهِيَ خِدْرٌ	دَمَ الْعِشَاقِ يَصْبِغُ جَنْبِيهِ

* * *

مشى وَحْطُ الْمَشِيبِ بِهِ كَأَنْ لَمْ يُرْجَلْ دَاهِنًا مِنْ لَمْتِيهِ^(١)

(١) لوخط : فشو الشيب في الرأس .

(٢) الأخدعان : عرقان في جانبي العنق .

(٣) الكعاب : البارزة النهدين . والأصفران : القلب واللسان .

(٤) رجل الشعر : أرسله بالمشط .

ولم يتَخَطَّ أَهْلِيهَا إِلَيْهَا ولم تَحْطُ أَهْلِيهِ إِلَيْهِ
ولم يُحَسِّدْ لِحَظَوَاتِهِ لَدَيْهَا ولم تُحَسِّدْ لِحُظَوَاتِهَا لَدَيْهِ
ولم تَنْضُبْ مَرَاشِفُهَا فَتَظْمَا لَفَرَطِ تَذَوُّبٍ فِي مَرَشِفِيهِ

* * *

مَشَى وَخَطَّ الْمَشِيبَ بِهِ فَالْوَى بِأَيْكَتِهِ .. وَعَاثَ بَوَجَّتِيهِ
وَتَيْدَ خَطِي كَأَنَّ عَذَابَ جِيلٍ تَخَيَّرَهُ .. فَحَطَّ بِمَنْكِيهِ
وَمَنْزَوْفَا كَأَنَّ يَدَ اللَّيَالِي بِمِضْعِهَا تَفْصِدُ أَكْحَلِيهِ^(١)
وَأَحْلَى مَلْعَبَ الصَّبَوَاتِ مِنْهُ وَبَدَّلَ مَشْرِيقِهِ بِمَغْرِبِهِ
وَقَرَّبَ مِنْ مَنِيِّهِ .. وَخَوْفٍ لِقُرْبِ الْمَوْتِ شُرَّ مَنِيِّتِهِ !

* * *

سُقِيََتِ الْغَيْثُ يَا زَمَنَ التَّصَابِي وَيَا حَسَنًا بِأَقْبَحِ صُورَتِيهِ
وَيَا نَهْرًا يَسِيلُ دَمًا وَخَمْرًا حَسُونَا ذَا وَذَا مِنْ ضِيفَتِيهِ
وَيَا سِفَا نَجْرُ حِمَالَتِيهِ وَنَرَكَبُ حِينَ نَجْمُحُ شَفَرَتِيهِ

* * *

مَشَى وَخَطَّ الْمَشِيبَ بِهِ فَرَّتْ مَنَاحَهُ ثَاكِلِيهِ بِمَسْمَعِيهِ
وَرَاحَ يُصِغُّ عَنْ أَلَمٍ وَرُعْبٍ إِلَى وَاهٍ مُرْجَعَةٍ .. وَوَيْهِ
فَسَوَتْ لَحْذَهُ كِلْتَا يَدَيْهِ مَشَى وَخَطَّ الْمَشِيبَ بِمُفْرِقَتِيهِ

(١) الْأَكْحَلُ : عِرْقٌ فِي الْيَدِ .

غيداء

● نظمت في دمشق عام ١٩٥٧

غيداء : عندك للصبي مَهْدُ
غَفِيرٌ يدغِدغ من براعمه
غيداء تعشق فيك جارحةً
جُنُّ الهوى بك ، والتوت عُقْدُ
غيداء قَرطُ صبابَةٍ حَشْدُ
غيداء : ما نفسي وإن وثقتُ
في كلِّ مَغْرِزِ لِبَرَةٍ شَخَصْتُ
هل كان غيرُ نَضِيجِ مُقْتَطَفٍ
ومددتها فوحقُّ ما قَطَفْتُ

صدرٌ ترَّبع «دستَه» نَهْدُ
ويرجُ منه المعبود البَرْدُ
أخرى ، ويَحْسُدُ معصماً زند
واعتَزَّزَ فيك بضدِّه الضَّدُ
هي فوق ما يستطيعه فرد
حَجَرٌ يُداسُ ، ولا صفا صُلْدُ
من جانبك خطيئة عَمْدُ
حُلُو الجنى ، ويدٌ وتمتدُ
لَيَرِفُ فوق عظامها جِلْدُ

* * *

غيداء : إذ يتأطَّر القُدُ وإذ الشُّمُوعُ يَشُبُّها خَدُ

حُلُوٌّ ، وإذ يتنفسُ الوردُ
يُرْهِى بما وُهِبَتْ ويعتدُّ
وقد ، ويُطفئُ جمرها وقد
وتُصيبُ مرماها فترتدُّ
إنَّ الحياةَ يحْدُها حدٌّ^(١)
بالوجد ماذا يصنعُ الوجد

وإذ الشَّفاهُ يضمُّهُنَّ فَمَّ
وإذ الشبابُ بكلِّ جارحة
وإذ النفوسُ يشبُّ جاحمُها
تنصاعَدُ الأنفاسُ لاهثةً
فهناك الأرواحُ يُرمضُها
وهناك يعلمُ هازيءٌ بَطْرًا

* * *

يجري بها نَفْسٌ فتشتدُّ
كالموتِ لا يَقْوى بها شدُّ
فإذا المَخِيلَةُ عندها مدُّ
بُنَى ثَمَنَى عِيشَةً رَغْدَ
لَوْ أَنَّهَا ، يقظان ، تمتدُّ
وبديلُ ما تَهَبُّ الدُّنَى وغدُّ
في العاطفاتِ ، وبدعيَّةٌ قصدُّ
وكذا الجهيدُ قِوَامُهُ الجهدُ

غيداءُ : بين جوانحي شُعْلُ
مجنونةٌ كالوجِ عارمةٌ
السوي بها فأخالُها جزرت
غيداءُ : ما كالحبِّ مُصْطَلَباً
لحظاتٌ طيفٍ ودُّ صاحبُها
كنعيمٍ تُخلدُ عنده أملُ
غيداءُ : إنَّ خُرافةً سَرَفُ
تُعطى السموُّ لدفعِ شيرتها

(١) يرمض : يحرق .

كفرت

● نظمت عام ١٩٥٩

قالوا: كفرت.. وقد يخنا
وبمن كفرت؟... بمن كَحَلْدُ
وبمن أجمعت له بنيـ
وبمن حَمَلت من الأذى
شرعت لك الأبوابَ فا
وتملقوك فراعننا
وبمن ذبحت له الحيا
لك.. قدوةً مَنْ يُؤمنون
ت له من الشعر العيون
لك، وقلّ مثلهم بنون
ماليس تعدله المنسون
رعةً قساةً يُوصدون
أبد المسدى يُتملقون
ة وأنت منها في جنون

❦

مهلاً رويدكم فما
أمي غَدَثْنسي الملهبا
صافحت يوماً من يخون
ت وضرعها خفل لَبُون^(١)

(١) حفل لبون: كثير اللبن.

وَأَبَى تَحَلُّفَ أَنْ يَجْوَ
وَدَرَجَتْ دَرَبَهُمَا وَطَبَا
اِفْتَحَلَمُونَ بِمَا رَأَى
عَبَّادَ أَصْنَمَةٍ ثَبَا
وَصَحَابَ أَلْسِنَةٍ ثَلَا
مُسْتَعْمِرًا يَتَخَوَّنُو
خُشْبَ مَسْنَدَةٍ عَلَى
يَرْقُونَ مِنْ جُثِّ الشَّبَا

عَ وَلَا يَزَلْ ، وَلَا يَهُونَ
لَتْ بِي عَلَى الدَّرْبِ السَّنُون
ت ؟ رَأَيْتَ مَا يُقْذِي الْعَيُونَ
عُ ، وَحَوْلَهُمْ مِنْ يَشْتَرُونَ
كُ ، لَكَ أَذِينَ يُثْرُونَ
نَ وَمِثْلَهُ يَسْتَعْمِرُونَ
خُشْبٍ بِهَا يَتَسَمَّرُونَ
بَ مَقَاعَ دَأَّ يَتَصَدَّرُونَ

قَبِيلُ الْمَوْتِ مَاتَ !

- نظمها الشاعر أيام كان لاجئاً في سورية عام ١٩٥٧
 - نشرت ضمن المقابلة الصحفية التي أجرتها معه جريدة « الحرية » في العدد ٩٣٤ في ٢١ تموز ١٩٥٧ ، وقد أوضح فيها دافع نظمها قائلاً :
- « في صباح أحد الأيام ، وقد صفا الجو ، ونزلت خيوط الشمس الساحرة الى شوارع دمشق العريضة المُعَطَّرَة ، تقبَّل أرضها وتحيي الشباب والروء ، إذا بسرب من الأطباء النواهد يمررن بي وأنا الشاعر الهائم فأعود إلى أبنائي وأنا أردد في سري هذه الأبيات » :

أَنْيَسِيَّ إِنَّ أَبَاكُـمُ	كَلَيْفَ قُبِيلَ الْمَوْتِ مَاتَ
إِنَّ الْعُيُسُونَ الْفَاتَسِرَا	بِ سَلْبَنَهُ زَهْوَ الْحَيَاةِ
اللَّـهُ مِنْ سَهَرِ الْهَمِّ	م عَلَى الْجَفْسُونَ الْمُغْفِيَاتِ

أزف الموعد

- ألقاها الشاعر في مؤتمر اتحاد الطلبة العام في السادس عشر من شباط ١٩٥٩ في قاعة سينما الخيام في المهرجان الطلابي الذي حضرته وفود من مختلف أنحاء العالم .
- نشرت في جريدة «الرأي العام» ، العدد ٩١ في ١٧ شباط ١٩٥٩

أَزَفَ الموعدُ والوعدُ يَعْنُ والغدُ الحلوُ لأهليه يَجْنُ^(١)
والغدُ الحلوُ بكم يُشرق وجهُ من لدنهُ ، وبكم تضحكُ سِنَ
والغدُ الحلوُ بنوه أنتمُ فاذا كان لكم صُلْبُ فنحن
فخرنا أنا كشفناه لكم واكتشافُ الغدِ للأجيالِ فنَ
يا شبابَ الغدِ إنا فيهِ مثلكمُ فرّقنا في العُمُر سنَ
لم يزل في جانحينَا خافقُ لصُروفِ الدهرِ ثَبَّتْ مطمئنَ
لا تلومونا لأنّا لم نكنْ مثلكمُ فيما تُجتنونَ نُجْنُ
ولأنّا حين يصفو محضُكمُ مَحْضُنَا يُمزجُ حيناً ويُشَنُّ^(٢)
ولأنّا إذا تُردّونَ الأذى بالأذى نَجزِعُ منه ونشَنُّ

(١) يَعْنُ : أي يظهر ، ويلوح ، ويعرض .

(٢) المحض : الخالص . يشن اللبن : يمزج بالماء .

عَبَقَرٌّ وَاِدٍ نَزَلْنَا سِرْحَانَهُ
وَنَزَلْتُمْ فَلَقَّاكُم بِهِ
لَيْسَ بِدَعَا أَنْ تَجُولُوا مِثْلَمَا
الْبَدِيعُ الْبَدْعُ أَنْ يُلْحَقَكُم

شَبَوَةٌ فَهِيَ أَصْلٌ لَا يَرِنُ
الرَّيْعُ الْغَضُّ وَالرَّوَضُ الْأَعْلَى^(١)
جَالٌ فِي مَضْمَارِهِ مُهَيَّرٌ أَرْنُ^(٢)
فِي مَضَامِيرِ الصَّبِّ حَذٌّ سَبِينٌ^(٣)

يَا شَبَابَ الْغَدِ : هَذَا وَطَنٌ
لَيْسَ نَدْرِي مِنْ خَفَايَا سِحْرِهِ
عَجَبٌ هَذَا الثَّرَى تَأْلُفُهُ
كُلُّ مَا عِنْدَكَ مِنْهُ أَتُّه
وَهُوَ إِذْ تَسْتَوِيءُ الْأَرْضُ شَدًّا
وَهُوَ حَتَّى إِنْ تَجَافَى عَنْكَ خَذُنُ
يُفْتَدَى إِذْ يَرِخُصُ الْفَادِي بِهِ
فَاسْتَمْنَوْدَ بَمَا تُعْطُونَهُ

كُلُّهُ فَضْلٌ وَالطَّافُ وَمَنْ
غَيْرَ أَطْيَافٍ وَأَحْلَاءَ تُظَنُّ
وَالِ أَتْفِهِ مَا فِيهِ تَجَنُّ
كُوكَبٌ يَبْزُغُ أَوْ لَيْلٌ يَجْسَنُ^(٤)
وَهُوَ إِذْ يَقْبُحُ كُلُّ الْكَوْنِ حُسْنُ^(٥)
وَهُوَ حَتَّى إِنْ تَخَلَّى عَنْكَ حِصْنُ^(٦)
وَبِهِ إِذْ تَوَهَّبُ النَّفْسُ يُضَنُّ^(٧)
مَنْ دِمٌّ إِنْ الْحَمَى لَا يُسْتَمَنُّ^(٨)

يَا شَبَابَ الْغَدِ أَنْتُمْ فَكْرَةٌ

يَعْذِبُ اللَّفْظُ بِهَا إِمَّا تَعْمَنُ

(١) عبقر : واد جميل .

(٢) الروض الأعلى : فيه شجر وطير .

(٣) الأرْن : أي الذي يصهل لنشاطه .

(٤) العود : في الأصل أجمل المسن . ويراد به هنا الشيخوخة ، و « المهر » في البيت السابق يراد به صبوة « شباب العاد » ويريد .

(٥) يجن : يحل .

(٦) تستوى : يكتم فيها العود .

(٧) الحدان : الخليل .

(٨) دمن : حل . حرص عليه .

مَثَلَمَا يَشْحَذُ مِبراةً مِسْرَ
واليدُ اليسرى الى اليمنى تَجِنُ
اذ يَكْنُ البعضُ يشكو ويَشْنُ^(١)
شراً ما دام في الشحمة سَمَنَ
مَسَّها ممَّا تُسَامُ الذَّلَّ وَهَنَ
كحروپٍ عَبَرَ شَطْرَنَجٍ تُشَنَ

تُشْحَذُ السُّرُوحُ على مرآتها
كُلُّكُمْ يا فتيةَ الحَيِّ يَدُ
كَيْبَاطِ القلبِ أَنْتُمْ بعضُها
لا يَفَرِّقُكُمْ أَكُولُ لحمه
ومطاييا أَجْنَبِيَّ رُزْخٍ
ودعَاواتٍ بلا طائِلَةٍ

* * *

والسنا الوضَّاحُ والآفاقُ دَجَنُ^(٢)
كَلَّ حَيٍّ بضميرٍ مِنْه رهن
وقبورٌ وَمَطامِيرٌ وسجَنُ^(٣)
كَلَّ مِنْه كاهِلٌ أوزَلَّ مَثْنُ
بدمٍ قلبٌ وبالدمعة جَفَنُ

كَتَمُ الجذوةَ والجوُّ دَجَى
والضميرَ الحَيِّ في معتبرِكِ
شَبِعَتْ مِنْكُمْ سِباطٌ ودمٌ
وحلمت ثقلَها إِذْ غِغْرُكُمْ
وصبرت وصبرنا واغْلَتلى

* * *

للعلا والبأسِ واللفظُ تُسَنَ
شَنَّها حرباً أَخو بغيٍ فَشَنُوا
فإِذا بُودَتُّمُ الشرَّ فَتَنُوا
بالأذى فاقتسموا زندا يُطَنُ^(٤)

يا شبابَ الغدِ كونوا شِرْعَةً
سالموا ما اسطعتمُ حتَّى إِذا
وابدأوا الخَيْرَ سباقاً بَيْنَكُمْ
وَإِذا مَدَّ إِلَيْكُمْ سَاعِدُ

(١) النياط : عرق يخرج من القلب .

(٢) الدجن : اليوم الغائم المطبق السحاب .

(٣) المطامير : جمع مظمورة وهي حفرة تحت الأرض — قد وردت في «طبعة بغداد» — طومرة وهي اسم تبه عليه الشارحون .

(٤) أطن : قطع .

تُطَلَّبُ الرَّحْمَةُ إِذْ يُشَجَّبُ غَبْنٌ وَيُحَبُّ السَّلْمُ إِذْ يُعْضُ جُبْنٌ
يُعَابُ الضُّغْنُ إِلَّا ثَوْرَةً هِيَ حَقْدٌ يَحْرُسُ الْحَقَّ وَضِغْنٌ^(١)
زَحَفَ النُّورُ فَمَا يَلْحَقُ ظَنُّ بِحِفَائِهِ وَلَا يَعْلَقُ ذَهْنٌ^(٢)
وَكَلَّا أَنَّ الْأَرْضَ شَقَّتْ وَارْتَمَى صَاعِداً مِنْهَا إِلَى الْأَفْلَاكِ جَنٌّ
غَزَتِ الشَّمْسُ شَمْسٍ مِثْلَهَا وَانْبَرَى لِلْقَمَرِ الْوَضَّاحُ خِذَنٌ
وَالِىَ الْآنَ وَأَوْهَامٌ تَعْنُنُ وَخِرَافَاتٌ عَلَى الْعِلْمِ تَمَنُّ
وَيَعْيُونَ عَلَى الشَّمْسِ سَنَاءً كَذَبَابِ الصَّيْفِ فِي رَوْضٍ يَطْنُ^(٣)
تَدْرِكُ الْمَفْسُوحَ كِبَرًا هَبَّةً فَيَذَرِي فَاذَا الْمَفْشُوشُ عَهْنٌ^(٤)

* * *

إِجْمِعُوا أَمْرَكُمْ فَالْدَهْرُ جَمْرٌ وَدَمٌ لَا خَمْرَةَ تُرْجَى وَدَنٌ
يَعْمَلُ اجْمَلٌ لَجِيلٍ بَعْدَهُ وَلَقَرْنَ بَعْدَهُ يَتَعَبُ قَرْنٌ
يَسْطُ الْعَانِي إِلَى الْعَانِي يَدَا وَيُفَكِّ الْقِنَّ إِذْ يُعْتَقُ قِنٌّ^(٥)
وَيَظْلُ اللَّيْلُ يَطْوِي سَرَّهُ رَيْثَا يُعْلِنُ صَبْحَ مَا يُكِنُّ
رَيْثَا يَنْتَظِمُ الْكُفُونُ غَدًا يَطْرُدُ الْفَجْرُ بِهِ لَيْلًا يَعْنُ
يَطْرُدُ الْبُؤْسَ بِهِ رَفَقٌ وَعَدَلُ وَالْحَزَازَاتُ مَصَافِيَاءُ وَأَمْنُ

أَزَفَ الْمَوْعِدُ .. وَالْوَعْدُ يَعْنُ

وَالْغَدُ الْحَلُّوْ لِأَهْلِيهِ يَحْنُ

(١) الضغن : الحقد .

(٢) حفافان : ناحيتان .

(٣) « يعيون » — في طبعة بغداد — : مُعْيُونَ ويريد بها « عائبون » .

(٤) العهن : الصوف .

(٥) القن : العبد .

الشيخ والغابة

- نظمت عام ١٩٥٩
- نشرت في جريدة «البيان» الكويتية .
- نشرت في جريدة «الثورة» ، العدد ١٢٠٤ في ٢٧ تموز ١٩٧٢

ورأى الشيخُ ظلالَ الغابةِ الدكناء ..

أشباحاً تَلوُحُ

بعضُها يعصِرُ بعضاً ..

فتمنّى لو يروُحُ

ثم غامت صُورٌ ..

رَدَّتْهُ كالمِرَّةِ ..

أسيانَ شَجِيًّا !

آه .. لو كان فتياً

آه لو رَدَّتْ إليه ..

آه .. مما فاتَ شَيًّا !

آه .. لو لم يعلُ فَوْدِيه ..^(١)
 من الشَّيب مُسوخُ
 آه .. لو كان لذي قلبٍ ..
 مع الشَّيب طُموخُ !
 آه .. لو يَسْطِيعُ للأرقام دَفْعاً !
 آه .. لو كان ...
 لرَّيعانِ الصِّبا يَسْطِيعُ رَجْعاً !
 آه .. لو كان ...
 لِقِطْعانِ الهوى في الشَّعْبِ مرعى !^(٢)
 وتولَّتْ قَدَمِيه رجفَةً ..
 ثم ثَلَوَى ..
 ثم أُلَوَى
 ثم أفعى !
 فرأى آدم يَنْتَفِ بِحَوَاءٍ ..
 وثَلَتَفَ عليه ..
 مثل أفعى !
 وانتفاضاتُ سبابٍ ..
 كالرَّوى ..
 في هَذَا اللَّيلِ تَجِيشُ
 آه يا شيخ ! ..

(١) لفودان : حلق الرأس .

(٢) الشَّعْبُ : الطريق في الحقل ، مسيل الماء .

(٣) أفعى : حلس على مؤخرته .

وَلَمْ تَحْسَبْ أَنْ سَوْفَ تَعِيشُ
آه .. لَوْ مُدَّتْ مِنَ الْغَيْبِ ..
يَدٌ خَلْفَ حِجَابٍ
حَازِفِ النِّصْفِ مِنَ الْخَمْسِينَ ..
مِنْ عُمْرٍ كَذُوبٍ ..
كَالسَّرَابِ
آه يَا شَيْخَ ! ..
وَمَنْ يُدْنِيكَ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ !
أَغْلَقْتَ مِنْ دُونِهِ سَوْدَ اللَّيَالِي ..
أَلْفَ بَابٍ !
لَا تَحُمُ ...
كَالْصَّرَّ مَذْعُوراً ..
وَكَالْوَحْشَ بِلَا ظُفْرِ وَنَابٍ
أَنْتَ لَا تَسْطِيعُ أَنْ
تَقْطِفَ عُنْقُوداً تَدْلِي بِالْعَرِيشِ !
أَلْفَ كَفٍّ لِلشَّبَابِ الْحُلُو ..
أُولَى مِنْكَ فِي
هَذَا الشَّرَابِ !
آه يَا شَيْخَ !
لَوْ اسْطَعْتَ ...
رُجُوعاً لِلشَّبَابِ !

السّينيات

في عيد العمال

- نظمت عام ١٩٦٠ في عيد أول أيار ، عيد العمال العالمي ، وألقيت في المهرجان الذي أقامه الاتحاد العام لنقابات العمال في العراق .
- نشرت في جريدة «الرأي العام» .

بكم نبدي .. وإليكم نعود
ومن فيض أيديكم ما نقيت
بكم تبتنى شرفات الحياة
ومما تكدون تنمو الزرو
ولولاكم لم يقم معهد
ومن جهدكم دائباً مضنياً
وللشر .. حيث الدمار الفظيع
بأيديكم إذ يُشد الرصاصُ
فحنن إذا شتمم والفناء
ومن سبب أفضالكم نستزيد^(١)
وما نستجد .. وما نستعيد
وينشق للفجر منها عمود
عُ وتغذى الجموع .. وتكسى الجنود
ولا اخضر نبت ، ولا رف عود
توفر للسخر منا جهود
يباد به شيخكم والوليد
نموت . وحين تُصب القيود
ونحن إذا شتمم والوجود

(٢) السيب : العطاء .

إِذَنْ أَنْتُمْ الدَّهْرَ مِنْ حَقِّكُمْ
لَكُمْ وَحَدَّكُمْ سَيُزَفُّ الثَّانَا
فَهَلْ ذَاقَ طَعَمَ الثَّانَا الْجَهْدُ
أَصَارُكُمْ أَتَيْهَا الْعَامِلُونَ
لَأَنْكَدُ مَا عَاقَ سَيْرَ الشُّعُوبِ
وَدَهْرٌ تَغْطِي بِهِ الْعَادِيَاتُ
وَحُكْمٌ يُقِيمُ عَلَى الْعَبْقَرِيِّ

إِذَا حَانَ يَوْمُكُمْ أَنْ تَسُودُوا
وَتُرْجَى الْمَنَى .. وَتُرْفَ الْبُنُودُ
وَنَامَتْ بِحُضْنِ الْوَفَاءِ الْجُهُودُ ؟
وَحَمَلُ الصَّرَاحَةِ حَمْلَ يُوُودُ^(١)
جُهُودٌ يُعَفِّي عَلَيْهَا جُحُودُ^(٢)
سَنَى الْعَبْقَرِيَّاتِ دَهْرٌ بَلِيدُ
حُدُوداً .. تَقَامُ عَلَيْهِ الْحُدُودُ

* * *

مَضَى زَمَنٌ كَانَ فِيهِ لَكُمْ
وَسَوْفَ يَجِيءُ زَمَانٌ بِهِ
مَشَى الْوَعْيُ فِي أُمَمِ الْمَشْرِقِ
وَفَزَّتْ عَلَى صَرَخَاتِ الْجُمُوعِ
غَدَاً إِذْ تَجَرَّ الصَّفُوفُ الصَّفُوفُ
وَإِذَا يَسْتَقِيمُ مِنَ الْكَادِحِ
وَإِذَا يَسْتَظِلُّ ظِلَالُ النَّعِيمِ
غَدَاً سَيَذُوبُونَ هُمْ وَالْخَنَاسَا
غَدَاً سَيَبِيدُونَ ، إِنَّ الشُّعُوبَ

يَلْطَمُ خَدَّ .. وَيُسْتَامُ جِيدُ^(٣)
تَلْطَمُ لِلْمُصْعِرِينَ الْحُدُودُ
وَلُمْتُ ، لَكُنْسِ الْوَسِيخِ الْحُشُودُ
تُنْفَضُ عَنْهَا الْخُمُولُ الرُّقُودُ^(٤)
وَإِذَا يَسْتَثِيرُ الْوَقِيدُ الْوَقِيدُ^(٥)
نِ الْمُسْتَغْلِينَ حُكْمٌ وَطِيدُ
طَرِيدٌ لِمَحْتَكِرٍ ، أَوْ شَرِيدُ
وَيَخْلُدُ فِي النَّاسِ مَسْعَى جَهِيدُ
وَإِنْ أَبْطَأَتْ زَحْفَهَا لَا تَبِيدُ

(١) يُوُودُ : يُثْقَلُ .

(٢) يَعْنِي : يَضِيعُ . جُحُودُ : إِنْكَارُ .

(٣) يُسْتَامُ : يُسَامُ أَيُّ بَيَاعٍ وَيَشْرَى .

(٤) فَزَّتْ : هُنَا بِمَعْنَى تَنَبَّهَتْ وَخَفَّتْ وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ : ﴿وَاسْتَفْزَزَ مِنْ اسْتِطْعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ .

(٥) الْوَقِيدُ : الْحَطَبُ الْمَشْتَعِلُ .

غداً سيذوبون ذوبَ الجليد
 هناك سيذكرُ شيخاً وليدُ
 هنالك سوف يُغنى لكم
 هنالك سوف يقول الصغار
 تنبأ صاحبُه أنْ نسود
 وبورك عيدُ نضالٍ سعيدُ
 وكيف يعيش وشمساً جليد
 ويكي لما ذاق جدُّ ، حفيد
 على وتر القلب هذا النشيد
 لقد نورَ الدربَ هذا النشيد^(١)
 وها نحن - رغم أنوفٍ - نسود
 سيتلوهُ من حسن عقباه عيد

(١) نور : أنار وأضاء .

رباعيات

- نظمت في أوقات متراوحة خلال عام ١٩٦٠
- نشرت في جريدة «الرأي العام» بين ٨ أيار و ٣ تموز ١٩٦٠ خلا رباعية «حكم التاريخ» فانها لم تنشر .

«بغداد» في الصباح ..

صَفَّقَ السِّدِّيكُ وَقَدْ زَعَزَعَهُ الْفَجْرُ وَالْوَيْ بِالصِّيَاحِ
وَمَشَى النُّورُ عَلَى الْحَقْلِ وَفَوْقَ الدَّرْبِ يَزْهَى وَالْبَطَّاحِ
آدَ مَا أَرْوَعَ «بَغْدَادُ» وَأَحْلَاهَا عَلَى ضَوْءِ الصَّبَاحِ
غَسَلْتُ كَفَّ السِّنَا كُلَّ الْجِرَاحَاتِ بِهَا حَتَّى جِرَاحِي

قلت وقال ..

قلت للشَّيْخِ ارْضَى الْعُمَّةَ رَزَقْنَا وَالْقَمِيصَا

غَطِيًّا مِنْهُ صَغَارَ الْفِكْرِ وَالنَخْوَةَ وَالرَّأْيَ الْحَيَصَا^(١)
 كَيْفَ عَرِّيتَ مِنَ الدَّيْنِ بِمَا زَوَّرْتَ .. رَوْحاً وَنُصُوصاً
 قَالَ : مَا بِالْكُ أَمْسَكَتَ تَلَابِيبي وَأَعْفَيْتَ اللَّصُوصَا^(٢)

قَصْدٌ .. وَقَصْدٌ ..

نَظَرْتَنِي وَإِذْ رَدَدْتُ لَهَا النَّظْ — رَءً عَجَلِي رَاحَتِ تَضَرُّجُ خِدا
 وَبَدَتْ كَالَّذِي تَعَمَّدَ شَيْئاً — لَمْ يُصِبهُ فَأَخْطَأَ الْقَصْدَ عَمِدا
 أَنَا أَدْرِي بِقَصْدِهَا خَالَتِ الشَّيْ — بَ بَرَأْسِي لَهَا سَلَاماً وَبَرِدا
 وَمَرَّاحاً لِمَقْلَتِهَا وَلَكِنْ — وَجَدْتُ مَقْلَتِي أَفْصَحَ قَصِدا

الْحَنَانُ ..

خَطَّ « شَتْرَاوْسُ » عَلَى كَمَّ — يَهْ لِحْنًا أَيْ لِحْنِ
 بِصَدَى « دَانَوْبِيهِ الْأَزْ — رَقِ » أَجِيَالُ تَغَنِّي
 وَعَلَى كُمِّي لِحْنُ خُطٍّ مِنْ جَبْرِ — وَدُهِنٌ^(٣)
 سَيَغْنِي الْمُتَغَنُّونَ بِهِ مِنْ بَعْدِ دَفْنِي

الصَّيْفُ وَالْمَرْوَحَةُ ..

صَيْفٌ كَتَنُورٍ يَفُورُ — وَشَتَاءٌ عَصْرِ زَمْهَرٍ

(١) الصغار (بفتح الصاد) الضعة . الحيص : الحمص أي الناضج .

(٢) أمسك بتلابيبه : أمسك بنحوه أي ألح عليه وترك غيره .

(٣) حبر ودهن : يشير إلى اشتغاله في المطبعة والصحافة لضمان عيشه

رُ قد تخطته الدهور
نَ به ولم يبرح يطير
وي عمرَ مروحية تدور

وجناح مروحية حسيـــــــــــــــــة
علقت تضاريس السنيــــــــــــــــة
أف لعمــــــــــــــــر لا يسا

عبر من الإنذار السوفيتي ..

نَ وعندها عزمَ مريدُ
شرفِ المواطنــــــــــــــــن إذ يذود
ف « هو القويُّ ، هو الشديد
ن « مسالماً » فهمُ العبيد

أبت « الكرامة » أن تُهــــــــــــــــا
ما أعظــــــــــــــــم « المسؤول » عن
إن الذي آخى « الضعــــــــــــــــا
أما الذين يحاربــــــــــــــــو

رب السجن أحب ..!

نأ من البغــــــــــــــــي تُشَبُّ
كفــــــــــــــــه « زيت » يُصَبُّ
فع عنها وَيــــــــــــــــذُبُّ
« ربَّ السجنــــــــــــــــنُ أحبُّ !! »

عندمــــــــــــــــا أبصرتُ نيرا
وإلى « القمــــــــــــــــة » من في
وإلى « السجنــــــــــــــــن » الذي يد
قلتُ — والسجنُ كريــــــــــــــــه :

المستنصرية

- ألقاها الشاعر في الحفل الذي أقيم في ١٩ تموز عام ١٩٦٠ لافتتاح «المستنصرية» بعد ترميم بناياتها ، فأصبحت متحفاً ومزاراً .
- نشرت في جريدة «الرأي العام» ، العدد ٤٨٥ في ٢٠ تموز ١٩٦٠

وِيَارَبِّ تَمُوزِ نَزَلَتْ بَلِيلُهُ
بِأَسْحَارِ بَغْدَادِ تَغْنَى عَوَالِمِ
وَأَسْوَدَ دَاجٍ كَالْغَرَابِ كَسَوْتُهُ
وَقَفْتُ بِهِ التَّارِيخَ تَحْصِي ثَوَانِيَا
عَجِيبَ مَدَى النِّصْرِ الَّذِي اجْتَرَتْ حُدَّه
وَكَانَ لَكَ الْجَيْشَانِ جَيْشٌ مَدْرَبٌ
وَمَا السِّيفُ إِلَّا آلَةٌ خَلَفَهَا يَدٌ
عَلَى السَّحْرِ الرِّيَانِ نَارًا تَلْهَبُ
وَذَكَرَكَ مِنْ أَسْحَارِ بَغْدَادَ أَعَذِبُ
غُبَارِ السَّرَايَا فَهُوَ كَالنِّسْرِ أَشْهَبُ
بِهَا رَحْتَ تُمْلِي وَالْمَقَادِيرُ تَكْتُبُ
وَتَوْفِيقُكَ النِّصْرَ الْمُؤَمَّلَ أَعْجَبُ
وَأَخْرُ أَقْوَى مِنْهُ قَلْبٌ مَدْرَبٌ
وَخَلْفَهُمْ ————— عَزَمَ بِهِمْ وَيَضْرِبُ

* * *

كَأَنَّ الرِّيحَ الطَّلَقَ مِنْ هَذِهِ الرِّبَى يُجَرِّ عَلَى الْكَوْنِ الرَّحِيبِ وَيُسْحَبُ

من الفكر في كأس من الضاد تُشرب
سنى شفق في دجلة يتذوّب
وفي الصين لون فلسفي مُسبّب
وقسرت خزازات وأودى تعصّب
وتحولف بالإشار فكر ومذهب^(١)
أبو كل من حامى عن الضاد يعرب

هنا انساب الدنيا وراحت عصارة
وأضفى على شرق وغرب صباغه
بيارس لون أرحي مهذب
هنا استن إيمان وفاض تسامح
تعارض بالإسجاح رأي وآخر
ولم يُحتجز رهناً لغاوين يعرب

* * *

إذا فاض منه جدول يتشعب
سوى الموت يبغي أجنف الخطو أشيب
سوى يوم تموز من العمر يُحسب
غباء ، وأما في العشي فيحطب
خوون ولم يمددك جسراً مخرب
بنفسك ناب أجنبي ومخلب^(٢)
بصدق . وغيري من يروء ويكذب
بأكثر مما أنت فيه وتطلب
وأن يتغشاهم بعيد مجنب
ووارد رفاه أن يُرتق مشرب^(٣)

لك الخير إن الشعر كالنبح سلسلاً
مشّت بي (ستون) وماذا وراءها
كأنني فيهن ابن يوم فلم يكن
أقول لصيل يَكُنُّ نهاره
لك الويل لا يحلبك ضرعاً مطاوعاً
ولا يرتخص منك الضمير ، ولا يلغ
لك الويل إني رائد جاء قومه
لك الويل ماذا كنت تحلم قبلها
أيسعى عزيز أن يُذل وأهلـه
أهم رخي أن يصوح مرتفع

(١) الإسجاح : السباح .

(٢) الناب . بمعنى السن ، والشاعر هنا يريد الأجنبي .

(٣) الرفه : أن تشرف الابل الماء متى شاءت . يرتق : يكدر .

لبنان يا خمري وطيبى

- أُلقيت في المهرجان الذي أقامه أدباء لبنان وشعراؤه في بيروت تكريماً لشاعر لبنان بشاره الخوري (الأحطل الصغير) وشارك فيه جمع من الشعراء العرب وأدبائهم وكان ذلك صيف عام ١٩٦١

كان الشاعر في هذه الأثناء مصافقاً في العراق — والسلطة غير راضية عنه حتى أنه أوقف مدة أسبوع — وربما خشي عليه ما هو أكثر من ذلك بكثير وقد كاشفته ممثلة ألمانية الديمقراطية وهي تقدم اليه الدعوة لتمثيل العراق في مؤتمر الأدباء الألمان — وصرحت له بما يبيت له من خطر ، وبوجوب مغادرته العراق ، فوافق بعد تردد ، ولكنه كان يخشى ألا يحصل على جواز سفر ... حتى إذا وصلت إليه دعوة من لجنة مهرجان تكريم بشاره الخوري اتخذ ذلك ذريعة الى الحصول على جواز السفر . وكان أن وصل الى براغ في طريقه إلى برلين ، فإذا بوفد « اتحاد الكتاب » التشيكوسلوفاكيين يستقبله في المطار ويرجو منه قبول دعوة « الاتحاد » ليكون هو وعائلته ضيفاً على تشيكوسلوفاكيا ما طاب له المقام .. وذلك ما كان .

«لبنان» يا خمري وطيبى هلاً لِمَتِ حُطَامِ كوبي

هَلَّا رَدَدْتَ لِسُهِدِهِمَا
هَلَّا عَطَفْتَ لِي الصَّبَا
نَزَقَ الشَّبَابِ عَبْدَتَهُ
عَيْنِي ، وَقَلْبِي لِلْجَوَابِ^(١)
نَشْوَانٌ يَرْفُلُ بِالذَّنُوبِ
وَبَرِئْتُ مِنْ حِلْمِ الْمَشِيبِ

* * *

لُبْنَانُ مَا ذَنْبِي إِذَا
الْأَخْضَرُ الرَّيَّانُ بِي——
يَا مَنْ يَقَايِضُنِي صَدَى ال——
وَتَرْصُدُ الْأَقْمَارِ كَاب——
وَالْكَعَاعِبَ الْحُسْنَاءَ تَس——
وَتَنَابِرُ الْقَبِيلَاتِ فِي
وَيَدَأُ تَجَبُّطُ فِي الْهَوَى
يَا مَنْ يُقَايِضُنِي رِي——
بِالْعَبْرِيَّةِ كُلِّهَا
بُعْصَارَةِ السَّيِّئِينَ تَر——
شَيْطَانُ « غَوْتِهِ » يَا رِي——
رَقَعْتُ شَيْبِي بِالنَّسِيبِ
مِنْ جَوَانِحِي عِزُّ الشُّبُوبِ^(٢)
هَمَسَاتِ وَالسَّمَرِ الْمُرِيبِ
مِنْ أَيْ رِبْعَةٍ فِي الْمَغْسِيبِ^(٣)
تُرْنِي بِمُفْضِلِهَا الْقَشِيبِ^(٤)
نَجْوَى كَمَسْتَرْقِ الدَّبِيبِ
وَيَدَأُ تُعَابْتُ فِي الْجُيُوبِ^(٥)
عَ الْعُمَرِ ذَا الْمَرْجِ الْعَشِيبِ
بُخْرَافَةِ الذَّهْنِ الْخَصِيبِ
زَحَّ بِالْأَدِيبِ وَبِالْأُزَيْبِ
بِالْغَدْرِ وَالسُّدُمِ وَالْحُرُوبِ^(٦)

(١) الوجيب : الاضطراب .

(٢) عزم : شديد ، والبيت كناية عن القلب .

(٣) في البيت وما بعده إشارة إلى رائية عمر بن أي ربيعة الشهيرة :

أَمِنْ آلِ نَعْمَ أَنْتَ غَادَ فَمُبَكَّرٌ غَدَاةٌ عَدَّ أُمُّ رَائِحٍ فَمُهْجَرٌ

(٤) المفضل : الثوب الواسع .

(٥) الجيوب : جمع جيب وهو فتحة الثوب من جهة الصدر .

(٦) إشارة إلى « فاوست » قصة الأديب الألماني غوته .

وَمَقَايِضَ السَّبْعِينَ بِالْ— عَشْرِينَ عَنْ ثَمَرِ رَهْيَبِ
لَوْ جِئْتَنِي لَوَجَدْتَنِي مَحْضَ السَّمِيعِ الْمُسْتَجِيبِ

* * *

إِيَّاهُ بِشَارُهُ وَاللَّيْلَا لِي مَثَقَلَاتٌ بِالْعَجِيبِ
مَتَدَافِعَاتٌ بِالْفُجْجَا ءَ لَا يَتَيْنَنَ مِنَ اللَّغُوبِ^(١)
وَالدَّهْرُ فِي صَعْدٍ وَمَا عَزَّ الطَّلَابُ عَلَى طَلُوبِ^(٢)
و «الزُّهْرَةُ» الشَّقَرَاءُ طَوْ غُ يَدِي «كَكَارِبِنَ» الرَّهْيَبِ
«الْأَخْطَلُ» الْجَبَّارُ جَا ء «الْكُوفَتَيْنِ» عَلَى نَجِيبِ^(٣)
وَأَبُو الْعَمَلَاءِ عَلَى بِنَا بِنَاتِ الْمَاءِ تُحَدِّدُ بِالْجَنُوبِ^(٤)
وَذَعَرْتُ صَحْرَاءَ الْعَرَا قِ بِمَوْكِ النَّارِ الْمَهْيَبِ^(٥)
بِالْآلَةِ الْخَرَسَاءِ تَسْ— تَوْرِي عَلَى وَهَجِ اللَّهْيَبِ
وَأَتَيْتُ «لَبْنَانًا» بِجَا نَحْتِينَ مِنْ رِيحِ غَضُوبِ
مَثَلَ الْمَسِيحِ إِلَى السَّمَا ءِ وَقَدْ حُمِلْتُ عَلَى صَلِيبِ
كَأْسِي تُصَفِّقُ بِالْعَمَمَا مِ بِكَفِّ غَيْدَاءِ لَعُوبِ^(٦)
وَبِيْدِي عَلَى جَرَسٍ تَشَدُّ وَمَقْلَتِي لَفِي لَفِي الْمَجِيبِ
وَتَحْفُزُ النُّهْدَانِ فِي أَفْقٍ مِنَ الصَّدْرِ الرَّحْمِيبِ

(١) اللغوب : التعب والاعياء .

(٢) صعد : شدة ، عذاب صعد : عذاب شديد .

(٣) الأخطل : الشاعر الأموي . النجيب : من الابل .

(٤) بنات الماء : السفن . الجنوب : الريح .

(٥) يشير الى مجيء بشاره الحوري الى العراق بالسيارة .

(٦) تصفق : تمزج . الغيداء : المضيفة .

ء بخائـفـين من الوثـوب^(١)
ومحترمينَ على الجـوب
في قُوبِهاث الثقبـوب

سَخِرْتُ عَصَافِيرُ السَّمَاءِ
بِمَزْعَةٍ زَعِينٍ تَوْجُحاً
وَاسْتَصَغَرْتُ زَمِيرَ الْجَنَادِ

ق وَمُزْهَرِ النِّعَمِ الرَّتِيبِ^(١)
 لِكَ عَهْوَدَ «أَحْمَدُ» وَ «الْحَبِيبِ»^(٢)
 بَلْ «بِالْعَجَسِيبِ وَبِالْغَسْرِيبِ
 لِكَ مُحْمَدًا بُرْدَ الْقَلُوبِ
 بَابٍ عَلَى يَدَي نِعَمِ الْمُثِيبِ
 تِ مِنْابِتِ الْمَجْدِ السَّلْسِيبِ
 دُنْيَا وَمَتَطَحِ الشُّعُوبِ
 وَمِنْ الشَّمَالِ إِلَى الْجَنُوبِ
 هَ لِقَانَصِ الرِّشَاءِ الرَّسِيبِ^(٣)
 دُ لِدَارَةِ الْأَدَبِ الْحَسِيبِ
 دَ لِفَصْنِ «أَنْدُلُسُ» الرُّطِيبِ
 لِمَتِكَ الْغَرِيقَةِ بِالطَّيُوبِ
 حَقَّ «عَلَى شَفْتَيْسِي» «عَرِيبِ»^(٤)

صَنَاجَةُ الْكَلِمِ الرَّقِيمِ
جِئْتَ الْعِرَاقَ فَعِشَاشَ فِيمِ
وَسَحَرْتَ أُمَّ السَّحْسِرِ «بَا
«أَيْشَارَةُ» «أُنْذَا» لَدِيهِ
تُهْدِي إِلَى نَعِيمِ الْمَثَى
مِنْ سُوحِ دَجَلَةَ وَالْفَرَا
أُمَّ الشَّمْسُوسِ وَمَسْرَحِ السَّ
مِنْ نَخْلَتِهِ وَزَيْتُونَتِهِ
مِنْ مَكَمَلِ الْقَنَاصِ فِيمِ
مِنْ دَارِ «هَارُونَ» الرَّشِيدِ
سَقَطُ النَّدَى مِنْ شَهْرِزَادِ
مِنْ «أَلْفِ لَيْلَتِهَا» الْمِي
مِنْ الْحَنِ «زَرْبِسَابِ» وَ «إِسَ

(١) الخائفون هم الركاب المسافرون ... بالطائرة

(٢) صناعية الكلم : جيد الشعر ، والصنع آلة طرب .

(٣) أحمد والحبيب : المتنبي وأبو تمام .

(٤) الرشأ : ابن الغزال .

(٥) الثلاثة من أعلام الغناء العربي .

أَكْوَابٍ مَنْطِقُهُ الْخَلُوبُ
 سِرٌّ « بَيْنَ أَرْبَاضِ الْكُثَيْبِ »^(١)
 خَلَقَ التَّدَامِي وَالشَّرُوبِ^(٢)
 دَرَّتْ نِيَّاقٌ مِنْ حَلْسِي
 عَنْ دِيْمَةٍ سَمَحَ سَكُوبِ^(٣)
 بَعَادَ بِاللَّفْظِ الْقَرِيبِ

لَمْ رَقِرِ النِّعَمَاتُ فِي
 مِنْ عَطَرِ خَمَرٍ « أَيْ نَوَا
 الْمُتَسَدِّرُ الْكَأْسَ مِنْ
 وَالْعَبَابِ الْهَازِي بِمَا
 لَمَعَتْ زَهْرَ الْبَرِيِّ
 « كَالْبَحْتَرِيِّ » يُقَرَّبُ الْأُ

* * *

لَا لَامِسْتِكْ يَدُ الْخَطُوبِ
 نَ الْوَاضِحَاتِ بِكُلِّ طِيبِ
 رَفِ وَالْأَبَاطِحِ وَالْمَدْرُوبِ^(٤)
 نَ مِنَ الشَّرُوقِ أَوْ الْغُرُوبِ

لُبْنَانُ يَا خَمْرِي وَطِيي
 لُبْنَانُ يَا غُرْفَ الْجَنَانَا
 مَتَنَائِصَاتٍ فِي الْمَشَا
 الْفَاتِنَاتِ بِمَا اقْتَسَبَ

* * *

خُلْتُ عَنْ وَطْنِي الْحَبِيبِ^(٥)
 كِ فَلَا تَخَافِيهِ كَذِيبِ
 شَكْوَى أَهْزُكَ يَا حَبِيبِي ؟
 بَ أُمِّ الْغَرِيبِ إِلَى الْغَرِيبِ ؟

لُبْنَانُ يَا وَطْنِي إِذَا
 تُسِّرْ بِحُومٍ عَلَى رِبَا
 أَبْشَارَةٍ وَبِأَيِّمَا
 شَكْوَى الْقَرِيبِ إِلَى الْقَرِيبِ

(١) الأرباض الكئيب : مجتمع الرمل .

(٢) الشراب : الشارب .

(٣) ديمة : سحابة .

(٤) المشارف والأباطح : المرتفعات والسهول .

(٥) خُلْتُ : مُبْعُثٌ .

هل صكَّ سمعَكَ أننسي
 من رافــــــدَيَّ بلا نصيب
 في كُربةٍ وأنا الفتى الــــ
 ممــــــسحُ فزَّاحُ الكــــروب
 أنا « عروَةُ الوردِي » رمــــ
 زُ مروءةِ العَربِ العــــريب

من دفتر الغربة

ايه شباب الرافدين

- نظم الشاعر قسماً منها عام ١٩٦١ في براغ ، وأكملها أواخر عام ١٩٧٢ وأوائل عام ١٩٧٣ في بغداد .
- نشرت في جريدة «الثورة» ، العدد ١٣٧٤ في ١٥ شباط ١٩٧٣

مجداً الى مجد يُضَمُّ	ضموا صفوفكم ولُّوا
جَبَلٌ يلاذ به أشم	وتكاثفوا ينهض بكم
لـة حيث طبتُّها تُشَمُّ	يا غادياً لسُفوح دجـ
عطـر قُراح تَسْتَحـم	حيث الضفـافُ بكوثرٍ
ت « وصيخ لـسـمـعك الأَصَمُّ :	قف بين « دجلة » و « الفـرا
ن وأنثـمُ الشَّرْفُ الأَثَمُّ	إيـه شـباب الـرافـديـ
ء إذا دجا لـلْ أغمـ	يا مُوقـدي سُرُج الدما
كم ما ازدهى وافتـر نجم	أنتم كرامتـها ومنـ

فَلَقُّ الصَّبَاحَ بِجَوْهٍ أَلَقُّ ، وَبَدَرَ دُجَاهُ تَمْ
فِيكُمْ تُنَارُ دُرُوبُهُ وَبِكُمْ خُطَاهُ تَسْتِيَمُ

* * *

يَا فِتْيَةَ الْوَطَنِ الْفَتَى أَنْوَفُهُمْ كَعُـلَاهُ شَمْ
يَا مِنْ إِذَا جَدَّ الْبَلَا عَ يَخْصُهُمْ شَرُّ يُعْـمُ
الْبَادِئُونَ أَوَاهُهَا مِنْهُمْ ، وَمِنْهُمْ مِنْ يُتْـمُ^(١)
وَالْهَارِعُونَ إِلَى الصَّرِيحِ خَ وَحَوْلَهُمْ صُمْ وَبُكْـمُ
« يَتَفَرَّجُونَ » وَأَهْلُهُمْ عَرَقَى يَجِيشُ بِهِمْ خِصْمُ
فِيهِمِ التَّفَرُّقُ ، مِخْوَلٌ فِي الثَّارِ يَرْصُدُهُ مُعْـمُ^(٢)
وَتَصْعَدُ التَّعَارَاتُ يَخْ لُفَ زِيَرُهَا الْمُنْحَوَسَ بَمُ^(٣)
أَعْلَى « الْمَنَاسِبِ » وَالْعَرَا قُ أَبْ لَكُمْ زَاكِ وَأَمْ؟^(٤)

* * *

يَا أَيُّهَا الصَّنَمُ الْحَقْوُ دُ أَنْتَ لِلتَّـارِيخِ خَصْمُ
لَمْ يَبْقَ مِنْ جَبَرُوتِ « فِ رَعْمُونَ » وَلَا « نِيرُونَ » رَسْمُ
حَرْفَانِ لِلتَّـارِيخِ يَعِ خَوَارِزْمِهِ « بَشْ » وَ « نَعْمُ »
وَبِمَا تَصَرَّفَ مِنْهُمْ فِي النَّاسِ تُمَدِّحُ ، أَوْ تُذَمُّ

(١) الأَوَار : سَعِيرُ النَّارِ .

(٢) الْخَوَلُ وَالْمُعَمُّ : الْكَرِيمُ الْأَحْوَالُ وَالْأَعْمَامُ .

(٣) الزَّيْرُ وَالْبِم : مِنْ أَوْتَارِ الْعُودِ وَيُشِيرُ بِهِمَا إِلَى صَوْتَيْنِ مُخْتَلِفِي الدَّرَجَةِ .

(٤) الْمَنَاسِبُ : النِّسَبُ .

أنتم فكريتي

- ألقاها في الأول من تشرين الثاني عام ١٩٦١ بقاعة كارولينوم في براغ بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لتأسيس اتحاد الطلاب العالمي .
- نشر قسم منها في جريدة « صوت الأحرار » ، العدد ٩٤٩ في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٦١

أنتم فكريتي ، ومنكم نشيدي
أنا طيرُ الصَّباح يُزعجني الليـ
ربَّ ليلٍ سهرته أرقُبُ النـ
كلَّما مرَّت الهمومُ على أعـ
أتحرى بؤسَ الملايينِ ضيـمت
كنتم فجره المرجى وكانت
وبكم يستقيمُ لَحني وعُودي
لُ ويخلو بسَحرة تغريدي
م بعين المدلِّهِ المعمود^(١)
قَاب أخرى ، أعدُّها من جديد
برُواقِي جَنَاحِه الممدود
من تباشيرِكُم عُيونُ قصيدي

* * *

يا شبابَ الدُّنا ، ويا روعةَ الدهـ
رِ ويا رونقَ النظامِ الجديدِ

(١) المعمود : الذي أضناه الحب .

أنا منكم وإن تثلّتم خدي
من شواطِ دمي مدى الدهرِ يغلي
أنا «كالهْدُودِ» استدَلَّ على الما
ذاك أني حلّمت قبل عهدٍ
بالسنا دافقاً من الشرق يحو
بغضونٍ تثلّثم الأخدود^(١)
اذ لداتي دماؤهم من جليد^(٢)
ءٍ ومنى الظامي بعذب الورود^(٣)
وبوحى من الخيال الشّرد
ظلمة الليل عن شعوب رُقود

* * *

خالدٌ يؤمكم ، وكَم قد دفعتم
أني يوم لأني جيلٍ ، الى أيّ المساعي يسعى ، بأيّ صعيد
عزمة من جهنم ، وانعطاف
لكم التضحيات بين طريف
وعلى هذه الكواهل يُلقى
ثمناً غالياً لهذا الخلود
من نسيم ، وقبضة من حديد
بدمٍ ناقع ، وبين تليد
عبءٌ مُستقبلٍ رضي سعيد

* * *

كم طريقٍ معبّدٍ بدماءٍ
كم رؤوسٍ هوت لرأسٍ شموخٍ
كم كؤوسٍ من الدُموع أُذيلت
لشهيدي على عظام شهيد
ونُفوسٍ شقت لأجل سعيد
نخباً مُسلفاً لغرة عيد^(٤)

(١) الأخدود : شق في الأرض .

(٢) الشواط : اللهب . لداتي : أقراني .

(٣) من خصائص الهدهد التعرف على موارد المياه المجهولة .

(٤) أُذيلت : أهينت .

رَبِّ مَلِيونِ جُئنةٍ في نُعُوسٍ
كُنْ مَهراً حراً ، كريماً ، عزيزاً
من بَطْونِ الوحوشِ عبرَ البِيدِ
لنُعُوشٍ تَكَلَّلتْ بالبرودِ

* *

يا شباب الدُّنَا وأنتم قضاي
أنا في عِزَّةٍ هنا غيرَ أني
في شُكَاةٍ تطغى ، وأنتم شُهُودِي
لي عِتَابٍ على بلادي شديداً
وعلَى الأَقْرَبِينَ جِدُّ شديداً
أَفْصَقُ طَرِيدَةً لُغْرَابٍ
يا لبغداد حينَ يَنْتَصِفُ التَّارِيخُ من كُلِّ ناكِرٍ وَجَحودِ
حينَ يُروى حَدِيثُهَا وحديثي
وَتَوَازَى نُحُوسُهَا بسعودِي
يا لَهَا إِذْ يُقالُ كانَ على العُقَدِ
مِ لَدِيهَا ما لم يَكُنْ لَوَلُودِ
وَهَبْتَهُ مَحْسُودَةً ، وذوو الحرِ
جَحَدَتُهُ فَعاشَ أَيُّ ضَنِيكَ
وَمَنْ أَدْرَى بِنِعْمَةِ المَحْسُودِ
يَسْتَقِي من دَمِ الفُؤَادِ جَرِيحاً
وَرَمَتُهُ فَعاشَ أَيُّ طَرِيدِ^(١)
بَخِلْتُ أَنْ تُفِيءَ الظِّلُّ مِنْهُ
وَيَغْذِي جِرَاحَهُ بالصَّديداً^(٢)
وَحَنَتُ فَوْقَ كُلِّ وَغْدٍ وَغِيدِ^(٣)

* *

يا شَبَابَ الدُّنَا : وهذا فؤادُ
أنا زَرْعُ البَلَوِ وهذا حَصِيدِي
في قَصِيدٍ ، وآهَةٌ في نَشِيدِ
وَتَاجُ الأُمَى وهذا وليدي

(١) أنا في عزة هنا : يشير إلى إقامته عزيزاً في « براغ » !

(٢) نبيغ وجمعه « نبيغاء » ، الرجل ذو المكانة العالية ، والعظم الشأن والناية الذكر .

(٣) ضنيك : مضايق وفي ضنك .

(٤) الصديد : القيح .

(٥) الوغيد : هنا على « الإتياع » للوغد ، وهو الحتير .

يا شباب الدنيا وها أنا ما في
غير أُنِّي ولم أكن بليد
خِفْتُ من شامتِ حقودٍ لئيم
أيكُني مغمزٌ ، ولا جفَّ عودي^(١)
خِفْتُ قولَ البليدِ في تفنيدي
وكا تعلمونَ : لؤمُ الحقودِ

* * *

يا شباب الدنيا وربُّ مُعادٍ
سأغني لكم على وتر القلند
سأساقيكم كؤوسَ القوافي
كان بغيا المُعيد والمستعيد
ب ، وألقي لَكُمْ بحبل الوريد
من شروبٍ ، مُنادِمٍ ، عرييد^(٢)
وستأتونني بعزمٍ جديدٍ
وسأتيكم بلحنٍ جديدٍ

أنتم فكرتي ومنكم نشيدي

وبكم يستقيم لحنِي وعودي

(١) أيكني : شجرتي .

(٢) شروب : كثير الشرب .

يا دجلة الخير

- نظمت شتاء عام ١٩٦٢ ، وكان الشاعر يمر بأزمة نفسية حادة ، إثر اضطراره إلى معادرة العراق هو وعائلته ، والاقامة في مغتربه في تشيكوسلوفاكيا ، وكان ذلك في صيف عام ١٩٦١

- نُشر قسم منها لأول مرة في جريدة «المستقبل» يوم السبت الثاني من شباط ١٩٦٣ بعنوان :

رائعة جديدة للجواهري

يا دجلة الخير

على يد اتحاد الأدباء

إلى كل أديب في العراق

وقالت الجريدة :

« رائعة الجواهري الجديدة جاءت كمعظم روائعه الشعرية فريدة ممتازة شاحخة شموخ الذرى ، تلمس فيها الطبيعة الانسانية في ثورتها وهدوئها ، في آلامها وأفراحها ، في تحرقها وحنينها الى ما تصبو والى ما حرمت منه بسبب من الأسباب .

« إنك تلمس في هذه الأبيات المتلاحمة شوق الجواهري الى وطنه ، الى دجلته ، والى

ضفافها واصطفاف أمواجها ، وتحس خلال استعراضك للقصيدة كيف يتصل الجواهري
بألف سبب وسبب بما في هذا الشعب العظيم وحاضره ومستقبله .

يا دجلة الخير ، يا أم البساتين لوذ الحمايم بين الماء والطين على الكراهة بين الحين والحين تبعاً فنبعاً فما كانت لترويني لّي النسائم أطراف الأفانين يحاك منه غداة البين يطروني ^(١) حتى لأدنى طماح غير مضمون بين الحشائش أو بين الرياحين ؟ بين الجوائح أعنيها وتعنيني كالريح تُعجل في دفع الطواحين	حيث سفحك عن بُعد فحييني حيث سفحك ظمناً ألوذ به يا دجلة الخير يا نبعاً أفارقه إني وردت غيونا الماء صافية وأنت يا قارباً تلوي الرياح به وددت ذاك الشراع الرخص لو كفني يا دجلة الخير : قد هانت مطامحنا أتضمنين مقيلاً لي سوايصة خلوا من الهم إلا هم خافقة تهزني فأجارها فتدفعني
---	---

* * *

يا دجلة الخير : يا أطياف ساحرة يا سكنة الموت ، يا إعصار زوبعة يا أم بغداد ، من ظرف ومن غنج	يا خمر خايصة في ظل عرجون ^(٢) يا خنجر الغدر ، يا أغصان زيتون مشى التبغدد حتى في الدهاقين ^(٣)
--	---

(١) الرخص : اللين الناعم .

(٢) الخايصة : وعاء من الفخار يعتق فيه الشراب . العرجون : عذق النخل اذا ييس واعوج .
(٣) التبغدد : تكلف عادات أهل بغداد ، وأخلاقهم ، وطراز معيشتهم ، وطرق الحياة ، والتعامل ،
والتخاطب . وقد انتشر «التبغدد» في معظم أرجاء العالم إبان العصور العباسية الأولى ، وفي أيام رفعة
العالم الاسلامي والعربي وعظمته ، وامتداد نفوذه وسلطانه ، أخذوا بالظفر واللفظ البغدادي —

يا أُمُّ تَلَكِ التِّي مِنْ «أَلْفٍ لِيلَتِهَا»
يا مُسْتَجَمَ «النَّوَّاسِي» الَّذِي لَيْسَتْ
الغَاسِلِ الهمُّ فِي ثَغْرِ ، وَفِي حَبَبِ
وَالسَّاحِبِ يَأْبَاهُ الزَّقُّ وَيُكْرِهُهُ
وَالرَّاهِنِ السَّابِرِيَّ الْخَزَّ فِي قَدَحِ
وَالْمُسْمَعِ الدَّهْرَ ، وَالدُّنْيَا ، وَسَاكِنَهَا

لَلآنَ يَعْبِقُ عِطْرٌ فِي التَّلَاحِينِ
بِهِ الْحَضَارَةُ ثَوْباً وَشَيَّ «هَارُونَ»^(١)
وَالْمُلْبَسِ الْعَقْلَ أَنْزَاءَ الْمَجَانِينِ
وَالْمُنْفِقِ الْيَوْمَ يُقْذَى بِالثَّلَاثِينَ^(٢)
وَالْمَلْهِمِ الْقَنْ مِنْ لَهْوِ أَفْانِينَ^(٣)
قَرَعَ النَّوَاقِيسِ فِي عِيدِ الشَّعَانِينَ^(٤)

* * *

يا دَجَلَةَ الْخَيْرِ : وَالدُّنْيَا مُفَارَقَةً
وَأَيُّ خَيْرٍ بَلَا شَرٍّ يُلْقَى حَتَّى
يا دَجَلَةَ الْخَيْرِ : كَمْ مِنْ كَنْزٍ مُوَهَّبَةٍ
لَدَيْكَ فِي «الْقُمْقُمِ» الْمَسْحُورِ مَخْزُونِ
وَأَيُّ شَرٍّ بِخَيْرٍ غَيْرُ مَقْرُونِ
طَهَّرُ الْمَلَاثِكُ مِنْ رَجَسِ الشَّيَاطِينِ

عاصمة الدنيا الأولى آنذاك — وتعاطياً لأساليبها ، وأزيائها ، وتأنقها .. «الدهاقين» : جمع دهقان (بالكسر وبالضم) : رؤساء القرى والمدن المتنفذون وهي فارسية معربة .

(١) النواصي : أبو نواس . هارون : هارون الرشيد .

(٢) الشطر الأول من البيت إشارة الى قول أبي نواس من قصيدة له :

قد أسحب «الزق» يأباني وأكرهه
حتى له في أديم الأرض أخدود
والشطر الثاني إشارة إلى قوله من قصيدة أخرى :

نزلنا على أن المقام ثلاثة فطابت لنا حتى أقمنا بها «شها»

(٣) في هذا البيت إشارة الى قوله من قصيدة له وقد رهن ثيابه الثمينة كلها ومن جعلتها خلع الخلفاء العباسيين عليه .

وبعت قميصاً سارياً وجبة
ثلاثين ديناراً جيداً ذخرتها
وبعت رداءً معلّم الطرفين
فأفنيتهما حتى شريت بدين

(٤) عيد الشعانين : من أعياد النصارى ، ولأبي نواس فيه ، وفي الأديرة بوجه أعم ، أشعار حلوة ، وإشارات رقيقة .

لعلّ تلك العفاريّت التي اختُجِرَتْ
لعلّ يوماً عصوفاً جارفاً عَرِمَاً
مُحَمَّلَاتٌ عَلَى أَكْثَافٍ «ذُلْفَيْن»
آتٍ فَتَرْضِيكَ عَقْبَاهُ وَتَرْضِيَنِي

* * *

يَا دَجَلَةَ الْخَيْرِ : إِنَّ الشَّيْعَرَ هَذِهِ
عَفَواً يُرَدِّدُ فِي رَفِّهِ وَفِي عَلَلٍ ..
يَا دَجَلَةَ الْخَيْرِ : كَانَ الشَّعْرُ مُذْ رَسَمْتُ
«مَزْمَارُ دَاوُدَ» أَقْوَى مِنْ نَبْوَتِهِ
يَا دَجَلَةَ الْخَيْرِ : لَمْ نَصْحَبْ لِمَسْكِنَةٍ
هَذِهِ الْخَلَائِقُ أَسْفَاراً مَجْسُودَةً
إِذَا دَجَا الْخَطْبُ شَعَتْ فِي ضَمَائِرِهِمْ
دَيْنٌ لِرَازِمٍ ، وَمَحْسُودٌ بِنِعْمَتِهِ
لِلسَّمْعِ مَا بَيْنَ تَرْخِيمٍ وَتَنْوِينٍ^(١)
لِحْنِ الْحَيَاةِ رَخِيّاً غَيْرَ مَلْحُونٍ^(٢)
كَفَّ الطَّبِيعَةَ لَوْحاً ، «سِفَرُ تَكْوِينٍ»
فَحَوَى ، وَأَبْلَغُ مِنْهَا فِي التَّضَامِينِ
لَكِنْ لِنَلِيسٍ أَوْجَاعَ الْمَسَاكِينِ^(٣)
الْمُلْهَمُونَ عَلَيْهَا كَالْعَنَاوِينِ
أَضْوَاءُ حَرْفٍ بَلِيلِ الْبُؤْسِ مَرْهُونِ
مِنْ رَاحٍ مِنْهُمْ تَخْلِيصاً غَيْرَ مَدِينِ

* * *

يَا دَجَلَةَ الْخَيْرِ : يَا مَنْ ظَلَّ طَائِفُهَا
لَوْ تَعْلَمِينَ بِأَطْيَافِي وَوَحْشَتِيهَا
أَجْسٌ يَقْظَانِ أَطْرَافِي أَعَالِجُهَا
وَأَسْتَرْجِحُ إِلَى كَوْبٍ يُطْمَئِنُّنِي
عَنْ كُلِّ مَا جَلَّتِ الْأَحْلَامُ يُلْهِمُنِي
وَدِدْتِ مِثْلِي لَوْ أَنَّ النَّوْمَ يَجْفُونِي
بِمَا تَحَرَّقْتُ فِي نَوْمِي بِأَتُونٍ^(٤)
أَنْ لَيْسَ مَا فِيهِ مِنْ مَاءٍ بِغَسَلَيْنِ

- (١) الهددة : مناغة الطفل لينام ، وهي أيضاً ترجيع الطائر لهديله وغناؤه . والترخيم : — وهو من رخامة الصوت — والتنوين وهو تقريب الحركة على الحرف الأخير من الكلمة الى «النون» .
(٢) الرفه : الراحة . والعلل : التمهّل .
(٣) اصحب : تابع وطاوع .
(٤) الأتون : الفرن .

وَأَلَمِْسُ الْجُدَرَ الذَّكَاءَ تخبرني
يا دجلة الخير : خَلِينِي وما قَسَمْتُ
الطَّالِحَاتِ فما يَعْثُرْنَ صَالِحَةً
والواهنات بِجَسْمِي يَتَبَشَّنَ به
أَنْ لَسْتُ فِي مَهْمِهِ بِالْغِيلِ مَسْكُونٌ^(١)
لِي الْمَقَادِيرُ مِنْ لَدَغِ الثَّعَالَيْنِ
وَلَا يُعْثَرْنَ إِلَّا كُلُّ مَأْفُونٍ^(٢)
نَبَشَ الْهُوَامِ ضَرْبًا كُلُّ مَدْفُونٍ

* * *

يا دجلة الخير : كم معنى مزجتُ له
أَلْفَيْتُهُ قَرَطُ مَا أَلَوَى اللَّوَاءُ به
أَجْرُهُ الشُّوكُ أَلْفَاظُ مُرْصَفَةٌ
سَهَرْتُ لَيْلَ «أَخِي ذِيان» أَحْضَنُهُ
أَعِيدُ مِنْ خَلْقِهِ نَحْتًا وَخَضْنُخَضَةً
حَتَّى إِذَا آضَ رَيَّانُ الصَّبَا غَضِيرًا
أَتَّاحَ لِي سُمْ حَيَاتٍ مُرْقُطَةٍ
فَهَلْ بِحَسَبِ اللَّيَالِي مِنْ صَدَى أَلْمِي
دَمِي بِلَحْمِي فِي أَحْلَى الْمَوَاعِينِ
يَشْكُو الْأَمْرَيْنِ مِنْ عَسْفٍ وَمِنْ هُونٍ
أَجْرَهَا الشُّوكُ سَجَّعَ شَيْءُ مَوْزُونٍ^(٣)
حَضَنَ الرُّوَاضِعِ بَيْنَ الْعَثِّ وَاللَّيْنِ^(٤)
وَالنَّجْمُ يَعْجَبُ مِنْ تِلْكَ التَّمَارِينِ
مَهْوَى قُلُوبِ الْحَسَانِ الْخَرْدِ الْعَيْنِ^(٥)
تَدْبُ فِي حِمَاً بِالْحَقْدِ مَسْنُونٍ^(٦)
أَنِي مَضِيغَةٌ أَنْيَابِ السَّرَاحِينِ^(٧)

(١) المَهْمُ : القَفَر . وَالْغِيلُ : يريد الأَغْوَال .

(٢) الْمَأْفُونُ : الْفَاسِدُ الْعَقْل .

(٣) أَجْرُهُ الشُّوكُ : أَي جَرَهُ عَلَيْهِ ، وَالضَّمِيرُ هُنَا عَائِدٌ عَلَى الشَّعْرِ وَالْفَاعِلُ «الْفَاظُ» . وَمُرْصَفَةٌ : مَرْتَبَةٌ مَصْفُوفَةٌ ، وَالضَّمِيرُ فِي «أَجْرَهَا» فِي عَجَزِ الْبَيْتِ عَائِدٌ إِلَى «أَلْفَاظٍ» . وَالْمَعْنَى أَنَّ ذَلِكَ النَّوْعَ مِنَ الشَّعْرِ التَّكْلُفُ — السَّابِقُ — يَغْدُو وَكَأَنَّهُ مَسْحُولٌ سَحْلًا عَلَى وَخَزِ الْأَشْوَاكِ مَحَالْفَاظُهُ لَا تَنْهَضُ بِمَعَانِيهِ ، فَهُوَ لِذَلِكَ مَكْلَفٌ مَصْنُوعٌ بِالْعَنَتِ وَالْإِسْفَافِ .

(٤) «لَيْلَ أَخِي ذِيان» : أَي النَّابِغَةُ «الذِّيَّانِي» ، وَأَمَّا نَسْبُ اللَّيْلِ إِلَيْهِ لِمَطْلَعِ قَصِيدَتِهِ :

كَلِينِي لَهُمْ يَا أَمِيمَةَ نَاصِبٍ وَ «لَيْلٍ» أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ

(٥) آضَ : عَادَ أَيِ اسْتَحَالَ .

(٦) حِمَاً مَسْنُونٍ : الطِّينُ الْقَدَرُ التَّنَنُ .

(٧) السَّرَاحِينُ : الذَّنَابُ .

الآكلين بلحمي سَمَّ أَرَبِيَّةً
والساترينَ بشتمي عُرِّي سَوَاتِهِم
والعائشينَ على الأهواءِ مُنْزَلَةً
والمُتَيْتِينَ ، وقد هيضت ضمائَهُم

وَعُصَّةٌ فِي حَلَاقِينِ الشَّوَاهِينِ^(١)
كَخَصَفِ حَوَاءَ دَوْحِ الثَّوْتِ وَالتِّينِ^(٢)
عَلَى بِيَانٍ بَلَا هَدْيٍ وَتَبِيِينِ
بِوَاخِزٍ مَعَهُمْ فِي النَّقِيرِ مَدْفُونِ^(٣)

* * *

صَنَاجَةُ الْأَدَبِ الْعَالِي ، وَكَمْ حَقِيبٌ
وَمُنْزِلُ السِّيَرِ الْبِتْرَاءِ لِاعْنَةِ
جَوَزَيْتَ عَنْهَا بِمَا أَنْتَ الصَّلَاسِيُّ بِهِ
مَاذَا سَوَى مَثَلٍ مَا لَا قِيَّتَ تَأْمُلُهُ
حَامِي الظَّعَائِنِ لَا حَمْدٌ وَلَا مِقَّةٌ
لِمَنْ ؟ وَفِيمَ ؟ وَعَسَّنَ أَنْتَ مُحْتَمِلٌ

بِهَا الْمَوَاهِبُ سَيَمَتِ سَوَمٌ مَغْبُونِ^(٤)
مَنْ لَمْ يَكُنْ قَبْلَهَا يَوْمًا بَلْمُونِ
هَذَا لَعَمْرِي عَطَاءٌ غَيْرُ مَمْنُونِ^(٥) ١١
شَمَّ الْعِرَانِينَ مِنْ جُدْعِ الْعِرَانِينَ^(٦)
وَقَدْ يَكُونُ عَزَاءٌ حَمْدُ مَظْمُونِ^(٧)
ثِقَلِ الدِّيَاتِ مِنَ الْأَبْكَارِ وَالْعُونِ^(٨) ١٢

(١) الأَرَبِيَّةُ : الغريبان . الحلقوم : الحلق ، وجمعه حلاقم كأن الشاعر أبدل الميم نوناً فصارت حلاقين ، وهي من تنبيهات الشراح : طبعة بغداد ... الشواهين : طيور كاسرة .

(٢) أي كما تجمع حواء ورق التوت والتين لتستر عورتها .

(٣) هيضت : كسرت .

(٤) صناجة الأدب : الشاعر الكبير . و « صناجة الشعر » أطلق على « أعشى بكر » لرقه شعره حتى لكأنه من نغمات الصنج وهي آلة طرب معروفة .

(٥) الصلي : المُصْطَلِي .

(٦) العرانيين : جمع « عرين » وهو ماصلب واشتد من عظم الأنف ، والشم جمع أشم وهو المرفع ، وشم العرانيين كناية عن العزة والأنفة .

(٧) المقة : المحبة .. ويقصد الشاعر بـ « حامي الظعائن » الطليعة ، والرائد تشبيه له بحمالة الظعائن من العرب في الجاهلية ، وهم الذين يحمون النساء في هوداجهن والمعنى أنه لا يتلقى حمداً على أتعابه الفكرية والأدبية ما يتلقاه حامي الظعينة من ظعنته .

(٨) الدِّيَات : جمع « دية » وهو ما يدفع من مال أو حلال تعويضاً عما يلحق بالجرحى أو القتل أو المتضررين . والأبكار هنا النوق الصغار ، والعون الكبار .

ويا زعيماً بأن لم يأتِه خبرٌ
لك العمى ومتى احتجّت بأن قَعَدَتْ
بل قد مَشَتْ لك كالأصباحِ عابِقةً
كفرتُ بالعلم صِفَرُ القلب تحمله
كانت عباقرَةُ الدنيا وقادُثُها
تلمُّ ما قد عسى أن فات شارِدُهُ
لهفي على أُمَّةٍ غاض الضميرُ بها
موتى الضمائرِ تُعطي المَيِّتَ دمعَها
لا بُدَّ معجِلةً كَفُ الحَرابِ به
يا دجلةَ الخيرِ : شكوى أُمُرُها عَجَبٌ
ماذا صنعتُ بنفسي قد أَحَقَّتْ بها
ألزمتها الجَدُّ حيثُ الناسُ هازِلَةٌ
وسُتُّها الخسفَ أعدى ما تكونُ له
ورحْتُ أظمي وأسقي من دمي زُمراً
وقلْتُ بالزهيدِ أدري أَنَّهُ عَنَّتْ
خَرَطُ القتادِ أُمَّتِيها وقد خُلِفَتْ
حراجةً لو يُرى حمْدُ يرافقُها

عَمَّا يُنْشَرُّ من تلك الدواوينِ
عن الموازينِ أربابُ الموازينِ
وأنت تحذرُها حذرَ الطواعينِ^(١)
للبيع في السوق أشباهُ البراذينِ^(٢)
تأتي المورِقَ في أقصى الدكاكينِ^(٣)
عنها ، ولو كان في غُيَّابة الصينِ
من مدَّعي العلم ، والآداب والدينِ
وتستعيضُ على حيٍّ بسكِّينِ
بيتٌ يقوم على هذي الأساطينِ^(٤)
إنَّ الذي جئت أشكو منه يشكوني
ما لم يُحقِّقْ بـ « روما » عسْفُ « نيرون »
والهزلُ في موقفٍ بالجدِّ مقرونِ
وأمنعُ الخسفَ حتى من يعادينني
راحت تُسَقِّي أخا لؤمٍ وتُظْمِئني
لا الزهدُ دأبي ، ولا الإمساك من ديني
كيما تنامَ على وردٍ ونسرينِ^(٥)
هانثٌ وقد يُدري خطبٌ بتهوينِ^(٦)

(١) مشت : اي الدواوين . الأصباح : جمع صباح . عابقة : طيبة الرائحة .

(٢) البراذين : جمع برذون وهو الحمار .

(٣) المورِق : الوراق وهو الكتبي ، تقصده لشراء الكتب .

(٤) الأساطين : جمع أسطوانة ، وهي الأعمدة التي يقوم عليها البيت .

(٥) القتاد : الشوك وخرط القتاد : ما يتساقط وما يخرط من أوراقه .

(٦) بدري : يدفع .

لكن رأيت سِماتِ الخيرِ ضائعةً في الشرِّ كاللثغِ بين السينِ والشينِ
ما أضيعَ الماسَ مصنوعاً ومنطِيعاً حتى لدى أهلِ تمييزٍ وتأمينِ

* * *

يا دجلةَ الخيرِ : هل أبصرتِ بارقةً ألقتِ بلمحٍ على شطِّيكِ مظنون ؟
تلكم هي العنرُ ومضٌ من سنى عدمِ ينصبُّ في عَدَمٍ في الغيبِ مكنون
يا دجلةَ الخيرِ : هل في الشكِّ منجلياً حقيقةً دون تلميحٍ وتخمين ؟

* * *

يا نازحَ الدارِ ناغِ العُودَ ثانيةً وجسَّ أوتارهُ بالرِّفقِ واللينِ
لعلَّ نجوى تُداوي حرَّ أفتدة فيها الحزازاتُ تغلي كالبراكينِ
وعَلَّ عقبى مناغاةٍ مُخفِّفةً حتَّى عناتر «صفين» و «حطين»

* * *

ويا مَقِيلاً على غربيها أبداً ذكرأه تَعَطَّفُ من عودي وتلويني^(١)
عُشُّ الأهازيجِ من سَجْعِي يُردِّدها سجَّعُ الحَمَامِ وترجيُّ الطواحينِ
يا صاحبي إذا أبصرتِ طيفكما يمشي إلَيَّ على مَهَلٍ يحيني
أطبقَتْ جَفناً على جَفْنٍ لأبصره حتى كأنَّ بريقَ الموتِ يُعشيني

(١) تعطف : تلوي .. والمقصود بـ «المقيل على غربي دجلة» البيت الذي كان يقيم فيه الشاعر عدة سنين في جانب الكرخ ، وهو يطل إطلالة رائعة على دجلة في أوسع دوائرها ، ومن أجمل مواقعها ، وفي هذا العش الجميل قضى الشاعر أجمل وأهنا فترة مرت عليه من حياته ، جمعاً للشمس ، ورفداً في العيش ، ووفرة في الانتاج هي في جملتها عيون من أشعارة .

أيها الأرق

- «أيها الأرق» ... نداء حي ، واستدعاء صارخ ، مشوبان بترحيب تلمس في كل حرف منه حرارة الصدق ، وقوة الايمان ، بمثل ما تنطوي عليه من حرارة الألم ، وبمستوى قوة البواعث التي ابتعثته ، حتى لكأني — وأنا أخط هذه الكلمات — انتقل معها من جديد ، وعلى رؤية الواقع الشاخص ، وليس بجناح الذكريات الى تلك «الغرفة» المظلة على بساط أخضر ، طرزته الأزاهير البانعة ، من فندق «انترناشنال» الشهير في براغ ، حيث يشغل من معي من عائلتي ، الغرفة الثانية ، من الشقة المخصصة لنا ، وحيث كانت أشباح الغربة تحوم علينا ، غارية مكشوفة ، بكل بشاعاتها ... وبكل رهبتها ... وبكل الأحاسيس ، والانفعالات المسحوبة عليها ومعها ... وحيث كان هذا «الأرق» يبدو معها ، لشدة انسجامه ، وروعة تكامله ، وكأنه الاطار الذي لا يوجد بديل عنه ، للصورة أبداً ، وكأنه اللمسة التي لا تتم إلا بها حتى ليبدو أمراً تافهاً ... وشيئاً نايباً أن يحلّ النوم محلّه ، أو أن يزحزحه الرقاد عن موضعه .

وبعد : فلا بد أن تكون هذه الصورة نفسها ، التي استلزمت هذا الاطار — هذا الأرق — هي التي فرضت عليّ هذا التعبير الناضح صدقاً ، وحباً ، وترحيباً .. ومن وجهة ثانية لا بدّ أنها هي نفسها التي فرضت عليّ أن أقف بهذا التعبير ، من حيث أراد هو ،

نفسه ، أن يقف بي .. وأن أُنهي منه — على قصرو — لمحض أن الماضي فيه أكثر فأكثر كان فضولاً في القول ، واقحاماً في الأداء .

وإذا أردت الأمانة الكاملة .. والدقة المفترضة ، في استكمال الأسباب المحتملة لهذا الحيز الضيق والمساحة المحدودة اللتين قسمنا لهذا الطارق الحبيب — الأرق — فلا بد لي أن أعود لأتذكر أن لـ « يا دجلة الخير » يداً قوية ، وأثراً بالغاً في ذلك .. فلقد تشابكت — وهذه القطع المكدودة — في آن واحد فشبكته ، واقتحمت ميدانها فحزحتها عنه ، وجاءت (يا دجلة الخير) لتقول شيئاً جديداً ليس الأرق وحده ، ولكن جوهر الغربة نفسها ، فيها من موحيات .. وبواعث .. وأحاسيس .. وكوايس ، أيضاً .

✧ ✧

وهذأت العاصفة انكاسحة .. وقرت الأحاسيس الموحشة في أعماق الضمير ، وأصبحت « الغربة » ، وكأنها هي القياس ، وعدمها هو الاستثناء ، ولم يعد :
— ليلي يفر من يد الظلم .
— ولا يتخطاني ولم أتم .

— وعادت « السرج » تحفّق عليّ بألطف مما كانت ، بظلال أرق ، وبموحيات أكثر طلاقة وانبعاثاً .. ولم ينتقص من لطفها ، ولا من قوة موحياتها « جبل من الأسى » .. كان وما زال وسيظل « يتمشى معي وينتقل » .. والعكس هو الصحيح ، فلعل كل طائف من تلك الطيوف ، كان يستريح بظل من هذا الجبل ، وكان يحتمي به وكان يجد نفسه الضائعة في شخصه الشاخص .

✧ ✧ ✧

وسارت الأيام والليالي بعقد من السنين ، على أكثر من وتيرة واحدة ... ودارت

قواعدها على أكثر من محور واحد .. ولُفِحت بأكثر من عبء .. وأكثر من تجربة .. وأكثر من فكرة .. وألْفِيت لي « نديماً » جديداً غير « الأرق » . اصطلحت معه واصطلح معي طيلة هذه الفسحة من الزمن ، بخير ما يكون عليه الزمان من حال .. وبأشد ما يكون مراعاة لقواعد الألفة .. ولأعراف الصحبة .. كنت لا أثقل عليه في المناجاة .. ولا في المسافات .. ولا في مطارحة الهموم .. ولا في بث لواعج النفس .. ولا في تقاسم الأفراح والأتراح .. ولا في ابتعاث الذكريات .. ولا في تبادل الصور .. ولا التسابق في التقاطها .. لقد كنت أطرق عليه الباب الفينة بعد الفينة ، قد تطول الى حد العتاب ، وقد تقصر الى حد اللحاح ، لأهمس في أذنه فكرة عنت .. أو همماً طرق .. أو ذكرى سنحت .. أو بارقة أمل لاحت .. أو سويعة أنس وارتياح وانبساط حانت ..

محمد مهدي الجواهري

- نشرت في ديوان خاص بعنوان «أيها الأرق» في ١٩٧١/٧/١٢

مرحباً : يا أيها الأرق
لَكَ مِنْ عَيْنِي مَطْلَقٌ

فُرِشْتُ أَنْسَاءَ لَكَ الْحَقْدُ
إِذْ عُيُونُ النَّاسِ تَنْطَبِقُ

لَكَ زَادٌ عِنْدِي الْقَلْبُ وَالْبِرَاعُ النَّضُّ وَالْوَرَقُ^(١)
وَرَوَى فِي حَانَةِ الْقَدْرِ
عُتِقْتُ خَمْرًا لِمُعْتَصِرِ

* * *

مَرْحَبًا : يَا أَيُّهَا الْأَرْقُ فَحِمَّةُ الدِّيَجُورِ تَحْتَرِقُ^(٢)
وَالْتُجُومُ الزُّهَيْرُ تَفْتَرِقُ فَيَجُرُّ السَّابِحَ الْعَرِيقُ
شَفَّ ثَوْبٌ لِلدُّجَى خَلَقَ وَخَلَا مِنْ لَوْلُؤٍ طَبَقَ
وَمَشَى صَبَحَ عَلَى نَحْدَرِ
كَغَرِيبِ آبٍ مِنْ سَفَرِ

* * *

أَنَا عِنْدِي مِنَ الْأَسَى جِلُّ يَتَمَشَّى مَعِيَ وَيَنْتَقِلُ
أَنَا عِنْدِي وَإِنْ خَبَا أَمَلُ جَذْوَةٌ فِي الْفَوَادِ تَشْتَعِلُ
إِنَّمَا الْفَكْرُ ، عَارِمًا ، بَطُلُ أَبَدِ الْآبِدِينَ يَقْتُلُ^(٣)
قَائِدٌ مُلْهَمٌ بِلَا نَفَرِ
حُسِرْتُ عَنْهُ رَايَةُ الظَّفَرِ

* * *

(١) البراع : القلم . النضو : المهزول المتعب .

(٢) الدِّيَجُور : الظلام .

(٣) عارم : شديد .

مرحباً : يا أيها الأرق كم يد أسديت لي كرمــــا
 أنت في عيني سنَى ألق اجتليته بمسمعي نغما
 مرحباً : يا أيها القلبُ وجد الضليل فانسجما^(١)

مرحباً يا صفوة الزمر^(٢)
 يا مطيلاً فسحة العمر

* * *

مرحباً : يا أيها الأرق عاطني من خمرة السهر^(٣)
 إن هذا العمر يُخترق كاختراق الثوب بالإبر
 وهو بالأوهام، يُسترق كاستراق الغيم للمطر^(٤)

فأزرنها ولا تذر^(٥)
 كم غد ألوى فلم يزر^(٦)

* * *

مرحباً : يا أيها الأرق أنا بالطرائف أتبعش^(٧)

(١) الضليل : الكثير الضلال والضياع .

(٢) الزمر : الأصدقاء .

(٣) عاطني : ناولني ، أعطني .

(٤) يسترق : يسرق .

(٥) الضمير في أزرنها يعود على الخمر .

(٦) ألوى : أعرض .

(٧) الطرائف : الدواهي والمصائب .

لي فؤاد بالأمس يحرُق وجفونٌ بالنوم تنخدشُ
أحبُّ النفس هزّها القلق كنفيس الكُـنـوز تُتَبَشُّ
أكره البدرَ دهره نسقُ
وأحبُّ النجومَ ترتعشُ

يا نديمي

يا نديمي : نفسي جُذاذات طرس
من مراقي نُعمى وهَوَات بؤس
كَذَّبَ البُحتريّ إذ قال أمس :
دنس النفس حُلَّةً من دِمَقس
عَرِثَ فوقها بطُهرٍ ورجس^(١)
من أشمٍّ ومِن أحسٍّ أخسٍّ^(٢)
«صنّت نفسي عما يدنس نفسي»
لن تُغَطّي — ولو بمليون عرس
* * *

سألتني :، وقلْبُها يَجِبُ
أملول أم أنت مُجْتَنِبُ
قلتُ : ما لي بذي وذا نسبُ
أما لي من جِلَّتسي عَصَبُ^(٣)
أمدى الدهرِ أنت مُعْتَرِبُ؟^(٤)
أم هو الدهرُ أمرُه عَحَبُ
قَدْ صَوَّأَهُ من الحجرِ^(٥)
فهو لا يستلذُّ بالسُّرُرِ

(١) حذاذات طرس : قصاصات ورق .

(٢) هَوَات : جمع هوه .

(٣) يجب : يضطرب . يخاف .

(٤) الجيلة : الفطرة .

(٥) قَدْ : قطع أي صيغ وصنع . الصَوَّأَة : ضرب من الحجر .

يا نديمي : إِنَّ الدجى وضحا
والهزار الغافي هناك .. صحا^(١)
يا نديمي : وصُبَّ لي قدحا
ألمسُ الحزنَ فيه والفرحا
وأرى : مِنْ خِلالِهِ شَبَحَا
من نِشَارِ الهَمِّ الَّذِي طَفَحَا
في شبابٍ مُضَيِّعٍ هَدَرَ
مثلَ عُودٍ خالٍ بلا وترٍ

* * *

يا نديمي : شاطرُنِي القَدَحَا
ثم هَبْ لي صبايَةَ القَدَحِ^(٢)
إِنَّ فِيمَا تَعَاَفُ مُتَدَحَا
من غَبُوقٍ به ومُصْطَبَحِ^(٣)
رُبَّ صَدْرٍ بِرَشْفَةٍ نَضَحَا
وعَصِيٍّ أَلَوَى فلم يُفْحِ
فأَرِخْ قَلْبَ مُلْهِمٍ مَرَحِ
من عُثَاءٍ عَلَيْهِ مُطَرِّحِ^(٤)

* * *

يا نديمي : وصُبَّ لي قدحا
وأعزني حديثك المرحا
يا نديمي : وأمسِرْ رَأْدَ ضَحَى
قلك لي قولَ مُشْفِقٍ نَصَحَا^(٥)

(١) الهزار : الليل .

(٢) صباية : بقية .

(٣) المتدح : السعة . الغبوق : ما يشرب من الخمر مساء ، والمصطبح : الشرب صباحاً

(٤) العثاء : ما لا خير فيه وهو هنا ما يحس به من ثقل .

(٥) رَأْد الضحى : ارتفاعه ، أي وقت الضحى .

ما علينا ! أبارح سنحنا أم سنيح بقفرة برحنا^(١)
أفحن الحداة للبشر
أم رعاة الأغنام والبقر

* * *

يا نديمي : ورقة السحر وتهوي النجوم في الأثر^(٢)
وخفوت الأضواء كالخدر دب في جسم مارِدٍ أشير^(٣)
لموحة فوق طاقة البشر لتداعي الأفكار والصور
يا نديمي : وعد عن خبري
في سمو منها ومنحدر

* * *

يا نديمي : كم يد ويد للندامي مُدَّت فلم تُعيد
غفلت عن خبيثة رصد واستنامت رحيّة لعيد
يا نديمي : فسقني وزدي فيدي ما تزال في عضدي^(٤)
وغدي إن يغب وإن يزُر
واجد في صبر منتظر

* * *

-
- (١) البارح : هو الطير يأتي من يمن ، والساح : الطائر يأتي من شمال .
(٢) تهوي : تساقط .
(٣) الأثر : البطر .
(٤) سقني : اسقني .

يا نديمي : ونوَّزَ السَّحَرُ فالسُّرَى والسُّفُوحُ تَنسَثُرُ
والنَّجُومُ الخرساءُ تَنحَدِرُ وكأنَّ الصَّبَاحَ يَنفَعُطِرُ
غادَةً بالحِيسَاءِ تَأْتِزُزُ فهي تَبْدُو طَوْرًا وَتَسْتَسِرُ

ثم تَمْشِي خَجَلِي عَلَى حَذَرٍ
مَشْيَ عَذْرَاءٍ .. دَوْمًا أُرِيرُ

* * *

يا نديمي : وَكَمْ مَضَى سَحَرُ وَكَمْ اسْتَنَّ نَهْجَهُ وَتَسَرُ^(١)
وَطَرُ جَدٍّ إِذَا مَضَى وَطَرُ وَكَأَنَّ لَمْ يَكُنْ لَهُ خَيْرُ
يا نديمي : أَحَجِيَّةٌ بَشَرُ يَبْعَثُ الْمَيِّتَ حِينَ يَفْتَكِرُ^(٢)

ثم يُلْقِي بِهِ إِلَى الْحُفْرِ
لنَضِيدِ التُّرَابِ وَالْحَجَرِ

* * *

يا نديمي : وَأَمْسِرْ كُنْتُ أَرُودُ مَلْعَبًا أَسْرَجْتُهُ «غَيْدٌ» وَ «رُودُ»^(٣)
شَالَ فِيهِ نَهْدٌ .. وَأُتْلَعَ جِيدُ وَتَدَلَّتْ عَلَى النُّهْدِ عُقُودُ^(٤)

(١) استن : سار على سننه أي على نهجه وطريقه .

(٢) احجية : لغز

(٣) ارود : أقصد . الرود : الفتاة الجميلة .

(٤) أتلع : ارتفع ووضح .

ثم هَبَّتْ لِلرَّقْصِ فِيهِ قَدُودُ كُلِّ أَمْلُودَةٍ لَهَا أَمْلُودُ^(١)

يا نديمي : وهمتُ بالشجرِ

وسوأي استبدَّ بالثمرِ

* * *

يا نديمي : وَجُسَّ عُوْدُ فَرَنْتَا وَطَرُوبُ أَصْغَى لَهُ فَتَغْنَى

ونديمٌ أَدَارَ كَأْساً وَثْنَى وَشَرُوبٌ لَوْ شَاءَ أَفْرَغَ دَنَّا

يا نديمي : وَمُنِيْتِي أَنْ أُعْنَى — لَوْ تَسْنَى لِمُشْتِهِ مَا تَمْنَى —^(٢)

بسعير الدلالِ وَالْحَفَرِ^(٣)

وخرير الأنعامِ والوترِ

* * *

يا نديمي : وَرُقُوقُ النِّغْمِ بَرْنِ الْأَقْدَاحِ يَنْسَجِمُ

هَبَّ مِنْ كُلِّ «قَبْلِيَّةٍ» نَسْمُ وَخَلَوِ الشِّفَاهِ غَاصَ فَمُ

وَالْحَمِيَّاتُ كَأَنَّهَا ضَرْمُ فِي مَصَبِّ الْعُرُوقِ تَحْتَدِمُ^(٤)

تنتشي من دبيبها العَطِيرِ

فهي بين الوُثُوبِ وَالْخَدَرِ

* * *

(١) الأملود : الغصن المياد .

(٢) أَعْنَى : من العناء وهو التعب .

(٣) الحفر : الحياء .

(٤) الحميا : الخمر . الضرم : اللهب .

يا نديمي : سبحان بارِ بَراهما عرضت مرّةً فكذبْتُ عيني^(١)
وتحاملتُ جاهداً أن أراها فمشتُ بينها السنون وبينِي^(٢)
غير أنّ الذي عراني عراها وكأني به تحيَّنتُ حينِي^(٣)
يا نديمي : وخائبٌ كـ « حُنينٍ »^(٤)
مُسْتَضَلٌّ يغني نسيئاً بعينٍ!^(٥)

* * *

كقراضاتٍ عسجدٍ في لَجْيسٍ ذُبنَ في خدّها بماء الشباب^(٦)
و « أنيفٍ » مُفَضٍّ إلى شفّتينِ رحمةً صيغتها وسوطُسي عذابِ
و « نُهيْدانٍ » رَفَفاً بينَ بينِ في سُفوحٍ مُنسابَةٍ وهضابِ
يا نديمي : وحفنةٌ من ترابِ
كلّلتُ رأسَ مُزمنٍ مُتصائي^(٧)

* * *

يا نديمي : ومــــا تَرَأُلُ نجومُ لاقطباتِ أنفاسهنَّ احتضارا
طافياتٍ يعيها بهنَّ السَّديمُ يترقَّبُنَّ بالطلُّوعِ النهارا

(١) براه : خلقها .

(٢) السنون : يريد العمر وما هو من فرق كبير بين عمريهما .

(٣) احين : الموت .

(٤) حنين : إشارة الى المثل « رجع بخفي حنين » .

(٥) النسيئة : البيع بالآجل . العين : البيع نقداً .

(٦) القراضات : القِطْع . العسجد : الذهب . اللجين : الفضة .

(٧) المزمّن المتصائي : يريد الشاعر نفسه .

قلقاتٍ كأنَّهُنَّ هُمُومٌ في فؤادِ جَمِّ الهمومِ ، حيارى
أيواكين ما أَلْفَنَ اضطراباً ؟
أم يُولِّينَ ما استطعنَ فراراً ؟

* * *

وعصافيرُ يَدْرِجَنَ الهَوَيْنَا في هُبوبِ أعقابِها وصُعودِ
من رَنيقِ النعاسِ يمسحَنَ جَفْنَا ويعاودنَ خطوَةً من جديد^(١)
وتعاطيَنَ زفرياتِ دُونِنَا تسبقُ الهمهماتِ بالتغريدِ
وتعالتُ هلاهلُ من بعيدِ
وتوالتُ أسرابُ طيرٍ سعيدِ

* * *

وبعيداً لحنُ غريبِـدِ هبَّ من نشوانِ عريبِـدِ^(٢)
وأغانِيَّيْ خُرْدٍ غيبِـدِ خلَّتْها من حُسنِ تردِيدِ^(٣)
خشخشاتِ العقودِ في الجيبِـدِ وهفاً من بعدِ تَصْعِيدِ
رَمَقٌ باقٍ من العُمُرِ
في شُعاعٍ منه مُحْتَضِرِ

* * *

-
- (١) رنيق النعاس : ما خالط الجفنين من النعاس .
(٢) نشوان عريب : سكران شديد السكر .
(٣) الخرد : جمع خريدة وهي الفتاة الحسنة الخلق .

وتبدلت على المروج خيوطُ من نسيج الصباح لوناً فلوننا
وتغشى السماء حسنُ خليطُ مثلما شابت الملاحهُ حزناً^(١)
شغلَ النفسَ عن سواه محيطُ كاد عجباً بنفسه أن يُجتنا
وهناكم في المرج «نأي» تغنى^(٢)
كفوادٍ بالحزن فاض فأننا

* * *

يا نديمي : وهبَّ حَقْلٌ وحَقْلُ نافضاً عنه من خمولٍ دثاراً
وتنحَّى عنه من الليل ظلُّ فهو يشتدُّ روعاً واخضراراً
كلُّ غصنٍ به تعلَّقَ ظلُّ دبَّ فيه دَفءُ الحياةِ فغارا
إنَّ كوناً في حسنه لا يُبارى
سَلَّ من ريقِ الظلامِ إسارا^(٣)

* * *

يا نديمي : كم سَجَعَةٍ لمَغْنَى ذكّرني الصُّبا وسجَعَ الدُّيوكِ
وانثنت لي منها لَقُضبانٍ سِجْنِ ثمَّ منها الى مصيرٍ مُلُوكِ
ورمتني بمثلِ رمشةِ جَفْنِ لمهاوي وساوسٍ وشكوكِ
في نظامٍ مُهلَهَلٍ وحبيلِكِ
وصفيقٍ من ستره وهتيكِ !

(١) شاب : خالط .

(٢) المرج : المرعى .

(٣) الريقة : جبل فيه عدة عرى يشد به . الأسار : الأسر .

يا نديمي : إن الشباب تَوَلَّى مُلقياً خَلْفَهُ على النفس ظِلًّا
يَمْنَعُ العَمَرَ بعده أن يُمَلَّا يا نديمي : وَعِفْتُ إلا الأَقْلَابَ^(١)
ذكرياتٍ مثل السرابِ تعلَّى موهماً فرط غُلَّةٍ أن تُبَلَّا^(٢)
يا نديمي : وسرتُ بالأثر
وتخفى السرابُ عن بصري

* * *

يا نديمي : هل الحياةُ خيالُ أم نسيجٌ يُعَدُّه منوالُ
يا نديمي : ستونٌ ، مرت ، ثقالُ رازحاتٌ . كأنهنَّ جِمالُ
مَثَلاتٌ .. أو مثَلما تنالُ صوراً في روايةٍ ، أبطالُ
يا نديمي وتنفضُ الأطلالُ
من جديد .. إذ نحن غيبٌ ، زوالُ !.

* * *

يا نديمي : وما هي القِيَمُ غيرَ ما زُحرفتُ به نظْمُ ؟
شاءهنَّ الخَصِيمُ والحَكَمُ وَحماهُنَّ صَارَمٌ خِذَمُ^(٣)
مَنْ رعاهنَّ فهو محتشمُ أو جفاهنَّ فهو مُتَّهَمُ
يا نديمي : ومن لظى سَقَرِ
صبيغ هذا اللجامُ للبشرِ

(١) أن يُمَلَّا : من « الملل » .

(٢) الغلة : شدة العطش .

(٣) الصارم الخدم : السيف القاطع .

يا نديمي : وقد تحيّر ظنُّ
 فسيفسَى ما قارَعَ السنَّ سنُّ
 وزنودٌ بمثلهنَّ تُظنُّ أن تُباعَ الزنودُ بالأطنان^(١)
 يا نديمي : أليس ثمة ثاني
 لاختلاف الإنسان والإنسان ؟

* * *

لا يُهينُ النجومَ غزوُ الفضاءِ نحنُ ندري بأننا أجرامٌ
 سوفَ يَبْقَيْنَ قُدوةَ الشعراءِ ريثَ يخلو لهم بأرضٍ مُقامٌ
 شدَّ أبصارنا بهيرُ الضياءِ أنه كان في النفوسِ الظلامُ^(٢)
 سوفَ تعلو بالملهمِ الأحلامُ
 ما تردّتْ شريعةٌ ونظام

* * *

يا حفيظاً على الكرى أن يطوفاً يقبّاحِ كالوَحشٍ مزدريّاتِ
 كُنْ بمكبوتيةٍ تخفّى لطيفاً وترقُّ بمَيِّتِ الذكرياتِ
 لا تُزرنِي أشباحها والطُيُوفُ من شخصٍ صدقٍ ومفترياتِ
 جئنني من عوالمٍ أخرياتِ
 — كالزواني — فواحشاً مُغرياتِ

(١) تظن : تقطع .

(٢) البهر : المُتعب ، والمعنى أنّ ما يشد أبصارنا حتى إلى الحسير المتقطع من الأضواء هو كون نفوسنا
 بحد ذواتها مُعتمة مُظلمة فقيرة إلى كل ما يعن لها من نور ، ومن ضياء !

يا نديمي : ورانتِ العُقْدُ واشتكى ثَقْلَ رُوحِهِ الجَسْدُ^(١)
 شاب صفوَ المَطامِحِ الحَسْدُ وهوى بالتجلِسِ الجَلَدُ
 وانطوت أنفُسٌ بما تَجِدُ فعَلِمَها من نَفْسِها رَصْدُ
 وتدنَّتْ عَلاقَةُ البَشْرِ
 لحُضِيضِ الشُّكُوكِ والحَذَرِ

* * *

وبكى الزهرُ أن يُرى تيجانا لرؤوسٍ محشوءةٍ بفسادٍ
 وشكا الشِعْرُ ذُلَّهُ والهوانا لـ « حبيبٍ » و « أحمدٍ » و « زيادٍ »^(٢)
 وشجا الحرفُ أن هُوجأ هجانا تهتك الستَرُ عن نباتِ الضادِ^(٣)
 كم دُعِي دُعِي فلم يَحِرْ^(٤)
 مثَلُ بَغْلٍ عاصِرٍ فلم يَدِرْ

* * *

رُبَّ ليلٍ قطعَتْهُ إرباً أرقبُ النجمَ كيف يرتكسُ^(٥)
 وغديرَ الصبحِ الذي اقتربا من خلالِ الغُيومِ ينبجسُ^(٦)

(١) رانت : غطت واشتدت .

(٢) حبيب : أبو تمام ، أحمد : المتنبي ، زياد : النابغة الذبياني .

(٣) الهجان : جمع « هجينة » أي غير الأصلية .

(٤) لم يُحِر : لم يستطع كلاماً .

(٥) يرتكس : يغيب .

(٦) ينبجس : يطلع .

وغيوماً بَنَتْ لها طُئُباً بمهبِّ النسيم يتسكسُ
 صَوَّرَ كالخيوط تلنيسُ
 الدجى ، والصباح ، والغلس^(١)

* * *

قيل لي : ماتَ أمس ، عفواً ، فلانُ قلتُ : كَبَّأً على يدِ وفيمِ
 كان قفراً زمائهُ والمكانُ فازدهتُهُ توافهُ النعمِ
 فاتهُ من شبابها العُفوانُ فتكفَى بفضلِهِ الهرمِ^(٢)
 قل لمستنكف من العدمِ
 مهْدُ « عيسى » حظيرة الغنمِ

* * *

يا نديمي : ولو تُخلقتُ نَبِيّاً لتطبَّعتُ منهمُ بهنّة^(٣)
 هبني الزهر عاش غصناً جنياً ثم عاثتْ به أكفُ الجنّة^(٤)
 ما تراني وقد بلغتُ العتياً فاستنامتْ على الحنوّ قناتي^(٥)
 أتملى في النور شيئاً فشياً
 غيراً كنَّ أمسٍ ظلاً وفياً

* * *

(١) الغلس : ظلمة آخر الليل .

(٢) تكفَى : اكتفى . فضلة : بقية .

(٣) الهنة : النقص .

(٤) الجنّة : جمع الجاني وهو يقطف الزهر .

(٥) العتي : الكبر ، الطعن في السن .

يا نديمي : إِنَّ الحَيَاةَ مُنَى فاذا زُلِنَ فهي كالعدم
ومنَى كَنْ يفتدخنَ سنَى في دُرُوبٍ تَعِجُ بِالظَّلَمِ
عِفْتُ مما حُمِلننِي ثَمَنًا هو أَغْلَى من عِيشَةِ السَّامِ
إِنَّ عِيشِي ، أُمِّي ، على حَذِرِ
صنُو يومي يَعاشُ في حَذِرِ

* * *

يا نديمي : وَوَقْنَى بِلدا عَقَمَ الخَيْرُ فِيهِ أَنْ يَلدا
هو جَوْعَانٌ ، متَحَمِّمٌ حَرْدَا وهو غُرِيَانٌ ، مَكْتَسِرٌ عَقْدَا
وهو إِذْ صَيِّعَ أَهْلَهُ بَدَا يَكْرَهُ الخَلْقَ أَيُّهَا وَجَدَا
يا نديمي : وَأَقْصِرْ عن بَصْرِي
بَشْرًا حَاقِدًا على البَشْرِ

* * *

يا نديمي : ولم أَجِدْ نَصَفَا أعوز الناسَ كُلَّهُم نَصَفُ^(١)
مَنْ جَسَا مِنْهُمْ وَمَنْ لَطُفَا وَمِنْ التَّائِبَاتِ بِاسْمِهِ الشَّرَفُ^(٢)
وَقَوَانِينُ شُرْعَتِ هَدَفَا ما بها رَمِيَّةٌ لِمَنْ هَدَفُوا
يا نديمي : وَرَغَمَ ما وصفوا
ظَلَّ شُعْجٌ بِجَنَبِهِ سَرَفُ

* * *

(١) النصف : الانصاف والعدل .

(٢) جسا : خشن ، التائب — هنا : تلوث .

يا نديمي : وَمَسْنَى صَمِّمُ وَتَبْنَى النَصِيحَ مَتَّهَمُ
يا نديمي : وَلَوْ زَكَ نَدَمُ لاسْتَرَدَّ الشَّيْبَةَ الْهَرَمُ
لو وعى الوجدُ ما جنى العدمُ لَتَمَشَّتْ بِمُقَعَّدٍ قَدَمُ
غير أَنَّ الخفيضَ لم يَطِرِ
ورداء الشباب لم يُعَرِ

* * *

قد سئمتُ الحياةَ لا جَزَعَا ما تَسْنَى منها فلن أَدْعَا^(١)
بل لأنِّي لم أَتَهَزِرِ الْمُتَعَا قَابَ قَوْسَيْنِ نَبْعُهَا شَرَعَا^(٢)
ولأنَّ الهَيَابَةَ اللَّكْعَا نال منها ما اسْطَاعَ وافْتَرَعَا^(٣)
ولأنَّ ابنَ مَنَبِتٍ قَدِرِ
لم يدغُ في الحياةِ من وطِرِ

* * *

يا نديمي : وما هي المُثُلُ إذ يُسَاطُ الْإِيْمَانُ وَالْدَجْـلُ^(٤)
والرِّسَالَاتُ أَيْسَنُ وَالرُّسُلُ ؟ حينَ يُلَوِّي بَيْنَ مُتَحَلِّلٍ^(٥)

(١) تَسْنَى : حصل .

(٢) شَرَعَا : سَهَّلَ وَرَوَدَه .

(٣) اللَّكْع : الدَّنْيَاء . افْتَرَع : أَخَذَ .

(٤) يَسَاطُ : يَمْزِجُ .

(٥) يُلَوِّي : يَحْرِفُ . مُتَحَلِّل : مُخْتَلَفُ .

يا نديمي أصح ما نقلوا — أم هو التَّجْحُ كان والنفسلُ
فلذِيكَ باقَةُ الزَّهرِ
ولهذا الشُّواظُ من سقرٍ^(١)

* * *

يا نديمي : وشَقْنِي حَزَنُ أن تساوى القبيحُ والحَسَنُ
والغبيُّ السفيفه والْفَطِنُ وطَهْرٌ وجيفةٌ عَفِنُ
يا نديمي وضاع مؤثْمَنُ في خَوْنٍ ، وأفْـوَةٌ لَسِنُ^(٢)
في حَصَوْرٍ ، ومُحَكَّمُ السَّوْرِ
في خَضَمٍ من تافِهٍ الهَذَرِ

* * *

يا نديمي كم أكره المَلَقَا والكذوبَ المنافقَ الحَرِقَا^(٣)
يا نديمي وعزٌّ من صدَقَا إنَّ بي من كليهما فَرَقَا^(٤)
غير أني ألِفْتُ ما اتَّفَقَا حينَ لم أُلِفَ غَيْرُهُ طُرَقَا
يا نديمي : وصنْعُ منتَحِرٍ
أنْ تُرى رهنَ مجمعٍ أُشِيرِ

* * *

(١) الشواظ : اللهب .

(٢) الأفوه : البارع في الكلام ، ومثله اللسن ، والمعنى أن ضاع الأفوه اللسن في العاجز عن الكلام .

(٣) الحرق : الأخرق الأحمق .

(٤) الفرق : الخوف .

يا نديمي : والنفسُ كنزٌ نفيسُ والكنوزُ المبعثراتُ كِشَارُ
ومدى الدهرِ سوفَ تشقى نفوسُ داجياتُ بألفِ نجمٍ تُنَارُ
ونفوسٌ طابتُ فهنَّ شُموسُ مشرقَاتُ لم تدرِ كيفَ النهارُ !
يا نديمي وأين أينَ الفرارُ ؟
ألنا غيرَ هذه الدارِ دارُ ؟

* * *

يا نديمي : لم يبق لي ما أُرْجِي غيرُ ليِّ ، و«ليثُ» زرعُ بصخرِ
ليثُ أني لبريرٍ أو لزنجٍ أتغنى شجونَهُم طولَ عمري
نصفَ قرنٍ ما بين دُفٍّ وصنجٍ أثراي كنتُ انتبذتُ بقفرٍ ؟
وتُجوهلتُ مثلَ واوٍ لعمرو ؟^(١)
لستُ أدري ولا المنجمُ يدري !

* * *

يا نديمي : وأنت لي وَطْرُ وأنا في الحياة لي أوطارُ
ضلَّ من ظنَّ أنني حجرُ يُبتنى منه للجُموعِ جدارُ
وبأنني دَمٌ لهم هدرُ من ثرى سال فيه تُشوى جرارُ
أنا لي من طبعتي قيثارُ
بالذي شئتُ تنطقُ الأوتارُ

* * *

(١) واو عمرو تكتب ولا تلفظ .

يا نديمي : وقد رجعتُ لرُشدي فوجدتُ الرُشدَ المُبينَ ضلّالا
وسراباً ما خلّتُ أعذبَ وردٍ وجنوباً ما قد حسيبتُ شمالا
ما تُراني وقد تبيّنتُ لَحدي أتمنى على الزمان المُحالا
أن ترى النفسُ من جديدٍ مجالا
يوسع الفكر والحياة انتقالا

* * *

يا نديمي : شأهتُ نفوسَ ضِعافٍ تتقارَى كِذْباً فتزدادُ ضَعفاً^(١)
تستدِرُّ العطفَ الشياهُ العِجافُ فاذا تَهَنَّ زِدَنَّ عُجفاً وسُخفاً^(٢)
ومدى العذِرِ أَنهِنَّ خِرافُ كَنَّ لحماً ، وكنَّ صُوفاً ، وظلفا
كم مُقلِّ بما يُكاثِرُ أَصفى^(٣)
ومُسفٍّ عالٍ فكان الأسَفُ^(٤)

* * *

يا نديمي : ورهبةُ العَدَمِ شأنُ حبِّ الحَيَاةِ ، ملءُ دمي
وشبابُ حصيلَةِ الأَلَمِ ظلُّ ذِكْرِى تُشابُّ بالنَدَمِ^(٥)

(١) تتقارَى : تتظاهر بالقوة وهي ليس لها .

(٢) العجاف : الهزيلة .

(٣) أَصفى : أَفلس .

(٤) مُسِفٍّ : واطي .

(٥) تشابُّ : تمزج .

غير أني وجدتُ في الهرم طعمه الحلو عالقاً بفمي
يا نديمي : وأرذل العمر
ما يُعيد التلويح في الصغر^(١)

* * *

يا نديمي : وأمس كان أجبر وأجبر منهم تعرّت صدور
حلقات بها استبدّ الجور حول كأسهم تستدير
يا نديمي ، وفار في شعور أن نبغ الحياة منهم يفور
إن عجبني لهذه الزمر
هو عجب الحجل بالغر^(٢)

* * *

يا نديمي : وكان ليل فجالا فارس يهر العيون اختيالا
شمت فيه ممن عرفت خيالا هو أبهى شكلاً وأرفه حالاً^(٣)
كان يزهي فتوة وجالا كان شهماً للكادحين مثالا
كان رمزاً لسادة آخر
غير أولاء سادة البطر

* * *

(١) أي يجعله يرى الجمال في الماضي .
(٢) العجب اسم للاعجاب (المصدر) . الحجل : بياض في أدنى قوائم الفرس . والغر بياض في
جنبها . فاعجاب الحجل بالغر لا ينفعها شيئاً ..
(٣) شام : ملح ورأى .

يا نديمي : وهذه الزمـرُ هي أغلى ما خلّف البشـرُ
هي أمـارةٌ وتـأمرُ وهي كلُّ الغنى وثقتـمـرُ
وهي إن عاث فاتك أشـرُ قوةً للشعوب تُدخـرُ

يا نديمي : وخير مدّخرٍ

بشرٍ عاطفٍ على البشرِ

* * *

أنا بين الطغاة والطغـمِ شامـخٌ فوق قمـةِ الهرمِ
فاذا حان موعـدُ الأزمِ وارتطامُ الجموعِ بالنظـمِ^(١)
خلتني عند سيلها العـرمِ قطرةٌ لامست شمساً ظمـي^(٢)

يخضد المدُّ شوكةَ الجزرِ^(٣)

إذ تصبُّ البحارُ في الغدْرِ

* * *

يا نديمي : ولي حشـي يـخـزُ لجموعٍ عن واحدٍ عـجزوا
هم كـأمةٌ الوغـى إذا ارتجزوا ويطيحون إن هُم لـكـزوا^(٤)

(١) الأزم : جمع أزمة .

(٢) انسيل العرم : الماء الطاغي .

(٣) يخضد : يقطع .

(٤) كـأمة : جمع كمي وهو البطل . الوغى : الحرب ، وهو في الأصل صوتها . ارتجزوا : أقدموا على الحرب لأن الفارس العربي قديماً كان ينشد أبياتاً من الرجز . لكزوا : لكموا .

فَهُمْ مِنْ تَنَاقُضٍ لُفْزُ وَهُمْ فِي يَمِينِهِ خَرَزُ
يَتَلَهَّى بِهَا عَنِ الضَّجَرِ
وَيُدْكُ الْأَوْضَاحَ بِالْعُرْرِ^(١)

* * *

يَا نَدِيمِي : أَمْسِ اقْتَنَصْتُ طَرِيداً شَاعِراً كَانَ يَسْتَضِيفُ الْبَيْدَا
كَانَ هِمّاً وَكَانَ صُلْباً حَدِيدَا يَمْلَأُ الْقَفَرَ ، مُوحِشاً ، تَغْرِيدَا^(٢)
قُلْتُ مَنْ ؟ قَالَ : شَرَطَ أَنْ لَا تَزِيدَا أَنَا أُدْعَى « مَسَافِراً وَبَزِيدَا »
مَنْ بِلَادٍ أَعَدْتُ عَلَيَّ الْقُرُودَا^(٣)
وَنَفْتَنِي وَكُنْتُ فِيهَا نَشِيدَا

* * *

وَتَوَلَّى عَنِّي .. فَظَلْتُ مَلِيّاً فِي قُرُودٍ - مُفَكِّراً - وَنَشِيدِ
وَعَلَى أَنَّهْ أَجَادَ الرَّوْيَا لَمْ أَجِدْ فِي رَوْيِهِ مِنْ جَدِيدِ
كَانَ قَلْباً غَضّاً وَفِكْراً طَرِيّاً شَاءَ الْحَظُّ فِي مَزَاحِفِ دُودِ
كُلُّ طَيْرٍ « مَسَافِرُ بْنُ يَزِيدِ »
حِينَ يَغْدُو فَرِيَسَةً لِقُرُودِ

* * *

(١) الْأَوْضَاحُ : جَمْعُ وَضَحٍ وَهُوَ بَيَاضٌ فِي أَدْنَى قَوَائِمِ الْفَرَسِ .

(٢) الْهَمُّ : الطَّاعِنُ فِي السَّنِ .

(٣) أَعَدْتُ عَلَيَّ : اسْتَارْتُ ، وَحَرَضْتُ عَلَيَّ ...

يا نديمي : وكان أمس يُكَنَّى
 وهو ممن بفضلِهِ يُتَعَنَّى
 لفلانٍ عن محبةٍ لفلانٍ
 بين فرضني صلاته والأذانِ
 فاذا بـ «المجنُّ !» يُضحى مسناً
 ومقصاً لأكلِ لحمِ «فلانٍ»^(١)
 عائداً من خُرافة .. «المتفاني !!»
 بحديث عما «جنته اليدان !!»

* * *

و «جنته اليدان !!» سقط متاعٍ
 عن سيفاحٍ ، وفاسقِ النظمِ^(٢)
 وهو سمٌ مروقٌ في «العراقِ»
 من فمٍ يصقونهُ لقمِ^(٣)
 وهو حلوُ المساغِ عذبُ المذاقِ
 لصعاليكِ في جمى النعمِ
 يستحلونه مع الحُرَمِ
 لازدراءِ الوفاءِ في الأزمِ

* * *

يا نديمي : إنَّ النضالَ مريـرُ
 بدؤه الفقرُ ، والردى مُنتهـا
 ونضالٌ ، ونعمـةٌ ، وقصورُ !!
 ليس يدري معناه حتَّى اللّـه
 يا نديمي ، كم ادعى مُستجـيرُ
 بجموعٍ : أنَّ الجموعَ شياهُ
 غير أنَّ التاريخَ حين طواه
 لم يجد فيه عِبرةً من سواه

(١) المجن : الترس (بضم التاء) وهو ما يحتمي به المقاتل . المسن : ما تحد به السيوف وأسنة الرماح .
 (٢) السفاح : الزنا .
 (٣) السم المروق : المصفى أي الحاد .

يا نديمي : وفي خِضْمٍ نضالٍ ينزوي تارةً وطوراً يُوالي
 وجدَّ العائشونَ في الأدغالِ فرصةً لانتهاجِ كَرَمِ السدوالي
 يا نديمي ، وبين قيلٍ وقالٍ كسرَ اللصِّ مُصنَّمتِ الأقفالِ^(١)
 غيرَ ساءٍ في وهجة الدُّرِّ
 عن نصيب الحُرَّاسِ والخفَرِ

* * *

يا نديمي : وثَمَّ أَلْفُ زعيمٍ لحفاةٍ مضلِّينَ عُرَاةٍ
 أَلْفُ نَجْمٍ كابِ بليلى بهمٍ لم يرَ الصبحَ من جباه السَّراةِ^(٢)
 أَلْفُ مَجْهٍ مَرَقَرَقٍ بنعيمٍ صاعِرٍ بين أوجهِ مُزْدَراةِ^(٣)
 يتعاطى بأحرفٍ مُفتراةٍ
 مُزدهاةٍ ، مبيعةٍ ، مُشتراةٍ

* * *

والسَّراةُ « المِبْغَدُون » كِثَارُ أَلْفُ دَارٍ لهم هَنَّاكَ ودارُ^(٤)
 كم كُؤُوسٍ بما تشهَّـوا تُدارُ ونعوتٍ ، ليست لهم ، تُستعارُ
 كلُّ بيتٍ للمُتـَـرفين مَزَارُ بدمِ الخلقِ لا بزيتٍ يُنارُ
 كم بما يتدعنَ من صُورٍ
 في حروفِ الهجاء من عِبرٍ ؟

(١) المصمت : المحكم ، القوي .

(٢) كابي : قليل الضوء . بهم : مظلم . السراة (بالفتح) : جمع سري وهو السيد الثري .

(٣) صاعر : متكبر .

(٤) « المِبْغَدَد » : يريد المترف المنعم .

يا نديمي : وإنَّ أولاءِ عارُ وإنَّ اشتطَ مزعمٌ وفخارُ
أمسٍ حلَّى نِجارَهم دينارُ كالعروس استخفَّها زُنارُ^(١)
وهمُ اليومَ سادةً أبرارُ يعزفُ المجدَ حولهم قيثارُ
يصفون «العوراء» بالخورِ
ويُناغونها على السررِ

* * *

يا نديمي : وسال ألفُ شهيدٍ وشهيدٍ دماً بعُود السَّراةِ
ما ترى في مورِّدات الخُددودِ بُقعاً من دم الحُفاةِ العُراةِ
وقديماً من ألفِ ألفٍ وريدٍ سلنَ ما بين دجلةِ والفراتِ
أنهرَ كنَّ في يد «التَّترِ»
خيرَ إرثٍ من زاهر العُصرِ !!

* * *

أفتُدري ما قال قومُ سَراةٍ لجماهيرٍ أصبحَتْ أجراءاً؟^(٢)
لقِيَ الضيِّمَ باعةً وشِراةً عطَّلَ الشعبُ بيعَهم والشِراةِ
إي وعينيك قال ذاك عُراةُ حَسَبوا الكِذبَ والرياءَ كِساءاً
إي وعينيك أودعوه نداءً
وأذاغوه بكراً وعِشاءاً

(١) النجار : الأصل . الزنار : النطاق .

(٢) المألوف . في رسم الهزمة المفتوحة ألا تختم بألف الاطلاق إذا سبقها ألف ، ولكننا آثرنا كتابة الألف المطلقة حرصاً على النطق السليم .

يا نديمي : ومرَّ يومٌ وشهرٌ وإذا القومُ زينَةُ «البرلمان»
 وإذا في مُلاءة العُهر طهرٌ وإذا المُخصَّاتُ هنَّ الزواني
 وإذا تلکمُ النياباتُ أجرٌ عن مبيعِ الشهيد في «دكان»
 يا نديمي : ومرَّ عامٌ وثاني
 ثم حَفَّت خَواضِبُ الأكفانِ

* * *

يا نديمي : وسوف يبقَى عِشارا في مصيرِ الجُموعِ هذا الرُكامُ
 يَشمَا تُبصرُ الطريقَ حَيارى لا تعي أين تُوضعُ الأقدامُ
 وكما تَدْرِي شُخْوصاً صِغارا في ظلامِ الدجى فهنَّ ضُخامٌ^(١)
 هم عَماليقُ ما تدنَّى نظامُ^(٢)
 فاذا ما ازدهى فهم أقرامُ

* * *

يا نديمي : أمسِ استبدَّت طغاةُ سلَّطتْ أربعين عاماً وعاما
 لُوِيَتْ بالجموعِ منهم قنَاةُ بعدها عَنَّتِ الحياةُ لِماماً^(٣)
 حُلِمَ ما ثم بدَّدته عتاةُ سنَّتِ البغي من جديدِ نظاما
 فتمنَّتْ خلائِقُ أن تُساما
 بغيَ ماضين هم أخفُّ انتقاما

(١) تَدْرِي : تختبئ .

(٢) تدنَّى : انحط .

(٣) عَنَّت : بدت ، ظهرت ، عرضت .

يا نديمي : لك النصيحة مني ليس لي في نصيحتي ما أغل^(١)
 تحذ بعرس القُرودِ دفأً وغني وقل الأهل أنتم والحل !
 صيدُ إنسٍ أنتم وأقيال جنُّ « جنةُ الخلد » دون قردٍ ثمل !!^(٢)
 لا تبالي من يُجتوى أو يُبل^(٣)
 ما تمشَى منكم على الأرض ظل !

* * *

يا نديمي : أشدُّ وأنت الأريبُ بالذي قاله الغداة « الرئيسُ »
 قال : إني لكل شاكٍ طبيبُ ولن يتغني عروساً عروسُ !!
 يا نديمي : قل — عدتك الخطوبُ — هكذا هكذا تكون الرؤوسُ
 لا كمن ساسَ أمسٍ شعباً .. تبوسُ
 لم يغادر ركزَ لهم أو حسيسُ^(٤)

* *

يا نديمي : قل لطاغٍ عتيّ إقصر ما شئت لا تشلّ يداكا
 وزع الموت بين هيّ وبيّ جعل الله من عداك فداكا^(٥)

(١) ما أغل : ما انتفع به (من العلة) .

(٢) صيد : جمع أصيد وهو السيد الكريم . الأقيال : جميع قيل وهو الرئيس أو الأمير (في اليمن القديمة) .

(٣) يجتوى : يُصاب بداء « الجوى » وهو المرض وداء الجوف إذا استطال ، ويُبل من « الابلال » وهو الشفاء .

(٤) الركز : الصوت الخفي ، ومثله الحسيس .

(٥) هي وبى : كناية عن مجهول ويريد الناس .

يا نديمي : وسر بهذا السروِّي ترق في سَلَم المُنَى أفلاكا
تجد الناس كلهم ما عداكا
لا يُساوون من نعالٍ شراكا^(١)

*

يا نديمي : ولا يُعقلُك الحياءُ فابتذالٌ يَشيعُ يَنفي الحياءُ
وإذا الحكمة امتطاهبا الهراءُ ساق ، فيمن يسوقه ، الحكماء
يا نديمي : إنَّ الذكاءَ غناءُ في محيطٍ يُدلُّ الأغبياءُ
وإذا شئت فاسأل الأنبياءُ
تجدهم أضحياً أبرياء^(٢)

* *

يا نديمي : ورُبَّ نجوى سِرارٍ لي كانت مع النجوم السواري^(٣)
لا لشيء إلا لفـسـرط حذارٍ من نفوسٍ ديفت بحُبِّ مَواري^(٤)
لا للـيـلـ داجٍ ولا لنهارٍ تُثُّ شكواكـ صاحبي — الجدار
فهو أولى من خدعٍ نُكِر^(٥)
ليس فيهم براءة الجدر^(٦)

(١) شراك النعل : الحيط الذي يشد به .

(٢) أضحياً : جمع أضحية ، وهي الضحية ، وجمع الضحية ضحايا .

(٣) السرار : سرّاً من أسرَّ إليه في أذنه مُسارّةً وسراراً أي ناجاه .

(٤) ديفت : مزجت . مَواري : خداع .

(٥) نُكِرَ : «النُكْرُ» وهو القبيح ، والمنكر ، والشديد ومن يخيا بالدواهي .

(٦) الجدر : جمع جدار .

يا نديمي : وكان يومَ مطيـــــــرٍ ونديهم وعازفٌ ومغني
وكؤوسٌ كادَتْ شعاعاً تطيـــــــرُ في أكفِ السُّقاةِ من فرطِ حُسْنِ^(١)
وكانَ الرعودُ بـمُ ونهـــــــرُ وكانَ الرِّذاذُ ليقاعُ الحنِ^(٢)
وإذا نحن نحتدي بِمِجَنٍّ^(٣)
من صروفِ الزمانِ في يومِ دَجَنٍ^(٤)

* * *

وتَقَضَّى لهوٌ وغاضتْ مُدامُ وتجاسى عودٌ وماتَ النديهمُ^(٥)
فاذا بالرداذِ وهو سِهَامُ وإذا بالغيمِ يومَ مَوْتِ تحومُ
وإذا هذه الحياةُ انسجامُ أشقاءُ أتاحتها أم نعيمُ
وإذا نحنُ إذْ تَرَقَّ نسيمُ
هَبَ منها . وحين تقسو سَمومُ

* * *

يا نديمي : والعلمُ أضحى حسابا زاد جذراً أو راحَ يَنْقُصُ كَعْباً^(٦)
والخفسيُّ المجهولُ شقُّ الحجابِ لم يُداهنْ عبداً ، ولا خافَ ربّاً

(١) شعاعاً تطير : أي تتفرق .

(٢) البم : الوتر الغليظ . الزير : الوتر الدقيق ويُراد بهما أصوات الرعود .

(٣) المِجَن : الترس الذي يَحْتَمِي به المحارب .

(٤) الدجن : الغائم .

(٥) غاض : غار . تجاسى : تصلب .

(٦) كعبا : يشمر الى الجذر التكعيبي .

غير أنَّ النفوسَ ظَلَّتْ كتاباً مُغلَقاً ، مُوحِشَ الصَّحَافِ ، صعباً
قُلْ لِمَنْ شَارَفَ النُّجُومَ وَأَرَى
هَلْ تَلَمَّسْتُ فِي مَطَاوِيكَ دُرّاً ؟

* * *

يا نديمي : وَقَدْ بَشِمْتُ احْتِقَاراً لَضَجِيجِ الْهَيْفِ وَالتَّصْفِيقِ^(١)
عِشْتُ أَشْقَى لَيْلاً بِهِ وَنَهَاراً عَاشَ فِيهِنَّ مِنْ دَمِي وَعُروقي
ثُمَّ لَمْ أَلْفِ إِذْ لَقِيتُ الْعِثَارَ فِي الْمَلَايِنِ مِنْ صَدِيقِ صَدُوقِ
غَيْرَ دَعْوَى كِفَارِغِ الْهَذَرِ
كَصْفِيرِ الرِّيحِ فِي الشَّجَرِ

* * *

يا نديمي : كَمْ مِنْ شَعَارٍ كَذُوبٍ مِنْ مَضَامِينِهِ تَهْزَأُ الْحُرُوفُ
كُلُّ مَا فِيهِ مِنْ هِنَاءٍ وَطِيبٍ عَنْ مَعَانٍ أَضْدَادُهَا تَحْرِيفُ
كَانَ فِيهِنَّ شِبْهَ مَرَعَى جَدِيبٍ أَخْطَأَتْ قَصْدَهَا إِلَيْهِ ضِيُوفُ
يا نديمي كُلُّ الْحُرُوفِ تُخِيفُ
فِي دَسَاتِيرَ شَرَعَتْهَا السُّيُوفُ

* * *

يا نديمي : وَأَمْسَةً تَثْبُ ثَمَّ تَغْفُو لِقِصَّةِ عَجَبُ

(١) بشم : شيع حد التخمة .

عَجَباً كَيْفَ يَنْخُرُ السَّعْبُ فِي عِظَامِ كَأَنهَا قَصَبٌ^(١)
 نُهْرَةٌ لِلرِّيحِ تَنْتَحِبُ فَإِذَا هَزَّ عَوْدَهَا غَضَبٌ
 آذَنْتُ لِلْعُيُونِ بِالْشَّرِّ
 ثُمَّ تَغْفُو فَلَيْسَ مِنْ خَبَرٍ

* * *

يَا نَدِيمِي : وَنِعْمَ مَا صَنَعَا حِينَ أَلْفَى مَرَعَى بِهِ فَرَعَى
 أَطْلَسُ مِنْهُ حَالَفَ السَّبْعَا رَثَ حَبْلُ الْقُطْعَانِ فَاثْقَطَعَا^(٢)
 فَهَمَّا يَأْكُلَانِ قِطْعَا وَهُوَ يَخْشَى كَلِمَهَا فَرَعَا
 يَا نَدِيمِي : وَحُبٌّ مِنْ وَطَرٍ^(٣)
 مَا يَحْتَ الْجَزَارَ فِي الْجَزَرِ^(٤)

* * *

يَا نَدِيمِي : وَيِنَّ أَخْذِ وَرْدٍ ضَاعَ حُدٌّ مَا بَيْنَ ضِدٍّ وَضِدٍّ
 كَمْ مُنِيفٍ هَوَى رَكِيصاً لَوْهَدٍ وَرَكِيصٍ سَمَا لِقَمَّةٍ مَجْدٍ^(٥)
 يَا نَدِيمِي : وَرُبَّ عَبِيدٍ لَعَبَدَ تَاهَ فِي بُرْدٍ سَيِّدٍ مِنْ مَعَدٍ
 كَانَ مِنْ صُنْعِ أُمَةٍ شَذَرٍ^(٦)
 لَا لَبْدٍ كَانَتْ وَلَا حَضَرَ

(١) نخر هنا بمعنى عصفت من «نحرت الريح» إذا عصفت وصوتت في الشجر .

(٢) الأطلس : الذئب .

(٣) حب من وطر : صيغة تعجب أي احب به من وطر .

(٤) الجزر : ما يجزر أي ما يذبح .

(٥) منيف : عال . ركيس : نازل . الوهد : المنخفض .

(٦) شذر : متفرقة .

يا نديمي : لم يَرحَ الفـلـكُ كـيـفَ شَاءَ العـبـاءُ والخـرقُ
 من غُثِّوا تَحْتَهُ وَمِنْ فُلُكُوا عَندهُمْ من خِصَاصَةٍ فَرَقُ^(١)
 كُلُّ شَيْءٍ لِدَرْهَمٍ شَرَكُ كَثُرَتْ نَحْوَ «مَكَّة» الطَّرِيقُ^(٢)
 قَبْلُ صُبِّ السَّبِيلِ وَالْوَرَقُ^(٣)
 وَأَتَى النَبْلُ بَعْدَ وَالْخُلُقُ

* * *

يا نديمي : أَمْسِرْ اسْتَمِعْتُ جِدَالًا بَيْنَ عَقْلَيْنِ مَتَّعِ وَعَقِيمِ
 قَالَ هَذَا : سَاءَتْ رَأْيٌ وَمِثَالًا كُتِلَ مِنْ مَشَاكِلِ وَهَوَمِ
 وَمِثَى ذَاكَ يَضْرِبُ الْأُمُثَالَا بِكَدِّحٍ وَمُسْتَفِئِلٍ زَنِيمِ^(٤)
 وَاجِدًا فِي النِّظَامِ وَالتَّنْظِيمِ
 هَوَّةٌ بَيْنَ رَافِهَيْنِ وَهِيمِ^(٥)

* * *

يا نديمي : وَكَمْ خَفِيَ شَعُورِ هَاجَهُ فِي خَفَقِ رَعْدٍ وَبَرْقِ
 وَارْتِجَافِ الْأَضْوَاءِ فَوْقَ التَّمِيرِ لِمَصَائِيحِ كَالزُّمَرِ زُرُقِ

(١) فلکوا : فلك بهم الدهر . الخِصَاصَةُ : الحاجة . الفرق : الخوف .

(٢) الشـرک : المصيدة .

(٣) الورق تحمل كسر الراء بمعنى الفضة بدلالة السبيك ، وتحتمل فتح الراء بمعنى العملة الورقية .

(٤) الكدح : الكادح وهو المستغل (بفتح الغين) .

(٥) الرافه : الذي شرب حتى ارتوى . الهيم : العطاش .

كَمْ تَرَى يَمِينَ مُصْنَعَاتِ الضَّمِيرِ مِنْ تَلَاقٍ ، وَبَيْنَ خَفَقٍ وَخَفَقٍ
يَا نَدِيمِي : وَبَيْنَ فَرْقٍ وَفَرْقٍ^(١)
لَحْمَ لَسَنٍ بَيْنَ شِقٍّ وَشِقٍّ^(٢)

* * *

يَا نَدِيمِي : امْسِرِ اسْتَمَعْتُ هُتَافَا مِنْ بَعِيدٍ .. مِنْ غَابِرَاتِ الْقُرُونِ
أَنْ كُنَّ الْمَرْءَ لَا يَهَابُ مَطَافَا لِنَجْـاءٍ مَشَى بِهِ أَوْ كَمِينَ
إِنَّ «سُقْرَاطَ» ذَاقَ سَمًّا زُعَافَا لِيَرَى الْفِكْرَ فَوْقَ رَبِّ الظُّنُونِ
يَا نَدِيمِي : وَرَغَمَ كَرِّ السَّنِينَ
ظَلَّ «سُقْرَاطُ» فَوْقَ رَبِّ الْمَنُونِ

* * *

يَا نَدِيمِي : وَالْفَقْرُ عَارٌ مُهِينٌ وَالنَّوَامِيسُ عَارُهَا الْفُقَرَاءُ^(٣)
دَرَجَتْ أَعْصَرَ وَمَمَرَّتْ قُرُونٌ وَأَنَاسٌ لَغِيهِمْ أَجْرَاءُ
وَأَنَاسٌ كَمَا تُرِيدُ تَكُونُ وَأَنَاسٌ كَمَا يُرِيدُ الشَّقَاءُ
يَا نَدِيمِي : وَكُلُّ دَعْوَى هُرَاءُ
مَا تَبَقَّى مُحَسِّنٌ وَمُسَاءُ

* * *

(١) الْفَرْقُ (بِالْكَسْرِ) هُوَ الْفَلَقُ مِنَ الشَّيْءِ إِذَا انْفَلَقَ مِنْهُ .
(٢) اللَّحْمَةُ (بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ) : مَا يُسَدَّى بِهِ بَيْنَ السَّدَّيْنِ .
(٣) النَّوَامِيسُ : الْقَوَانِينُ وَالنَّظْمُ .

يا نديمي : وعِثْتُ بين غِلَاةٍ أفرغوا فوقَ «خنجري» بُردَ عيسى
 لا لحضري كانوا ولا لبُداةٍ إن عند البُداةِ نُعمى وبوسى
 هم من الشرقِ شرُّ ما في الفَلَاةِ ومن الغربِ ما استجدَّ لبوسا
 عافَ «بُودا» تجارها الميوسا
 وأنى «أحمد» و «عيسى» و «موسى»

*

يا نديمي : أمسِ احتملتُ كتابا وكأني احتملتُ فِكراً بنعش^(١)
 إن رأساً أوحاه أُمسى ترابا وهو ما انفكَّ فيه يُوحى ويُنشي^(٢)
 يا نديمي : ولقد لقيتُ عُجابا من عقولٍ شَتَّى على الأرض تمشي
 أبت الموتَ بين أنيابٍ وحشٍ
 فاغراتِ ما بينَ لَحْدٍ ورفش^(٣)

يا نديمي : وللنجـومِ انحدارُ وصعودُ .. وللشعوبِ ارتكاسُ
 ووُثوبُ .. حَالٌ بحالِ تُغَار غيرَ أنَّ الشعوبَ حينَ تُساس
 بالعصا طولَ عُمرِها تنهارُ ويروح الشذوذ وهو قِياس^(٤)
 كم شعوبٍ لها النعاسُ يرأسُ
 وشعوبٍ لم تدرِ كيف النعاسُ

(١) احتمل : حمل .

(٢) ينشي : ينشئ .

(٣) فاغرات : فاتحات . الرفش : آلة للحفر .

(٤) أي يصبح الشاذ قاعدة .

يا نديمي : وألف صنّجٍ ودُفٍ ضيّنَ ما بين «أطلس» و «الخليج»
وقوافٍ على شفاه المقفّي عِشْنُ ثُمَّ اندثُرْنَ بالتهريج
يا نديمي : لا تعلُ فوق المُسِفِّ وتلاءم خيطاً لكل نسيج^(١)
وتحجّج ما دمت بين الحجيج^(٢)
أو فمت موتَ ضِفْدَعٍ في خليج^(٣)

* * *

يا نديمي : كمّ جائعين طعاماً أطعموهُم قنابيراً ، وحريقاً^(٤)
-يُيَرُوا بين أن يُشَبَّوا ضِراماً لُعْثَةً ، أو أن يُسَاقُوا رقيقاً^(٥)
يا نديمي : وكان ذاك نظاماً حاز عوناً ، وناصرأ ، ورفيقاً !
يا نديمي : ولن تُحِسَّ العقوقا
لحقوقِ الشعوبِ حتى تَذوقا

* * *

يا نديمي وشاةً مجتمَعُ نخِرتُ في عظامه البِدْعُ^(٦)
منذ ألفٍ وأهلّه شيع من غَزَاهُمْ فَهُمُ له تَبَع

(١) المسف : الواطيء .

(٢) تحجج : حج أي كن حاجاً .

(٣) والضفدع (بكسر الضاد والذال أو بفتحهما) : لغتان فصيحتان .

(٤) القناير : القنابل .

(٥) الضرام : الاشتعال .

(٦) شاه : قبح .

يَتَهَرَّأُ بِالْجَائِعِ الشَّيْبَعُ وَيُسَبُّ الْعَفِيفُ وَالْـوَرِعُ
 فَهُوَ عَبْدٌ لِكُلِّ مُحْتَقِرٍ
 وَخَوْنٍ ، وَمَدْعٍ وَثَرِيٍّ

* * *

يَا نَدِيمِي : وَوَاخِزُ النَّدَمِ هُوَ أُنْدَى جُرْحاً وَأَقْوَى لَجَاجِبَا
 تَلْجُ النَّفْسُ مِنْهُ بِالْأَلَمِ أَيُّ بَابٍ لِلْحُزْنِ يَأْتِي رِتَاجَا^(١)
 أَبْدَأُ فِي مَتَاهَةِ الظُّلَمِ تُطْفِئُ الذِّكْرِيَّاتُ مِنْهَا سِرَاجَا
 أَبْدَأُ فِي صَمِيمِهَا النِّخْرِ
 يَرْتَمِي سُمُّ حَيَّةٍ ذِكْرًا^(٢)

* * *

يَا نَدِيمِي : وَجُبْتُ شَتَى بِقَاعِ فَإِذَا الْخَلْقُ كُلُّهُ عَبْدٌ وَضَعِ
 وَإِذَا كُلُّ نَأْمَةٍ فِي الطَّبَاعِ هِيَ مَلْزُوزَةٌ بِمَخْلُوقٍ صَنَعَ^(٣)
 وَإِذَا كُلُّ عِبْقَرِيٍّ صَنَاعِ هُوَ فِي الْمُبْدَعِينَ أَفْظَعُ بَدَعِ
 يَا نَدِيمِي : هَوْتُ كَمَنْخُورٍ جَذَعِ
 حَكَمْتُ عَنْ دَعَائِمٍ ، لُحْنٌ ، سَبْعُ^(٤)

* * *

(١) الرتاج : الاغلاق من قولهم : رتجه وأرتجه : أوثق إغلاقه .

(٢) الحية الذكر : الحية القوية الشديدة السم .

(٣) نأمة : حركة . ملزوزة : لاصقة .

(٤) يلمح الى «أعمدة الحكمة السبعة» .

يا نديمي : والحبُّ محضُ نفاقٍ ما تخلّى عن حُرمةٍ وذمّامٍ
 كم ظنينٍ حتّى يرقيه راقٍ راح يُعطيك روحه في الكلام^(١)
 لك منه الأشواق يومَ التلاقي وعناقٍ ما يسنّ عامٍ وعامٍ
 ثم يعلو بُرج بدرٍ تمامٍ
 ويُخلّيك تائها في ظلامٍ

يا نديمي : ونَعَصَ العيشَ علماً أنه رهْنُ رِقبةِ الرُقباءِ
 ألفُ مغروسةٍ بلسومٍ تُلُمُ رمشةَ الجفنِ أو خيوطَ القَباءِ^(٢)
 ليثٌ عيناً تعمى وأذننا تَصُمُ عن ظهارٍ ، وعن سِرارٍ سواءٍ
 إن عيشا نُهي سميعٍ ورأيٍ
 كجَواءٍ مُهدّدٍ بوباءٍ

يا نديمي : لا يَحْدَعْنِكَ سُكُونُ في نفوسٍ يغلي بهنَّ اضطرابُ
 أيُّ بؤسٍ به تنسُمُ العيونُ وهمومٍ بهنَّ يعيا الاهابُ
 ربّ صبرٍ على بلاءٍ يكون فيه من نفسه عليه ثوابُ
 يا نديمي : وإذ يُثاب المُثابُ
 تتساوى جريمةٌ وعقابُ

(١) الرقية : التعويذة .

(٢) القباء : ما يلبس من الثياب .

يا نديمي : زاد النفوس اضطرابا كونهما بين شدة ورخاء
يستسيغ العافي السُّموم شرابا ومُعافي خلـوْ يَعَصُّ بماء^(١)
ويرى الموتَ راكبون صِعابا خيرَ ما اختير من دواءٍ لداء
فاذا ما ابتلوا بداء الرِّخاء
فهمُ عنه أجبنُ الجُبناءِ

* * *

يا نديمي : ومجمَعُ حَرْقُ نحن وهنٌ في نفسه علـقُ^(٢)
نحن شِئنا أو لم نشأ فِرَق مِرْقُ طوعٍ أمـره خِرَق
نحن وهـو الرِّياحُ والـورق ونجـيـعُ الدماءِ والعلـق
نحن صلـصالـةٌ من الحُفـرِ
وآسـنات عريـقـةُ الجُذـرِ

* * *

يا نديمي إنَّ الوجودَ طـبيعـة حسناً كان أم هـنـاةً شـنـيعـة^(٣)
إن كونا للعاطفاتِ صنـيعـه واجدٌ فيه كلُّ إثـمٍ شـفـيعـه^(٤)
يسـبـقُ الطـبـعُ حـكـمـةً وشـريـعـه مثـلـما يسـبـقُ المـجـلـي تـبـيعـه
ثم تأتي روادعُ الرِّجـرِ
كلـجـامٍ يـقـي من الخـطـرِ

(١) العافي : المحتاج .

(٢) العلق : دود يمص الدماء .

(٣) الهناة : القبح والنقيصة .

(٤) العاطفات : الأهواء .

غير أنَّ اللجام كان اصطناعاً وعَصُوفَ الرياحِ عَفِواً طباعاً
 فإذا صادفت خيولَ يَفَاعِا أو تدهدت إلى الحضيضِ سِراعاً^(١)
 كَسَرَتْ شوكةَ اللِّجامِ اندفاعاً وكذلك الطِّباعُ تأبى انصباعاً
 حين تهوي لمزلقٍ حَظِيرِ
 لنواهي نهْيٍ ومُزدَجَرِ

* * *

يا نديمي : إِنَّ الجمالَ متاعُ وحياةُ بلا متاعٍ جحيْمُ
 ليت هذا النِّصْفُ اللطيفُ اقتراع لا كظيْظٌ منه ولا محروم^(٢)
 ظَلِمَ الشُّرْقُ عند شَرْقٍ جِيع كضباعٍ وعند غَرْبٍ حريمُ
 يا نديمي وهكذا سيدومُ
 في صراعٍ مع الشقاءِ النعيمُ

* * *

يا نديمي : وأمسِ خمسُ كِعَابِ كاشفاتِ الصدورِ واللِّبَاتِ^(٣)
 حول فردٍ جُمعَــن كالأنصاب لَصَقَ خمسُ كالهيمِ في الفلوات^(٤)

(١) اليفاع : التل . ما ارتفع من الأرض . تدهدى وتدهده : تدرج .

(٢) الكظيظ : المتخم .

(٣) كِعَاب : جمع كاعب مثل «الكواعب» روى ذلك الإمام ثعلب .. اللبات : جمع لبة ، وهي موضع القلادة من الرقبة .

(٤) الأنصاب : جمع النصب وهو التمثال . الهيم : جمع هيمان وهو العطشان يريد أن رجلا واحدا حوله خمس نساء يجاوره خمسة رجال دون امرأة .

كِعْطَاشٍ إِلَى عَتِيقِ شَرَابٍ أَلْزَمُوا بِالصِّيَامِ وَالصَّلَوَاتِ
فَهُمْ يَلْعَقُونَ فِي الْخَلَوَاتِ
مَا لَدَى غَيْرِهِمْ مِنَ الصَّبَوَاتِ !!

* * *

يَا نَدِيمِي : وَأَمْسِرْ غِيبٌ كَرِي عَائَقُ النَّفْعِ خَصَمَهُ الضَّرَا^(١)
وَالْتَقَى نَاحِرٌ وَمِنْ نَحَا فَأَجْدًا مَاسِيًا أُخْرَا
رَبِّ دَمْعٍ مِنْ مُقْلَتَيْنِ جَرَى كَانَ فِيهِ الرِّيحُ مَنْ خَسِرَا
وَالرِّيحُ الْجَزَارُ فِي خُسْرِ
دِيَةُ النَّصْرِ دَمْعٌ مَنَصِّرُ

* * *

يَا نَدِيمِي : وَأَمْسِرْ فِي الْحُلْمِ لَاحَ لِي طَيْفٌ غَامِسٍ بِدَمٍ
عَارِيًا غَيْرَ حُلَّةِ النَّدَمِ وَقَمِصٍ السَّقَامِ وَالْأَلَمِ
قَذَفْتُهُ إِلَيَّ مِنْ أُمَمٍ غَابَةً مَكْتَظَّةُ الْأَجَمِ^(٢)
يَتَحَدَّى بِالنَّابِ وَالظُّفْرِ
شِرْعَةَ الثَّوَيْنِ فِي الْحُفْرِ

* * *

كَانَ مِسْخًا .. مِمَّا اصْطَلَى وَجَنَى وَبِمَا سَامَ غَيْرَهُ الْحَزْنََا

(١) غيب : بعد .

(٢) أمم : قرب . الأجم : جمع أجمة وهي الشجر الكثيف الملتف .

كان بؤساً ومأتماً قُرْنَا فهمنا يبغيانه ثَمْنَا
كان يُلْقِي ضَمِيرَه العَفْنَا يأكل الروح منه والبدنَا
يا نديمي : وهانَ ذو حَظَرٍ
وتساوى والدودَ في الحُفَرِ^(١)

* * *

يا نديمي : عَوَتْ ذئَابُ الكلام حين شَمَّتْ قَتَارَةً من ثريدٍ^(٢)
حلَّلت ما على خِوانِ اللئَام شرطَ أن يُشتوى «بُفْرِنِ» جديد
طلبت من طُهَاءِ أشقى نظام أن يُعدّوا خِوانَ عهد سعيد !
طمعاً باقتطاع لحم الرُّنودِ
أُسوةً منهمُ بكل العهودِ

(١) ذو الخطر : العظيم .

(٢) الفتارة : الرائحة .

أبا زيدون

- أرسلها الشاعر عام ١٩٦٢ الى صديقه السيد عبد اللطيف الشواف جواباً على رسالة
وهد..

أبا «زيدون» ما أحلى معانيك ، وما أطرى
لقد أوحشنا بُعد ك لولا نعمة الذكرى
أبا «زيدون» والدينا يمازج حُلُوها المرَا
سنبقى طول أعوام جفافٍ نستقي شهرا
ألا يا ليت أفراس الصببا المشبوب لا تُعمرى^(١)
عمرنا بعدك الكأس ، وكانت آية كبرى
ونصّبنا لها الويسكسي ، والفستق ، والقشرا
ومحشو «دجاج» حُفّ به «الدلمة» كالطغرا
أفانيّن ، أفانيّن بها نستعجل السُكرا
وكانت كأسك الأولى وكأس لقائنا الأخرى

(١) لا تعرى : اي مُسرّجة بمعنى أن يدوم الشباب .

ودارت بعدهما الأكو
ومالت عندها صفراً
وأسرينا وما ندري
باخوان إذا الدنيا
صفوا كالبيع اعلاناً
س من كبرى ، ومن صغرى
رؤوس تأنف الصفرا
فسبحان الذي أسرى
دجّت كانوا لها الفجرا
وطأبوا كالنمدى سرا

* * *

ألا أبلغ «أبا القاسم
وأنا نقرأ الغيب
وأنا نمنح الأيما
وأن العرق المخص
وأنا نحن لا الدنيا
وأن الأحق المغرو
فشكراً يعقب السكر
وشوقاً يلذغ الأضل
وميثاقاً بأن نبقي
م «أنا نعصر الخمر»^(١)
وأنا ننفض السحرا
ن حتى يغتدي كفرا
إذا شئنا اعتدى ثمر
نسن الخيـر والشر
ر من راح بنا يغرى
وسكراً يعقب السكر
ع حتى خلثه جمرا
«كإخوان الصفا» دهر

(١) أبو القاسم : المحامي المرحوم محمد زينل .

سأقول فيك

● نظمت في «براغ»، عام ١٩٦٢

سأقول فيك ولا أخاف	قولاً يهابُ.. ولا يُعاف
سأقول فيك من الضمير	ر من الصميم.. من الشَّغاف
سأقول فيك بدون تع	مية، ولا حَذَفِ المضاف
سأجاذبُـنَّ لك النـجو	مَ لينسجمنَ مع القـواف
سأُنزِّلُـنَّ.. لِيُخْذَمَـنَّ	سريـرك.. السُّورَ اللُّطـاف
سأوجـجُ النـيرانَ من	نهديك في الشِّبِّمِ النـطـاف ^(١)
سأقول فيك.. ولا أخاف	أو ثَمَّ غيـرُك من يُخـاف؟

* * *

سأقول فيك ولا أخاف ف فليس يملكُني أحد

(١) الشبم : البارد .

لا ، ليس في عنقي مَسَدٌ لا ، لست موعوداً بغد^(١)
 يامن أقمت على الأسد من سخر عينيك الرصد
 لم ترفعني عنك السميد حتى تبلد ذو اللبد
 لم تدر قبل تراك أيـة لبـوة .. هذا الجسد

* * *

سأجرر الدنيا إليك ليستشفنوا ما لديك
 سأقول : مُدِّي نحوهم عشر الأنامل من يدك
 ودعي شذا « القضاة » يذكي جمرهم - من خنصرتك
 سأرهم غرف الجنـا ن ولا أزعج ما عليك
 سأقول : هم أدنى .. وأضـ عف أن يروك بصفحتك
 ألوي بوجهك عنهم لا يقربوا من وجنتك
 سأقول : حسبهم من الـ أفضال رعدة مقلتك

(١) المسد : الليف أي : ليس في عنقي من مسد .

حيثهن بعيدهن

● ألقاها الشاعر في الحفل الذي أقامته الطالبات العراقيات في براغ احتفاء بيوم المرأة العالمي

عام ١٩٦٢

حيثهن بعيدهن	من بيضهن وسودهن
وحمدت شعري أن يرو	ح قلائدا لعقودهن
نعم القصيد قبسته	من نغمة لوليدهن
كم بسمية لي لم تكن	لولا افترار نضيدهن ^(١)
ويتمية لي صغتها	من دمعية بخدودهن

* *

إننا وكل جهودنا	للخير رهـن جهودهن
وحدود طاقات الرجا	ل لصيقة بخدودهن

(١) النضيد: كناية عن الأسنان لشبهه باللؤلؤ.

وصمودُنَا فِي النَّائِبَا
بُنُحُوسِهِنَّ نَحُوسُنَا
تِ مَرَدُّهُ لَصمودَهتْ
وسعودُنَا بسعودَهتْ
عُ شُمُوخِهِنَّ وَجُودَهتْ

* * *

قالوا «الشَّهِيدُ» فَقُلْتُ: وَيـ
حُمَلْنَاهُ تِسْعاً وَخِطـ
حَتَّى إِذَا مَا رَدَّتْ الـ
أَوْجَدْتُهُ وَفَدَيْنَاهُ
وَالْيَوْمَ جِرَّةٌ لِحَدِّهِ
قالوا: أَمَّا شَيْءٌ لَدَيْـ
فَأَجَبْتُهُمْ إِنِّي أَخَا
لِلَّهِ أَيُّهُ رِقَابِيـ
عَمَّرْنَاهُ بِجَهْدِهِنَّ
خَوْفَ التَّنَاقُضِ لَا أَلْمُحُ عَنْ سَرَابٍ وَعُودَهتْ
أَنَا أَخِيشِي مِنْهُنَّ فَالْسلْطَانُ عَبْدُ عَيْدِهتْ
زِنُّ الْحَيَاةِ بوعدهنَّ
إِنِّي وَإِنْ سَامَرْتِهِنَّ
حَ ثَوَاكِلِ بوحيدَهتْ
نَ عَلَيْهِ سُمَرَ جلودَهتْ^(١)
آمَالُ بَعْضِ شُرُودَهتْ
خَوْفُ السُّرْدِ بِوُجُودَهتْ
يَحْفِرْنَ سُودَ لُحُودِهتْ
لَكَ لِرُودِهِنَّ وَخُودَهتْ^(٢)
فُ عَلَيَّ بَعْضَ شُهُودَهتْ^(٣)
وَقِسَاوَةٍ فِي عُودَهتْ
وَهَمْنِنَا بِصُدُودَهتْ
خَوْفُ التَّنَاقُضِ لَا أَلْمُحُ عَنْ سَرَابٍ وَعُودَهتْ
أَنَا أَخِيشِي مِنْهُنَّ فَالْسلْطَانُ عَبْدُ عَيْدِهتْ
زِنُّ الْحَيَاةِ بوعدهنَّ^(٤)
إِنِّي وَإِنْ سَامَرْتِهِنَّ
وَعَمَزْتُ مِنْ أُمْلُودَهتْ^(٥)

(١) ذكر العدد (تسع) لأنه أراد مطلق العدد .

(٢) الردود : الفتاة الحسنة الخلق والخود مثلها .

(٣) تلميح إلى وجود عائلة الشاعر بين الحاضرين في الحفل .

(٤) زِنُّ الْحَيَاةِ وشنها : من زانها وشأنها .

(٥) الأملود : الغصن المياد ، يريد به القامة .

فلرُبَّما ليلٍ سهر ثُ مؤرَّقاً لبيدهٗ
 كم فتنةٍ لقديمهٗ ورثها بجديدهٗ
 الموت لصقُ جلودهٗ والنارُ تحت جليدهٗ
 ومصارعُ الأبطال في التـ اربحِ خدنَ مهودهٗ^(١)
 حسبى بنابليونَ ان أخشى مصيرَ جنودهٗ
 عِظَّةٌ من الفولاذِ كيـ ف أذنبته بجديدهٗ

* * *

حيثُهمَ بعيدهٗ ولمتُ شملَ عديدهٗ
 وحشدتُ أحسنَ ما استطعـ ثُ أزقُّه لحشودهٗ
 وفجرتُ أشربُ من دمي ظمأً عُروقَ وريدهٗ
 منهمُ مخضُ العاطفـ تِ فهنَّ مخضُ قصيدهٗ
 وقبست من سجعِ الحمـ مِ الرجعَ من تغريدهٗ
 السيـ داتُ الأنسا ثُ فقلِّ بحالِ مسودهٗ

حيثُهمَ بعيدهٗ
 من يرضهٗ من وسودهٗ

(١) الخدن : القرين .

أطفالي وأطفال العالم

- ألقاها الشاعر صيف عام ١٩٦٢ في الحفل العالمي الكبير في موسكو في مؤتمر نزع السلاح.
- ترجمت إلى عدة لغات ونشرت في عدة صحف عالمية.

لي طفلتان أقصُ الحِبالا
عَبَرَهُمَا والعِطَرُ والظِّلَالا
أَسْوَأُ حالاً كي يُسرّاً حالاً

وكي يُراحا أُستَلِدُ التَّعبَا
لي ناشئانِ يُرقصان المَلْعَبَا
قد أوشكنا من رقةٍ أن يُشرَبَا
لم يَعْرِفَا غيرَ الصفاءِ مَذْهَبَا
وغيرَ حُبِّ الناسِ أُمّاً وأبَا

إني وبالفترة أهوى التَّعَمُّا

إِنْ حَدَّثْنَا سَمِعْتُ ظِيئاً بَغْمًا^(١)
وَيَبْسِمُ الْمَرْجُ إِذَا مَا ابْتَسَمَا

طفلانٍ .. سَلَنِي تَعْرِفِ الْأَطْفَالَ
أَحْمِلُ مِنْ أَجْلِهِمَا أَثْقَالَ
لَمْ تَسْتَطِعْ قَبْلَهُمَا احْتِمَالًا

تَعَوَّدَا أَنْ يَسْرَحَا وَيَمْرَحَا
وَأَنْ يَصُبَا فِي النَفُوسِ الْفَرَحَا
لَمْ يَبْرَحَا لَا يَعْرِفَانِ الْبَرَحَا^(٢)

وعندنا، نحن الكبار، الْبَرْحُ
تُسَمُّ الْعَدْوَى بِهِ وَتُجْرَحُ^(٣)

نحن الكبار لَيْتَنَا أَطْفَالًا
وَلَمْ نُزَلْزَلْ بَعْضُنَا زَلْزَالًا
وَمَنْذُ دَهْرٍ وَهُمَا قَدْ حَالَا
وَبُدِّلَا عَنْ حَالَةٍ أَحْوَالَا
قَدْ هَاجَ فِي نَفْسَيْهِمَا الْبِلَالَا
صَحِيفَةٌ قَدْ حُمِّلَتْ أَثْقَالَا

من وزر باغٍ دَكَّ «هِيروشيما»
بِالذَّرِّ حَتَّى رَدَّهَا هَشِيمًا^(٤)

(١) البغام و «التبغم» : صوت الظبي .

(٢) البرح : الألم .

(٣) نصب الشاعر اسم ليت وخبرها على لغة من لغات العرب وعلى مذهب قومه الكوفيين . والشاهد عليها قول الشاعر :

إذا اسودَّ جناح الليل فلتأت وتكن خطاك خفافاً إن حراسنا أسداً
(٤) الهشيم : اليابس من النبات .

بين السطور طالعا تمثالا
لطفلة مثلهم جالا
قد مزقت أوصالها أوصالا

من حولها ينسثر العمام
قد حولط الموت به الزوام^(١)
وهي كما شاء لها الطغمام^(٢)
نائمة وفوقها الحمام
يرف في رفيفه السلام

(١) الزوام: الكره أي الشديد.

(٢) الطغمام: المستبدون الطغاة.

يا غريب الدار

● نظمت في براغ، خريف عام ١٩٦٢

من لِهَمٍّ لا يُجَارَى	ولآهاتٍ حَيٍّ ————
ولطَوِيٍّ على الجمِّ ————	رِ سِراراً وَجِهَ ————
طالباً ثاراً لدى الدهم ————	رِ الذي يطْلُبُ ثارا
مَنْ لِنَاءٍ عافٍ أَهْلاً	وصِحابِياً، ودياراً ^(١)
تَخِذْ الغريبة دارا	إِذْ رَأَى الـ ————
إِذْ رَأَى العـ ————	يشَ مداراةَ زنيِّمٍ لا يُدارى
من لِسْتينَ انْطَوَتْ مثـ ————	لِ دمِ العبدِ جُبَّاراً ^(٢)
سُوقَ ————	طت رجماً كما ير
	مي الملبَّونَ الجَمَّاراً ^(٣)

* * *

(١) عاف: ترك.

(٢) دُمُ جبار: هدر لم يطلب بثأره.

(٣) الملبون: المحتاج.

يا غريبَ الدار لم يُخْـ
 لم يدعْ طيفاً يواسي
 يمنح الشجوةَ الثكالى
 يا نديماً يعصر الخمر
 ويُساقى من دمِ القلب
 تأخذ النشوةَ منه
 يا أخا الفطرة مج
 وأخا البسمة ضاهت
 مسحت عن أوجه عا
 تحتها من غصص ما
 يا جواداً شاب كهلاً
 يا سبوحاً عازلاً
 لم يُغازل ساحلاً م
 يا دجى العيش إن يُخْـ
 يا وديعاً ينفذ المو
 يا بن «سَيْن» يعدُّ الـ
 غمرة خُضْها كما خُضت ابـن «عشريـن» غـما
 يا غريبَ الدار ناغِ الشعـرَ يـمـحُضْكَ الجـوار
 النديـمُ السـمـحُ إنْ راوَعَ ندمانٌ وجـاراً^(١)
 أحـرفُ عِشْتِ وإياهاـن غـسراً ويسـاراً

(١) العقار : الخمر .

(٢) مجبول : مخلوق .

(٣) فرط : لكثرة .

(٤) ندمان : نديم .

أَنْتَ وَالْهَمُّ أَعْسَا
أَبْدَأُ تَقْدَحُهَا قَدْ
يَا غَرِيبَ الدَّارِ كَمْ نَبْعِ
غَيْرِ نَبْعِ كُلُّمَا
فَأُطْمَاحاً تَبَارَى
حَكَ فِي الزَّيْنِ الشَّرَا
تَطَامِى ثُمَّ غَارَا^(١)
فَجَرَّتْهُ دَارَ فِدَارَى

⚙ ⚙ ⚙

يا غريبَ الدار والأيم ————— امْ كالنَّاسِ تُدارى
وَبَنَاتُ الدَّهْرِ يَغْلِيْنَ ————— نَ بَنِي الدَّهْرِ ابْتِكَاراً^(٦)
خَيْرٌ مَا عِنْدَكَ مَا ————— تَحْسَبُ شَرًّا مُسْتَطَاراً
أَنْ تَذَوِّبَ انْسِجَاماً ————— فِي الرِّزَايَا وَانْصَهَاراً
ثُمَّناً تَدْفِعُ عَنْ مَعَا ————— رَكْبَةٍ خُضَّتْ انْصَاراً
دِيَّةُ الثَّائِرِ أَنْ يَحْتَمِلَ ————— لَ النِّقَمَ الْمُثَاراً^(٧)

✱ ✱ ✱

يا غريبَ الدارِ وجهاً ولساناً، واقتردا
ومُزيرَ الناسِ أطيباً فهاً وإن شطَّ مزارا
قَرَّ في ضحضاحٍ كالسَّيِّدِ ليل ينصبُّ انحداراً^(١)
لا تُشعِغَ في النَّفسِ حُذْلاً نأً وحولُهُ انصتاراً
أُخْصَ ما ساقَطَتْ من مُنْمرة ترَضَ الشَّمَارا

(۱) تطامی : ارتفع .

(۲) بنات الدهر : مصائبه .

(٣) النقم: الغبار.

(٤) الضحوضاح : القليل من الماء .

مَسَى وَرُبَى الْجَنَاحَاتِ نَارَا
 وَاللَّيْلِ إِذَا تَوَدَّى الْكَثَاثَا
 دَنِيسَا، تَرْضَتَكَ مِرَارَا
 رُكَّ سَمَّاهُ انْتَحَارَا
 رَهَ رُوحَاهُ أَنْ تَشَارَا
 سُنْ يَشَاوُونَ اضْطَرَارَا
 لِيْلِكَ فِي الْأَمْرِ الْخِيَارَا
 فَتَعَمَّ ذُنُوبُ الْعِثَارَا
 تِ عَلَى الضَّرِّ اقْتَصَارَا
 نَ لَكَ الْبُؤْسُ احْتِكَارَا
 بِنِ تَخْيِيرَتِ اخْتِيَارَا
 وَلِضَلِيلٍ لِمَا صُورَا^(١)
 لِكَ رَزَايَاهُ شِعَارَا
 تَ عَلَيْهَا لَا سَتَعَارَا
 سِيَّاهُ وَقَدْ شَعَّ أَذْكَارَا^(٢)
 سَاسَ كَمَا عَاشَ غَرِيْمَانِ ضِرَارَا^(٣)
 قَمِي عَلَى النَّفْسِ سِتَارَا
 وَيَعْمَلُونَ اجْتِرَارَا

أَنْتَ شَيْتَ الْبُؤْسَ تُعَمَّ
 كُنْتَ حَرْبًا وَاللَّيْلِ إِلَى
 شَيْتَ أَنْ تُحَرِّمَ مِنْ
 شَيْتَ أَنْ تَهْوَى الَّذِي غَيَّرَ
 شَيْتَ كَيْمًا تَمْنَحَ الثَّو
 إِخْتِيَارًا شَيْتَ مَا النَّسَا
 كُنْتَ، لَوْلَا ذَمُّهُ، تَمَّ
 عَبَّادُوا دَرْبَكَ نَهَجًا
 وَتَصَوَّرْتَ الرَّجُلَ وَلَا
 لَمْ تَكُنْ فِئْدًا وَلَا كَا
 أَنْتَ مِنْ بُؤْسِ الْمَلَايِكَةِ
 كُنْتَ لِلْمَقَرِّ رَوْرٍ نَارًا
 كُنْتَ عَنْ جِيلٍ تَبْتَنُّ
 لَوْ خَلَا مِنْ صُورَةٍ أَنْ
 يَا غَرِيبَ السِّدَارِ مَنْ
 عَاشَ وَالنَّاسِ كَمَا عَاشَ غَرِيْمَانِ ضِرَارَا^(٣)
 ذَنْبُهُ أَنْ كَانَ لَا يُلْهِ
 إِنَّهُ عَاشَ ابْتِكَارَا

* * *

(١) صوار (بالضم والكسر) : ملجأ .

(٢) شع أذكأرا : أي شاع ذكره .

(٣) عاشا ضيرارا : كالعدوين يضر الواحد الآخر .

يا غريب الدار لم تُكْـ
يا «لبغداد» من التـ
عندما يرفع عن ضيـ
حلائثه ومَـرَت للـ
واصطفت بوماً وأجـلـت
وأقامت من دمٍ كـلـلـ
وأجالت أعيننا حو
وأزته الضحكة الصفـ
فهى كالشوهاء ألقـت،
واستجاشت زمر البغـ

فَلْ لَهِ الْأُوطـانُ دارا
ريخ هُزْأً واحتقـ
سمِ أنالته السيتـ
وعغد أخلافاً غـزاراً^(١)
عن ضيفافها كـنـ
وأقـامـت من دمٍ كـلـلـ
لأ من الغيـظِ ازورار
راء عن حُبـبٍ تواري
تستر القبح، الخـمار
ي تُفـايـاتٍ حُـشـاراً^(٢)

* * *

يا صليب العود يأبى
تطمع العاصف فيه
يا غريب الدار ما سيـانٍ دعـوى واقتـ
حين يُلـوى الإنـكسار
رُقـة النبـع اخضرار

* * *

يا غريب الدار في قافلـة سارت وسار
لمصيرٍ واحـدٍ ثم
سامح القوم انتصافاً
تناسـت أيـن صار
واختـلق منك اعتـذار

(١) حلائث: منعت. مرى الضرع: مسحه استدراكاً للبن. الاخلاف: الضروع.

(٢) النفایات: الفضلات. الحشار: التوفاه من الأشياء.

عَلَهُمْ مِثْلَكَ فِي مُفْ — تَرْقِ الدَّرْبَ حَيَارَى
 سِرٌّ وَإِيَاهُمْ عَلَى در — بِ الْمَشَقَّاتِ سِفَارًا^(١)
 فَإِذَا مَا عَاصَفُ الدَّهْرِ بِكُمْ أَلْوَى وَجَارًا
 فَكُنِ الْأَوْثَقَ عَهْدًا — وَكُنِ الْأَوْفَى ذِمَارًا
 قَلْ لَهُمْ إِنَّكَ قَدْ طَحَرْتَ — تَ وَإِيَاهُمْ نِشَارًا
 مِثْلَمَا الزَّهْرُ اطَارَتْ — هُ عَصُوفٌ فَاسْتَطَارًا
 أَوْ فَلَا لَوْمَ ، وَلَا عِذ — رَّ وَلَا قَوْلَ يُمَارَى^(٢)
 سِرٌّ عَلَى نَهْجِكَ كَالْخَرِيتِ بِالنَّجْمِ — اسْتَنْارًا^(٣)

(١) سِفَارًا : أَي « سَفَرًا » .

(٢) يُمَارَى : يُجَادَل .

(٣) خَرَيْتَ : دَلِيل .

سلاماً عيد النضال

- نظمت في براغ عام ١٩٦٣
- نشرت كاملة في « بريد الغربة » بعنوان :
سلاماً ...
إلى أطياف
الشهداء الخالدين
- ألقى الشاعر قسماً منها في الحفل الذي أقيم في قاعة الخلد بمناسبة الذكرى الأربعين لتأسيس
الحزب الشيوعي العراقي .
- نشرت في العدد الخاص بهذه المناسبة من جريدة « طريق الشعب » ، وفي مجلة « الثقافة
الجديدة » العدد ٦٠ نيسان ١٩٧٤

سلاماً: ومنذ العُصُور الخوالي مُدِ أَخْضَرُ حَقْلٌ بِسُمرِ الغِلالِ

وَمِنْ حُكْمَتِ سَادَةٍ فِي المِوالِ
تَنْسَمَتِ الأَرْضُ رِيحَ النِّضالِ

زَهَتْ بالشَّريـدِ رُؤُوسُ الجِـيـالِ
 وتَناهَ الثَّـمَرُى بالدماءِ العَـوَالِ
 ودُقَّتْ مَساميرُ خَجَلِي عَطَاشِي بكفِّ المِسيحِ فطارت رَشاشا
 بقايا دمٍ للـعُصـورِ التَّوالِسي
 تُخَضَّبُ بالمجـدِ هَامَ الرَجـالِ

* * *

سلاماً: ودَوَّى صِراعُ عَنيد به السَّادَةُ اسْتَبْسَلَتْ والعبيدُ
 سلامساً: وراحتْ تُصَبُّ القِيـودُ
 وبمِـمَرُ فَرَطَ الحِـيـاءِ الحَـديـدُ
 وتُفَرِّى لَتَغْدُو سِياطياً جَلود^(١)
 ويُطَرِّقُ في الغابِ خَـزِـيـانَ عود
 تُحِثُّ المِشائِقَ منها اِعْتِـسـافاً تَدَلَّى عَلَيَّ هِيفاً لُطافاً^(٢)
 من الصَّيـدِ في كلِّ صَبـحِ قُـدود^(٣)
 بَـهْـنٌ من الفَجـرِ يَخْـزِي عَمُودَ عَسَدٍ

* * *

سلاماً: وألقى النضالُ الرِّحالا بأرضٍ بها الدَّمُ يسقي الرِّمالا
 بِحَيْثُ تَجِدُّ الرِّياحَ انتقالا

(١) تفرى (بالبناء للمجهول) : تقطع .

(٢) اعتساف : جور .

(٣) الصيد : الكرام .

تَهْزُ الْجَنُوبَ وَتُزَكِّي الشَّمَالَ
 وَحَيْثُ تُحِبُّ الْحَيَاةَ الْجَدَالَ
 يَصَارِعُ فِيهَا الْحَقِيقُ الْخِيَالَ
 سلاماً: وفي دجلة والفراتِ مَخَاضُ الصَّعَالِكِ، مَهْوَى الشُّرَاةِ^(١)
 أَنَاخُ النَّضَالِ يَجُرُّ النَّضَالَ
 وَيُبدِلُ مَا آسَـطَّـعَ بِالْحَالِ حَالَا

(١) الصَّعَالِكُ : جماعة من فقراء الناس اتخذت الصعلكة طريقة في الحياة تفرض بها نفسها على المتنفذين والأثرياء . الشُّرَاة : فرقة من الخوارج عرفت ببأسها وتضحيتها ، ويريد بالشُّرَاة هنا الخوارج عموماً .

يا خيالي

- نظمت عام ١٩٦٤
- أرسلت على « باقة زهر » إلى السيدة « خيال » كريمة الشاعر الوسطى ، وكانت قد أدخلت المستشفى لمرض طارئ ألم بها .
- نشرت في « بريد الغربة » .

يا «خيالي»: لك الشفاء السريعُ
انَّ في البسيتِ وحشةً لمحيّا
والغمدُ المشرقُ الأنيسُ البديعُ
لك منّي، عدّ النجوم، ابتهالاً
كُ وشوقاً تُطوى عليه الضلوع
تُ، ومن أمّك الحنون دموعُ

* * *

يا «خيالي»: ان الصبا ينبوعُ
لك من ذا وذاك ألطف ما أض
وغضير الشباب زهرٌ يَضوعُ
فَتُ سماءٌ وما أفاضَ ربيعُ

...

يا «خيالي»: وإنَّ حُبَّاً عَصَوْفَاً بتهايلل والدَيْنِ شَفِيعُ^(١)
يا «خيالي» لا زُعِرَ الزَّهَرُ الغضُّ ولا رُوعَ الحِمَامِ الوَدِيعِ

(١) العصفوف: الشديده.

کردستان يا موطن الأبطال

- نُظمت عام ١٩٦٤ . وأُقيمت لأول مرة في مؤتمر جمعية الطلبة الأكراد في أوروبا المنعقد بمدينة ميونيخ الألمانية في آب ١٩٦٤ ، حيث كان لهيب الثورة في كردستان العراق ضد الطغاة الحاكمين مندلعاً وبالغاً أشده ...

وقد أُعيد نشر القصيدة عدة مرات في الستينيات والسبعينيات والثمانينيات في الصحافة العراقية .

قلبي لكردستان يُهدى والفم	ولقد يجود بأصغرية المَعْدَم
ودمي وإن لم يُبقِ في جسمي دما	غرثي جراح من دماي تطعم
تلکم هدية مستميت مغرم	انا المضحى والضحية مغرم
أنا صورةُ الألم الذي يحـرّصُ أصوغه	كلّما عن القلب الجريح يترجم
ولربّ آهاتٍ حيارى شرِّد	راحت على فم شاعر تنظّم

ذَوَّبْتُ آلامِي فَكَانَتْ قَطْرَةً فِي كَأْسٍ مِنْ بَنَوِ الْحَيَاةِ وَرَمَّمُوا
وَوَهَمْتُ أَنِّي فِي الصَّبَابَةِ مِنْهُمْ وَلَقَدْ يُعِينُ عَلَى الْيَقِينِ تَوَهُّمُ

* * *

غَالِيَتْ فِي حُبِّ الشَّهِيدِ وَرَاعَنِي فِيمَا أَحْدَثَ عَنْهُ فِكْرُ مِثْمِ
أَبَدًا تَسْدِدُنِي خَطَاهُ وَالْهَمُّ وَتَعْنُ لِي مِنْهُ الطِّيفُ وَأَرْسَمُ
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِعَبْقَرِي نَائِرٍ يَهْبُ الْحَيَاةُ كَأَنَّهُ لَا يَفْهَمُ

* * *

سَلَّمَ عَلَى الْجَبَلِ الْأَشْمِ وَأَهْلِهِ وَلَأَنْتَ تَعْرِفُ عَنْ بَنِيهِ مَنْ هُمْ
وَتَقْصُّ كُلَّ مَدَبٍّ رَجَلٍ عِنْدَهُ هُوَ بِالرَّجُولَةِ وَالشَّهَامَةِ مَفْعَمُ
وَالْتَمَّ ثَرَى بَدَمِ الشَّهِيدِ مَخْضِباً عِبْقاً يَضُوعُ كَمَا يَضُوعُ الْبَرْعَمُ
مُتَفَتِّحٌ أَبَدَ الْأَيْدِ كَأَنَّهُ فِيمَا يَخْلُدُ عِبْقَرِي مُلْهَمُ
وَأَهْتَفَ تَجَبُّكَ سَفُوحَهُ وَسَهُولَهُ طَرِباً ، وَتَبَسُّمُ ثَاكِلٍ ، أَوْ أَيْمُ
بِأَسْمِ «الْأَمِينِ» الْمُصْطَفَى مِنْ أُمَّةٍ بِحَيَاتِهِ عِنْدَ التَّخَاصُمِ تُقَسَمُ
سَتَرَى الْكُفَاةَ الْمُعَلِّمِينَ تَخْلَقُوا فَذَا تَهَيَّأَ الْكَمِيُّ الْمُعَلِّمُ
صُلْبَ الْمَلَامَحِ تَتَّقِي نَظَرَاتِهِ شَهْبُ النَّسُورِ وَيَدْرِيهَا الضَّيْغَمُ
يَا بَنَ الشَّمَالِ وَلَيْسَ تَبْرَحُ كَرْبَةً بِالْبَشَرِ تَوْذَنُ عِنْدَمَا تَأْزَمُ
وَتَنَاقِضُ الْأَشْيَاءُ سُرَّ وجودِهَا وَخَيْرُهَا وَبِشَرُّهَا يَتَحَكَّمُ
صَحْوُ السَّمَاءِ يُرِيكَ قُبْحَ جَهَامِهَا وَثُرِيكَ لَطْفَ الصَّحْوِ إِذْ تَتَجَهَّمُ
وَكَذَا الْحَيَاةُ فَلَيْسَ يُقَدَّرُ شَهْدُهَا عَنْ خَبْرَةٍ ، حَتَّى يَذَاقَ الْعَلَقَمُ

سَلَّمَ عَلَى الْجَبَلِ الْأَشْمِ وَعِنْدَهُ
سِيفٌ يَضُمُّ الْمَجْدَ، مِنْ أَطْرَافِهِ
وَدَعَ الْحُرُوفَ تَبْنِ قِرَاءَةَ نَفْسِهَا
يَا مَوْطِنَ الْأَبْطَالِ حَيْثُ تَنَاسَرَتْ
حَيْثُ انْبَرَى مَجْدٌ لِمَجْدٍ وَالتَّقَى
وَحَيْثُ يَنْضَحُ كُلُّ بَرْعٍ زَهْرَةً
وَحَيْثُ تَلْتَحِمُ الْقُبُورُ كَأَنَّهَا
وَحَيْثُ تَزْدَحُمُ الْعِظَامُ فَطَارَفُ
تُرَوِّ حَدِيثِ الْهَامِ فِيهَا هَامِسَةٌ
يَابْنَ الشَّمَالِ وَلَسْتُ وَحْدَكَ إِنَّمَا
يَا خَيْرَ ضَلَعٍ لَسْتُ وَحْدَكَ إِنَّهُ
عَانَى وَإِيَّاكَ الشَّدَائِدُ لَمْ تَلْسُنْ

مِنْ «أَجْدِيَّاتِ» الضَّحَايَا مَعْجَمٌ
أَلْقَا كَمَا ضَمَّ السَّبَائِكَ مِنْجَمٌ
إِنَّ الْأَشْفَ مِنْ الْحُرُوفِ الْأَفْخَمِ
قَصَصُ الْكَفَاحِ حَدِيثُهَا وَالْأَقْدَمِ
جَيْلٌ بِآخِرِ زَاخِفٍ يَتَسَلَّمُ
بِشَذَى عَبِيرِ دَمٍ بِهَا يُتَسَنَّمُ
سُورٌ يُؤَلِّفُهَا كِتَابٌ مُحْكَمٌ
يُنْهِى رِسَالَةَ تَالِدٍ وَيَتَمَّمُ
وَيَقْصُ مَا بَلَتْ السَّوَاعِدُ مَعْصَمُ
الْسِتِّ الْمَلَايِينِ التَّسِي تَهْضُمُ
جَسَدٌ بِكُلِّ ضُلُوعِهِ يَتَأَلَّمُ
مِنْهُ قَنَاءَةٌ كُلُّ يَوْمٍ تُعْجَمُ

* * *

يَا مَوْطِنَ الْأَبْطَالِ وَالْدُنْيَا بِهَا
تَعْطِي وَتَأْخُذُ وَالْمَغْفَلُ عِنْدَهَا
مِنْ بَعْدِ أَلْفٍ، مِنْ سَلَالَةِ ظَالِمٍ

نَصَفٍ، وَإِنْ خَيْلَتْ تَجُورُ وَتَظْلِمُ
مِنْ ظَنٍّ مِنْ عَقْبِي حِسَابٍ يَسْلَمُ
مِنْ قَبْلِ أَلْفٍ يَثَارُ الْمُتَظْلِمُ

* * *

يَا مَوْطِنَ الْأَبْطَالِ بَثُّ مُؤَلِّمٍ
وَلَقَدْ يَلْذُكَ مِنْ شَكَاةٍ أَنْ تَرَى
أَنَا مِثْلُ دَابُكْ فِي كَفَاحِكَ مَحْرَبٌ

وَأَلْذُ أَطْرَافِ الْحَدِيثِ الْمُؤَلِّمِ
فِيهَا الضَّمِيرُ بِنَفْسِهِ يَتَكَلَّمُ
شَاكِي الْعَزِيمَةِ اعْزَلُ مُتَقَعِّمُ

ستون راحت في النفوس تقسم
 آلى الهزيمة واستباح هضيمتي
 الوى بمن عندي، وعندي صفوة
 ورمى بهم خلف الحدود كأنهم
 وأشاع لحمي للذئاب ولحمهم
 ودعى الجبابة إلى حطام حويشة
 وتفرج المتفهمةون فلا دم
 لم تنفقيء خجلاً عيون ابصرت
 ونجوت منجى المؤمنين حشاشتي
 يابن الشمال: ومثل ذنبك أن ترى
 ما كان ذنبي غير أني لم أطح
 يابن الشمال: وقد رأيت مصيره
 بئس الشماتة شيمة ولو أنّها
 حسب الجريمة ميتة مردولة

تُعطي عطاء الأكرمين وتحرم
 فيما استباحك أحق متجرم
 هي من أبيه، ومن ذويه أكرم
 بُرد إلى الأمصار عجلي ترزم
 وحمى لحوماً بالثاناة ترزخم
 لتباع ملحفة ويُشرى محزّم
 يغلى، ولا قلم يذود ولا فم
 وجه الكريم بكف وغد يُلطم
 ويدي، وسيف في فمي يتلم
 متأبياً فيما تساس وتحكم
 إذ كل ثبت طائـح متهدم
 ومصيره عظة لمن يتفهم
 إذ يغتلى جرح تعفن بلسم
 كفارة عما اتاه المحرم



يا أيها الجبل الأشم تجلّة
 شعب دعائمه الجماجم والدم

ومقالّة هي والتجلّة تؤم
 تحطم الدنيا ولا يتحطم

نريد الغربة

- نصت عام ١٩٦٥ ، وقد أرسلها الشاعر من « براغ » إلى أسرته ببغداد ، وقد كانت عائدة إليها . تشيكوسلوفاكيا أول مرة ، بعد غربة طالت أعواماً .

لقد أسرى بي الأجل	وطول مسيرة ملل
وطول مسيرة من دو	ن غاي مطمع حجل
على أنسي - لأن يُنهى	غد طول السرى - وجمل
تماهسل خشية وونى	وعقبى مهله عجل
وقطّع خطوه جفلاً	كما يتقاصر الحجل ^(١)
أشاع اليأس بي عُمُر	وكسنت وكلسه أمل
وعُمُر المرء فضل منسى	بها ما شق يُحتمل ^(٢)
فاد ولت فلا ثقله	ولا حوّل ولا قبيل ^(٣)

❖

❖

(١) - الجفط : الميل ، الانحراف .

(٢) - شق : صعّب .

(٣) - حوّل وبقيل : القوّه .

أَقُولُ ————— وَلَوْ وَرَبِّهِ قَوْلُ
 أَلَا . هَلْ تَرْجِعُ الْأَحْلَا
 وَهَلْ يَنْجِبُ عَنْ عَيْنِي
 كَأَنَّ نَجْمَهُ الْأَحْجَا
 يَلَا حَقَّ بَعْضُهَا بَعْضًا
 أَلَا هَلْ قَاطِعُ يَصُلُّ

يُدُلُّ بِهِ وَيُتَهَّ ————— لُ^(١)
 مَا كُحِّلْتُ بِهِ الْمُقَلُّ
 لِيَلَّ مَطْبَعُ أَزَلْ
 رُ فِي الشَّطْرِ نَجَّ تَنْتَقِلُ
 فَمَا تَنْفَكُ تَقْتَلُ
 لَمَّا عَيَّتْ بِهِ الْفَرْسُلُ

* * *

وَيَا أَحْبَابِي الْأَعْلَى
 وَمَنْ هُمْ نُجْبَةُ اللَّذَا
 هُمْ إِذْ كُلُّ مَنْ صَافِي —————
 سَلَامًا كُلُّهُ قُبُلُ
 وَشَوْقًا مِنْ غَرِيبِ الدَا
 مَقِيمٍ حَيْثُ يَضْطَرُّ رَبِّ الْ—
 وَحَيْثُ يُعَارِكُ الْبَلَوَى
 وَحَيْثُ أَدِيمُهُ يَنْسُ
 وَإِذْ نَضَّيْتُ أَفَاوِيضَ الصَّبَا فَهَبَا تُهَا وَشَلَّ^(٥)

نَ مِنْ قَطَعُوا وَمَنْ وَضَلُوا
 تِ عِنْدِي حِينَ تُنْتَحِلُ
 تْ مَدْخُولٌ وَمُنْتَحِلُ
 كَأَنَّ صَمِيمَهَا شُعَلُ
 رِ أَعْيَتْ دُونَهُ السُّبُلُ^(١)
 مَنَى وَالسَّعْيُ وَالْفَشَلُ
 فَتَلَوِيهِ وَيَعْتَدِلُ^(٢)
 وَحَيْثُ جَنَائُزُهُ خَضِلُ^(٣)
 وَإِذْ نَضَّيْتُ أَفَاوِيضَ الصَّبَا فَهَبَا تُهَا وَشَلَّ^(٥)

(١) يدلُّ به ويتَّهَل : يفخر .

(٢) أعيت : ضاقت .

(٣) تلويه : تغليه .

(٤) الأديم : الجلد . الجنان (بالفتح) : القلب . خضل : طري .

(٥) الوشل : القليل .

سلاماً من أخِي دَكْفٍ	تَناهَتْ عِنْدَهُ الْعِلَلُ ^(١)
وَحِيدٍ غَيْرَ مَا شَجَنَ	بِلُوحِ الصِّدْرِ يَعْتَمِلُ ^(٢)
وَذَكَرَى مُرَّةَ حَلِيتِ	بِهَا أَيَّامُهُ الْأَوَّلُ
تُعَاوِدُهُ كَفَيَّ الظِّلِّ	لُ رُؤْيَاهَا وَتَتَقَلَّلُ
وَحِيدٍ بِالَّذِي غَنَّى	وَسَاقِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ
وَفِيمَا قَالَ مِنْ حَسَنٍ	وَسَيِّئٍ يَكْتُمُ الْجَدَلُ
سَلاماً أَيُّهَا الثَّارُو	نَ إِنِّي مُزِمُّعٌ عَجَلُ
سَلاماً أَيُّهَا الْخَالُو	نَ إِنِّ هَوَاكُمُ شُعْلُ
سَلاماً أَيُّهَا النَّدَمَا	نُ إِنِّي شَارِبٌ ثِمَلُ ^(٣)
سَلاماً أَيُّهَا الْأَحْبَا	بُ إِنِّ مَحْبَسَةٌ أَمَلُ
سَلاماً كُلُّهُ قُبُلُ	كَأَنَّ صَمِيمَهَا شُعْلُ

(١) أخو الدنف هو الدنف (بفتح الدال وكسر النون) الذي أمرضه الحب .

(٢) الشجين : الحزن .

(٣) الندمان (بالفتح) هو النديم ، ذكر الشاعر المفرد ويريد الجمع .

بائعة السمك في براغ

● نظمت عام ١٩٦٥

وذاثَ غَدَاةٍ وَقَدْ أَوْجَفْتُ	بِنا شَهْوَةَ الْجَائِعِ الْحَائِرِ ^(١)
دَلَفْنَا لـ « حَانُوتِ » سَمَّاكِةٍ	نُزَوِّدُ بِالسَّمَكِ « الْكَابِرِي » ^(٢)
فَلَا حَتَّ لَنَا حَلْوَةَ الْمُجَلَّتِ	تَلَفَّتْ كَالرَّشَاءِ النَّافِرِ ^(٣)
تَشُدُّ الْجِزَامَ عَلَى بَانِيَةٍ	وَتَفْتَرُّ عَنْ قَمَرٍ زَاهِرِ ^(٤)
مِنْ « الْجِيكِ » حَسْبُكَ مِنْ فِتْنَةٍ	تَضِيقُ بِهَا رُقِيَّةُ السَّاحِرِ ^(٥)
فَقَلْنَا: عَلَيْنَا - جُعِلْنَا فِدَاكِ	بِمَا اخْتَرْتَ مِنْ صَيْدِكَ النَّادِرِ
فَجَاءَتْ بِمَكْشُورَةٍ بَضِيَّةٍ	لَعُوبٍ كَذِي خَبْرَةٍ مَآكِرِ ^(٦)
تُنْفِضُ بِالذَّيْلِ عِطَرَ الصَّبَا	وَتَرْمِيْ بِالنَّظَرِ الْخَازِرِ

(١) أوجفت: أسرع.

(٢) دلف: تقدم، يريد دخلنا. الكير: من ألد أنواع السمك الطري وأشهاها.

(٣) الرشأ: الغزال.

(٤) البانة: ضرب من الشجر ساقه طويل وأغصانه طويلة تشبه به قدود الحسان ذوات القوام المشقوق.

(٥) رقية الساحر: تعويذته.

(٦) مكشورة: سمينة. بضة: بيضاء.

لُعِنْتَ أَبْنَ آدَمَ مِنْ جَائِرٍ
أَمَا لَابْنَةِ «الْجِيكِ» مِنْ زَاجِرٍ؟
لِمَسْبَحِ أَتْرَابِي الزَّاحِرِ؟
حَزِينٍ عَلَى غَيْبِي سَاهِرٍ؟^(١)
وَسَالَ عَلَى فَمِهَا الْفَاغِرِ^(٢)

تَكَادُ تَقُولُ: أَمْثَلِي تَمُوتُ..؟
أَمَا فِي الصَّبَا لِي مِنْ شَافِعٍ..؟
أَمَّا لِي مِنْ عَوْدَةٍ تُرْتَجَى
أَلَا رَجْعَةٌ لِحَسْبِ جَوٍّ
وَدَبَّ الْقَنُوطُ عَلَى وَجْهِهَا

* * *

فِيَا لَكَ مِنْ جُودِرٍ جَازِرٍ^(٣)
وَقَسَّيْتُ عَلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ
نَ مِنْ كُلِّ بَادٍ وَمِنْ حَاضِرٍ^(٤)
نَ دَلِيلًا عَلَى قَدَرَةِ الْقَادِرِ
هُ خَصْمَانِ لِلذَّابِحِ النَّاحِرِ!!
وَلَيْسَتْ لِهَذَا السِّدْمِ الْخَائِرِ
وَإِنْ شَقَّ ذَاكَ عَلَى النَّاطِرِ
وَمِنْ قَسْوَةِ الرَّجُلِ الْغَادِرِ!!!

وَأَهْلُوتُ عَلَيْهَا بِسَاطُورِهَا
وَتَنَّتْ.. فَشَبَّتْ عُرُوسُ الْبَحَارِ
فَقَتَلْنَا لَهَا: يَا أَبْنَةَ الْأَجْمَلِ
وَبِأَخِيرٍ مِنْ لَقْنِ الْمَلْحَدِ
جَمَالُكَ، وَالرَّقَّةُ الْمَزْدَهَا
وَكَفُّكَ صَيَعَتْ لِلنَّمِ الشَّفَا
فَقَالَتْ: أَجَلٌ أَنَا مَا تَنْظُرَانِ
تَسَلَّمْتُ مِنْ جَفْوَةِ الْهَاجِرِ!!!

(١) جو : مشتاق ملتاع .

(٢) الفاجر : المفتوح .

(٣) الجودر (يفتح الذال وضمها) : ولد البقرة .

(٤) البادي : من البادية . الحاضر : من الحاضرة أي المدينة .

الخطوب الخلاقة

- نظمها الشاعر غداة حرب حزيران عام ١٩٦٧
- نشرت في صحف عربية كثيرة.

دعِ الطوارق كالأتون تحتدُّمُ
وخذ مكانك منها غيرَ مكتثر
كفأك والخطب فخرًا أن تصارعَه
ومثل بلوك في غمى تدافعها
تعرَّ الصبح واستعصت ولادته
تبارك الخطب تبلوه وتحصده
عودُ الرجال بكف الخطب يعجمه
خضر الكوارث لا ينكسأ ولا جزعاً

وخلها كحبك النسج تلحمُ
أهوى بك الموج أو علَّت بك القمم
إنَّ المصارغ أنى صار مُحترم
تكون عُقبك إذ تستكشف الغمم
حتى تشابكت الأنوار والظلم
إنَّ الخطوب إذا ما استثمرت نغم
كالمندل الرطب يذكو حين يضطر
واترك إلى الغيب ما يجري به القلب

(١) الأتون : أخدود الجيار وهو الذي يحرق الجير .

(٢) الغمى : الشدة .

(٣) المندل : عود طيب الرائحة .

(٤) النكسأ : الضعيف .

لو كَانَ يُضْمَنُ نصرٌ قبلَ مَرَعَدِهِ
إِنِّي وَجَدْتُ اللَّيَالِي فِي تَعَبُفِهَا
تُدَسُّ فِي الشَّرِّ خَيْرًا يُسْتَضَاءُ بِهِ
إِنَّ الشَّدَائِدَ تُسْتَعْفَى النَّفْسُ بِهَا
يُلْقِينَ ظِلًّا عَلَى وَجْهِهِ فَيَلْتَظِمُ
يَا جَمْرَةَ الْخَطْبِ سَاقِينَا عَلَى ظَمَأٍ

لَكَانَ أَرْخَصَ مَا فِي الْأَنْفُسِ الْهِمَمِ
تَأْوِي إِلَى حَكْمٍ عَذْلٍ .. وَتَحْتَكِمِ
وَتَنْزِعِ الْخَيْرَ مِنْ شَرٍّ وَيَلْتَمِسِ
مِثْلُ الْحُظُوظِ عَلَى أَصْحَابِهَا قِسَمِ
وَيَزِدُّ حِمْنًا عَلَى وَجْهِهِ وَيَسْتَسِمِ
لِلْمُصْلِيَّاتِ فَانْتِ الْبَارِدُ الشَّبِيمُ^(١)

(١) الشيم : البارد .

من بريد الغربة

أطياف وأشباح

- نظمت عام ١٩٦٧ ، وقد تضمنتها كاملة طبعة دار العودة بيروت .
- لم تنشر إلا في وقت متأخر .

سَهَرْتُ وَطَالَ شَوْقِي لِلْعِرَاقِ وَهَلْ يَدْنُو بَعِيدٌ بِاشْتِيَاقِ
وَهَلْ يُدْنِيكَ أَنْكَ غَيْرِ سَالٍ هَوَاكَ وَأَنْ جَفَنَكَ غَيْرُ رَاقٍ^(١)
وَمَا لَيْلِي هِنَا أَرْقُ لَدَيْعُ وَلَا لَيْلِي هِنَاكَ بِسِحْرِ رَاقٍ^(٢)
وَلَكِنْ تُرْبَةٌ تَجْفُو وَتَحْلُو كَمَا حَلَّتِ الْمَاعِطُنُ لِلْنِيَّاقِ^(٣)
بَكَيْتُ عَلَى الشَّبَابِ وَقَدْ تَوَلَّى كَمَنْ يَكِي عَلَى قَدَحِ مُرَاقٍ^(٤)
وَعَائِبْتُ الصِّبَا فَمَشَتْ طُيُوفُ أَعَارَظْنِي إِلَيْهِ عَلَى وَفَاقِ

(١) رَاقٍ : من رَقاً بمعنى جَفَّ وسكن .

(٢) رَاقٍ : شافي (يشفي اللديع) .

(٣) المَاعِطُنُ : جمع معطن وهو مقام الابل .

(٤) مُرَاقٍ : مسكوب .

شَتِيمَ الْوَجْهِ مُسَوِّدَ الرَّوَّاقِ^(١)
 وَإِيَّاهُ سَنَ نَرْسِفُ فِي وَثَاقِ^(٢)
 مَزْرَدَةٍ تَعِزُّ عَلَى اخْتِسَارِاقِ^(٣)
 خَفِيفُ الْبُومِ يُؤْذِنُ بِالزُّعْاقِ
 وَلَحْنُ جَنَائِزِ رَجْعِ السَّوَّاقِ^(٤)
 يَحْضِنُ الْفَجْرَ مَحْلُولَ الْبَطَّاقِ
 خُرُوقُ يَمْتَنِعِينَ عَلَى رِتَاقِ^(٥)
 أَلْصُ السَّمْعِ فِيهَا بِاسْتِرَاقِ^(٦)
 مَصْلَدَةٌ تَشِيقُ عَلَى أَنْفِلَاقِ
 ضَبَابَاتُ الرُّؤْيِ تَزْعُ السِّيَاقِ
 وَتَسِيقُنِي فَأَطْمَعُ بِاللَّحَاقِ
 أَعْنِ شَيْمَ أَصَادِي أَمْ ذُعَاقِ^(٧)
 بَلْقِيَاهُمْ أَهْـوُونَ مَا أَلَاقِي
 فَهَمْ دُنْيَايَ تَوْذُنُ بَافْتِرَاقِ
 وَذَغْدَغَةِ النَّسِيمِ عَلَى آرْتِفَاقِ
 وَعِذْرًا يُسْتَمَاحُ عَنْ اعْتِيَاقِ^(٨)

وَلَيْلٍ مَوْجِشِ الْجَنَبَاتِ دَاجٍ
 أَشَدُّ إِلَى النَجُومِ بِهِ كَأَنِّي
 كَانَ بَرُوجَهَا حُبُكٌ دِلَاصٍ
 كَانَ مَخَارِقَ الْأَجْوَاءِ فِيهِ
 كَانَ مَطَارِقًا خَفَقَاتُ دَوْحِ
 تَمْنَطَقُ بِالنُّجُومِ وَرَاحَ يَهْوِي
 وَغَطَّتْ جَنَبَيْهِ فِضَاقَ ذُرْعَاءِ
 الْقَطِطِ مِنْهُ أَصْدَاءُ كَأَنِّي
 أَفْلَقْتُ صَخْرَةً فَتَعِنُ أُخْرَى
 وَتَعْمَشُو الذِّكْرِيَّاتِ كَمَا تَغَشَّتْ
 تُطَارِدُنِي وَالْحَقُّهَا دِرَاكِي
 وَرُحْتُ أَعْبُهُنَّ فَلَا أَبَالِي
 أَحْبَبَنِي الذِّكْرَيْنِ بِمَا أُمْنِي
 أَرَى الدُّنْيَا بِهِمْ فَازَا تَحَلَّوْا
 سَلَامًا كَالْمُدَامَةِ فِي اصْطِفَاقِ
 وَشَوْقًا يَسْتَطَارُ إِلَى اِزْدِيَارِ

- (١) الرَّوَّاقِ (بالضم والكسر) : بيت كالفسطاط ، يريد ما أطبق من ظلام شديد على الأرض .
- (٢) نَرْسِفُ (بالضم والكسر) : نقيذ .
- (٣) الْحَبْكُ : جمع حبيكة وهي الطريقة . دِلَاصُ : ملساء وهي من صفات الدرع ، كَانَ الْبُرُوجُ لِكَثْرَتِهَا وَتَقَارِبِهَا زَرَدِ الدَّرْعِ .
- (٤) الدَوْحُ : الشَّجَرُ .
- (٥) الرِّتَاقُ : أراد الرِّتْقَ وهو الحياطة .
- (٦) أَلْصُ : أَسْرَقَ .
- (٧) شَيْمٌ : بَارِدٌ . يَصَادِي : يَمْنَعُ . ذُعَاقٌ : مَرٌّ .
- (٨) اِزْدِيَارٌ : زِيَارَةٌ . الْاعْتِيَاقُ : التَّعْوِيقُ أَيِ التَّأْخِيرُ .

وَأَتَيْتِي وَالشَّجَاعَةَ فِي طَبْعٍ
وَلِي نَفْسَانِ طَائِرَةٌ شُعَاعاً
أَقُولُ لَهَا وَقَدْ حَدِثْتُ وَلَأَنْتِ
وَشَدَّيْ مِنْ حَنَانِكَ لِلرَّزَايَا
فَلَا مَنْ خَاضَهَا كُرْهًا بِنَاجٍ

جَبَانٌ فِي مُنَازَلَةِ الْفِرَاقِ
وَأُخْرَى تَسْتَهْيِينُ بِمَا تُلَاقِي^(١)
تَحَدِّي مِنْ يُرِيدُكَ أَنْ تُعَاقِي
وَسَوْفِيهِ لَهُنَّ.. وَلَا تُسَاقِي
وَلَا مَنْ خَافَهَا جُنْناً يَبْحَاقِي

(١) شعاعاً : تفرقاً أي جيناً وخوفاً

براغ أو حوار

- نظمها الشاعر صيف ١٩٦٨ ، قبيل عودته من مغتربه في تشيكوسلوفاكيا ، يحكي فيها «براغ» ويشيد بجمالها، وسمو مجتمعتها، وبما تركته في نفسه من انطباعات حلوة... وذكريات جميلة.

أَطْلَلِ الشَّوْطَ مِنْ عُمْرِي	أَطَالَ اللَّهُ مِنْ عُمْرِكَ
وَلَا بُلُّغْتُ بِالشَّرِّ	وَلَا بِالسَّوْءِ مِنْ خَبَرِكَ
حَسَوْتُ الْخَمْرَ مِنْ نَهْرِكَ	وَذُقْتُ الْحَلَوَّ مِنْ ثَمَرِكَ
وَعَتَّتَنِي صَوَادُحُكَ السَّيِّئِ	تَشَاوَى مِنْ نَدَى سَحَابِكَ
وَلَمْ يَبْرُخْ عَلَيَّ الظُّلُّ ...	بَعْدَ الظُّلِّ مِنْ شَجَرِكَ
كَلَّا حَالِيكَ عَشْتُهُمَا	قَرِيبَ السَّعِينِ فِي سُرْرِكَ
فَقِي الْأَمْسَاءِ مِنْ خَفَرِكَ	وَفِي الْأَصْبَحِ مِنْ خَدَرِكَ
كَأَنَّ تَنَابُزَ الْقُبُلَا	تَ خَفَقَ مِنْ صَدَى سَمَرِكَ
وَأَحْلَامِي مَهْوَمَةٌ	غِلَالَتْ لِمَوْتِ زَرْكَ ^(١)
وَأَعْيَنُ أَنْجَمٍ حَيَّرِي	بِهَا عَوَزٌ إِلَى حَوَرِكَ

(١) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب .

أَلَا يَا مَزْهَرِ الْخُلْدِ تَغْنَى الدَّهْرُ فِي وَتَرِكَ
وَيَا أَمْثَلَةَ اللَّطِيفِ مَشَتْ دُنْيَا عَلَى أَثَرِكَ
ذَكََا فِي ثُرْبِكَ الْعِطْفُورُ وَدَبَّ السَّحَرُ فِي حَجَرِكَ^(١)
فَلَوْ صِيغَتْ دُنَا أُخْرَى لَمَا كَانَتْ سِوَى كِسَرِكَ
وَلَوْ أَنَّ الْمَنَى خَمَّرَ لَكَانَتْ سُورٌ مُعْتَصِرِكَ^(٢)
وَلَوْ صُوِّرَتْ كَانَ الْخُلْدُ حَتَّى وَالْإِبْدَاعُ مِنْ أَطَرِكَ

* * *

وَقَائِلَةٌ: لَقَدْ غَالَتْ وَأَنْتَ تَنْشُدُ الدُّنْيَا
وَأَطْبَاعَ الْوَرَى حُلَا
مَلُولُ النَّفْسِ.. فِي سَمْعِ وَأَنْتَ فِي التَّطَامُنِ تَنْ
تَخَافُ «النَّارُ» مِنْ شَرِّكَ وَتُعِيِي الْفَكَرَ مَرْقَا
جَرَى مَثَلٌ بِمَصْطَبَرِكَ وَأَخْرُ سَارٌ فِي بَطَرِكَ
وَهَذَا أَنْتَ مَنْسَجَمٌ مَعَ الْأَلْسَانِ فِي صُورِكَ
رَضِيُّ الْبَالِ فِي جِلِّكَ لَكَ حَلْوُ السَّجْعِ فِي سَفَرِكَ
تُغْنَى الْخُلْدَ مُرْتَفَقَا وَأَنْتَ تُخَالُ فِي سَقَرِكَ^(٣)

(١) ذَكََا: انتشر وذاع.

(٢) سُورٌ: بقية.

(٣) الْحُورُ: الضعف.

(٤) مُرْتَفَقٌ: أي برفق.

وتسقي الشُّهْدَ من إِبْرِكَ^(١)
 ثُلَيْجُ الشَّيْبِ في شَعْرِكَ^(٢)
 بِوِ شَفِيفُ السَّغِيرِ من كَدْرِكَ
 حُجْسُولَكَ ملْتَقَى غُرْرَكَ^(٣)

وَتُهْدِي « الحَزَّ » من وِبْرِكَ
 أَحَرُّ من الصَّبَا وَهَجَاً
 وَالطَّفُّ من سَنَا صَفَاً
 فَسَبْحَانِ الَّذِي سَوَى

* * *

فَدَيْتَ - يَنَالُ من وطَرِكَ؟
 أوردِي كَانَ عَنْ صَدْرِكَ^(٤)
 كِ مشدودٌ بِمُنْـحَسِرِكَ
 أَلَيْسَ به سِوَى دُرْرِكَ؟
 أَبْـدَلْ غير مُتَظَرِّكَ
 فَظَلَّلِي أَنْتِ في عَيْـرِكَ
 تَفْـسِرِي أَنْتِ من بَشْرِكَ!!

أَقُولُ لها . وهَلْ وَطَرِي
 أوردُكَ كَانَ عَنْ صَدْرِي؟
 هَبِيكَ البَحْرَ، تِيَارُ
 أَلَيْسَ له « كَوَاسِجُهُ »؟
 فَدَيْتُكَ إِنْنِي فِيمَا
 مَشَيْتُ عَلَى خُطَايِ عَيْـرِي
 هَلُمَّسِي خَالِطِي بَشْرِي

(١) الحَزَّ : الحزير .

(٢) الثُلَيْجُ : يبرد الثلج .

(٣) الحُجْسُولُ : بياض في قوائم الخيل . الغُرْرُ : جمع غرة وهي بياض في جباه الخيل استعارها الشاعر لنفسه لبيان غرائب التناقض .

(٤) الْوَرْدُ : هو ورود الماء ، والصدر الرجوع عنه .

الفداء والدم

- أُلقيت في الحفل الذي أقامته المنظمات الفدائية ببغداد إحياءً لذكرى الفدائي الشهيد «صبحي ياسين» في «قاعة الشعب» خريف عام ١٩٦٨
- نشرت، أول مرة، في جريدة «النور» البغدادية ونقلتها عنها عدة صحف ومجلات عربية.

جَلَّ الفداءُ وجَلَّ الخُلْدُ صاحِبُهُ	ضاق الفضاءُ وما ضاقت مذاهِبُهُ
لَوْنٌ مِنَ الخَلْقِ والابْداعِ يُحسِنُهُ	خَلَقَ تُصاعُجٌ جَدِيدَاتٍ رِغائبُهُ
وَذِرْوَةٌ مِنْ سَماحٍ لا كِفْفاءَ لها	إِلا مَطامِحَ مِنْ عَزَّتْ مَطالِبُهُ ^(١)
فِي الفَدْيِ مِنْ جَبْرُوتِ اللَّيْلِ رَهْبَتُهُ	وعِنْدَهُ مِنْ ضَحايَاهُ كَواكِبُهُ
يَتْلُوهُ رَأْدُ الضحَى شَفْعاً وتَقْدِمُهُ	مِنْ رَوْعَةِ الفَجْرِ زَخافاً مَواكِبُهُ ^(٢)
جَلَّ الفداءُ وَإِنْ ضَجَّتْ مَاتِمُهُ	عَلَى الشَّهِيدِ وَإِنْ رَنَّتْ نَوادِبُهُ
إِنَّ الزَّمازِمَ فِي الدُّنْيا لِمِصرِعِهِ	صَدَى الزَّمازِمِ صَبَّتْها كَنائِبُهُ ^(٣)

(١) لا كفء لها : لا نظير لها .

(٢) رَأْدُ الضحَى : ارتفاعه واشتداده ، ويتلوهُ رَأْدُ الضحَى شَفْعاً ، أي يجيء بعده ملازمة كما يجيء الشفع بعد الوتر ، أي الثاني بعد الأول .

(٣) الزمازم : جمع زمزمة وهي صوت الرعد في أقوى ما يكون عليه ، ومعنى البيت أن ضجيج الحزن والتأثر

جَلَّ الْفِدَاءُ فَمَا يَنْفُكُ مَآرِبَهُ
وَبُورِكَ الدَّرْبُ مَسْحُوراً يَتِيَهُ بِهِ
دَرْبُ الْخُلُودِ يَلِيلَاتٍ لَوَافِحُهُ
غَادَى ثَرَاكَ آبَنَ «يَاسِينَ» وَرَاوَحَهُ
صَنَعُ السَّمَاءِ وَعِنْدَ الْأَرْضِ صَنَعْتُهَا
يَسْقِي ضَرِيحَكَ لَا يَنْفُكُ ذَائِبُهُ
سَبْحَانَ مَنْ بَدَّلَ الدُّنْيَا وَسَاكِنَهَا
كَانَ الْكَرِيمُ يَوْفِي النَّذْرَ مَتَّحِيماً
تَصَاعَدَتْ هِمَمٌ لِلْقَدِيِّ وَاسْتَبَقَتْ
وَفَى لِأَمْتِهِ نَذْراً، مَفْجَرَةً
وَبِاصْحَابَةِ «صَبْحِي» جَهَّزُوا زُمْراً
غُنُّ الْفَرَادِيسِ مَلَقَى كُلُّ ذِي شَرَفٍ

لِكُلِّ مُسْتَبَسِلٍ أُغِيثَ مَآرِبُهُ^(١)
نِكْسٌ، وَيَحْتَضِنُ الصَّنْدِيدَ لَاحِبُهُ^(٢)
عَلَى الْفُدَاةِ وَجَنَاتٍ سَبَاسِبُهُ^(٣)
مِنَ الْعَمَامِ مُلْتُ الْقَطْرِ صَائِبُهُ^(٤)
دُمُ الشَّبَابِ مُلْتَاتٍ سَحَائِبُهُ^(٥)
عَنِ الضَّجِيجِ، وَلَا يَصْطَلُكَ ذَائِبُهُ
لَقَدْ مَشَتْ حَبِيباً فِينَا عَجَائِبُهُ^(٦)
قَبَرَ الْكَرِيمِ عَقِيرَاتٍ نَجَائِبُهُ^(٧)
مَرَاتِبُ النَّفْرِ الْفَادِي مَرَاتِبُهُ
نُحُورُهُ، وَخَضِيبَاتٍ، تَرَائِبُهُ^(٨)
مَنْكُم إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى تَصَاحِبُهُ
طَهَّرُ الْمَلَائِكِ أَرْحَامَ تَنَاسِبُهُ^(٩)

لمصارع الشهداء من الفدائيين، إنما هو صدى ورجع وشبه بالضجيج الذي تحدثه كُتَّاب جيوشهم وهي تنصب على أعدائهم.

(١) المأربة: مثلة الرء.

(٢) النكس: اللقيم المقصر عن ادراك غاية النبل والكرم. الصنديد: الشجاع، المقدام. اللاحب: الواسع الرحب من الدروب.

(٣) السباسب: الصحارى البعيدة الشاسعة الواسعة.

(٤) غاداه وراوَحَه: أي لازمه جيئةً وذهاباً. ملْتُ القطر: اكثرو إلهاماً واستمراراً. صائب المطر: ما يروي الأرض بكثرة ما يصيب منها، ويقع عليها.

(٥) ملتات: أي غزيرات.

(٦) الخبب: سرعة العدو والركض.

(٧) العقيرات من النجائب — وهن النوق الجيدة النجية — ما يعقر منها والعقر هو أن تضرب الناقة أو البعير على قوائمها قبيل ذبحهما. انتحى الشيء: أخذ ناحيته وقصده قصداً.

(٨) الترائب: أضلاع في الجانب الأيمن من الصدر وفي الجانب الأيسر منه.

(٩) غُنُّ الفراديس ومفردها «غناء»: مزهرها، والملتفة أشجارها وأغصانه منها، وصفت بالغن لأن على الأشجار منها طيور تغني.

غُرَّ الجباهِ على الغبراءِ تُسرجها
تسربلوا رملَةَ الوادي يَحْنَطُهُمْ
وَأَسْلَمُوا حَشْرَجَاتٍ جِدَّ هَائِلَةٍ
ذابوا على شَفَةِ مِنْهُ مَصَارِعُهُمْ
وَمَسَّهُمْ حُلْمٌ غَافٍ وَعَانَقَهُمْ
وَنَفَّضَ الرَّعْبَ عَنْ أَجْفَانٍ مَحْتَضِرٍ
وَلَمَحَ «يَّارَةَ» لَمْ يَدُنْ رَائِعُهُ
يَا رُوعَةَ الْبَحْرِ قَدْ جَاشَتْ غَوَارِيهِ

مَرْجُ المِروءاتِ ضَوْتُهُ حُبَابِيهِ^(١)
نَسِيمُهُ، وَثَوَارِيهِمْ مَسَاحِيهِ
إِنَّ الَّذِي وَهَبُوهُ الْجَرَحَ عَاصِيهِ^(٢)
فِيهِ بَحِيثٌ أَظْلَمَتْهُم مَلَاعِيهِ
طَيْفٌ بِآرَامِهِ تُحْكِي كَوَاعِيهِ
ظَلٌّ لِرِوَاكِ زَيْتُونٍ يَدَاعِيهِ
حَتَّى آتَنَشَى كَرَفِيفِ الْمَوْتِ شَاحِيهِ
مِنْ بَعْدِمَا لَأَنَّ وَأَنْدَاحَتْ جَوَانِيهِ^(٣)

* * *

مَرَحَى شَبَابَ فِلَسْطِينَ بِهِ مَرَحٌ
مَرَحَى لِمُسْتَبَقِينَ الدَّهْرَ أَزْعَجَهُمْ
يَلْوِي ظُنُونَهُمْ شَهْرٌ وَقَابُلُهُ
مَسْمُورِينَ عَلَى وَعْدٍ بِلَا كَنْفٍ
مَالَتْ بِهِمْ صَهَوَاتُ الْيَأْسِ عَنْ أَمَلٍ
كَانَتْ حُلُولٌ وَهِيَ أَنْتُمْ فَرَأَيْتُمْهَا

مَعَ الرَّدَى فَهُوَ سَاقِيهِ وَشَارِيهِ
مِطَالُهُ وَأَمْلَتْهُمْ رَكَائِبُهُ
وَيَمْتَرِي صَبْرَهُمْ عَامٌ وَعَاقِبُهُ
مِنْ ضَامِنِيهِ، وَلَا حَوْلَ يُصَاقِبُهُ
جُبُّ السَّنَامِ بِهِ وَاجْتَثَّ غَارِيهِ
وَكَانَ «حَلْمٌ» وَهِيَ أَنْتُمْ ضَرَائِبُهُ

* * *

(١) الحباب (بضم الحاء الأولى) ومفردها «حباب»: هي ذباب على هيئة الفراشات يشع في الليل ويضيء الحقول والمروج، ومعنى البيت: أن جباه الشهداء الغرّ تضيء سوح الفداء ومروج المِروءات كما تضيء الحباب الحقول والمروج.

(٢) عصب الجرح: ضمده وهو من العصابة كانوا يلفون بها جراح الفرسان.

(٣) غوارب البحر: مفردها «غارب»: أعالي موجه واثباجه، وانداح استرسل، والكناية هنا عن روعة البطولات وتصلعدها بعد أن ابتدأت مسترسله هينة.

أرح ركابك

- ألقاها الشاعر في الحفل التكريمي الذي أقامته له وزارة « الاعلام » مساء يوم الجمعة الثالث من شهر كانون الثاني عام ١٩٦٩ ، في كازينو « صدر القناة » ببغداد على أثر عودته من مغتربه في تشيكوسلوفاكيا ، بعد غياب طال أكثر من سبع سنوات .
- وقد شارك في الحفل على الصعيدين الرسمي والشعبي عدد وفير من الخطباء والشعراء .

كفأك جيلانٍ محمولاً على خطرٍ ^(١)	أرح ركابك من أيسني ومن عئسٍ
كأنَّ مغبره ليلٌ بلا سحر	كفأك موحشٌ دربٍ رُحَّتْ تقطعُه
في كلِّ يومٍ له عُشٌّ على شجرٍ ^(٢)	ويا أخوا الطير في وِردٍ وفي صدرٍ
أخفُّ ما لَمْ من زادٍ أخو سَفَر	غُريانٍ يحمل منقاراً وأجنحةً
من فرطٍ منطلقٍ أو فرطٍ منحدرٍ ^(٣)	بحسبِ نفسك ما تعيا النَّفوسُ به
أم شابك أنت ، مغترأ ، يدُ القدر	أناشدُ أنت حتفاً صنعَ منتحرٍ

(١) الأين : التعب والاعياء .

(٢) البُرد : هو أن ترد المياه لتشرب منها ، و الصدر : هو أن تصدر عنها — أي ترجع — بعد ذلك .

(٣) بحسبك الشيء : كفايتك منه . تعيا : تتعب أو تضيق .

أم راکبَ متنَ نکباءٍ مطوَّحَةٍ ترى بديلاً بها عن ناعم السرِّ^(١)
 خفضُ جناحيكَ لا تهزاً بعاصفةٍ طوى لها النسرُ كشحيه فلم يطر^(٢)
 ألقى له عِبرَةً في جُوجُو خضيبٍ من غيره، وجناح منه منكسر^(٣)

* * *

يا سامرَ الحي بي شوقَ يرمُضني إلى اللدات، إلى النجوى، إلى السمر^(٤)
 يا سامرَ الحي بي داءً من الضجر عاصاه حتى رينُ الكأس والوتر
 لا أدعي سهرَ العشاق يُشيعُهُم يا سامرَ الحي بي جوع إلى السهر
 يا سامرَ الحي حتى الهمُّ من دأبٍ عليه آب إلى ضربٍ من الخدر
 خلاف ما ابتدعت للخمر من صورٍ وجدتها زادَ عجلانٍ ومنتظر
 كأنَّ في الحَبِّ المرتجِّ مفترقاً من الطريق على ساءٍ ومذكر^(٥)
 يا سامرَ الحي أنَّ الدهرَ ذو عجب أعيت مذهبهُ الجُلَى على الفكر
 كأنَّ نعيماءه حبلٌ بأبوسيه من ساعة الصفو تأتي ساعة الكدر
 تندسُّ في النَّشوات الخمس عائذةً هذي فتدركها الأخرى على الأثر^(٦)
 ينغص العيش أنَّ الموتَ يدركه فنحن من ذين بين الناب والظفر
 والعمرُ كالليل نحييه مغالطةً يشكى من الطول أو يشكى من القصر

(١) النكباء: الريح .

(٢) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي .

(٣) الجُوجُو: الصدر .

(٤) يرمضني: أي يحرقني . اللدات: جمع لدة، وهو قرينك في السن .

(٥) الحب: الفقايع تطفو على سطح الخمر أعلى الكأس .

(٦) الخمس: الحاجة والبيت مرتبط بسابقه، والقطعة حتى البيت :

والعمر كالليل نحييه مغالطة يشكى من الطول أو يشكى من القصر

تصور حدة القلق الذي استحوذ على الشاعر وهو في غربته .

ويا ملاعبَ أتُراني بمنعطفٍ
فالجسرُ عن جانبيه خفُّ أشربةٍ
إلى «الخورنق» باقٍ في مساحبه
تلكم «شقائقه» لم تأل ناشرةً
بيضاء، حمراء أسراباً يمج بها
للآن يطرب سمعي في شواطئه
والرملةُ الدمثُ في ضوءٍ من القمر
يا أهنأ الساعِ في دنياي أجمعها
تصوي من علٍ حتى إذا آنحدرت
ثمحي الغضارات في الدنيا سوى شفيقٍ
وتستطار طيوفُ الذكريات سوى
في «جنة الخلد» طافت بي على الكبر
مجنحات أحاسيسٍ وأخيليةٍ

(١) هذه القطعة حتى البيت :

فتادهسن إلى حرب على الضجـر فيصطلحن على حربي مع الضجـر
استعراض وابتعاث للذكريات الشاعر في طفولته ، وفي صباه وفي يفاهه في مدارج «النحف» و
«الحيرة» ومنعطفات الفرات وجزره وفي رملة «الكوفة» وملاعبها ، وتذكر للصور الشاخسة منها وبالبهنة
على حد سواء . ففيها خفق أشربة السفن الراسية على ضفاف الفرات حيث كانت الأسر النجفية — ومنها
أسرة الشاعر — تنتقل إلى «الجسر» وهي المدينة الجميلة الرابضة على شواطئ الفرات والمسماة بهذا
الاسم . وفيها تعرج على شقائق النعمان التي ما تزال حتى اليوم تنتشر بكثرة في وديان الحيرة ومساحبها
منسوبة إلى النعمان نفسه .

(٢) الطرر : جمع الطرة وهي جانب الثوب وطره .

(٣) النوافج : جمع نافجة وهي وعاء المسك .

(٤) الحبر : نوع من القماش موشى .

(٥) الثغي : الثغاء وهو صوت الشاة والبقر .

(٦) الدمث : الناعمة .

(٧) تصوي : نقيض «تصعدي» ، أي انزلي من عل ، ثم «انحدري» .

أَصْطَادُهُنَّ بِزَعْمِي وَهِيَ لِي شَرَكٌ يَصْطَادُنِي بِالسِّنَا وَاللَّطِيفِ وَالْحَفَرِ
أَقْتَادُهُنَّ إِلَى حَرْبٍ عَلَى الضَّجَرِ فَيَصْطَلِحُنَّ عَلَيَّ حَرْبِي مَعَ الضَّجَرِ

* * *

رَأَيْتُمْ كَيْفَ هَانَ الصَّبْرُ عِنْدَكُمْ وَكَيْفَ زُرَّتْ عَلَيَّ الْإِيمَانُ مِدْرَعَتِي
يَا «دَجَلَةُ الْخَيْرِ» نَحْنُ الْمَمْتَلِينَ غَنَى بِنَا أَنْعَاطًا عَلَى مَلَانٍ مَفْتَقَرِ
وَاللَّهِ لَوْ أَوْهَبُ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا مَا بَعَثْتُ عَزِّي بِذُلِّ الْمَتَرَفِ الْبَطْرِ
قَالُوا يَظُنُّونَ بِي شَيْئًا مِنَ الصِّغَرِ فَقُلْتُ فِيهِمْ وَلِي شَيْءٌ مِنَ الصَّغَرِ^(١)
رَثِيتُ لِلْعَقْرَبِ اللَّدْغَى جَبَلَتْهَا لَفَرَطٍ مَا حُمِّلَتْ سُمًّا عَلَى الْإِبْرِ^(٢)
لَوْلَا مَغْبَةُ مَا تَجَنِّي ذُنَابَتُهَا لَقُلْتُ: رَفَقًا بِهَذَا الزَّاحِفِ الْقَذِرِ

* * *

وَيَا سُقَاةَ النَّدَى مِنْ كُلِّ مَنْسَجِمٍ وَالْأَرْحِيَّاتِ، مَعْسُولِ النَّشَا عَطِرِ^(٣)
يَا صَفْوَةَ الْبَلَدِ الزَّاهِي بِصَفْوَتِهِ وَيَا أَسَارِيرَ وَعِيٍّ فِيهِ مَنْتَشِرِ
ضَمَمْتُمُ الْمَجْدَ مِنْ أَطْرَافِهِ زُمَرًا تُضْفِي عَلَيَّ سَنَاها صَفْوَةُ الزَّمَرِ

(١) اللأواء: الشدة.

(٢) المدرعة: لباس بسيط من الصوف رخيص الثمن.

(٣) الصعر: الكبر والزهو.

(٤) اللدغى: يريد التي تلدغ وهي من «تنبيهات» الشراح في طبعة بغداد.

(٥) في هذه القطعة حتى البيت الأخير منها:

وقد يضيق بشكر الفضلين فم حتى يغطي عليه عذر معتذر
تنويه بفضل المقيمين حفل التكريم، والمساهمين فيه، ويلطف الأدباء والكتاب والشعراء الذين
شاركوا فيه كل منهم بدوره، وبما سمحت به عواطفه الكريمة.

من كل لونٍ كريمٍ مشرقٍ خَضِيلٍ
 معْتَقِينَ سُلَافَ الحَرْفِ نَاضِجَةً
 عَذراً لَأَكُوسِكُمْ كَأْسِي بِهَا وَشَلُّ
 مَا كُنْتُ بِالْعِيِّ لَجَاجاً بِمَجْتَمَعٍ
 وَلَمْ يَدْعُ لِي كُرُّ الدَّهْرِ مِنْ وَطَرٍ
 لَكِنْ وَجَدْتُ جَمِيلَ الصَّنْعِ مَبْتَكِراً
 وَقَدْ يَضِيقُ بِشُكْرِ الْمُفْضِلِينَ فَمُ

كَمَا تَلَوْنُ حَسَناً بَاقَةَ الزَّهْرِ^(١)
 تُضَحِّجُ أَبْنَةَ الْكَرَمِ فِيهِ ابْنَةُ الْغَرَرِ^(٢)
 خَجَلَانُ مِنْ مُتَرَعِ الْحَافَاتِ مَزْدَخَرٍ
 وَلَا بِهَيَابَةٍ فِي مَنْطِيقٍ حَصِيرٍ
 وَلَا الْمَحَازِيرُ قَدْ مَارَسَتْ مِنْ حَذَرٍ
 مَا إِنْ يُؤَفَّى بِقَوْلٍ غَيْرِ مَبْتَكِرٍ
 حَتَّى يُعْطِيَ عَلَيْهِ عَذْرُ مُعْتَذِرٍ

(١) خَضِل: مبتل، ندي.

(٢) سُلَاف: الحمر.

رسالة مُلحة

- أرسلها الشاعر من «براغ» في شهر أيار من عام ١٩٦٩، من مشارف «سلوفينسكي دوم». وتعني بالعربية «البيت السلوفاكي»، إلى صديقه الفريق الركن صالح مهدي عماش وزير الداخلية آنذاك، يتشوق بها إليه ويحاوره فيها على أثر الحملة التي شنها على «المنيح جوب» في العراق.
- نشرت في جريدة «النور»، العدد ١٦٩ في ١١ أيار ١٩٦٩

وَفَقَى لَهَا نَذْرًا فَوَاقِي	وَسَعَى بِهَا سُبْعًا وَطَافَا ^(١)
وَرَمَى بِهَا الْجُمُرَاتِ مِنْ	قَلْبٍ تَعَلَّقَهَا شَغَافَا ^(٢)
عَادَ الْحَجِيجُ وَقَدْ سَعَى	وَسَعَى وَيَأْبَى الْإِنْصِرَافَا
يَتَلَمَّسُ الْحُجُرَاتِ يَعْـ	رَفَهَنَّ قُرْبَى وَأَزْدَلَا ^(٣)
وَيَرَى بِكُلِّ ثَنِيَّةٍ	بَعْثًا لَذَكْرَى وَاكْتِشَافَا

(١) الضمير في «لها» يعود إلى براغ.

(٢) رمي الجمرات: رمى الحصى وهو منسك من مناسك الحج، الشغاف (بفتح الشين): غلاف القلب.

(٣) الازدلاف: التقرب.

عَرِيت فَرَا حَتِ بِالنَّدِيفِ —————
 حَتَّى الْمَسَارِجُ فِي الْكُؤَى —————
 وَشَتَا بِهَا وَكَأَنَّ هَ —————
 مَتَنَظُّرًا عَرَسَ الرَّيْبِ —————
 فِي الْبُضِّ تَدَثَّرُ التَّحَافَا^(١)
 خَفَرَاتٍ يَخْفُقْنَ ارْتِجَافَا^(٢)
 لَمْ يَشْتُ قَبْلُ، وَلَا أَصَافَا^(٣)
 عِ لَعْلَهُ يَرَعَى الزِّفَافَا^(٤)

* * *

آهِ عَلَى «ابْنِ الْعَبْدِ» إِذِ —————
 أَهْوَى «الطَّرَافَ» وَ «بِهَكْنَا» —————
 لَوْ عَادَ لَاحْتَصَرَ الْمَسَافَا —————
 لَرَأَى لَهُ وَسْطَ الْجَبَا —————
 يَتَبَرَّضُ اللَّهْوَ اشْتِفَا^(١)
 بَضًّا، وَأَنْ يَحْمِي الْمُضَافَا^(٢)
 لَدْنَا، وَحَيًّا، وَاسْتِضَافَا^(٣)
 لِ الْخُضْرِ مِنْ ثَلَجٍ طَرَفَا

(١) التديف : يريد الوفر (من الثلج) .

(٢) المسارج : جمع مرسجة . الكوى : جمع كوة وهي منفذ في الجدار .

(٣) شتا : أقام فيها أيام الشتاء . أصاف : أقام أيام الصيف .

(٤) المنتظر : المنتظر .

(٥) «ابن العبد» هو الشاعر الجاهلي طرفة صاحب المعلقة :

لَحْلُولَةِ أَطْلَالٍ يَبْرُقُةً تَهْمِدُ —————
 وَالْإِشَارَةَ هُنَا ، فِي هَذِهِ الْقِطْعَةِ إِلَى آيَاتِهِ فِيهَا :

فَلَوْلَا ثَلَاثُ هَرٍّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى —————
 فَمَنْ سَبَقِي الْعِمَازِلَاتِ بِشَرْبَةِ —————
 وَكَسْرِي إِذَا نَادَى الْمُضَافَ مُحَلِّسَا —————
 وَتَقْصِيرِ يَوْمِ الدَّجْنِ — وَالِدَجْنِ مَعْجَبَ —————
 وَحَقْلَكَ لَمْ أَحْفَلْ مَتَى قَامَ عُودِي —————
 كَمِيتَ مَتَى مَا تَعَلَّ بِالْمَاءِ تَزِيدُ —————
 كَسِيدَ الْغَضَا نَهْتَهُ التَّسْوِدُ —————
 «بِهَكْنَا» تَحْتَ الطَّرَافِ الْمَعْمِدُ —————

وتبرض اللهو تبرضا : اشتفه اشتفافاً أي تعاطاه بترارة وبقلة .

(٦) الطراف : الخيمة والطب ، أو البيت من الأدم ، وهو الجلد . البهكنة : المرأة السمينة الحميلة .

المضاف : هو من استفرد وأحيط به في الحروب أو الملتجى وهو المستضعف أيضاً .

(٧) المساف : المسافة .

لاعتاضَ عن حَلَبِ العصيرِ رِ مثنى به عَلَجٌ ودافاً^(١)
حَلَباً تَقَطَّرَ من شفا ه الغيْدِ يُعْتَصِرُ انتزافاً^(٢)
وعن «البهاكين» كلُّ رو دِ تُسرج الليلَ الغدافاً^(٣)

* * *

أ «أبها هدى» شوقٌ يُلحُّ ولا عَجٌّ يُذكي الشِّعافاً^(٤)
شوقُ المُبَارحِ لم يغيِّرْه البعْـداً، ولا تجافى
يا منتج الدررِ الحِسا نِ معانِياً غُرّاً ظرافاً^(٥)
يقطرن إبداعاً، وإيـ شِاراً وحبّاً، وانتصافاً^(٦)
نُبئتُ أنكَ تُوسع الـ أزياءَ عَتّاً، واعتسافاً^(٧)
تقفو خطي المتأنقفا تِ كسالكِ الأثرِ اقتيافاً^(٨)
وتقميس بالأفتار أر ديةً بحجّةٍ أنْ تُنافى^(٩)
ماذا تُنافي؟ بل ومما ذا ثَمٌّ من خلُقٍ يُنافى؟

(١) حلب العصير: يراد به الخمر... المحلوبة من عصارة العنب. العالج: في الأصل السمين الغليظ واستعير لأبناء الأقوام من غير العرب وغير المسلمين منهم بخاصة ويريد به الساقى. داف: مزج وخلط.

(٢) يعتصر انتزافاً: يؤخذ كله من «نرف البئر» إذا استخلص ماؤها.

(٣) الرؤد من النساء: الشابة الحسنة وقد سهل الشاعر الهمزة جرياً على الاستعمال. تسرج تنير. الغداف: الأسود.

(٤) أبو هدى: كنية السيد «عماش». الشعاف (بكسر الشين): جمع شفعة (بالتحريك) وهي ملتقى نياط القلوب، ويذكي الشعاف: يشعلها.

(٥) الانتصاف: هو الأخذ بالعدل للحقوق المفضوية، أي الانصاف.

(٦) العت: كالتعت أي التشدد والتعنت. الاعتساف: التعسف والظلم.

(٧) تقفو: تتبع. الاقتياف: هو التعرف على مسالك السالكين من تتبع خطاهم على الأرض. المقنافون: الفئات المتخصصة بذلك.

(٨) الافتار: جمع فتر (بكسر الفاء) وهو ما بين طرفي السبابة والابهام إذا فتحتهما. تنافى: تنافى والتقاليد.

حوشيت ، أنت أرق حـا
 لصقاً بالحجى
 ي العفاف مقاس أقـ
 في الضمائر لا تُخـا
 ! يخف عُقبى الضمير
 شيةً ، ولطفاً ، وأنعطافاً^(١)
 وألدُّ بالعدل اتصافاً^(٢)
 حشة ؟ ظلمت إذن عفافاً
 ط ولا تقصُّ ، ولا تكسافى^(٣)
 ر فمن سواه لن يخافاً

* * *

يا قائد الجيش اقتحاماً والتحاماً ، والتفافاً^(٤)
 طوق جهالات الحمى والنعنعات به الجزافاً^(٥)
 وتسقص كل جذورهسن فلا القوي ، ولا الضعافاً
 أشع الحياة ولطفها في موطن يشكو الجفافاً
 أقوى فلا المرح استجداً ولا الصداح ، ولا الهتافاً^(٦)
 وخللا كما تخلو الفيا في غير أتربة تسافى^(٧)

* * *

-
- (١) الانعطاف : العطف .
 (٢) الحجى : العقل . ألد : أشد ، يقال : رجل شديد لديد .
 (٣) تكافى : تكف أي تطوى ويخاط عليها .
 (٤) القطعة خطاب للسيد عماش بصفته العسكرية — فريق أو ركن — بعد أن كانت مخاطبته في القطعة السابقة بصفته الأدبية والشاعرية .
 (٥) الجزاف : التي لا أساس لها وغير صحيحة .
 (٦) أقوى : أقفر .
 (٧) الفياي : الصحارى . تتسافى أي تحمل الرمال وتلقفها .

يا من رأى فلِكَ النجـو م مشى بأكـوابٍ وطافـا^(١)
هذي الصـحافُ من الزبر جد رُحْن يَحْمِلُن الصِّحافـا^(٢)
ساعاً على ساعٍ وقـو فأ وانـتشاراً، واصطفافـا
ينعمـن بالكـدح الشريـف ف يوقـر العيشَ الكفـافـا
الساحـراتُ فمـن يردُّك أن يطـرن بك اختطافـا
والنـاعساتُ فمـا تُحسُّ الطـرفَ أغفـى، أم تغـافـا
والنـاهـدات يكـاد ما في الصـدر يُختـطـف اقتطافـا
والخـيراتُ النـاذرا ث النفسَ للطيب اعتكافـا
هدى المسـيـح إلى السـلا م على العيونِ طفا وطافـا
ودمُ الصـلـيب على الخـدو د يكـاد يُرتـشف ارتشافـا
علَّقـن في أوساطهـن مـآزراً بيضاً، خفافـا^(٣)
قـدر المسافِ مظنـة أو لا فمـن يدري المسافـا
ورددنهنَّ إلى الظهـو ر فكن أردفـةً رِدا فـا
سألتُ نفسي لا أربـو د لها عن «النحو» انصرافـا
أتري «المضاف إليه» أحـ ملى أم علاقتـه المضافـا
أحكمـن جارحـةً فجـا رحةً رسوخاً وانعطافـا
ما يعلُّ يعلُّ الكائنـا ت وما يخطُّ فقد أنافـا

* *

أ «أبا هدى» إن كنتُ مُتَّهماً، فخذ مني اعترافـا

(١) المراد بـ «فلِكَ النجوم» السقاة في مشرب «سلوفينسكي دوم» في «براغ» ويوضح ذلك بقية البيت .

(٢) الصحاف من الزبرجد : كناية عن الساقيات الحسان .

(٣) البيت والأبيات الأربعة بعده وصف للزّي الموحّد الذي يرتديه الجنس اللطيف في المشارب والمقاهي والمطاعم .

أَنِّي وَرَبُّ صَاغِهِنَّ	كَمَا اشْتَهَى، هَيْفَا لَطَافَا
وَأَدَقَّهِنَّ وَمَا وَنَى	وَأَجَلَّهِنَّ، وَمَا أَحَافَا ^(١)
لَأَرَى الْجِنْسَانَ إِذَا خَلَّتْ	مِنْهُنَّ أُولَى أَنْ تُعَافَا ^(٢)
لَوْ قِيلَ مَا سَفَرُ الْحَيَا	ةٍ؟ لَقِيلَتْ: مَا كُنَ الْغِلَافَا ^(٣)
أَوْ قِيلَ: كَيْفَ الْحُبُّ قَلَا	تَ بَأَنْ تُدَاءَ فَمَسَا تَشَافَى ^(٤)

(١) الونى : التعب . أحاف : جار وظلم ، ويريد حاف ، وهي من تنبيهات الشراح في طبعة بغداد .

(٢) تعاف : تهجر .

(٣) سفر : كتاب .

(٤) يداء : أي يصاب بالداء وبالمرض . تشافى : تبرأ من المرض .

يا ابن الفراتين

- ألقى الشاعر قصيداً منها في مهرجان الشعر ببغداد في شهر نيسان عام ١٩٦٩
- نشرت في جريدة «النور»، العدد ٢٢١ في ١٣ تموز ١٩٦٩

يا آبن الفراتين قد أصغى لك البلدُ
زعمٌ بحبك منه الفخرُ إن صدقوا
ولن يهونَ بثُّ ما تجيشُ به
ما بين جنبيك نبعٌ لا قرارَ له
إذا تخلَّصت من همٍّ أطاحت به
كأن نفسك بُقيا أنفسٍ شقيت
وأنهم حلبوا الأيام أضرعها
فاضت على الكُرة الجوفاء وأنطلقتُ

زَعَمًا بأنك فيه الصادحُ الغرِدُ
أو لا . فواجِدُ همٍّ بثُّ ما يجد
وقد تَهوُّنُ على النفائِة العُقَدُ^(١)
من المطامح يستسقي ويرتفدُ^(٢)
شَبَّتْ همومٌ على أنقاضه، جُدُد
وكلُّ ذنبٍ ذويها أنهم وُجِدُوا
حتى إذا محضتهم دَرَّها زَهَدُوا
تُوفي على عالمٍ أوفى وتفتعدُ^(٣)

(١) النفائات في العقد : الساحرات اللواتي يعملن سحرهن في العقد المشدودة فتتحل من نفسها امجاناً
منهن في القدرة على السحر .

(٢) يرتفد : يطلب الروافد .

(٣) توفي : تشرف . أوفى : أوسع . تفتعد : تقعد استقراراً .

مُشَعَّعَاتٌ وَلَيْلٌ حَوْلَهَا طَبَقٌ وِطَاهِرَاتٌ وَرِجْسٌ دُونَهَا نَصَدٌ^(١)
يَرْتَادُ فِي سُوحِهَا كَوْنٌ بِأَجْمَعِهِ وَمَا لَهَا سَبْدٌ فِيهِ وَلَا لِبَدٌ^(٢)
وَيَسْتَقِي دَمَهَا جَيْلٌ وَيُنْكِرُهَا وَيَغْتَذِي رَوْحَهَا خَلْقٌ وَتَعْتَفِدُ^(٣)

* * *

يَا أَبْنِ الْفِرَاتَيْنِ لَا تَحْرَنْ لِنَازِلَةِ أَغْلَى مِنَ النَّازِلَاتِ الْحَزْنَ وَالْكَمْدِ
دُوحِ الرَّجُولَةِ لَا تَلْوِي الرِّيحَ بِهِ لَكِنْ تُسْفِضُ أَوْرَاقاً وَتُخْتَضِدُ^(٤)
وَلَا تُلْدُ بَتَعَلَّاتٍ مَسُوفَةٍ وَلَا يَكْتَفُكَ صَبْرٌ حَبْلُهُ مَسَدٌ^(٥)
فَمَا التَّأْسَى إِذَا لَمْ يَنْفِ عَنْكَ أَسَى وَمَا التَّجَلُّدُ إِنْ لَمْ يَنْفَعِ الْجَلَدُ
لَمْ يُبْقِ أَمْسُكَ مِنْ عَقْبَى يَلَسْدُ بِهَا يَوْمَاكَ إِنْ شَقِيقَ الطَّارِفِ الثَّلْدِ^(٦)
وَحَلَّ نَفْسَكَ تَجَرُّرٌ مِنْ أَعْنَتِهَا رِسْلاً تُرَاوِحُ، أَوْ تَشْتَدُ، أَوْ تَخْبِدُ
فَإِنْ أَفْطَعَ مَا فِي الْكَوْنِ مَضْطَهَداً خَوَالِجٌ فِي حَنَائِي الصَّدْرِ تُضْطَهَدُ^(٧)
وَمَا ضَمَانَةٌ قَوْلٍ لَا شَفِيعَ لَهُ مِنَ الضَّمِيرِ وَلَا مِنْ ذِمَّةٍ سَنَسَدُ
وَلَا تَحَاوِرْ بِمَا اسْتَصَفَيْتَ مُعْتَقِداً وَلَا بـ «كَيْفَ» وَ «مَاذَا» رُحْتَ تَعْتَقِدُ

- (١) مشععات : مشعات . طبق : مطبق ظلاماً . نضد : متراكم .
(٢) الهاء من سوحها يعود على الأنفس ، وما لهذه الأنفس في الكون سبد ولا لبد أي لا قليل ولا كثير ،
والعرب تقول ماله سبد ولا لبد أي ماله وير ولا صوف أي ليس له إبل ولا غنم .
(٣) تعتقد : تغلق بابها على نفسها فلا تسأل أحداً حتى تموت جوعاً .
(٤) الدوح : الشجر . لا تلوي الرياح به : أي لا تطيح . تختضد : والضمير يعود على الرياح — أي
تكسر .
(٥) لا تلد بتعلات مسوفة : لا تلجأ إلى أسباب لا تتحقق . حبل مسد : حبل من ليف أي قوي .
(٦) الطارف : الطريف أي الجديد . التلد : التليد أي القديم وقد أصبحا سواء لديه .
(٧) المضطهد : (مبني للمجهول) : أي من اضطهد .

ولا تغالط فقد أغناك زُخْرَفَةٌ
لا تقترخ جنسَ مولود وصورته
وقل مقالة صدق أنت صاحبها
وما تخاف . وما ترجو وقد دلفت

من قبل ألفين فيما صاغه «لَبْدُ»^(١)
وخلها حرة تأتي بما تليد
لا تستمين، ولا تخشى، ولا تعد^(٢)
سبعون مثل خيول السبق تطرد^(٣)

* * *

أمس استضافت عيوني في الكرى شبحاً
ناشدته وعلى أثوابه غلق
ووجهه كشعاع الفجر منطلق
وفيه تأليفة من هيكلي عجب
أنا آبن «كوفتك الحمراء» لي طُوب
جوار كوخك لا ماء ولا شجر

به تلاحم أمس مُشرق وغد^(٤)
من الدماء، ومن حياتها زرد^(٥)
وعينه كوميض الجمر تتقد
فيه الحمامة جنب النسر تتحد
بها، وإن طاح من أركانه عمد^(٦)
ولصق روحك لا مال، ولا صفد^(٧)

(١) لبـد : لبـيد . ولعل الشاعر يشير الى قصيدته العينية في رثاء أخيه :

بلينا وما تلي النجوم الضوالم وتبقى الديار بعدنا والمصانع
(٢) الضمير في تستمن يعود على المقالة .
(٣) دلفت : مرت .

(٤) استضافت عيوني في الكرى شبحاً : كناية عن الطيف إذ تنطبق عليه العيون فكأنها تستضيفه ،
والشبح المقصود هو المتنبي . وتلاحم أمس المشرق والغد يراد به تلاقي الحضارة والتراث العربيين في أعز
العصور العباسية .

(٥) العلق : هنا الدم الشديداً العليظ والمتيس منه على وجه التخصيص . الزرد : هو الدرع — المزرودة —
ذات الزرد والخلق . وفي البيت تشديد على هيئة الشبح — شبح المتنبي — المصبغة بالدماء . ذلك أن
المتنبي قتل بالقرب من دير العاقول على نهر الفرات ، وهو في طريقه من «شيراز» إلى بلدته الكوفة ، وكان
مقتله على يد «فاتك» لسبب يكاد يكون سراً مجهولاً حتى الآن .

(٦) البيت إشارة إلى مجاورة الشاعر منشأً ومسقط رأس ، وموقع دار لأبي الطيب المتنبي وذلك لأن النجف
لصق الكوفة . والعجز من البيت تعبير عن أن الطنب الذي ينزله الشاعر — ويريد به بيته — في الأرض
المشتركة بينهما قد أطاح الزمن بعهد مهم من أعمده يعنى المتنبي نفسه .

(٧) الصفد : العطاء ، الخير .

ولا شكاةً أيشكو السيفُ منجرداً؟ لا يُخلُقُ السيفُ إلّا وهو منجرد
 خَبَّتْ بنا فارعاتُ الجو نُوسِعُها ذرعاً، وخَبَّتْ بك الزّيافة الأجد^(١)
 فكُنْ أبا «الطّيب» الجبارَ لي مدداً ولي بما صُعْتُ من «جبارة» مدد^(٢)
 يا شاغلَ الدهرِ أجيالاً وأحقيبةً ومتعبَ الناس من ذَمّوا ومن حمّدوا
 ويا مُعرّي أطباعٍ وما خَبّأت ويا محطّمَ أصنامٍ ومن عبدوا
 على الوجوه مشّت أكذوبةً عَرَضُ وقرّ تحت الجلودِ الجوهرُ النّكد^(٣)
 أقسمتُ أنّك عملاقٌ به غَلِقَ لا الأرضُ عن سيره تُنبئ ولا اللّحد^(٤)
 يدُ «لفاتك» كانت آلةً رُفِعَتْ وراءها خُبّعتُ من آخريّن يد
 أبا «محسّد» دنيا رُحّت تَمَحّضها فما تَلَقّفُ إلّا ما نفى الرّؤسّد^(٥)

* * *

(١) فارعات الجو : الطيارات : خبت : سارت وهي هنا : طارت . الزيافة : الناقه . الأجد : القوية الخلق .
 (٢) القطعة حتى البيت :

وكان «كافور» فرداً تستقيم له واليوم شتّى «كوافير» وانفرد
 استعراض ونقد وتحليل للعالم العربي الذي عاش فيه المتنبي ، ومجتمعاته وأنظمتها ، وطابع النفوس فيه ،
 وتركيزه على وجوه مقارنات عديدة ، وألمة كذلك ، بينه وبين العالم العربي الذي ينوء بثقل باهظ من
 رواسب العصور المظلمة ، ومن مخلفاتها ، ومن أنظمة الحكم شبه الفردية فيها ، ومن عقد النفوس ، واختلال
 الطبائع ، وضياح المقاييس . و «ابن عباد» هو الوزير المستبد ، والأديب الضليع ، وكان من ألد أعداء
 «المتنبي» لمحض أنه امتنع بأبأه عنيد عن مدحه فكان من ذلك أن أغرى به كل شعراء بغداد ومتشاعريها ،
 بشتمه ، وقذفه ، شتماً وقذفاً فظيعين وكانوا — كما قيل — نيفاً وأربعمائة شاعر ومتشاعر . و «كافور» هو
 الأخشيدي أمير مصر ، وبر الشام ، الذي قال فيه المتنبي غرّاً محجلة من قصائده بادىء ذي بدء ، ثم برم
 به وبتجربه ، ونخله ، وخبسه إياه بين الحرمان في الإقامة ، والمنع عن الترحل ، حتى كانت الفرصة السانحة
 للمتنبي ليلة عيد أضحى شغل بها كافور ، ورجاله ، والناس أيضاً عن كل شيء إلا بمهرجانات العيد ،
 وأفراحه فانسل المتنبي في جنح الليل هاربا ، سالكاً دروباً وعرة ، مجهولة ، سالما بنفسه ، وعندئذ ، وابتداء من
 مرحلة الحرب هذه ، ابتداءً تسلق «كافور» بما لم تسلق به الديكة الرومية من حرارة وقوة وفوران .

(٣) عرض : صفة للأكذوبة . النكد : صفة للجوهر وهو الضيق والشدة . وعرض ونكد من باب الوصف
 بالمصدر .

(٤) به غلق : أي به انغلاق .

(٥) محض اللبن : حركه ليستخلص منه الزبد ، ويريد هنا اختبر الدنيا فما وجد فيها زبداً وإنما وجد نفاية .

يُزْهِى، وَأَنَّ نَدْيَ الشَّعْرِ مُحْتَشِدٌ^(١)
 سَيَّانٍ مُقْتَرِبٌ مِنْهُ وَمَبْتَعِدٌ
 وَلَيْتَ يُنْظَمُ قَصْدُ كُلِّهِ قَصْدٌ^(٢)
 وَزَادَةُ الشَّعْرِ لَوْ لَمْ يَكْثِرِ الْعَدَدُ
 زَيْفٌ، وَلَمْ تَمْشِ فِي مُخْضَرِّهِ عُقْدٌ
 وَلَوْ يَشَاوُونَ فِي سُمِّْهَا تَفَقَّدُوا^(٣)
 أَمَلُوا عَلَى الدَّهْرِ مَا حَلَّوْا، وَمَا عَقَّدُوا^(٤)
 وَيُخْتَمَانِ بِأُسْبُوعٍ وَيَنْعَقِدُ^(٥)
 وَالشَّمْلُ مَنْأً، وَمَا نَزَّأِي بَدَدٌ
 وَلَا يِيَالِي بَأَنَّ نَرْضَى بِهِ أَحَدٌ

خُجِّرَتْ لِلنَّثْرِ فِي «بَغْدَاد» مُؤْتَمَرٌ
 فَقُلْتُ لَيْتَ نَدْيَ الْحَبِّ يَجْمَعُنَا
 وَلَيْتَ يَلْتَمَّ شَمْلُ كُلِّهِ كِسْرٌ
 يَا قَادَةَ الْفِكْرِ، لَوْ لَمْ يَصْفَوْهُمْ
 وَصَاغَةَ الْحَرْفِ لَوْ لَمْ يَغْشَ رَوْنَقَهُ
 تَضَاءَلُوا فِي مُلَاعَاتٍ تُخَاطُ لَهُمْ
 وَعَقَّدَتْهُمْ حَزَازَاتٌ وَلَوْ خَلَصُوا
 أَكُلَّ عَامِينَ يُمَسِّي شَمْلُنَا بَدَدًا
 وَنَسْتَدِيرُ إِلَى عَامِينَ بَعْدَهُمَا
 مَا إِنْ تُبَالِي بَأَنَّ نَرْضَى بِهِ أَحَدًا

* * *

وَأَنَّ فِي الْقَوْلِ إِصْدَارًا لِمَنْ يَرِدُ
 كَأَنَّنَا مِنْ رَعِيلٍ مَجْرَمٍ طَرَدٌ^(٦)
 وَلَا تَقْطُرُ مِنْ بَحْرِ النَّدَى ثَمَدٌ^(٧)

لَا تَغْضَبُوا إِنْ فِي عَثْبٍ مُحَاوَرَةٌ
 سَبْعُ رَمْتِنَا وَلَمْ تُجْرِمْ بِقَارَعَةٍ
 فَمَا اسْتَدَارَ فَمٌ مِنْكُمْ وَلَا قَلَمٌ

(١) الندي: النادي وهو مجتمع القوم.

(٢) قَصْدٌ: جمع قَصْدَةٍ وهي الكيسرة.

(٣) مُلَاعَاتٌ: جمع مُلَاعَةٍ وهي العبادة. سَمُّ الْآبَةِ: وسم الخياط ثقبها. نَفَذُوا: اجتازوا.

(٤) خَلَصُوا: صَفَوْا جَوْهَرًا.

(٥) يُشِيرُ بِالْعَامِينَ إِلَى أَنَّ مُؤْتَمَرَ الْأَدْبَاءِ الْعَرَبِ كُلِّ عَامِينَ وَبِالْأُسْبُوعِ إِلَى مَدَّةِ الْمُؤْتَمَرِ.

(٦) يُشِيرُ بِـ «سَبْعُ» إِلَى السَّنَوَاتِ الَّتِي قَضَاهَا مُغْتَرِبًا فِي بَرَاغٍ. رَعِيلٌ: قَطِيعٌ. طَرَدٌ: مَطْرُودٌ.

(٧) الثَّمَدُ: الْقَلِيلُ مِنَ الْمَاءِ.

سَبَّعَ عَجَافٌ، وَقَدْ كُنَّ السَّمَانَ لَكُمْ
فِيهَا اللَّهُ وَاللَّهُى، وَالْجَاهُ، وَالرَّغْدُ^(١)
عَلَى الْمَوَائِدِ أَكْوَاباً وَأَطْعَمَةً
مَنْ شَاءَ يَحْتَرُّ أَوْ مَنْ شَاءَ يَتَرَدُّ^(٢)

* * *

وَصَاحِبِ لِي لَمْ أَبْحَسُهُ مَوْهَبَةً
نَفَى عَنِ الشَّعْرِ أَشْيَاحاً وَأَكْهَلَةً
كَأَنَّمَا هُوَ فِي تَصْنِيفِهِمْ حَكَمٌ
وَمَا أَرَادَ سَوَى شَيْخٍ بِمُقَرَّرِهِ
مَهْلاً رَوَيْدَكَ لَا تُعِيدُكَ مَوْجِدَةً
بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَجْيَالٌ مُحَكَّمَةً
وَإِنْ مَشَتْ بَعْتَابٍ بَيْنَنَا بُرْدٌ^(٣)
يُزْجَى بِذَاكَ يِرَاعاً حَبْرُهُ الْحَرْدُ
وَقَوْلُهُ الْفَصْلُ مِثَاقٌ وَمُسْتَنَدٌ
لَكِنَّهُ خَافَ مِنْهُ حِينَ يَنْفَرْدُ^(٤)
عَنِ السَّبِيلِ سَوَاءً نَهَجَهَا جَدَدٌ^(٥)
عَلَى ضَمَائِرِهَا فِي الْحُكْمِ يُعْتَمَدُ

* * *

يَا شَاتَمِيَّ وَفِي كَفْيِ غَلَاصِمِهِمْ
وَعَاضِيَّ وَفِي أَفْوَاهِهِمْ شَلَلٌ
كَمَوْسَعِ اللَّيْثِ شَتْمًا وَهُوَ يُزْدَرَدُ^(٦)
أَرْخَى الشَّفَاهُ، وَفِي أَسْنَانِهِمْ دَرَدٌ^(٧)

(١) عَجَافٌ: هَزِيلَةٌ. اللَّهُى (بِالضَّمِّ): جَمْعُ لُهْوَةٍ وَهِيَ الْعَطِيَّةُ. وَاللَّهَى (بِفَتْحِ اللَّامِ): جَمْعُ شَاةٍ. وَقَدْ أَثَرُ
عَنِ الْعَرَبِ أَنَّ «اللَّهُى تَفْتَحُ اللَّهُى» أَيْ أَنَّ الْعَطَاءَ يَدْفَعُ إِلَى الْقَوْلِ (الْمَدِيحِ) فَكَانَ الشَّاعِرُ يَرِيدُ: أَنْكُمْ كُنْتُمْ
تَقُولُونَ أَيْ تَمْدَحُونَ فَتَقْبِضُونَ الْمَالَ فَتَعِيشُونَ فِي نَجَاهٍ وَرَغْدٍ.

(٢) كَانَ الشَّاعِرُ نَصَبَ «أَكْوَاباً وَأَطْعَمَةً» بِتَقْدِيرِ فَعِلٍ مَحْذُوفٍ هُوَ «تَجِدُونَ الْجَادَ وَالرَّغْدَ أَكْوَاباً
وَأَطْعَمَةً».

(٣) بُرْدٌ: جَمْعُ بَرِيدٍ (أَيِ رِسَالَةٍ).

(٤) شَيْخٌ بِمُقَرَّرٍ: الْمَقْصُودُ بِهِ هُوَ «الْجَوَاهِرِي» نَفْسُهُ.

(٥) مَوْجِدَةٌ: غَضَبٌ. جَدَدٌ: مَمْدُودٌ.

(٦) الْغَلَاصِمُ: جَمْعُ غَلَاصِمَةٍ وَهِيَ رَأْسُ الْخَلْقُومِ، وَالْخَلْقُومُ: الْخَلْقُ فِي أَعْلَى النِّفَمِ.

(٧) عَاضِيٌّ: يَرِيدُ عَاضِيٍّ وَقَدْ فَكَّ الشَّاعِرُ الْإِدْغَامَ لِلضَّرُورَةِ كَمَا حَصَلَ لِلْمُتَعَبِّ فِي بَرِيئِهِ: «فَلَا يَبْرِمُ
أَمْرٌ لَدَيْهِ هُوَ خَالِلٌ» أَيْ خَالٍ.

أَتَلِطْمُونَ جَبِينَ الشَّمْسِ أَنْ قَذَيْتَ عِيُونُكُمْ فِيهَا مِنْ ضَوْئِهَا رَمَدٌ^(١)
أَمْ تُفْرِغُونَ مِاءَ الْبَحْرِ أَنْ نُضَبَّتْ حِيَاضُكُمْ فَهِيَ تَزُرُّ، مُوَحَّلٌ، صَرَدٌ^(٢)
يَا بَنَ «الرَّكَائِكِ» وَالْأَيَّامِ هَازِئَةً بِمِيتِينَ عَلَى مَا اسْتَفْرَغُوا جَمَدُوا^(٣)
مَا ضَرَّ مِنْ آمَنْتَ دُنْيَا بِفِكْرَتِهِ أَنْ زَيْدٌ صَفَرٌ إِلَى أَصْفَارٍ مِنْ جَحَدُوا^(٤)

(١) قذيت: أصابها القذى وهو ما يقع في العين وما ترمي به.

صرد (بفتحتين): قليل متقطع.

(٣) الركاك: جمع ركيكة، ويراد بها هنا السقاف الركيك من الشعر. والقطعة حتى البيت:
ما ضر من آمنت دنيا بفكرته ان ضيف صفر إلى أصفار من جحدوا
تنديد في معرض الدفاع، بنفر من أدعياء الشعر والأدب، تعرضوا للمشاعر، وتهجموا عليه تطاولاً واعتداء.
زيد: في ضبعة بغداد «ضيف» وهو مما نبه عليه الشارحون.

زوربا

● قطعة مستوحاة من رواية « زوربا » الشهيرة .

● نظمت في « براغ » عام ١٩٦٩

— ١ —

وارتمت من شفقٍ دامٍ

على الأرضِ جراحٌ ...

وجراح

وتهاوت فوقه ...

من مِرَقِ الغيمِ ..

صبياتٌ ملاح

و « الكراكي » عُصَبٌ دُكُنَّ

تشابكنَ جَنَاحاً ...

وجناح

وبعيداً ...

في ذرى الشرق
تُجيمات .. مراضٍ

وصباح

ثم راحت تنزى

من جديد
نجمة

في إثر نجمة

يتضرّين .. وهزّان من

الكون ...

ويستصغرن حجمه^(١)

لم تُفقه حرفاً ...

وطرنا بجناح الصمتِ خوفاً

كلّ آنٍ كان هذا الشرق

يزداد اشتعالاً

وحريقٍ فيه يمتدُّ

ويشتطُّ انتقالاً^(٢)

فتضوي «أجمة» كانت ...

ظلاماً ...

إثر «أجمة»^(٣)

* * *

(١) يتضرّين : يغرين .

(٢) اشتط : خرج عن الطريق السوي .

(٣) تضوي : تضيء . أجمة : مجتمع الشجر .

سَكَنَ الْبَحْرُ ...

وفوق الأرضِ قد أغفت ..

على ضوءِ النجومِ

ساد صمتٌ ...

أُثِّي صَمِتٍ

خطرٌ فيه .. وسحرٌ

وأحاسيسٌ .. وشعرٌ

كان صمتاً أبدياً ..

يتحدى كلَّ صَمِتٍ

صَنَعْتُهُ مِنْ هُوى أَعْمَاقِنَا

شَتَّى أَلْوَفِ الصَّرَخَاتِ^(١)

لم تمزقْ سحرَهُ ...

رنةُ طيرٍ

لا ولا نبحةُ كلبٍ

غيرَ ما خَفَقَ جَنَاحَيْنِ ...

مَروَعَيْنِ ...

يَرَفَانِ بقلبي

* * *

كنتُ مخموراً بكأسِ الليلِ

لكنني أُحِسُّ

(١) هوى : جمع هوة .

أعراق صُدغي

كَاذَ من عُنْفٍ يُجسُّ

قلْتُ في نفسي ...

وهزَّت رِعدةً صماءً

صدري :

أهَيَّ « ترنيمَةُ نمرٍ » ؟

ثُمَّ في « الهند »

إذا أرخى دجى الليلِ

سدولُهُ

يتغنَّونَ بلحنٍ :

يُرجِفُ الرُّعبَ ..

هديلُهُ

وطَفِفتُ أُبرِدُ في مياهِ البحرِ

صُدغي

حرَّانَ ..

من ألمٍ

ولدغٍ

لكنَّ صدري ..

ظَلَّ مثلَ الغابِ

يزأُرُ فيه « حُرٌّ »

وزعازعٌ سوْدٌ ...

تَمُرُّ

في هيكلي «نمر»

وفي شجري تفجر ...

ألف نسغ^(١)

متوحش كالبحر ...

يرغي

وكخفقة «الوحي» الوحي^(٢)

سمعت «بُذا» وهو يعزف :

في لحن الاصطبار

(١) النسغ : ما يسيل من الشجر إذا قطع .

(٢) الوحي . (بالتشديد) : السريع .

وصفت عيني

- مقطوعة نظم منها أبياتاً في براغ عام ١٩٦٩ . فقد كان يجلس ذات مساء في أحد مشاربها الشهيرة ، فيولا ، وحيداً طبعاً ! وإذا به يجد أمامه فتاة تجالس صاحبها ...
قال : لقد تسمرت عيناى بها ، فما استطعت من أسارها فكاكأ .. ومضى الوقت وأنا على حالتي هذه ، حتى شعرت بأنهما فطنا إلى حالي ، عند ذاك صرفت عيني ، وامتدت يدي إلى جيبى لتخرج ورقة وقلماً ، فكانت أبياتاً هي أساس المقطوعة .
- نشرت مجلة «ألف باء» في العدد ٦٩ الصادر في ٥ تشرين الثاني ١٩٦٩ وفي صفحتها الأخيرة ، هذه الأبيات ، وقدمتها :
« في رسالة من الأستاذ الشاعر الكبير الجواهري من براغ أنه يتبها الآن لشحن مكتبته إلى بغداد . وهذا يعني بالنسبة له استقراراً طويلاً المدى . ويبدو أن رؤى « فيولا » ، وهي مسرح شعري مشهور في براغ ، لا تزال تدكي تشوقه الشاب . وهذا المقطع أرسله لأحد أصدقائه في «ألف باء» يوصلنا بالأجواء الطريفة التي يعيشها شاعرنا الكبير ، وإذا كان المقطع يحتاج إلى إضافة ، فإن وعده باستكمال القصيدة وارسالها إلى «ألف باء» سيرضي تشوق معجبيه ... فلنتنظر إذن .. وعسى ألا يطول الانتظار ! » ..
- أكملها عام ١٩٧٠

وصَرَفْتُ عَيْنِي وَهِيَ عَالِقَةٌ
 عَنْ كُلِّ مَا جَرَتْ الدَّمَاةُ بِهِ
 عَنْ دَوْرَةِ الْوَجْهِ الَّتِي انْسَجَمَتْ
 نَظَّتْ بِهِ شَفَتَانِ زُودَتَا
 جَمَعَ الشَّاتِ يُمْسُجُ مَرَشْفُهُ
 عَنْ رَوْعَةِ الْتَهْدِيدِ خَلَّتُهُمَا
 عَنْ كُلِّ مَا فِيهَا وَأَحْسَبُهُمَا
 حَتَّى لِأَحْجَلٍ أَنْ تُمَدَّ يَدِي

صَرَفَ الرُّضِيعَ بِرَغْمِهِ فُطِمَا
 مَا دَقَّ مِنْ شَيْءٍ وَمَا عَظُمَا
 وَجَمَالَ هَيْكِلُهَا الَّذِي انْسَجَمَا
 بِالذِّمَامِ وَعَتِ الشِّفَاهُ فَمَا^(١)
 عَبَقَ الرِّيعَ وَيَنْفُخُ الضَّرَمَا^(٢)
 مَتَوَزَّعَيْنِ إِذَا هُمَا التَّامَسَا
 خُلِقَتْ مَعَانِي لَمْ تَجِدْ كَلِمَا
 لَتَجُنَّدَ الْقِرْطَاسَ وَالْقَلَمَا

* * *

عَرَيْتُهَا خَلْسًا وَمَا أَثِمْتُ
 وَصَرَفْتُ عَيْنِي أَذْرِي أَلَمَّا
 كَانَ الْوَجُودُ أَرِيدُهُ عَدَمًا

وَوَجَدْتُ لَذَّةَ مُشْتَهِي أَثِمَا
 مِنْ حَيْثُ رُحْتُ أَضَاعِفُ الْأَلَمَا^(٣)
 وَيُرِيدُنِي أَنْ أُوْجِدَ الْعَدَمَا

(١) نطت : امتدت وبرزت .

(٢) يمخ : يقذف . الضرم : اشتعال النار .

(٣) أدري : أنقي .

همار عيسى

● في هذه القطعة الشعرية يمازح «الجواهري» صديقه الأستاذ جلال الطالباي : من زعماء الحركة الوطنية الكردية في العراق . على أثر حديث مداعب فيما بينهما .

١٩٦٦/١١/٢٠

شوقاً «جلال» وكَمْ بَثَّ وجدت به
ألفيْتُ قلبي ما اشتد العناء به
لقد حبيتك حباً لا يليقُ به
أقصد «جلال» ولا تُسرف، وكن حَكَمًا
كن خيّرًا طرياً لا لكاسره
«همار عيسى» فويقُ النجمَ مربوطه !
ولا تفكّر بمن هم دون حافره ..!
فإن تبالغ تجد منا ذوي نصّف
وإن تراحف بـ «جحش» صاد أرنبه !

عن كربه تسترقُ الروح تنفيسا
بالذكريات من الأحباب وأنوسا
حبُّ المجازات تمويهاً وتدلّيسا
عدلاً يميّز شريراً وقديسا
هش وليس خشيبُ العود مأيوسا
فإن تمثلت فاذاكر ممتطى عيسى
إن «الحمار» لمظلوم إذا قيسا
لا يخلطون مع «الرحمن» إبليسا
نرحف عليك بجحش صاد «طاووسا»

السبعينيات

يا غادة الجيك ويا سحرهم

- نظمت عام ١٩٧٠
- نشرت في ملحق العدد ٢٥٣ من جريدة «الجمهورية»، السبت ٢١ شباط ١٩٧٦

يَا غَادَةَ «الْجِيكِ» وَيَا سَحْرَهُمْ
من حُضْرَةِ المُرُوجِ؟ من حُمْرَةِ الدِّ
يَا غَادَةَ «الْجِيكِ» وَيَا سَحْرَهُمْ
شَاءَ نَدَاكِ السَّمْحُ أَنْ يَلْتَقِي
رَفِيفُ صُدْغِيكِ الْمَنَى يَافِعاً
رَأَى عَلَى صَدْرِ كَسَقَطِ النَّدَى
غُنْجَانِ قَالَانِ، غُنْجُ الْهُوَى
أَدَارَ مِنْ رَأْسِيكَ خَذُّ الصَّبِّ
أَيْنَ اقْتَنَصْتَ كُلَّ هَذَا الْجَمَالِ؟
حُرُودٍ؟ مِنْ نَبْعِ بَسْفَحِ الْجِبَالِ؟
وَيَا مَهَاءَ مِنْ كِنَاسِ الْعَزَالِ!!^(١)
ضُرْبَانِ شَتَى مِنْ ضُرُوبِ الْمُحَالِ:
بِالْيَاسِ مِنْ رَفِيفِ شَيْبِ الْقَذَالِ^(٢)
مِنْ رَقَةٍ ثَقُلُ السَّنِينِ الطُّوَالِ
يَعْتَصِرُ الْقَلْبَ، وَغُنْجُ الدَّلَالِ^(٣)
وَأَجْهَزْتَ كَأْسَ عَلَيْهِ فَمَالِ

(١) كناس الغزال (بالكسر): بيته.

(٢) القذال: جماع مؤخر الرأس. الصدغ (بالضم): الشعر المتدلي على ما بين العين والأذن.

(٣) الغنْج والغُنْج: التكمّر والتدلل.

وَادَّوْرَتْ كِي تُقَطِّفَ الْوَجْتَانِ كَالثَّمْرِ الْغَضُّ اَدْلَى كِي يُنَالِ
كَأَنَّ مَا بَيْنَ انْعَاطَافِهِمَا لَوْلَسُوَّةٌ تَنْدَسُ بَيْنَ الرَّمَالِ

* * *

يَا غَادَةَ «الْجِيكِ» وَمَا إِنْ يَزَالِ أَبْعَدَ مِمَّا قِيلَ مَا لَا يُقَالُ
عَلَّمَنِي كَوْنُكَ فِي جَانِبِي إِنْ لَيْسَ شَيْءٌ مُعْجَزٌ لَا يُنَالُ
يَا غَادَةَ «الْجِيكِ» كَعْنِفِ الصَّبَا وَلِيْنِهِ عِنْدَكَ لَيْسُ «الصَّلَالُ»^(١)
سَوْفَ تَظْلُ الْفِكْرُ الْمُوحِشَاتُ تَجْتَرُّ مِنْ لُطْفٍ وَعَنْفِ الْوَصَالِ
خَمْسُ لَيَالٍ أَلْفَتْ بَيْنَنَا عَاشَتْ بِذِكْرَاهُنَّ شَتَّى لَيَالِ
إِذْ شَعْرُكَ الْجَعْدُ اَدْلَى فَادْنَى وَأَنْفُكَ الْحَلُوُّ تَعَالَى فَشَالِ^(٢)
وَإِذْ مَشَتْ عَيْنَاكَ فِي وَمُضَةٍ عَجَلَى كَخَفَقِ أُخْرِيَاتِ الذُّبَالِ^(٣)
وَإِذْ سَوَّلَ مَبْهَمٌ لَمْ يُجِبْ وَإِذْ جَوَابٌ لَمْ يَشَأْهُ سَوَّلَ
وَإِذْ رَوَى الْكَوْنُ وَأَحْلَامُهُ حَقِيقَةٌ وَإِذْ حَقِيقُ خِيَالِ
وَالْتَدُّ إِذْ يَسْطَعُ مِنْ مَجْمَرٍ مَا كُلُّ مَا يُعْرِفُ عَنْهُ يُقَالُ^(٤)

* * *

يَا غَادَةَ «الْجِيكِ» وَلَا تُنْكِرِي عُقْبِي الْهُوَى، فَالْحُبُّ دَاءٌ عُضَالُ^(٥)
يَعْتَصِرُ الْقَلْبَ بِأَوْجَاعِهِ حَتَّى إِذَا اشْتَدَّ بِهَا وَاسْتَطَالَ

(١) الصل: الحية القاتلة والجمع أصلال ولذلك وضع الشاعر (الصلال) بين قوسين .

(٢) شال: ارتفع .

(٣) الذبال: جمع ذبالة (بالضم) وهي الفتيلة التي تخرج أي تشعل للاضاءة .

(٤) الند (بالفتح) الطيب يسطع: يرتفع وينتشر . المجمر (بكسر الميم): ما يجعل فيه الجمر .

(٥) داء عضال: شديد لا ينفع معه علاج .

تَحِيْنْتُ مِنْ رَوْحِهِ فَرَصَةً كَعَنْزَةٍ « نَاشِطَةٍ » مِنْ عِقَالٍ^(١)
 يَا غَادَةَ « الْجَلِيكِ » وَأَعْجُوبَةً قَرُبُ الْمَوَاتَةِ، وَبُعْدُ الْمَنَالِ
 طَوْعُ يَدِي كَنْتِ، وَكَانَ الْهُوَى طَوْعُ يَدِ الْعَقْبَى، وَرَهْنُ الْمَالِ^(٢)

* * *

يَا غَادَةَ « الْجَلِيكِ » وَمُهْرُ الصَّبَا أَلْفَى لَهُ فِيكَ مَجَالاً فَجَالٌ^(٣)
 رَهْواً، طَلِيقاً كَنَسِيمِ الصَّبَا يَخْتَالُ مَا شَاءَ لَهُ الْإِخْتِيَالُ^(٤)
 لِي ثِقَّةٌ بِالنَّفْسِ أَنْعَشْتِهَا كَقَابِ قَوْسَيْنِ مِنَ الْإِنْخِلَالِ^(٥)

* * *

يَا غَادَةَ « الْجَلِيكِ » وَسَاوَى بِنَا أَنَا كَلِينَا عَرْضَةً لِلزَّوَالِ
 تَعَزِيَةً لِلنَّفْسِ فِي طَيْهَا لِمَنْ يَرِيدُ الصَّدَقَ قَوْلاً، مَقَالٌ

*

يَا غَادَتِي .. إِنَّ الدَّنَى جَنَّةٌ نَغْصَ مِنْهَا سُرْعَةُ الْإِتْقَالِ
 حَشْدٌ مِنَ الْخَلْقِ بِهَذَا الْمَجَازِ يَمُرُّ كَالْأَطْيَافِ سُرْعَى عِجَالٍ^(٦)

(١) ناشطة من عقال : فارة من قيد .

(٢) المال : المصير .

(٣) مهر الصبا : المهر ولد الفرس وقد كنى به عن شدة الصبا .

(٤) رهوا : سهلا . الصبا (بالفتح) ريح الجنوب . الإختيال : التبختر .

(٥) قاب قوسين : قدر قوسين أي قرية جدا .

(٦) المجاز : المعبر .

تَرَيَنَّ بَقِيصًا ذَكْرِيَّاتٍ تُدَالُ^(١)
 مالم يكن يَخْطُرُ يوماً يَسَالُ^(٢)
 نحنُ ومن أسلفَ منها ثَقَالُ^(٣)
 يذكو، وسؤرٌ من دموعٍ تُدَالُ^(٤)
 وَمَيْلَسُوسَةً عَلَى فَمٍ يُسْتَالُ^(٥)
 ووشوشاتٍ مثل همسِ التَّمَالُ^(٦)
 ثم انجلي النَّقْعُ وزالِ الْقِتَالُ^(٧)

يا غادتي .. إِنَّ الْغُبَارَ الَّذِي
 لو شاءَ ذا الهبَاءِ قولاً لَقَالُ
 لقال: إِنَّ الدهسَ طاحونةٌ
 لقال: إني هبسةٌ من هوى
 إني لَهَا الْقَبْلَاتِ الطُّوَالُ
 ذكرى يمينٍ عَلِقَتْ بِالشَّمَالُ
 ذكرى قلوبٍ عاجلتُ بعضَهَا

❖

مرارةُ الذكري بجلسو الخيسال
 أهونُ منه شَفَرَاتُ النَّصَالُ^(٨)
 مثلُ الهشيمِ الْيَبَسِ في الإشتعالُ^(٩)
 قدَحَ الزنَادِ الصلْدِ عُوْدُ « التَّمَالُ »
 كلُّ لِيَالِينَا عليها عَيْسَالُ
 حينَ نَبِيٍّ لا قِطْعَ الْفِصَالُ^(١٠)

يا غادَةَ « الْجِيكِ » وَكَمْ لُطِّفَتْ
 يا غادَةَ « الْجِيكِ » وَكَمْ خَاطِرُ
 يا غادتي: وسالِفُ الذكرياتِ
 تقدُّحُهُ الْخَوَاطِرُ الْمُلهَبَاتِ
 ما أَتَفَقَ الْعَمَرُ سِوَى بَرَهَةٍ
 نَحْنُ مِمَّا أَقْطِيعَتْ عَنْوَةً

(١) تدال: تغير وتبدل.

(٢) الهباء: دقاق التراب.

(٣) الثفال (بالكسر): الجلد الذي ييسط تحت رحي اليد ليقب الطحين من التراب.

(٤) السؤر: البقية. تدال: ترخص.

(٥) لهاث القبالات: حر القبالات.

(٦) التمال: جمع ثمل.

(٧) النقع: الغبار.

(٨) شفرات: جمع شفرة وهي الحد. النصال: السيوف.

(٩) اليبس (بسكون الباء): اليابس.

(١٠) النيب: جمع ناب أي الناقة المسمنة. الفصال: جمع فصيل وهو ولد الناقة إذا فصل عن أمه.

تُصَعَّدُ الزَّفَرَةَ عَنْ زَفَرَةٍ مَا دَبَّ فِي الْأَرْضِ «فَصِيلٌ» مِثَالُ
يَا غَادِي: وَقَدْ أَرْتَنِي الْحَيَاةَ أَنْ الْمَخِيلَاتِ سَرَابٌ وَآلٌ^(١)
يَصْطَنَعُ الْخَدُوعُ أَكْذُوبَةً كَيْمَا يُقَالُ إِنَّهُ فِي الرُّجَالِ

(١) الخيلة: المظنة. والآل: سراب يظهر ضحى بين السماء والسراب هو الذي يظهر في وسط النهار لاصقاً بالأرض.

ذكرى عبد الناصر

- تلقى الشاعر، وهو في براغ، دعوة من لجنة الاحتفال بالذكرى الأولى لوفاة جمال عبد الناصر فنظم هذه القصيدة وألقاها في الاحتفال (بالقاهرة) سنة ١٩٧١
- نشرتها جريدة «الأهرام» في عددها الخاص .

أَكْبَرْتُ يَوْمَكَ أَنْ يَكُونَ رِثَاءٌ
أَوْ يَرْزُقُونَ؟ أَجَلْ، وَهَذَا رِزْقُهُمْ
قَالُوا: الْحَيَاةُ: فَقُلْتُ: دَيْنٌ يُقْتَضَى
يَا أَيُّهَا النَّسْرُ الْمَخْلُوقُ يَتَقَيَّ
يَنْقُضُ عَجَلَاناً فَيَفْلِكُ صَيْدُهُ
أُنْثِيَ عَلَيْكَ، وَمَا الثَّنَاءُ عِبَادَةُ
دِيَّةُ الرِّجَالِ إِسَاءَتَانِ: مَقْلَلٌ
لَا يَعْصِمُ الْمَجْدُ الرِّجْسَالُ، وَإِنَّمَا
لَمْ يَخُلْ غَابٌ لَمْ يَحَاسِبْ عَنْسَدَهُ

الخالدون عَهْدُهُمْ أَحْيَاءُ
صِنُوا الْخُلُودَ وَجَاهَةً وَعِطَاءً^(١)
وَالْمَوْتُ قِيلٌ، فَقُلْتُ: كَانَ وفَاءُ
فِيمَا يَمِيلُ عَوَاصِفاً هَوَجَاءُ
وَبصِيدُهُ إِذْ يُحَسِّنُ الْإِبْطَاءُ
كَمْ أَفْسَدَ الْمُتَعَبِّدُونَ ثَنَاءُ
وَأَسَاءُ، جَنْبَ مَكْتَثَرٍ وَأَسَاءُ
كَانَ الْعَظِيمُ الْمَجْدُ وَالْأَخْطَاءُ
أَسَدٌ، بِمَا يَأْتِي صَبَاحَ مَسَاءُ

(١) صنو: قرين، مثيل هو والخلود مثلان .

تَحْصَى عَلَيْهِ الْعَائِرَاتِ، وَحَسْبُهُ
 قَدْ كُنْتُ شَاخِصَ أَمَةٍ، نَسَمَاتِهَا
 أَلَقْتُ عَلَيْكَ غِيَاضَهَا، وَمَرُوجَهَا
 كُنْتُ ابْنَ أَرْضِكَ مِنْ صَمِيمِ تَرَابِهَا
 تَحْضَنُ السَّرَّاءُ مِنْ أَطْبَاعِهَا
 مَا فَاتَ مِنْ وَبَاتِهِ الْإِحْصَاءُ
 وَهَجِيرَهَا، وَالصَّبْحَ وَالْإِمْسَاءُ^(١)
 وَاسْتَوْدَعْتُكَ الرَّمْلَ وَالصَّحْرَاءُ^(٢)
 تُعْطِي الثَّمَارَ، وَلَمْ تَكُنْ عُنْقَاءُ^(٣)
 وَتُلْمَ رَغْمَ طِبَاعِكَ الضَّرَاءُ^(٤)

* * *

قَالُوا: أَبُّ بَرٍّ فَكَانَتْ أَمَةٌ
 خَبَطْتُ كَعَشْوَاءٍ عُصُورًا، وَانْتَنَتْ
 وَانْصَعَتْ فِي سُودِ الْخُطُوبِ لَثِيمَةٌ
 وَبَرِمْتُ بِالطَّبَقَاتِ يَحْلُبُ بَعْضُهَا
 وَوَدِدْتُ، لَوْ لَمْ تَعْتَرِفْ شَرِيهِمَا،
 وَجِهَدْتُ أَنْ تُمْضِيَ قَضَاءَكَ فِيهِمَا
 أَسْفًا عَلَيْكَ، فَلَا الْفَقِيرُ كَفَيْتَهُ
 قَدْ كَانَ حَوْلَكَ أَلْفُ جَارٍ يَتَغْيِي
 أَلْفًا، وَوَحْدَكَ كُنْتُ فِيهَا الْبَاءُ^(٥)
 مَهْزُومَةٌ، فَأَثَرَتْهَا شَعْوَاءُ
 تُسْدي طَلَاتَعُهُ يَدًا بِيضَاءُ
 بَعْضًا، كَمَا حَلَبَ الرِّعَاءُ الشَّاءُ
 لَا الْأَغْنِيَاءُ بِهَا وَلَا الْفُقَرَاءُ^(٦)
 لُتْشِيدَ مَجْتَمَعًا يَفِيضُ هَنَاءُ
 بُوْسًا، وَلَا طَلَّتْ الْغَنَى كَفَاءُ^(٧)
 هَدْمًا، وَوَحْدَكَ مِنْ يُرِيدُ بِنَاءُ

(١) شاخص الأمة : نصيبها ورمزها العالي .

(٢) غياض : جمع غيبة وهي ماء يجتمع فينبت فيه الشجر .

(٣) العنقاء : طائر خرافي معروف الاسم مجهول الجسم .

(٤) أطباعها : أطباع الأرض .

(٥) أي أنت كالباء للألف في كلمة «أب» .

(٦) تعترف : تعرف .

(٧) لم يرتفع البؤس عن الفقير ولم يسترد الزائد من الغني .

لله صدرك، ما أشدَّ ضلوعه
تَلَجَ السياسةَ في تناقضِ حالها
كِرّاً، وإِحْجاماً، ورَقّةَ جانب
ورأيتَ في «أسوان» قدرةَ ساحرٍ
وبعثه حياً، ودُسَّتْ مشككاً
وقمرتْ شرٌّ مقاميرٍ وكسبتْه
ورَدَدَتْ كيدَ مكاييدٍ في نَحْرِهِ
ولففتْ رأسَ الأفعوانِ بذيلِهِ
وصنعتْ معجزةَ «القناة» ورُعتْهم

فِي شِدَّةٍ، وَأَرْقَهُنَّ رُخْصَاءَ
 فُطَايِقُ الْعِزْمَاتِ وَالْأَرَاءِ^(١)
 وَصَلَابَةٍ، وَسَلَاسَةٍ وَدَهَاءَ
 يَسْعَى لِيُوسِعَ مِيتَا أَحْيَاءَ
 وَصَفَعَتْ هَمَّازاً بِهِ مِثَاءَ^(٢)
 وَسَلَبَتِهِ أَوْرَاقَهُ السُّودَاءَ^(٣)
 وَاصْطَدْتَهُ بِشَبَاكِهِ إِغْرَاءَ
 وَقَطَعَتْهُ وَخْطَبَتْهَا بَثْرَاءَ^(٤)
 وَسَقَيْتَهُنَّ حَمَمَ الْجَحِيمِ الْمَاءَ

وعَصَرَتْ طَاقَاتِ الْجُمُوعِ ، وَرُزَّتْهَا
وَجَسَسَتْ أَوْتَارَ النَّفْسِ فَوَقَّعَتْ
أَلَقَتْ إِلَيْكَ قُلُوبَهَا وَعُرُوقَهَا
فَإِذَا نَطَقَتْ مَلَكَتْ مَهْجَةً سَامِعَ
وَإِذَا سَكَتْ أَشَاعَ صَمْتُكَ رَهْبَةً

فوجدتهَا _____ ولادةً عُشراءً^(٥)
 لك طَوْعاً أَنْعَامَهَا السَّمراءُ^(٦)
 سَمَحَاءَ مَا شَاءَ النَّسْدَى مَعْطَاءَ
 وَخَشَوْعَهَا، وَالسَّمْعَ وَالْإِصْفَاءَ
 حَتَّى يُخَالَ كَتَيْبَةَ خَرْسَاءَ^(٧)

(١) تطابق : تساوي .

(۲) ہماز مشاء : تمام .

(۳) قمرت : غلبت .

(٤) وخطبتها جراء : متديدة .

(٥) العشاء: الحامل لعشرة أشهر أي مكتملة الحمل متظرة التاج، كناية عن النضج.

(۶) طوغ : جمع طائم.

(٧) الكتيبة الخرساء: الكتيبة: الجيش، الخرساء: الداهية.

يا مصرُ يا حُلُمَ المشارقِ كُلِّها
يا بنتَ «نيلك» من عذوبة جرسِهِ
وربيبةَ «الهرمين» شاخاً إذ هما
تُلْقِيَنَ في السَّراءِ سحرَكَ كُلِّه
وتموِّينِ الدهرَ سبعاً خصبَةً
مشتَ القرونُ، وخَلَّتْ أسحارها
والصبحُ يصبُغُ وجنةً مشبوبةً
والشمسُ تَلْفُحُ سُمرَةً عرييةً
وَدَرَجَتِ في حَقْلِ «الحضارة» غَضَّةً
يا مصرُ، أحرَفُكِ الثلاثةُ كَنَّ لي
عشرينَ عاماً لم أزرُكِ وساعةً
لِمَ؟ لستُ أدري غيرَ أنَّ قصائدًا
وظللتُ أحسُّدُ زائريكِ، وخالِئتُني
من كلِّ حَذْبٍ ينسلون، ولم أكنُ
وَهَبِي ثَقِيلَ الظِّلِّ كنتُ فلم أطقُ

مذ عانت الأحلام والأهواءَ
نغماتُ جر رَفَّةً وصفاءَ
يتنَّيانِكَ صَبْوةً وفتاءَ
وتموِّعينَ بصبرِكَ الضراءَ
يُكْفِي بها سبعاً له جذباءَ
ترمي عليك الطلَّ والأنداءَ
والليلُ يكُحِلُ مقلَّةً وطفاءً^(١)
والنجمُ يُرْقِصُ قامَةً هيفاءَ
وبدأتُ به تَفاحَةً خضراءَ
لولا الغلوُّ، الوجدُ والإغماءَ
منهنَّ كانت منيةً ورجاءَ
عشرينَ لم تشفعُ لَدَيْكَ لقاءَ
رتعاءً، تحسُّدُ أختها العجفاءَ^(٢)
— وهواكِ — فيهم نسلَةٌ نكراءَ
أفما أَطَقْتُ — فديتكِ — الثقلاءَ

يا مصرُ، لي وطنٌ أُجِلُّ عطاءه
يغشى الدُّرُوبَ عليَّ حتى إنني
وَبمصرَ لي وطنٌ أطارَ بجوّه
أجدُ العوالمَ كُلِّها في سَفَحِهِ

وُحِبُّ فَيَّ سَمَاحَةً وعطاءَ
لَأُكَادُ أَفَقِيكَ في الزَّحَامِ رداءَ
ما لا أطارَ بغيره أحواءَ
سبحانَ خالقِ كونه أجزاءَ

(١) المقلَّة الوطفاء : طويلة الهدب .

(٢) الرتعاء : الشبعانة السمينة . العجفاء : الجائعة المهزولة .

يا سِدْرَةً في المنتهى لم تتعرّف
عاطي ظلالك «ناصرًا» فلطالما
وعليك يا فخر الكفاح تحية
إن تقضي في سوح الجهاد فبعدما
ولقد حملت من الأمانة ثقلها
نم آمنًا، سُمِّدُ رَوْحِكَ حرّة

إلا الظلال الخضر والأفياء^(١)
عاطي الجموع ظلاله وأفياء
في مثل روحك طيبة ونقاء
سَعَرْتُ فيها الرمل والرمضاء
لم تُلقِها بَرَمًا ولا إعياء
وسط الكفاح رفاقك الأمناء

عن

(١) تعترف : تعرف .

أقول : مللتها .. وأعود !

● نشرت في جريدة «الثورة» ، العدد ١٢٤١ في ٧ أيلول ١٩٧٢

أقول مللتها .. وأعود شوقاً
بلى وكأنني لن أثنى منها
ولا سالت بأكؤسها دهاقاً
ولم أعكف على مريض جفون
مضت عشر وعامان استقلا
كأني ما عشت .. ولا مللت^(١)
أماليد الغصون .. ولا أملت^(٢)
معطرة الحفاف .. ولا أسلت^(٣)
ولم أبرأ بهن .. ولا اعتلت
وما استعفيتهن .. ولا استقلت^(٤)

* * *

تَقُول ما يشاء خبيث طبع
بلوت طباعه حتى كَلَلت^(٥)

(١) الضمير في « مللتها » : يعود على براغ .

(٢) الأماليد : الغصون الناعمة — مفردا أملود .

(٣) الحفاف (بالكسر) : الجوانب . الدهاق : المتلثة .

(٤) عشر وعامان : المدة التي قضاها في براغ .

(٥) بلوت : تحيرت .

بأني حَوْلٌ .. إن أعوزْتُني
وأني ما طَلَعْتُ على صِحَابٍ
معاذَ اللَّهِ .. والخُلُقِ المَصْفَى
ولكنني وجدتُ السودَّ سوقاً
خَبَرْتُ النَّاسَ والأَيَّامَ حتَّى
كَذَاكَ خُلِقْتُ ما سَاوَمْتُ خِدَنِي
ولكن بالسَّجِيَةِ وهي صَفْوٌ
وجدتُ الحَسَنَ يَكْمُلُ بانتِقاصِ
وتنعدمُ الفُروقُ بلا عُيُوبِ

على الملات أعذارٌ .. أحلت^(١)
أُسْرُ بقرِيهِمُ .. إلا أَفْسَلْتُ^(٢)
وَحُرَّةَ طِينَةٍ منها جَبِلْتُ^(٣)
يراد بها تجار فاعتسرت^(٤)
يديا كليتين بما نَحَسَلْتُ
على العوراتِ منه .. ولا اهْتَبَلْتُ^(٥)
وبالنفس الرضية وهي صَلْتُ^(٦)
فلو قبض الكمال لما كَمَلْتُ^(٧)
فلو لم أَلِفَ عيباً لانتحلت^(٨)

* * *

ولو بي مَلَةٌ لِلْمَلِكِ طَبْعاً
ولا سَتَهَزَّتْ من فُرْصٍ وأخرى
ولكنني أَجُرُّ الذيلَ تَيمًا

يَجْشُمَنِي ، وعن شيمي عَدَلْتُ^(٩)
ومثل الزَّبَقِ السَّريعِ انتقلت^(١٠)
بِشُوبٍ قَبْلَ خَمْسِينَ اشتملت^(١١)

(١) حَوْلٌ : كثير التحول والتقلب . الملات : الملل .

(٢) أَفْلٌ : غاب .

(٣) جَبِلٌ : خلق .

(٤) التجار : التجارة .

(٥) اهْتَبَلٌ : انتَهَزَ ، افترس .

(٦) صَلْتُ : مستقيمة .

(٧) فيضٌ : حصل وتبهاً ، من « قاض » الأمر بفيض .

(٨) أي لانتحلت لنفسي عيباً أي ادعيته لها . أَلْفَى : وجد .

(٩) يَجْشُمَنِي : يعنيني ، يتعني .

(١٠) السريع : السريع .

(١١) اشتملت : لبست .

حَصِيلَةٌ مَا خَسِرْتُ وَمَا حَصَلْتُ
لَكُنْتُ بِهِ - كَمَا حَمَلُوا - حَمَلْتُ^(١)
أَجَلِي .. أَمْ كَبَا قَدْخُ أَجَلْتُ^(٢)
فَقَالَ بَمَا «تُصَبِّرُنِي!» جَمَلْتُ

وَيَزْهَوْنِي عَلَى الْقَصَبِ الْمَوْشَى
وَلَوْ حُمِّلْتُهُ كَذْوِيهِ غَلًّا
وَلَكِنِّي شَجَعْتُ .. فَمَا أُبَالِي
سَأَلْتُ الصَّبْرَ كَيْفَ جَمَلْتُ عِنْدِي؟

* * *

يَدِي .. وَكَأَنَّنِي بِدَمِي غُلَلْتُ!^(٣)
بِكَأْسِي مِنْ ثَمَالَتِهَا ثَمَلْتُ^(٤)
عَلَى كَيْفِي ذَوَائِبَهَا .. فَمِلْتُ
بِهِ خِلْتُ الَّذِي مَا كُنْتُ خِلْتُ^(٥)
عَرَجْتُ إِلَى السَّمَاءِ .. وَمَا نَزَلْتُ
وَكُمُ مِنْ قَوْلَةٍ ثَقُلْتُ فَقُلْتُ:
وَسَبْعًا إِنْ سَدَرْتُ .. وَإِنْ ضَلَلْتُ^(٦)

وَقُلْتُ لِمَا حَبَبِي وَالْكَأْسُ تُثْنِي
وَمَلْهَمَةٌ بِمَا تُثْلِقِي دَلَالًا
وَقَدْ ثَمَلْتُ .. فَمَالَتْ وَهِيَ تُرْخِي
وَأَصْدَاءُ مِنَ النَّعْمِ الْمَرْجَى
كَأَنِّي بِالْمَعَارِجِ مِنْ صَدَاهُ
لَعَمْرُ أَيْبِكَ لَا يُثْقِلُكَ قَوْلِي
أَرَى السَّبْعِينَ فِي رَشْدِي دُهِورًا

(١) الغل : القيد .

(٢) جلى : فاز ، ربح . كبا : عثر وخسر . جلت : حركت . القدح : السهم .

(٣) غل : قيد بالأغلال .

(٤) ثمل : سكر .

(٥) المرجح : سل .

(٦) سدر : بشيء ولم يبال ما صنع .

لَمِّي لَهَاتِيكَ لَمَّا ...

- نظمت عام ١٩٧٢ في براغ.
- نشرت في جريدة «الثورة»، العدد ١٤٠٤ في ٢٢ آذار ١٩٧٣

لَمِّي لَهَاتِيكَ لَمَّا وَقَسَّرِي الشَّفِيسَتِينَ
لَمَّا عَلَى جَمْرَتِينَ
بِالْمَوْتِ مَلْمُومَتِينَ
يَا حَلَاوَةَ الْمَشْرِيبِينَ مِنْ أَيْسَنِ كَانَ .. وَأَيْسَنِ
مَنْ صَنَعَ كِذْبٍ وَمَيْسَنِ
سَمَّوَهُمْ زَهْرَتِينَ

* * *

لَمِّي لَهَاتِيكَ لَمَّا وَقَسَّرِي الْجَمْرَتِينَ
وَبَاعَدِي الْخُصْلَتِينَ
إِمَّا نَظَرْتُ بَعِينِي

فالموتُ أَقْرَبُ مَمَّا بينَ الجديْلِ وبينِي^(١)
يا حلوةَ المشربِين من أينَ كانَ .. وأينَ
أثأربنَ بدئِي؟
أنتَ حتفي .. وخينِي

* * *

لَمَي لَهَاتِيكَ لَمَّا وقَرَّي الزَّهْرَيْنِ
جَهِراً يُقَطِّر سَمًّا
يا ثالثَ الكوثرِينِ
ما أَطْيَبَ السَّمَّ طَعْمًا
شَرِئْتُهُ مَرَّتَيْنِ
فزادني « أَقْرَبَيْنِ »
دماءً .. ولحمًا .. وعظمًا
لَمَي لَهَاتِيكَ لَمَّا وقَرَّي « المَعْدَيْنِ »

* * *

رَبِّينِ مُسْتَعِيدَيْنِ
يُجَدِّفَانِ عَلَيكَ^(٢)
فيمَا تَجَنَّبْتِ إِثْمًا
مَّمَّا .. وَمَمَّا .. وَمَمَّا

(١) الجدِيل : الشعر المصفور .

(٢) يُجَدِّفَانِ : يختلفان ويخرسان .

يا حلوة المشربين من أين كان .. وأين
لا تحذري اللعنات
فم طوع يدك
من يوسع الأثام لثما
والجمر ضمما .. ولما
ويستسبب السيك .. !

* * *

يا بنت هذا البدن يتيه بالأغديين
فوقه .. والدوين
أتومنين بدئين
أم تثارين بدئين
أم أنت حنفي وحيني

* * *

لمي لهاتيك لما وقري الشفتين
بابين للجناتين
والموت ما بين يمين
يا حلوة المشربين من أين كان .. وأين
بلي بذاك « اللسين »
فما تغشته حمي^(١)

(١) تغشته : غشيت ، أصابته وانتابته .

كسِنَ رُحْمَ رُدَيْنِي
لم يُرَوْ إِلَّا لِيُظْمَا

* * *

يا أعْذَبَ المِيتِينَ إنْ تَبَدُّ وَهْنَا لِعَيْنِي^(١)
أَسْطُورَةُ المَوْتِ وَهْمَا
فَالسَّرَ فِي الحُذُوعَتَيْنِ
إِنِّي حَبَبْتُكَ جَمًّا حُبُّ الثَّرَى لِلْمُزَيْنِ^(٢)
فَمَا أَبْأَلِي بِحَيْنِ
مَا لَامَسْتُ إِصْبَعَيْنِ
مِنْكَ اليَدَانِ اليَدَيْنِ

*

أَقْسَمْتُ بِالشَّمْعَتَيْنِ مِنْ عَسَجِيْدٍ .. وَلَجَيْنِ
بَتَيْنِكَ الْوَجْتَيْنِ
نَجْمِ يَضَاحِكِ نَجْمًا
أَقْسَمْتُ بِالْقَبْلَتَيْنِ بَتَيْنِكَ الْإِصْبَعَيْنِ
زَمًّا شَفَاهِي زَمًّا
أَنْ تَلْفِظَ «الْدُّرَّتَيْنِ»
إِنِّي أَحْبَبْتُكَ .. عِلْمًا
بِهُجْنَةِ «الكَلِمَتَيْنِ» !

(١) وهنا : وقتا .

(٢) الْمُزَيْن : مصغر مزن وهو جمع مزنة .

أَقْسَمْتُ بِالْكَوْنِ طُرّاً صَدْرًا .. وَنَهْدًا .. وَغَمْرًا

ومرتقى سی .. و مجرا

دنیا ٹعاشُ ... وأخیری

وَأَنْتَ لِي أَلْبَسُ عَيْنَ

سائلي عما يؤرقني ...

● نشرت، غير كاملة، في مجلة «الأقلام»، العدد الأول من السنة التاسعة،
حزيران ١٩٧٣

سائلي عما يؤرّقني ولا تسلّ عني .. ولا تُلمّ^(١)
حال رعبان الشُّموس ضحى وتمشّى الثلُجُ في الضّرَم^(٢)
وانطوت دُنَيَايَ في كفّني ونَقَضَتِ العُمُرُ كالْحُلُمِ

* * *

سائلي عما يؤرّقني أنا من ديمومة الظُّلُمِ^(٣)
أنا من أعماق وحشيتها أنا من ديجورها الهَرَمِ^(٤)
أنا أعمى في متاهتها كيفما حطّت بها قدمي

* * *

(١) يؤرقني : يسهرني .

(٢) الضّرَم : اشتغال النار .

(٣) ديمومة الظلم : الديمومة مصدر دام ، وديمومة الظلم : الظلم الدائم .

(٤) الديجور : شدة الظلام .

سائلي عَمَّا يُورَثُنِي
 أَنَا يَتَّبِعُوعُ مِنَ الْبَرَمِ
 أَنَا مِنْ إِعْصَارِ جَاحِمَةٍ
 فَإِذَا مَا هَزَّهَاسَا غَضَبُ
 رَاحَ يَمْحُو صَدَقَ جَاحِمَهَا
 أَنَا لِي جَفَنَانِ مِنْ حَجَرٍ
 فَإِذَا مَا أَطْبَقَا أُحْسِذَا
 فِي دَمِي تَمْشِي الْحُرُوفُ دَمَاءً
 يَتَهَاوَى الْفَكْسُ مَنْسَجَمَاءً
 وَالْعِذَارَى مِنْ سَوَانِجِسِهِ
 شَاءَ هُمُ النَّاسِ أَحْمِلُهُ
 لَمْ أَجِدْ فِي الْعُودِ مِنْ وَثَرٍ
 وَأَحْسَاسِي أَنْبِشُهَا
 كُلُّ شَوْهَسَاءٍ كَأَنَّهَا

أَنَا مِنْ دَوَامِسَةِ الْأَلَمِ
 أَنَا تَعْيِيسُ عَنْ السَّامِ
 طَوَيْتُ قَسْرًا عَلَى الْحُمَمِ^(١)
 يَتَحَدَّى الصَّبْرَ فِي الْإِزْمِ^(٢)
 عَنْ رِيَاءٍ كَاذِبُ النَّسَمِ^(٣)
 إِنْ يُصِيبُهُ اللَّيْلُ يَنْقَسِمِ
 تَحْتَ ظِلِّ الصَّارِمِ الْخُزْمِ^(٤)
 وَسُدَى تَهْفُو عَلَى قَلَمِي
 عَبْرَ حَرْفٍ غَيْرِ مَنْسَجَمِ
 تَرْقِي مَهْتَوَكَةَ الْخُرْمِ
 فَوْقَ هَمِّي أَنْ يُلَاثَ دَمِي^(٥)
 وَاحِدٍ يَقْوَى عَلَى نَغْمِي
 كَأَنْبِشَ السُّدُودِ فِي الرُّمِ^(٦)
 كُلُّ قُبْسَحٍ الْكَوْنِ مِنْ قَدَمِ

* * *

أَنَا يَأْمَنُ رُحْتَ تَجْهَلُنِي
 أَسْحَقُ السِّنِيَانِ يَغْمُرُنِي

عَبْدُ مَكْذُوبٍ مِنَ الْهِمَمِ
 نَوْرُهَا الْقَدْسِيُّ بِالْقَسَمِ

(١) الحمم: ما يحترق في النار — واحدتها حُمَمَةٌ .

(٢) الإزْم: جمع أزمة وهي الشدة .

(٣) الجاحم: المتوقد الملتهب .

(٤) الصارم الخزم: السيف القاطع .

(٥) لاث: خلط .

(٦) الرَّم: العظام البالية — مفردها رَمَةٌ (بالكسر) .

وَأَصْبُ الْجُرْحَ مَتَغَرًّا
 وَأَحْطُ السُّرُوحَ رَافِضَةً
 لِمُسْفَاتٍ مَوْزَعَةٍ
 تَحْدَانِي زَوَاحِفُهَا
 نَدَمٌ فِي إِثْمِهِ نَدَمٌ
 يَا حَبِيبِي وَالْمَنَى قِسْمٌ
 حَاجَةٌ رِيَمَتْ فَمَا امْتَنَعَتْ
 وَحَوِيحَاتٌ هَتَفَتْ بِهَا
 فَوْقَ جُرْحٍ غَيْرِ مَلْتَمِمْ^(١)
 كَبِيرَاءَ قَمَّةِ الْهَرَمِ
 كُمُشَاشِ الْعِظَمِ فِي الْوَضْمِ^(٢)
 تَفْضُحُ الْمَنَفُوشَ مِنْ وَرَمِي
 عَظْمَتْ كَفَّارَةُ النَّدَمِ
 يَبْنَ مَرْجُوٌّ وَمَغْتَنَمٌ^(٣)
 عِشْتُ مِنْهَا أَتْفَقُ الْقِسْمِ
 فَسَدَدَنَ السَّمْعَ بِالصَّمَمِ

(١) متغَر: مفتوح، غير ملتئم.

(٢) مسفات: دنايا. مشاش اللحم فيه. الوضم: الخشبة التي يقطع القصاب عليها اللحم — كناية عن حقارتها وتفاهاها.

(٣) قسم: أقسام.

يومان في «فارنا» ...

- كان الشاعر قد تلقى دعوة من اتحاد الأدباء البلغار لزيارة بلغاريا فلهاها ، وأمضى ، أثناءها ، يومين في فارنا ، أجمل مصايف بلغاريا .. فكانت هذه القصيدة .
- نشرت في جريدة «الثورة» ، العدد ١٥٢٢ في ٢ آب ١٩٧٣

ما لهذا الطبيعي البكر غضبي
 أَبْرَقْتُ، ثم أَرَعَدْتُ، ثم أَلَقْتُ
 عَبَسْتُ نَاعِمُ السَّنا وَشَفِيفٌ
 وَكَأَنَّ الْغُيُومَ فَوْقَ الْجِبَالِ الـ
 ثُمَّ يُلْقِي خَضِرَ الشَّفُوفِ عَلَيْهَا
 وَحَنَائِبًا جِنٌّ كَأَنَّ عَلَيْهَا
 بُدِّلَ الْكَوْنُ خِلْقَةً فَالْعُثْلُ

أَلَهَا أَنْ تَتَوَرَّعَ نَذْرٌ يُوقِي
 حِمْلَهَا تُوسِعُ الْبَسِيطَةَ قَصْفًا
 مِنْ سَدِيمٍ رَاضٍ الدَّجَى أَنْ يَشْفَا^(١)
 خَضِرٍ، فَوْقَ الْأَدْوَاغِ يَرْفَعْنَ سَقْفًا^(٢)
 ثُمَّ يَرْمِي بِهِنَّ شَفَاً فَشَفَا
 مِنْ حَفِيفِ الرُّؤْيِ غَدَائِرَ وَحُفَا^(٣)
 الضَّخْمُ يَدُو فِيهِ الْأَشْفَى، الْأَشْفَى^(٤)

(١) غبش : ظلمة آخر الليل .

(٢) الأدواح : جمع دوح وهو الشجر العظيم .

(٣) الوحف : الصود .

(٤) العتل : الشديد الجفاف الغليظ .

وَكأنَ الحِياةَ تُوحِشُ نِصفاً
وَكأنَ السُّفوحُ يَنْسَبِنَ دُغراً
وَكأنَ الحُجُومُ ضُوعِفْنَ أَلْفاً
كُئِلَ تَبِيضِ الحِياةِ لِإِماماً

من سَماواتِها، وتُؤنِسُ نِصفاً
وَكأنَ الجِبالُ يَزْحَفْنَ زَحفاً
من مَقايسِها، وصُغُرْنَ أَلْفاً
في تَضاريسِها، ويُحَسِّبْنَ عُلفاً^(١)

* * *

أُشرقَ الفَجْرُ فوقَ «قَرنا» فَأَضَفْتُ
وَاستطابَ الرَمْلُ النَدْيُ بِساطاً
مُعْجَباً يَمَسِّحُ الدُّجَى مِنْهُ عِطْفاً
وَنَواري عاتٍ من «الرَّنج» صَفَى

فوقَهُ سَحَرها الخَفِي وأُضْفَى^(٢)
فَمَشَى ناعِماً الخَطى يَتَكَفَّأ^(٣)
ويَهْزُ الصُّبْحُ المَنُورُ عِطْفاً^(٤)
ما لَدِيهِ مِنَ النُّجُومِ فَأُصْفَى^(٥)
حَلَّ حَتى حَسِبْتُهُ يَتَحَفَّى

* * *

وَنَدِييَ وَجْهَ صُبُوحٍ وَكَأْسٍ
أَحْتَسِبُها مِنْ لَاعِجِ الوُجْدِ عِباً
ثَمَّ دَبَّتْ بِناءُ تُثْقِلُ جَفْفاً

عُودِرَتْ في مِزاجِها الصَّرِفُ صَرْفاً^(٦)
وَعلى رَقَّةِ الشَّفاهِ قَرَشْفاً^(٧)
وَتُصَفِّى نَفْساءً، وتُزْعِشُ كَفّاً

(١) العلف : الصم .

(٢) قرنا : قارنا مدينة للاصطياف على شاطئ البحر الأسود في بلغاريا .

(٣) يتكفا : يمشي على صدور قدميه ، فيتمايل إلى قدام ، استعارها للفجر .

(٤) العطف : الجانب .

(٥) عات من «الرنج» : كناية عن الليل الشديد الظلمة . صفى النجوم : هنا غيبها . أصفى : انقطع وغاب .

(٦) الصرف : الخالص .

(٧) لاعج الوجد : حرقه الغرام . لعب : الشرب ملء الفم أي الكثير . الرشف : الشرب قليلا قليلا .

إِنَّ كَوْنًا عَلَى ذِرَاعِيكَ أَغْفَى
 مِنْ وَضُوحًا، وَمَا أَدَقُّ وَأَخْفَى
 مِنْ مَعَايِيرِهِ.. وَمَا تَتَقَفَّى^(١)
 مِمَّا عَلَى الْعِظَمِ كَادَ أَنْ يُسْتَشْفَى^(٢)
 هَتَّ فِي الْحَسَنِ لُطْفًا وَعُفَا
 لِدَيْنٍ مِنْهُ طَيْبُ الْمَقَامِ فَرْفَا^(٣)
 فَاسْتَشَارَا، فَاسْتَضَرَّيَا، فَاسْتَخَفَّا^(٤)
 وَرَأَى فُسْحَةً فَدَوَّرَ خَلْفَا^(٥)

يَا مَزِيحًا مِنْ أَلْفٍ كَوْنٍ تَرَفَّقَ
 قَتَلَ الْحَسَنُ مَا أَشَدَّ عَلَى الْعَيْنِ—
 يُذْهِلُ النَّفْسَ سَحَرُهُ.. مَا تَخْطَى
 أَنْتَ «إِكْلِيكَ» يَا طَافِيًا مِنَ اللَّحْدِ
 أَلْفَ «الْفَنِّ» صُورَةً مِنْكَ تَنَا
 دَفَعَ الصَّدْرَ دَفْعَةً أَعْجَبَ النَّهْ
 الشَّهِيانِ لُمْلِمًا فَاسْتَدَارَا
 وَتَنَّى طَيْبَةً فَضَمَّرَ كَشْحًا

*

*

ثَمَّ يُشْتَهَى فَيُخْطَفُ خَطْفَا
 لَمَّا مِنْ كُلِّ مَا يُعْنِيهِ يُعْفَى^(١)
 يُؤَلِّدُ الصُّبْحَ مِنْهُ.. أَمْ يُتَوَفَّى^(٢)
 لَأَيْنَ السَّمْعَ وَالْعَيْنَ وَالْأَحَاسِيْسَ لُطْفَا
 وَحَدِيثًا سَجَّعَتِ حَرْفًا فَحَرْفَا

يَا نَدِيمِي.. وَمَا غَدَّ.. وَاللَّيَالِي
 يَسْحَرُ الْيَوْمُ مِنْ غَدٍ خَائِرِ الْهَمِّ—
 يُتَرَجَّى وَيُخَسِّتَشَى لَيْسَ يُدْرَى
 أَنْتَ «إِكْلِيكَ» هَا هُنَا.. تَمَّ
 أَتَمَّلَى عَيْنِيكَ عِرْقًا فَعِرْقَا

(١) تخطى : تجاوز . تتقفى : تتبع .

(٢) اكليك : دليلة الشاعر ومرافقته في رحلته إلى فارنا .

(٣) الألف في «رفا» ألف الاثنين . والضمير في «دفع» يعود على الفن .

(٤) استضريا : استوحشا أي صاروا وحشين ، من الضراوة .

(٥) الضميران في «تنى» و «رأى» يعودان على الفن . ضمَّر : هضم ونحف . الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف .

(٦) يعنيه : يتعبه .

(٧) اختشى : هنا خشي .

ووشاحاً أضفيت ما اللونُ منه وَجَدِيلاً صَفَفَتْهُ كَيْفَ صُفَاً^(١)
ولكم صانتِ الهوى ذكرياتٌ هُنَّ أَبْقَى ذِكْراً، وَأَغْنَى، وَأَوْفَى

(١) الوشاح : ما تشدّه المرأة بين عاتقها وكشحها . الجدِيل : الشعر المصفور .

ودجى الليل مؤهنا^(١)
ولا الجرس مؤذنا
حق وجوهاً .. وأعيننا^(٢)
ت وحسبي تظننا
كفوها من (تجتنا)
فتنة كان أفتنا

أرقب الصبح مؤهنا
لا صدى هاتنا في يرنا
وأصالي على الطريقنا
ظنة أن يكون أنا
إنما الحب جنة
وإذا ما انتهى الهوى

* * *

ع وبها حلو الجنى
ت صدى الحب بيننا
وهو حي ليدفنا^(٣)
بالجراحات مثننا
فيك للطعن مطعنا
الضرر بي منك والعنا^(٤)
ثمر منك يُجتننا
بين نهديك مأمنا

أنى يا مرة الطيننا
كم تودين لو خنقنا
وتحييت قبره
أنى يا من تركتنا
لا وعينيك لم أجذنا
لا جُنّاح .. وإن مشى
كل شوك زرعنا
أنا، ما خفت، واجدنا

* * *

وبنى منك ما بنى

بالذي صاغ واعتنا

(١) الموهن : ما بعد منتصف الليل .

(٢) أصالي : أترصد . الصلاة شرك للصيد وجمعه مصال .

(٣) تحييت قبره : طلبت وانتظرت حين موته .

(٤) الجناح : الاثم .

وتَبَنَّاكَ «مقطعاً»
والذي شاء أن يكون
فتفدك بالضحك
والذي لم يدرك إذ
حلف الصابِر ارتضى
لو تتوجت بالدُّنَى
خلق الوجـد والأسى

مستعاداً فأحسننا
ن لك القتل ديدنا
يا فرادى .. وبالثنى
دان كلاً بما جنى
ما يُلاقى فأذعننا
لم يكن عنك لي غنى
ليكوننا كما أنسا

آهات

- نظمت في براغ .
- نشرت في جريدة « الثورة » ، العدد ١٥٧٦ في تشرين الأول ١٩٧٣

لا تَلُمْ أَمْسَكَ فِيمَا صَنَعَا أَمْسِي قَدْ مَاتَ .. وَلَنْ يَبْعَثَهُ
أَمْسِي قَدْ فَاتَ ، وَلَنْ يُسْتَرْجَعَا هَدْرًا ضَيَعَتْهُ مِثْلَ دِمِ الْ—
حَمْلُكَ الْهَمَّ لَهُ .. وَالْهَلَعَا^(١) لَمْ تُمَطِّـرْهُ فَلَا تَسْأَلْ بِهِ
مَلِكُ « الْأَبْرَشِ » لَمَّا ضَيَّعَا^(٢) وَاطَّرَحَهُ وَاسْتَرْخَ مِنْ ثِقْلِهِ
أَشْبَابًا ، أَمْ سَحَابًا أَقْلَعَا^(٣) لَا تُضِيعْ أَمْسَكَ وَالْيَوْمَ مَعَا

آه كم جرَّرتها عن كَبِيدٍ من وَقِيدِ الْآهِ سَالَتْ قِطْعَا

- (١) الْهَلَعُ : الْخَوْفُ .
(٢) الْمَلِكُ الْأَبْرَشُ : جَدِيمَةُ بَنِ الْمَالِكِ وَكَانَ لَهُ بَرَصٌ فَكُنُوا بِهِ عَنْهُ ، وَهُوَ مَلِكُ الْمُنَادِرَةِ اسْتَدْرَجَتْهُ الزَّيَاءُ مَلِكَةً تَدْمُرُ فَفَتَكَتْ بِهِ .
(٣) الضَّمِيرُ فِي « تَمَطَّرَهُ » يَعُودُ عَلَى « أَمْسٍ » أَيَّ لَمْ تَرَوْهُ .

آه يا شرخ الصبا لو طَلَّلَ
ما أذَلَّ العُمَرَ مَمَحُوقَ السَّنَا
فهو ما ارتَحَّتْ له حتى أَمَحَى
وأخَسَّ المرء يشكو يومه
عاطشاً يمضي ولمَّا يَغْتَرِفْ
تَنَحَّجُ الآلَامُ من أطرافه

سَمِعَ النجوى، ولو مَيَّتْ وَعَى^(١)
يشتكى منه المغيب المَطْلَعَا
«هو ما سَلَّمَ حتى ودَّعَا»
فإذا وَلَّى بكاه جَزَعَا^(٢)
من أفاويق الصبا ما رَضَعَا^(٣)
يأكلُ الموضع منه الموضعَا

* * *

يا بقايا ذكرياتِ كُلِّما
أَجْمَعُ المُرَّ إلى المُرِّ بها
تَرْتَعِي في النِّسَمِ مني حَمَلًا
حَدَّثِي ما شِئْتَ عن أبدووعة
عن فتى أخصبَ في شتوته
عاشَ في العشرين شيخاً ورَعَى
ورأى من ذي وهـذي عبْرَة

جُسَّ عودٌ من صداها رَجَعَا
وأسقاها سَموماً جُرَعَا
وإدْعَا يَرْقُبُ منها السُّبْعَا^(٤)
ولقد يَأْتِي الزمانُ البِدْعَا^(٥)
لأعْنَا فيها الريع البُلْعَا
بعد سِتِّينَ شاباً مَمَرَعَا
ولكم ضُرُّ الفتى كي يُنْفَعَا

* * *

قَفْ على «بَراها» وَجِبْ أرباضَهَا
وسَلِّ المِصْطَافَ والمُرتَبَعَا^(٦)

(١) شرخ الصبا: أول الشباب .

(٢) الجزع: الحزن .

(٣) أفاويق الصبا: رواؤه وغضارته .

(٤) ارتعى: رعى .

(٥) الأبدوعة: هنا تعني كما تؤيدها الأبيات الثلاثة أن الشاعر ارتعى في شيخوخته ما حرمه في شبابه .

(٦) براها: مدينة «براغ» كما يسميها أهلها . الأرباض: جمع رَبَضَ (بفتح الباء) وهو ما حول المدينة .

المصطاف: مكان الاصطياف . المرتبعا: المكان المرع .

أَعْلَى الْحُسْنِ ازدهاءٌ وَقَعَتْ
وَاسْتَعِرَ مِنْهَا عَيُوناً جَمَّةً
وَسِلَ الْخَلَّاقَ هَلْ فِي وَسْعِهِ
قُلْتُ مِمَّا أَفْـرَطَ الْحُسْنُ بِهَا
يَحْسُدُ الْمُقْعَدُ مِنْ جُوعِهَا

أَمْ عَلَيْهَا الْحُسْنُ زَهَواً وَقَعَا ؟
وَتَمَلَّ النَّاسَ وَالْمَجْتَمَعَا
فَوْقَ مَا أَبْدَعَهُ أَنْ يُدْعَا
بِئْسَتِ الدُّنْيَا لَنَا مُتَّجِعَا^(١)
مُتَحَمِّمًا أَقْعَدَ مِمَّا شَبِعَا

* * *

يَا لَصَيْفٍ مُتَمِّعٍ لَوْ لَمْ يَكُنْ
مَمْطِرٍ آنَاءً.. وَرَيَّانَ الضُّحَى
حُلُمُ الْعَذْرَاءِ فِي يَقْظَتِهَا
تَشْتَهِي مَا ظَلَّ أَنْ لَا يَنْقُضِي
مَرَّتِ الْأَسْرَابُ تَتَرَى.. مَقْطُوعٌ
وَنَفَقَتُخْنَ عَلَى رَأْدِ الضُّحَى
وَتَقَاسَمْنَ الصُّبَا مَبِيعَتَهُ
وَتَحْفَفْنَ فَمِمَّا زِدْنَ عَلَى
رَحْمَتَا «لَابِنِ زُرَيْقٍ» لَوْ رَأَى

غَيْرُهُ كَانَ الْفُصُولَ الْأَرْبَعَا
مُزْهَرٍ آنَاءً.. وَذَاوِ سَرِيعَا^(٢)
وَيُنَاعِي حِينَ تَغْفُو الْمَخْدَعَا
فَإِذَا وَدَّعَهَا أَنْ يَرْجِعَا
مِنْ نَشِيدِ الصَّيْفِ يَتَلَوُ الْمَقْطُوعَا
حُلُمًا أَشْهَى، وَصَحْوًا أَمْتَعَا^(٣)
وَشَدَاهُ، وَالْهَوَى، وَالْمُتَمَعَا^(٤)
مَا ارْتَدَّتْ «حَوَاءُ» إِلَّا إِصْبَعَا
فَلَكَ الْأَزَارِيرُ مَاذَا أَطْلَعَا^(٥)

(١) المتجعج: المنزل.

(٢) سرع: سريع.

(٣) رأد الضحى: ارتفاعه.

(٤) ميعة الصبا: أوله وأنشطه.

(٥) ابن زريق: شاعر بغدادى عباسي اشتهر بقصيدته العينية التي مطلعها:

لا تعذليه فان العذل يولعه قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه
والشاعر يشير إلى البيت:
استودع الله في بغداد لي قمرا بالكبرخ من فلك الأزارر مطلععه

كُلُّ مَضمومٍ إلى صاحِبِهِ مُشترِئِينَ إلى النُّورِ مَعَا^(١)
ما أَرَقَّ الزَّهَرُ في سِيقانِهِ وعلى لَبَاتِهِمَا ما أَرَوَعَا^(٢)

* *

يا بديلَ الخُلْدِ لولا أنَّها كانتِ المرأى، وكان المسمعا
لا تُخطَاكِ الحيا من مُمرِعٍ صابِه.. أو لم يصبُه أمرعا^(٣)
وتناغت بك أوتار الصبَا ماشدا شادٍ، وما داعٍ دَعَا
فلقد رُضيتِ جماحاتِ الهوى فتحوَّلن الرضِيَّ الطيِّعا^(٤)
وكفَّيتِ النفسَ مما عُديتِ مَطْمَحاً لم تُغْذِه، أو مَطْمَعَا
لا أُحابيكِ فبي حَزُّ المُدى من عَقاييلِ أبتُ أنْ تُنزعَا^(٥)
وأحاسيسُ يُقَيِّ عَضَّةً مدرجُ النملِ بها أنَّى سَعَى
ومُضِبٌّ في رُؤى لا تُخَفِّي فأواربها، ولا أنْ تُسْطَعَا^(٦)
أُسدِلَ السِتْرُ على واحدٍ فتَعَرَّى ما سِواها أجمعا
تَسْأَلُنِي مُصْبِحَاتٍ من دمي وتُماسي فتُقِضُ المضجعَا
غنيةٌ أنْ قد تَلَمَّسْتُ المَدَى من مداها.. ورَقِيْتُ الأوجعا^(٧)
كُلُّما أَفْرَعَنِي من وَحْشِها طارقٌ.. أَلْفَيْتُ فيكَ المَفْرَعَا^(٨)

(١) اشْرأَبُ: تطلع بشوق.

(٢) اللَّبَات: جمع لَبَّة وهي وسط الصدر وهو موضع القلادة منه.

(٣) الحيا: المطر. المرع: المخصب. صاب المطر: نزل وانصب.

(٤) الجماحات: جمع جماح وهو الاندفاع.

(٥) المدى: جمع مدية وهي السكين. العقاييل: البقايا، ومفردها عقبول وعقبولة.

(٦) المُضِب من الرؤى: ما يغشاها الضباب من الفعل (أضَبَ).

(٧) الغنية: الغنى. رَقِي: شفي.

(٨) الطارق: ما يغشاها من الرؤى ليلاً. المَفْرَع: الملاذ.

خَلِّي رَكَابَكَ

- نظمت في براغ سنة ١٩٧٣
- نشرت في مجلة الرابطة — مجلة جمعية الرابطة الأدبية في النجف — العدد الأول، السنة الثالثة، نيسان ١٩٧٦

خَلِّي رَكَابَكَ عَالِقاً بِرَكَابِي قَصْرُ الطَّرِيقِ يُطِيلُ فِي أَتْعَابِي
سَأُضْمُّ فِي قَبْرِي لُثُوثُنَّ وَحَشْتِي رَعَشَ الشِّفَاهِ، وَرَجْفَةَ الْأَهْدَابِ

* * *

ما كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ طَارِقَةَ النَّوَى قُصُوى الْمَطَافِ ، وَغَايَةَ التَّطَلُّابِ^(١)
حَتَّى ابْتَلَيْتُ بِبُوسِهَا وَنَعِيمِهَا فَإِذَا بِهَا سَبَبٌ مِنَ الْأَسْبَابِ
قَسَمًا بِعَيْنَيْكَ اللَّتَيْنِ اسْتَوْدَعَا سِرَّ الْحَيَاةِ ، وَخَيْرَةَ الْأَلْبَابِ
نَحْنُ السَّبَايَا «أَرْبَع» فِي غَرَبَةٍ أَنَا، وَالْهَوَى، وَيَدِي، وَكَأْسُ شَرَابِي
قَدْ كُنْتُ أَصْعَقُ فِي حَضُورِكَ دَهْشَةً فَتَصَوَّرْنِي مِنْكَ رَهْنَ غِيَابِ

(١) النوى: البعد. قصوى المطاف: نهايته.

أَصْغِي لَجَرَسِكَ طَائِفاً فِي مَسْمَعِي وَأَشْمُ عَطْرِكَ عَالِقاً بِثِيَابِي^(١)
وَأَزِيرُ طَيْفَكَ نَاطِرِي فِي يَقْظَةٍ مَرَحَ الْخُطَى، ثَمَلاً عَلَى الْأَهْدَابِ
وَأَجْلُهُ عَنْ أَنْ يَزُورَ عَلَى الْكَرَى فَيَتِيَهُ مِنْ ظُلُمَاتِهِ فِي غَابِ

(١) الجرس : الصوت .

تحية .. ونفثة غاضبة

- ألقاها الشاعر في الحفلة التكريمية التي أقامتها وزارة الدولة للشؤون الثقافية بمسرح محمد الخامس في الرباط (المغرب) مساء يوم ٢٠ أيلول عام ١٩٧٤
- تعرض خلالها لدعاة الاستغلال والانتهاز تحت شعارات مزيفة .

سماحاً إن شكا قلمي كلالاً	وإن لم يُحسن الشعرُ المقالاً ^(١)
وان راحت تُعاصيني القوافي	بحيثُ الفضلُ يُرتَجَلُ ارتجالاً
كبا مُهري بشوٍ لم تغادرُ	له غرُّ الجيـِّـادِ به مجالاً ^(٢)
حماة الفكر .. والدنيا غرور	كضوء الفجر لُطفاً وانتقالاً
أَتَبْعُونَ الْفُتُوَّةَ عِنْدَهُمْ	على السبعينَ يَتَكَلُّ اتكالاً ^(٣)
تمشَّى الثلجُ في جَذَواتِ قلبٍ	مدى خمسينَ يشتعل اشتعالاً ^(٤)

(١) الكلال : التعب .

(٢) كبا : عثر ، انكب على وجهه .

(٣) اُهم : الشيخ الهرم .

(٤) الجذوات : جمع جذوة (مثلثة) وهي الجمرة .

وما شمسُ الظهيرة وهي تعلّي
بناتُ الشعر كُنْتُ أباً رؤوماً
أغوصُ على اليتيم الفدّ منها
وتفجؤني عرائسهنَّ ليلاً
رُكُنَّ لِدَاتِ تَصْبُو ناشطاتٍ
وها أنا بعدَ ميسرةٍ ورَفْسهِ
كمثل الشمس قاربت الزوالاً^(١)
أسامرُهُــــنَّ نجوى وابتهالاً^(٢)
وأحتضن الأوانس والثكالى^(٣)
تُقرَّبُنِّي وتُبعِدُنِي دلالاً
فهُنَّ اليومَ أنضاء كسالى^(٤)
أروح على أراملهسا عيالا

* * *

سلام الله يا «طنج» يُغادي
وحيَّت ملتقى البحرين كأسٌ
يزيحُ ظلاله وضَحَّ قتلقي
وتتزعجُ الشموسُ له جمالاً
وتصطفقُ النجومُ مُشغَّعاتٍ
وتُسرِّقُهُ المسابيحُ ناشراتٍ
كعوم البط أجنحة تلاقى
ريوعك موطنساً ، وذويك آلاً^(٥)
تصب هناك من كأس ثُمّالاً^(٦)
تعاريجُ السفوح له ظلالاً
فتخترعُ الغيوم له جمالاً
بأسرجة حفافيه تلالاً^(٧)
عليها الغيدُ أسراباً عجّالاً
بأجنحةٍ ، وأعناق تعالاً^(٨)

* * *

(١) الزوال : الغروب .

(٢) رؤوم : عطوف ، حنون .

(٣) اليتيم الفدّ : النادر الذي لا مثيل له .

(٤) أنضاء : جمع نضو وهو المهزول تبعاً .

(٥) طنج : مدينة طنجة في المغرب . الآل : الأهل .

(٦) الثال : جمع ثمالة ، وهي البقية من الخمر في الكأس .

(٧) حفافيه تلالا : تلالاً في حفافيه أي في جوانبه ، والضمير لـ «ملتقى البحرين» .

(٨) تلاقى : تلاقى . تعالى : تعالى .

أُحِبَّتِي الذِينَ يُعُونَ قَوْلِي
لَكُمْ عِنْدِي حَقُّوقٌ لَا تُؤْفَى
وَلِي حَقٌّ عَلَيْكُمْ أُوجِبْتُهُ
تَهْزُ مُرَحِيْنٌ عَلَى الْبَلَايَا
نَشْدُتُكُمْ الْحُبَّةَ وَالْتِصَافِي
وَطَيْبَ جِوَارِكُمْ إِلَّا شَدَّدْتُكُمْ

رَصِينَا ، لَا اغْتِرَارَ وَلَا اخْتِيَالَا
وَلَوْ صُعْتُ النُّجُومَ لَهَا مِثَالَا
قَوَافٍ رُجِّعْتُ حَقْبَا طُولَا
وَتَكْشِفُ عَنْهُمْ الدَّاءَ الْعُضَالَا^(١)
وَمُنْتَظَلُّ قِاقِ الْأَخْوَةِ وَالْمَالَا^(٢)
عُرَى لِّلْوَدِّ تَأْبَى الْإِنْجِلَالَا

* * *

وَقُلْتُ لِحَاقِدِينَ عَلَيَّ غِيظَا
هَبُوا كُلَّ الْقَوَافِلِ فِي جِمَاكُمْ
وَلَا تَدْعُوا الْخِصَامَ يَجُوزُ حَدَا
وَمَا أَنَا طَالِبٌ مَالًا لِأَنِي
وَلَا جَاهَا ، فَعِنْدِي مِنْهُ إِرْثٌ
وَلَا أَنَا مَنْ يَلُوكُ دَمَ الْأَضَاحِي
حَذَارٍ فَإِنَّ فِي كَلِمِي خُتُوفَا
وَأَنْ لَدِي أُرْمَاحَا طُولَا
تَقَحَّمْتُ الْوَغَى وَتَقَحَّمْتَنِي
فَكَانَ أَجَلٌ مَنْ قَارَعْتُ ، خِصَمٌ
وَلَمْ أَرْ كَالْخُصُومَةِ مِنْ مَحَكٍّ

لَأَنِّي لَا أُحِبُّ الْإِخْتِيَالَا
فَلَا تَهْزُوا بِنِ يَخْدُو الْجِمَالَا
بِحَيْثُ يَعُودُ رُخْصَا وَابْتِذَالَا
هَنَالِكَ تَارِكٌ مَالًا وَآلَا
تَلِيدُ لَا كَجَاهِهِمْ انْتِحَالَا
يَلُمُّ جُلُودَهَا لِلْسُخْتِ مَالَا^(٣)
مُخْبِئَةً ، وَفِي رَمْلٍ صِيلَا
وَلَكِنْ لَا أُحِبُّ الْإِقْتِيَالَا
وُخَضْتُ عَجَاجَهَا خَرْبَا سِجَالَا
بُنْبُلٍ قِرَاعِهِ رَبَّحَ الْقِتَالَا
يَبِينُ لَكَ الرُّجُولَةُ وَالرَّجَالَا

(١) مِيرِح : مَنْ بَرَحَ ، وَبَرَحَ بِهِ الدَّاءُ اشْتَدَّ بِهِ .

(٢) الْمَالُ : الْمَرْجِعُ .

(٣) السُّخْتُ : الْمَالُ الْحَرَامُ .

يُسِيءُ حَرَاةَ الضَّيْفِ اغْتِلَالاً^(١)
يُرَادُ بِنِ يَغْتِيئِهِ انْشَغَالاً
لَهَا حَسَنُ الْوَفَادَةِ أَنْ تُقَالَا
إِذَا انْطَلَقَتْ وَجَاوَزَتْ الْعِقَالَ^(٢)
تَغَامِزُ مِنْهُ أَجْيَالُ تَوَالِي^(٣)
لَأَكْرَمَ مِنْهُمْ عَمَاءُ وَخِلَالَا

وَأَخْبْتُ نَاهِزٍ مَنْ رَاحَ عَمْدًا
وَيَا لَحَرَاةِ الْقَلْبِ الْمُعْنَى
فَكَمْ مِنْ قَوْلَةٍ عِنْدِي تَأْبَى
سُتْضَرْبُ فِيهِمُ الْأُمُتَالُ عَنْهَا
وَعِنْدِي فِيهِمْ خَيْرٌ سَيِّقَى
حَذَارٍ فَكَمْ حَفَرْتُ لُحُودَ عَارٍ

* * *

نِدَاءٌ يَسْتَجِيبُ لَكَ امْتِثَالاً^(٤)
فَلَا عَلَلاً شَكَوْنَ وَلَا هُزَالَا
وَبَعْضُ الْقَوْلِ يُغْتَالُ اغْتِيَالَا
بَنَاتُ الْفِكْرِ تُتَحَلُّ انْتِحَالَا
وَمَنْ جَمَعَ التَّوَاضُعَ وَالْجَلَالَا
وَفِي أَيِّ الْقِدَاحِ بِهَا أَجَالَا^(٥)
لِمَنْ يَهْوَى انْفِعَالاً لَا افْتِعَالَا

وَيَا صَفْوَ الْوَفَاءِ أَبْسَا حُنِينَ
أَخَا الْكَلِمِ النُّوَاضِ بِالْمَعَانِي
يُجَسِّدُهَا فَهَسَنٌ دَمٌ وَرُوحٌ
وَيَنْحَلُّهُنَّ فَكَبْرُكَ حَيْثُ تَرْضَى
وَيَا مَنْ زَادَ قَدْرَ الْمَجْدِ مَجْسُداً
وَمَنْ كَسَبَ الرِّهَانَ عَلَى الْمَعَالِي
حَبِيبُكَ حُبٌّ مِنْ يُصِفِي هَوَاهُ

(١) الاغتلال : الاستغلال .

(٢) العقال : ما يُشَدُّ بِهِ .

(٣) توالى : تتوالى .

(٤) أبو حنين : هو الحاج محمد (با حنيني) وزير الثقافة في «المغرب» العربي ، وشخصية بارزة ، وهو صديق للشاعر وقد ترأس الاحتفال التكريمي الذي أقيم له في قاعة محمد الخامس في «الرباط» ، وهو الاحتفال الذي أنشدت فيه هذه القصيدة .

(٥) القداح : جمع قُدَح وهو السهم قبل أن يراش . أجال : أدار وأجال السهام بين القوم . حركها وأفضى بها في القسمة .

على بُعْدٍ عَرَفْتُ هَوَاكَ ، تحصى
مَحَطُ خُطَايَ جِلًّا وَارْتِحَالًا^(١)
وهذا أَنْتَ عَنْ قُرْبٍ صَفِيًّا
يزين بِحُبِّهِ الْقَوْلُ الْفَعَالَا

* * *

حُمَاةَ الْفِكْرِ وَالْأَدَبِ الْمُصَفَّى
يزينان الشَّمَائِلَ وَالْخِصَالَا
سَمَاحاً إِنَّ شَكَا قَلَمِي كَلَالَا
وإن لم يحسنِ الشِّعْرُ الْمَقَالَا

(١) الْجَلِّ وَالْإِرْتِحَالِ : الْإِقَامَةُ وَالسَّفَرُ .

يا رسول النضال ..

- نظمها الشاعر وألقاها في الحفل الذي أقامته اللجنة العليا للجبهة الوطنية والقومية التقدمية في العراق لخالد بكداش الأمين العام للحزب الشيوعي السوري في مطعم المسبح مساء يوم ٩ آذار ١٩٧٥

يا رسول النضال طُبَّتْ مُقَامَا
خالِدٌ أَنْتَ صِنُوْ إِسْمِكَ مَا سَا
حِقَبٌ سُلْطَطٌ وَأَنْتَ عَيْنِدْ
تَجْلِي عَنْكَ غَمْرَةٌ فَتَسْأَلِي
مَثَلَمَا طُبَّتْ عَزْمَةٌ وَاقْتِدَارَا
مَرَّتْ لَيْسَالٌ وَمَا أَضَاتْ نَهَارَا
تَقَهَّرُ الْمَوْجَ مَدَّةً وَانْحِسَارَا
غَمْرَةٌ بَعْدَهَا تَجُرُّ غِمَارَا^(١)
هَبْ مَا يَرْهَبُ الشُّجَاعُ ضَرَارَا^(٢)
اذْجَبَانْ يَهْوَى الْمَمَاتِ اضْطِرَارَا
تَطْلُبُ الْمَوْتَ لِلْخُلُودِ اخْتِيَارَا

* * *

يا رسول النضال طُبَّتْ مُقَامَا
وتَقَبَّلْ مِنْ دَارِ أَهْلِيكَ دَارَا

(١) توالى بعدها : هنا تليها .

(٢) ضيرار : ضَرَّرَ .

وَتَصَفَّحْ هَذِي الْوَجُوهَ تَجِدْهَا
بَاقَةً مِنْ غِيَاضِ بَغْدَادِ لَمَّتْ
كُنْ رَسُولاً مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ
وَأَشِيعْ فِي رُبُوعِ جِلَّتْ مِنْ بَغْدَادِ
هُوَ صَوْتُ لِلْعُمَرِ وَالْعَصْرِ وَالْتَا
يَأْتِي الْمَجْدُ أَنْ تَظَلَّ زُرُوعُ الْبَلَدِ
زَيْفُوا دَارَةً وَجَلَّفَ رِضَاعِ
وَاللَّيَالِي تَقْصُ مِنْهُمْ جَنَاحاً
يَا رَسُولَ الْبَغْدَادِ أَلْفُ سَلَامٍ

بِكَ تَشْتَدُّ فَرَحَةً وَازْدِهَاراً
خَيْرَ مَا لَمَّتِ الْوُرُودَ نِثَاراً
مِنْ تَحْدِينِ يُزْجِي الْحَدِيدَ الْحَوَارِ
بَدَادَ صَوْتاً يَهْدِي الْجُمُوعَ الْحَيَارِ
رِيحٌ يُمَلِّي وَقَائِعاً لَا تُمَارِ^(١)
مَجْدٍ نَهْباً رَهْنِ الرِّيحِ اعْتَصَارِ^(٢)
وَفِطَامٍ مُسْتَوْحِشَاتٍ نِفَارِ
وَالرَّزَايَا تَغْتَالُ مِنْهُمْ مَطَارِ
لَكَ وَلِقَادَةِ الْهُدَاةِ الْغِيَارِ

(١) لَا تُمَارِ : لَا يَجَادَلُ فِيهَا .

(٢) رَهْنِ الرِّيحِ اعْتَصَاراً : تُعْتَصَرُ اعْتَصَاراً .

أزح عن صدرك الزُّبدا ...

- ألقى الشاعر قسما منها في الحفل الذي أقامته جمعية الرابطة الأدبية في النجف مساء الخميس الثاني من تشرين الثاني عام ١٩٧٥ على قاعة الاجتماعات ، لتكريمه بمناسبة منحه جائزة اللوتس .
 - نشر هذا القسم في مجلة «الرابطة» ، العدد الخامس من السنة الثانية ، تشرين الثاني ١٩٧٥
 - أضاف إليها ونشرها في صورتها الأولى في الملحق الأسبوعي لجريدة «الجمهورية» ، العدد ٢٤٨٣ السبت في ٨ تشرين الثاني ١٩٧٦
 - ثم نشرت على صورتها الأخيرة في مجلة «الديار» اللبنانية ، العدد ١٢٨ من ١٥ — ٢١ آذار ١٩٧٦ بالعنوان نفسه .
- وقالت المجلة عنها :
- في هذه القصيدة نرى الشاعر ينتقد عصره المليء بالزيف والخداع وهو يسمو بنفسه متعاليا بكبرياء الشاعر . ناهيك بكبرياء مهدي الجواهري . انها ضرب من الطموح الى تجاوز النفس والآخرين ، في محاولة اختراق للمستحيل . وهي كما يقول عنها الجواهري في رسالته : « آخر ما لديّ ، ومن أعز قصائدي اليّ » .

أَزِخْ عَنْ صَدْرِكَ الزَّبْرَ _____ دَا
وَجَلْ حُطَامَ مَوْجِدَةٍ
وَلَا تَحْفَلْ فَشِقْشِقَةً
وَلَا تَكْثِبْ فَمِنْ حَقِيبِ
وَدَغْمُهُ يُثُّ مَاوَجًا _____ دَا^(١)
تَنَائِرُ فَوْقَهُ قِصْدًا^(٢)
مَشَتْ لَكَ أَنْ تَجْجِشَ غَدًا^(٣)
ذَمَّتْ الصَّبْرَ وَالْجَلْدَا

* * *

أَزِخْ عَنْ صَدْرِكَ الزَّبْرَ _____ دَا
أَنْتَ تَخَافُ مِنْ أَحَدٍ
أَتَخَشَى النَّاسَ ، أَشْجَعُهُمْ
وَلَا يعلَوْكَ خَيْرُهُمْ
وَلَكِنْ كَاشَفَ نَفْسًا
كَنَسَجِ الدَّرْعِ وَاثْقَةً
سَيَطْرِبَهَا ، إِذَا انْتَقَدَتْ
وَقُلْ ، تُعِدِّ العُصُورُ صَدَى
أَنْتَ مَصَانِغُ أَحَدَا
يَخَافُكَ مَغْضِبًا حَرِدًا^(٤)
وَلَسْتَ بِخَيْرِهِمْ أَبَدَا
تُقِيمُ بِنَفْسِهِمُ الْأَوْدَا^(٥)
بَكُونِ غُيُوبِهَا الزَّرْدَا^(٦)
مَسَاوِئُهَا ، مِنْ انْتَقَدَا

* * *

تَرَكْتَ وَرَاءَكَ الدُّنْيَا
وَمَا مَنَّاكَ مَثْقَلَةً
وَرُحْتَ وَأَنْتَ ذُو سَعْيَةٍ
وَزُخْرَفُهَا وَمَا وَعَدَا
بِمَا يُغْفِرُكَ أَنْ تَلْدَا
تُجِيعُ الْأَهْلَ وَالْوَلْدَا

(١) وَجَدَ : هنا من الموجدة وهي الغضب .

(٢) القصد : جمع قصدة (بالكسر) وهي القطعة والكسرة .

(٣) الشقشقة : ما يخرج من فم البعير إذا هاج . تجيش : تهيج وتغلي .

(٤) الحرد : الغضبان .

(٥) الأود : العوج .

(٦) الزرد : الحلق التي تتألف منها الدرع .

وتطمعُ تجمعُ القمرِدا
 ولو لا ذا لما وُجِدا
 عجيب أمرك الرجرا
 تضيق بعيشة رغيدا
 وترفض منة رفها
 وتخشى الزهد تُعشقه
 ولا تقوى مصامدة
 ويدنو مطمح عجب
 ويدنو حيث ضقت يدا
 وهبك أردت عودتها
 فلت بواجب أبدا
 من فخرهما أن انفردا^(١)
 ولو وجدا لما افتقدا
 ج لا جنفا ، ولا صددا^(٢)
 وتهوى العيشة الرغدا
 وتبغض بلغاة صردا^(٣)
 وتعشق كل من زهدا
 وتبغض كل من صمدا
 فطلب مطمحا بعدا
 وضعت سدى ، وفات مدى
 وهبك جهدت أن تجدا
 على « السبعين » ما فُقدا

* * *

أرح عن صدرك الزبدا
 ولا تحزن لأن قطعت
 وأن العيش منزهة
 وأنت تطعمهم الأيسدا
 ولا تتنفس الصعدا
 يداك الزنبد والعضدا
 وأن التضحيات سدى
 م يوم الأحمقين غدا

* *

(١) القمران : الشمس والقمر .
 (٢) الجنف : الميل والجور . الصدد : الاعراض .
 (٣) المنة الرفه : العطاء الواسع . البلغة الصرد : ما يتبلغ به من زاد قليل .

وَقَلْبُهُ لَمْ يَشْرِقْ غَرْدَا
تَقِيءُ الْحَقْدَ وَالْحَسْدَا
عَلَى «سَقَط» فَلَنْ تَلْدَا
وَيُلْحِقُهُمَا بِنَ طَرْدَا

أَرْخَ عَنْ صَدْرِكَ الزَّبَدَا
وَحَلَّ «الْبَوْمَ» نَاعِبَةً
مَخْنِيَّةً فَانْ وَلَدَتْ
سِينِي «الْفَجْرُ» وَحَشَتَهَا

* * *

فَإِنْ يَرِثُهُ رَعْدَا
يُزِيرُ الشَّوْقَ وَالْكَمَدَا
أَعَانَ عَلَيْكَ وَاطْرَدَا^(١)
وَرَانَ عَلَيْهِ فَانْعَقْدَا^(٢)
وَيُسَمِّنُ مِنْكَ مِنْفَرْدَا
فِدَاءُ مَغِيَّبٍ شَهْرَدَا

وَصَلَفَ مُبْرِقٍ خَتَلَا
يَزُورُكَ جُنْحَ دَاجِيَّةٍ
فَإِنْ آدَتْكَ جَائِحَةٌ
مَشَى بِلِسَانِهِ شَلَلْ
يَمَزُقُ فِيكَ مُجْتَمِعًا
فَلَسِيَتْ مَشَاهِدًا خَرَسَا

* * *

ثَوَرُوا فِي ظِلِّهِ عَمَدَا^(٣)
وَبِالْآدَابِ مَتَسَدَا^(٤)

وَعُفَا فِينِ ابْتَنَوْا طُئْبَا
رَضُوا بِالْعِلْمِ مَرْتَقَا

(١) آد : أثقل . الجائحة : الشدة والنازلة العظيمة .

(٢) رَانَ : غطى .

(٣) الطُّبُّ (بضمّتين) : في الأصل الحبل وكنى به عن البيت . الْعَمَدُ : (بفتحتين) : اسم جمع للعمود .

(٤) المرفق : ما يتكأ عليه بالرفق . اتسدا : ما يتسد عليه .

وجابوا عالم الفصحى
فهم ان عُمَيْيْتُ سُبُلٌ
وهم لا يَسْطُـوْنَ يدا
وهم يَرْتُـوْنَ من صلحوا
يَرُوْنَ الحق مهتَضَمًا
وَأَمَّ «الضاد» قد هُتِـكَتْ
ولا يُعْنَـوْنَ ، ما سلموا ،
بهم عَوَزَ الى مَدَدٍ
ولمُّوا منسبه ما شَرَدًا^(١)
يَرُوْنَ السَّـلَاحِبَ النَّجْدَا^(٢)
تَمِيـزُ العَيِّ والسرشدا
وهم يَحْشَوْنَ من فسدا
وقسول الحق مضطهدا
وربَّ «الضاد» قد جُلِـدا
بأَيَّة طعنة نُفِـدا^(٣)
وأنت تُريدهم مَدَا ؟

* * *

أَزِخْ عن صدرك الزَّبِـدا
وقل : يا نفسُ لا تَرْدِي
ويـا غرراً مَحْجِلَةً
أثرتِ غِبَارَ حَلَبَتِها
خُذِي مَسْعَاكِ واستيقِسي
وعاذرة اذا عَئِـرت
وحسبك رَكْعَةً عَرَضَتْ
ودَغِـه يُّتُّ ما وَجِـدا
على أعْقَابِ من وَرْدَا
سَعِـيْتُ بها لمن قَعِـدا^(٤)
على صنمٍ فما عُبِـدا
مَسَافَ الشَّوِطِ والأَمْدَا
صَوَاهِلُ تَنْشُدُ الجَدَّـدا^(٥)
وكم من رَاكِعٍ سَجِـدا

- (١) جابوا : قطعوا ، ورجل جَوَابٍ إذا كان قطعاً للبلاد سياراً فيها . وجابوا عالم الفصحى : أي صاروا علماء فيها لطول مصاحبتهم إياها وعكوفهم عليها .
(٢) السَّـلَاحِب : الواضح . النجد : المرتفع من الأرض والواضح لارتفاعها .
(٣) نُفِدَ : اخترق أي طعن .
(٤) الغر المحجلة : هي قصائده .
(٥) الجَدَد (بفتحين) : الطريق المستوية المسلوكة .

حبّيتي

- الى التي أفنت شبابها وكهولتها معي صامدة ، واثقة ، مؤمنة في حياة تشبه الأساطير .. الى زوجتي «أمونة» .

حَبِيبَتِي مِنْذُ كَانَ الْحُبُّ فِي سَحَرٍ حُلُوَ النَّسَائِمِ حَتَّى عَقَّهُ الشَّقَقُ^(١)
 وَمِنْذُ تَلَاقَى جَنَاحَانَا عَلَى فَنَنِ^(٢) مِنْهُ إِلَى الْعَالَمِ الْمَسْحُورِ نَنْطَلِقُ^(٣)
 نَصُونُ عَهْدَ ضَمِيرَيْنَا وَبَيْنَهُمَا نَجْوَى بِهَا هَمْسَاتُ الرُّوحِ تُسْتَرْقُ
 يَا حُلُوءَ الْمُجْتَلَى وَالنَّفْسُ غَائِمَةٌ وَالْأَمْرُ مُخْتَلِطٌ ، وَالْجَوُّ مُخْتَنِقُ
 وَيَا ضَحُوكَةَ ثَغْرِ الدُّنَى عَبَسُ^(٤) وَيَا صَفِيَّةَ طَبَعِ وَالْمُنَى رَنَّ^(٥)
 وَيَا صَبُورًا عَلَى الْبَلْوَى تَلَطَّفُهَا حَتَّى تَعُودَ كَبْنَتِ الْخَانِ تُصْطَفَقُ^(٦)
 مِنْي إِلَيْكَ سَلَامٌ لَا يَقُومُ لَهُ سِنَّ الْبِرَاعِ ، وَلَا يَقْوَى بِهِ الْوَرَقُ^(٧)
 كَأَنْ نَفْسِي إِذْ تَغْشَيْنَ وَحْدَتَهَا إِنْسَانُ عَيْنٍ بِمَرَأَى أَخِيهَا غَرِقُ

(١) عَقَّهُ : أَنْكَرَهُ .

(٢) الْفَنَنِ : الْغُصْنِ .

(٣) رَنَّ : كَدَرَ .

(٤) بَنَتِ الْخَانَ . الْخَمْرُ . تَصْطَفَقُ : تُصَفِّقُ .

(٥) الْبِرَاعِ : الْقَلَمِ .

إِلَّا وَعُدْنَا لِمَاضِينَا فَتَنَفَّقُ^(١)
 إِلَّا ارْتَمَى جَانِبَ مَخْضُوضٍ أَنْسَقَ
 غُنُّ الرِّيَاضِ سَقَاها الرَّائِحُ الْعَدِيقُ^(٢)
 تُمَلُّ مَا لَمْ تَغَايِرْ عِنْدَهُ الْخَلْقُ
 وَالْحُبُّ لَمْ يَخْتَلِسْ مِنْ أَمْنِهِ الْفَرَقُ^(٣)
 وَبِئْسَ طَعْمُ حَيَاةٍ لَوْ هِيَ نَسَقُ

حَيِّيتِي لَمْ تَخَالِفْ بَيْنَنَا غَيْرُ
 وَلَا اشْتَكَى جَانِبَ فَرْطِ الْجَفَافِ بِهِ
 نَهَشُ لُطْفًا بَلْقِيَاهُمْ كَمَا انْتَفَضَتْ
 حَيِّيتِي وَالْهَوَى ، كَالنَّاسِ ، خِلَقَتُهُ
 مَا لَذَّةُ الْوَصْلِ لَمْ يَلِوِ الصُّدُودُ بِهِ
 بَيْسَتْ رَتَابَةُ لَحْرِ عَوْدِهِ وَتَسَرُّ

* * *

تَسْتَأْقِنَا عَنَّا طَوْرًا وَتَرْتَفِقُ^(٤)
 مِمَّا تَشَابَكَ فِيهَا الْجِلْمُ وَالْخَرَقُ^(٥)
 وَلَا الطَّيْوَى بَرْمٌ يَجْزُرُهُ الْأَرْقُ^(٦)
 كَمَا يَزِيدُ جَمَالَ الضَّحْوَةِ الْعَسَقُ^(٧)
 مَعْدِبِينَ تَعَاطَوْا كَأَسْنَا وَسُقُوا
 مَصَابُ قَوْمٍ غَنُوا ذُلًّا فَمَا نَطَقُوا
 سَيَّانٍ مِنْ حُرِمُوا مِنْهُمْ وَمِنْ رُزِقُوا
 نُبِّلُ فِي الْعَسْرِ نَارٌ شَبَّهَا الْخَنَقُ
 بَرْدًا مَصَايِرُ قَوْمٍ قَبْلَنَا احْتَرَقُوا

تِلْكَ الثَّلَاثُونَ وَالتَّسْعُ الَّتِي دَلَفْتُ
 لِلَّانَ نَعَجَبُ مِنَ الْوَاحِ سِيرَتِهَا
 جُعِنَا بِهَا وَشَبِعْنَا ، لَا الْغَنَى بَطَرُ
 تَزِيدُنَا ثَقَةً بِالنَّفْسِ ضَائِقَةً
 مَعًا نُعَاطِي بِأَنْفَاسٍ مُصْعَدَةٍ
 كَمْ سَاءَ قَوْمًا غُنُّوا عِزًّا فَمَا سَكَنُوا
 نَصَلَّى بِنَارَيْنِ يُصَلَّى الْخَلْقُ حَرَّمَا
 فِي الْيُسْرِ نَارٌ لِمَعْسُورَيْنِ أَجْجَهَا
 مَا إِنْ نُحَسِّ بِهَا حَتَّى تُصَيِّرَهَا

(١) غَيَّرَ : حَوَّاثٌ وَنَوَازِلُ .

(٢) غُنُّ الرِّيَاضِ : الرِّيَاضُ الْكَثِيرَةُ الْعُشْبِ . الرَّائِحُ الْغَدَقُ : الْغَيْمُ الْغَزِيرُ الْمَطَرُ .

(٣) الْفَرَقُ : الْخَوْفُ .

(٤) الثَّلَاثُونَ وَالتَّسْعُ : الْمُدَّةُ الَّتِي مَضَتْ عَلَى زَوَاجِهِمَا .

(٥) الْخَرَقُ : التَّهْوِيرُ .

(٦) الطَّيْوَى : الْجُوعُ .

(٧) الْعَسَقُ : الظُّلْمَةُ (فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ) .

ماذا تظنين هل كانت لنا خَيْرٌ فيما عداها ؟ وهل كانت لنا طَرُق
وشِرْكَةٌ وما آسِيا لها ثِقَةٌ بنا ونحنُ بعُقْبى أمرها نثِقُ

* * *

حييتي لم تُصَرِّفْ زحفنا « صَدَفٌ » كما يُصَرِّفْ زحفَ الركب مُفْتَرَقُ
ولا اصطفى القَدَرُ المظنونَ رحلتنا كُنّا لها قَدَرًا يَمْضِي وَيَسْتَبِقُ
سِرنا على الشوكِ يُدْمِننا ونألفُهُ وفي مفاوِزَ ترمينا ونلتصقُ
كنا نرى الجمرَ مشبواً ونحترق ومغرسَ الرَّجُلِ ملغوماً ونَحْتَرِقُ
مُجانفينَ دُرُوباً ذَلَّ سالكُها من فرط ما عَبدوا منها وما طَرَقوا
كأنَّ ما استمروا من رعيها حَسَكُ فظُّ ، وما استعذبوا من وِزْدها طَرُقُ^(١)

* * *

حييتي مَسَّنَا ضَرٌّْ بمجتمع كلُّ الذي فوقَهُ في ضِدِّهِ شَرِقُ^(٢)
تَسُدُّ فيه فراغَ الرُّوحِ وحشتُها كما يُشَوِّهُ فَتَقُ الرِّيطَةُ الرَّتْقُ^(٣)
كأنَّ ما يُتَخَطَّى من حواجزِهِ حواجزُ الموتِ تخطوها فَتَنْصَعِقُ
نُشَوَى بأحكامِهِ يوماً وَرَفُضُها ونَسْتَرِقُ له يوماً وننعتِقُ
نسوم أنفُسنا خسفاً يُجَنِّبُها خَسْفاً ويسخَرُ مِنّا الناهزُ اللَّبِقُ^(٤)

(١) استمروا : استطابوا واستعذبوا . حَسَكُ : نبات شوكي . الطرق (بسكون الراء) : الماء الكدر ، وحركت الراء للضرورة .

(٢) شَرِق بالياء : غص به . شرق بالنعيم : ملك منه الكثير ، فهو شرق .

(٣) الرِّيطَةُ : الثوب الرقيق . الرَّتْق : الترقيع .

(٤) الناهز : الانتهازي .

وَنَحْسَبَ الْعِيشَ مَا يُغْنِي الْكَفَافَ بِهِ
وَتُكْسِرُ الْحَرْفَ أَنْ يُودِيَ الْهَوَانَ بِهِ
وَمَا سَلِمْنَا مِنَ الْعَذْوَى تَلَا حَقْنَا
وَقَدْ أَفَاضَ عَلَيْنَا مِنْ جَرَائِرِهِ
وَبِئْسَ ذَاكَ عِزًّا ، غَيْرَ أَنَّ يَدًا

إِذِ الْكَفَافَ لَدَى مَنْ حَوْلَنَا حُمُقٌ^(١)
وَيَسْتِيحُ حِمَاهُ الْوَاعِلُ الْمَذَقُ^(٢)
فَعَنْدَنَا مِنْ ثِيَابٍ نُفَضَّتْ شِقَقُ^(٣)
مَا سَاوَرَتْ مَسْحَهُ الْآهَاتُ وَالْحُرُقُ
تَكَافَحُ الْمَوْجَ قَدْ يُوقَى بِهَا الْعَرَقُ

* * *

حَبِيبَتِي سِقْصُ الدَّهْرِ قِصَّتَنَا
وَكَيْفَ لَا وَخَفَايَا أَمْرِهَا عَجَبٌ
مَاذَا لَقِينَا ؟ أَتُبْدِي مِسْحَ خِلْقَتِهِ
مِنْ شَامَتَيْنِ تَبَشَّوْا خِزْيَ مُخْتَلِقِ
أَمْ سَوْفَ يَنْدَى مِنَ التَّارِيخِ زَوْرُهُ
لَمْ يَبْقَ فِي الْغَابِ مِنْ ذَنْبٍ بِهِ كَلْبٌ
تَشْجَعِي كَمْ أَدَالَ الْحَقُّ مِنْ سَفَلٍ
لَسْنَا بِأَوَّلِ مَخْضُوبٍ دِمَاءً هَدْرًا
إِنَّ السَّهَامَ الَّتِي مَا رَاشَهَا صَيِّدٌ

حَتَّى لَيُكَذَّبَ أَقْوَامٌ وَإِنْ صَدَقُوا
بِهِ عَلَيْنَا ضَحَايَا سَرَّهُ غَلَقُ^(٤)
أَمْ سَوْفَ يُلْعَنُ فِيهِ الْخَلْقُ وَالْخُلُقُ ؟
وِغَاضِيَيْنَ ، وَحَيًّا ظَلَّ مُخْتَلِقِ^(٥)
مَا شَاءَ وَغَدَّ جَبِينٌ بَلَّاهُ الْعَرَقُ
إِلَّا وَمِنْ دَمِنَا فِي نَابِهِ لُعَقُ^(٦)
دَاسُوا عَلَيْهِ وَكَمْ دِيسُوا وَكَمْ سُحِقُوا^(٧)
وَلَا بِآخِرٍ مِنْ يَقْفُو وَيَلْتَحِقُ^(٨)
وَلَا تَكَا فَيَ بِهَا مَرْمَى وَمُرْتَشَقُ^(٩)

(١) الكفاف : الحد الأدنى .

(٢) الواغل : الداخِل . المذق : الذي لا يخلص الود . الواغل المذق : المتطفل .

(٣) الشقق : جمع شقة وهي قطعة من الثوب .

(٤) غلق : مستغلفة غير مفهومة .

(٥) حيا ظل مختلق : ظل المُخْتَلِق حياً ولم يُقْتَل .

(٦) لعق : قطع الدم .

(٧) أدال : انتصف لنفسه .

(٨) يقفو : يتبع .

(٩) الصيِّد (محركة) : الأصيد وهو — هنا — الصياد الماهر .

كَبْرًا صَمَدْنَا لَهَا فَاسَاقَطْتُ كِسْرًا
لَا نَكْذِبُ الْفَخْرَ ، فِي أَعْمَاقِنَا عُقْدُ
كَمَا تَسَاقَطُ حَوْلَ الْأَيْكَةِ الْوَرَقُ^(١)
مِمَّا يَمْجَجُ فِي أَطْبَاعِنَا عَلَقُ^(٢)

* * *

إِنِّي وَعَيْنِيكَ لَا أُمْنَى بِدَاجِيَةِ
سَالْتِنِي أَمْسٍ فِي نَجْوَى يَهْزُ بِهَا
عَلَامٌ يُجْمَعُ فِي إِبَانِ غَفْلَتِهِ
حَبِيبَتِي مَا يَزَالُ السُّرُّ فِي عَمَلِهِ
تَقَحَّمُوا عَالَمًا غُمْتُ مَصَايِرُهُ
لَا يَسْتَطِيعُونَ فَكَّامِنْ مَحَاوِرِهِ
مِنْ كُلِّ مُسْتَعْفَلٍ خُطَّتْ مَنِيَّتُهُ
وإنْ عَجِبْتَ فَمِنْ «مَعْلُوفَةٍ» دَرَجَتْ
جِيلِينَ فِي قَبْضَةِ الْجَزَارِ لَا أُمْنَى
نَقَائِضُ يَرْسُفُ الْعَقْلُ الطَّلِيْقُ بِهَا
أَوَّلًا ، فَفِيَمَ عَفَارِيْتُ مُوَكَّلَةٌ
وَفِيَمَ زَهْوُ الصَّبَا وَاللُّطْفُ يَسْحَقُهُ
تَقَلُّصُ الْجَهْلُ حَتَّى دَقَّ مَفْحَصُهُ
وَاصْأَعَدَ الْفِكْرُ حَتَّى الْكُوْنُ فِي رَهْجِ

إِلَّا وَأَنْتَ لِي الْإِصْبَاحُ وَالْفَلَقُ^(٣)
خَوْفُ التَّهَايَاتِ مَنْ هَامُوا ، وَمِنْ عَشِقُوا
شَمْلٌ وَإِذْ يَزْدَهِيهِ الْوَعْيُ يَفْتَرِقُ
عَلَى أَسَارَى بِأَنْيَابِ الرَّدَى عَلِقُوا^(٤)
كَأَنَّهُمْ مِنْ مَصِيرٍ غَيْرِهِ سُرِقُوا
إِلَّا إِذَا اسْطَاعَ فَكَ الْمَخْجِرِ الْحَدَقُ
عَلَيْهِ لَيْلَةٌ وَافَى أَمَّهُ الطَّلَقُ
تَرَعَى «الْهَشِيمُ» وَيُسْتَبْقَى لَهَا رَمَقُ
عَلَى الْحَيَاةِ ، وَلَمْ تُضْرَبْ لَهَا عُتْقُ
وإنْ تَفَلَّسَفَ أَقْوَامٌ ، وَإِنْ حَذَقُوا^(٥)
بِالْمَوْتِ مَا رَعَدُوا فِينَا وَمَا بَرَقُوا
وَالْحَبِّ ، وَالْخَيْرُ عَابَتْ سَادَرُ نَزَقُ
وَسُمِّنَ الْعِلْمُ حَتَّى كَادَ يَنْفَلِقُ
بِهِ ، وَحَتَّى نَسِيْجُ الْكُوْنِ مَنْخَرَقُ

(١) الأيكة: الشجرة الملتفة الأغصان .

(٢) علق : أكدار .

(٣) الفلق : الصبح أو الفجر .

(٤) علَقُوا : تعلقوا .

(٥) يرسف : يمشي مثقلا مشي المقيد .

وما يزال الأذى ، والبؤس مرتها
والحقْدُ والخبثُ والإدقاعُ والقلقُ
وما تزال حضاراتٌ مشعّعةٌ
في قبضة الذرّ وحشاً يوم ينطلقُ

فاتنة ورسام

« محمد المصباح »

● نظمت في براغ عام ١٩٧٠ . ونشرت بعدها بعدة سنوات .

وقال « محمد المصباح » يوماً
من « الجيك » السواحر لست تدري
هلمي ارسُـمْنُكْ غداً ..
لفاتنة من الغيد الحسانِ
بهنَّ المحصناتِ من الزواني :

فقلت :

غداً غداً وفي المقهى الفلاني

فقال :

برسمي حيثُ استتـمـت
من الرسم المعاني والمباني
فقلت :

لا .. ومن أعطاك ذهنها
أداةُ الرسم تحملها سلاحاً
ولكنْ كُلُّ ما تبغيه مني
وعلمك التفننَ في البيان
على فخذيك مشحوذ السنان
خفوتُ الضوء في ضنك المكان

رسالة .. الى محمد علي كلاي

من :

محمد مهدي الجواهري

تلاكم وخصمه فهزمه وأدماه فحاز اعجاب العالم وملايينه !

● نشرت في عدد من الصحف وقد أثارت في وقتها ضجة كبرى !

يا مُطْعِمَ الدنيا — وَقَدْ هُزِلْتُ —	لحمًا بشحمٍ منه مقطوب ^(١)
ومزيرها يقظى وغافيةً	أطيفَ بادي البسطش مرهوب ^(٢)
يا حالباً من ضررِها عسلاً	عن غيرِ سُمٍّ غيرِ محلوبٍ
ومُرَقَّصاً منها كما انتفضتْ	نُطْفُ الحَبَابِ بكأسِ شُرْبٍ ^(٣)
وكما تراقصتِ الدمى عشباً	ما بين تصعيدٍ وتصويب ^(٤)

(١) مقطوب : مجموع .

(٢) مزير : من أزار .

(٣) نطف : جمع نُطفة . الحباب (بالفتح) : الفقاقيع .

(٤) تصعيد وتصويب : صعود وانحدار .

يا طاعنا أعجاس صفوتها بمطى شديد الصلْبِ أَلُوبِ^(١)
 شِئْغَ لنعْلِكَ كُلُّ مَوْهَبَةٍ وفداءً «زَنِدِكَ» كُلُّ مَوْهوبِ^(٢)
 وصدى لَهائِكَ كُلُّ مُبْتَكَرٍ من كُلِّ مسموعٍ ومكتوبِ
 من كُلِّ ما هَجَسَ الفِـؤاةُ بِهِ عن فرطِ تسهينٍ وتعذيبِ

* * *

يا سالباً بجماعِ راحتهِ أغنى الغنى ، وأعزَّ مسلوبِ
 ما الشعْرُ ؟ .. ما الآدابُ ؟ .. ما يدْعُ للفكرِ ؟ .. ما ومَضاتُ أسلوبِ ؟
 شِئْغَ لنعْلِكَ كُلُّ قافيةِ دوْتُ بتشريقٍ وتغريبِ^(٣)
 وشدا بها السُّمَّارُ مائِةً ما يُفْرِغُ النَّدْمَانُ من كوبِ
 ومعلِّها يجتُرُّ من أَلَمِ دَامَ على الأَسْلاتِ مسحوبِ^(٤)
 يُلغى ويُنفى شَأْنُ مُتَبَّذٍ سَقَطَ من الأغْلاطِ مشطوبِ

* * *

يا سيّد «اللُّكَماتِ» يَسْخَرُها ذهباً ، يَذْهَبُ مِنْهُ مَشْبُوبِ
 نحنُ الرعيّةُ .. عِشْتُ من مَلِكِ بِمَفْاخِرِ «العَضَلاتِ» معصوبِ

(١) اعجاس : جمع عجس وهو العجز . المطى : جمع مطية وقد خففت الياء للضرورة . الألوب : السريع العدو .

(٢) شغ النعل : شراكه أي رباطه .

(٣) القافية : القصيدة .

(٤) الضمير في «معلها» يعود على القافية أي القصيدة . الأسلات : جمع «أسلة» وهي رأس القلم الحاد .

زَنْدُ بَزْنِدٍ .. وَالسُّورَى تَبَعٌ
مَرَّغُهُ .. مَرْقُ ثَوْبٍ سَحْتَتِهِ
لَدَّغُهُ بِالنَّعَزَاتِ لِادْعَةٍ
سَلِمَتْ يَدَاكَ ... أَأَنْتَ صُعْتُهُمَا

لَكَمَا ، وَغَرْقُوبٌ بِعُرْقُوبٍ^(١)
رَقُّعُهُ مِنْ دَمِيهِ بِشُؤْبٍ^(٢)
مَا لَمْ يُلْدَغُ سُمٌّ يَعْسُوبٍ^(٣)
أَمْ صَوغُ رَبِّ عَنْكَ مَحْجُوبٍ

* * *

قُلْ لِي - أُبَيَّتَ اللَّعْنُ - مُمْتَدَحًا
أَللَّهُمَّ وَنَ أَنْتَ تَرْسُمُهُمْ
تَحْدَمًا «لِقَصْرِكَ» صُنْعَ سَاحِرَةٍ
ذِي أَلْفٍ «بَاطِيَةِ» وَسَاقِيَةٍ
أَمْ أَنْتَ تَخْشَى أَنْ تَعْبِيثَ بِهِ

وَكَلَّـرُمْتَ عَنْ لَوْنٍ وَتَثِيبٍ^(٤)
خَوَلًا مِنَ الشُّبَّانِ وَالشُّبِّ^(٥)!
ذِي أَلْفٍ سَقْفٍ فِيهِ مَذْهُوبٍ!
وَيَأْلَفُ رُجْبُوبٍ وَرُغْبُوبٍ^(٦)
نَزَوَاتُ «مَرْعُوصٍ» وَمَجْذُوبٍ^(٧)

* * *

«أَحْمَدُ» وَالدَّهْرُ مَلَحَمَةٌ
وَالنَّاسُ ذُؤَبَانٌ تَضِيقُ بِهَا
لَا يَرْتَضُونَ - لِقَرْطٍ مَكْلَبَةٍ -
وَيُصَفِّقُونَ لِمُحَرِّبٍ شَرِسٍ
يُذَكِّي «الْهَرَّاشُ» حِمَاسَهُمْ طَرِبًا

مِنْ غَاصِبٍ عَاتٍ وَمَغْصُوبٍ
أَسْلَابُ تَثْقِيفٍ ، وَتَهْذِيبٍ
وَتَبَّاتٍ ذَنْبٍ غَيْرِ مَكْلُوبٍ
وَيُصَفِّقُونَ بِوَجْهِهِ مَحْرُوبٍ^(٨)
لِدَمٍ يَعْرِفُ السَّدْيَكِ مَسْكُوبٍ^(٩)

(١) العُرقوب من الانسان : ما ضمَّ أسفل الساق والقدم .

(٢) شُؤْبُوب : الدَّفْعَةُ مِنَ الْمَطَرِ .

(٣) يَعْسُوب : ذَكَرُ النَّحْلِ .

(٤) «أُبَيَّتَ اللَّعْنُ» : دَعَاءٌ يَخَاطَبُ بِهِ الْمُلُوكَ . تَثِيب : تَرْقِيعُ .

(٥) خَوَلٌ : خَدَمٌ .

(٦) بَاطِيَةٌ : زَقُّ الْخَمْرِ . رُجْبُوب : النَّاعِمَةُ الْبَيْضَاءُ الْخُلُوةُ .

(٧) مَرْعُوصٌ : مَهْرُوزٌ وَمَنْفُوضٌ .

(٨) الْمُحَرِّبُ : الْغَاثِمُ السَّالِبُ : مَحْرُوبٌ : مَسْلُوبٌ .

(٩) الْهَرَّاشُ : الْقِتَالُ .

وَكَاثُهُمْ يُسْقَوْنَ صَافِيَةً
و «الثَّوْر» ، تَصْطَخِبُ الْجِرَاحُ بِهِ ،
وَكَأَنَّ مُرْتَكِزَ الرِّمَاحِ بِهِ
كُنْ حَيْثُ أَنْتَ تَجِئُكَ صَاغِرَةٌ
تَسْعَى لَذِي بَطَرٍ ، وَقَدْ زُوِيَتْ
بَنْزِيفِ رَأْسِهِ مِنْهُ مَنُخُوبٍ^(١)
مَدْعَاةٌ تَهْلِيلٍ وَتَرْحِيبٍ
تَعَمُّ بِعُودٍ مِنْهُ مَضْرُوبٍ
دَفْعُ اللّٰهِي ، وَالزَّهْوِ ، وَالطَّيْبِ^(٢)
عَنْ نَابِغٍ ، أَسْيَانَ ، مَغْلُوبٍ

* * *

كَمْ «عَبَقِيَّاتٍ» مَشَتْ ضَرَمَاءً
وَتَنَفَّسَتْ رِئَةً الْحَيَاةِ بِهَا
عَاشَتْ وَمَاتَتْ فِي جِمَى جَشِبٍ
مَجْلُودَةً - ثُلُوى أَعْنَتَهَا -
بِمَرْجَّامِينَ ... نَهَارٍ مُرْتَحِصٍ
حَجَجٌ مِثْلُ مِثْلٍ ، دُونَ شَهَقَتِهَا
أَعْطَتْ ، وَأَغْنَتْ ، وَاسْتَرَدَّ بِهَا
مَا عَادَلَتْ أَعْشَارَ «ثَانِيَّةٍ»
تِلْكَ «الْمَلَايِينُ» الَّتِي سُحِبَتْ
تُثِرَتْ عَلَى قَدَمَيْنِ خُضْبَتَا
فِي جُنْحٍ دَاجِي الْجُنْحِ غَرِيبٍ^(٣)
مَنْ بَعْدَ تَعْبِيسٍ ، وَتَقْطِيبٍ
جَاسٍ ، شَتِيمِ الْعَيْشِ مَسْبُوبٍ^(٤)
بَسِيَّاطٍ تَرْغِيبٍ ، وَتَرْهَيبٍ :
وَبَلِيلٍ نَابِي الْجَنْبِ ، مَرْعُوبٍ^(٥)
شَهَقَاتُ مَخْنُوقٍ ، وَمَصْلُوبٍ^(٦)
أَنْفَاسُ مُحْزُونٍ ، وَمَكْرُوبٍ
عُمُورُ بَسَاحٍ مُوَحِّشٍ مُوَلِيٍّ^(٧)
سَحَبَ «الْمَخَاضَةِ» عَبْرَ «أَنْبُوبٍ»
بَدَمٍ لَأَخَرٍ مِنْهُ مَخْضُوبٍ

(١) الصافية : الخمر .

(٢) اللّٰهِي (بالضم) : جمع لّٰهية وهي الأعطية .

(٣) داجي الجنح : الليل المظلم . الغريب : الشديد السواد .

(٤) الجشب : الخشن الغليظ . الجاسي : الصُّلب .

(٥) بمرجمين : الليل والنهار .

(٦) مفعون : جمع مفة .

(٧) المولي : الموبوء .

طنجة ..

● نظمت في المغرب عام ١٩٧٤ وكان الشاعر ينزل «طنجة» .

لله دُرْكُ «طنجُ» من وطنٍ وقف الدلالُ عليه والغنجُ
الليلُ عن جفنيكِ منطلق والصبحُ عن نهديكِ منفرج
تخالِف الألوانُ في شفق ويلمها غسق فتمتزوج

* * *

مرجٌ من «البحرين» فوقهما ضوء النجوم يرقُ والسرُّجُ
تهفو الرمالُ اليه ناعمة والسفحُ والأمواج .. و «القبج»

* * *

صفتِ النفوسَ فلفَّها مرجٌ يهفو بها ، وتلاقت المَهَجُ
فيسدُّ على خصرٍ ، ولا رصد وفمٌ على ثغمر ، ولا حرج

وعلى العيون من الأسى رهج
تُغْفِيَنَّ والأطرافُ حاملةً
وعلى الوجوه من الجوى وهج
في كل مغنى فيك تختلج

آليت

● نظمت عام ١٩٧٥ .. إثر تحرش بعض الكتاب المأجورين بالشاعر .

آلَيْتُ أَبْسَرِدُ حَرَّ جَمْرِي وَأَدِيلُ مِنْ أَمْرِ بِخَمْرِ^(١)
وَأَقْصِيضُ اللَّوَى بِأَيَّةٍ بَسْمَةٍ عَنْ أَيِّ نَغَمٍ
بَنَشِيشِ كَأَسَى بِالْحَبْسِ بِخَمْرِي ، بَيْنَاتِ شَعْبِي
يَا رَبِّ يَوْمَ لِي غَنِيٌّ تُبْسَاعِهِ عَنْ أَلْفِ شَهْرِ^(٢)
خِلْتُ الْحَيَاةَ بَزَوْغَ فَجْـ رٍ عِنْدَهُ بِضِفَافِ نَهْرٍ
وَكَلَّانَ لِي مِنْ بَرْدٍ مَعِ سُولِ الرُّضَابِ دِنَانِ خَمْرِ^(٣)
وَحَسِبْتُ أَنِّي دَاهِـ مَا شِئْتُ أَرْغَمُ أَنْفَ دَهْرِي
وَنَسِيتُ أَنِّي مُضْغَعَةٌ فِي شِدْقِ أَرْقَسِطٍ مُسْتَسْرِ

* * *

(١) دال الزمان دولته : دار وانقلب من حال الى حال .

(٢) ساع : جمع ساعة .

(٣) الرضاب : الريق .

ن سواحرأ نفثات سِـحـري
شِـغـري على أـمـواج بحر
م مطارفأ لبثات شِـغـري^(١)
خُضِر الرُّبى نفحات عطري
صَوْن الحَمَام أليف وكر

لَيْثُ أَمْضِي بِالْعِيـو
أَلْحَنُ الْأَمْـوَاجِ فِي
وَأَخِيطُ مِنْ مِزَقِ الْغَمِ
وَأَصُبُّ فِي الْأَنْفَاسِ مِنْ
وَأَصُونُ عُشِّي وَادْعُوا

* * *

بالدهر من كُرٍّ وفَرٍّ
شنعاء من «زَيْدٍ» بعمرو
حأ كان أن أُرديهِ نَذري

أَلَيْثُ بَعْدَ تَمَرُّسٍ
وَوَقِيعَةٍ أَنْكَرْتُهَا
أَنْ أَقْتَدِي بِدَمِي جَرِيـ

* * *

تد كي يروح وقَاء شطري
حُ الدَّهْرِ عَنْ نَكْبَاء صِرٍّ^(٢)
تق بها ، فِيلَجْـا للأشْر
فِ دريئةً وأسلتُ نخري

أَوْقَفْتُ شَطْرِي فِي الشِّدَا
حَتَّى إِذَا انْفَرَجَتْ رِيَا
يَتَكَلَّبُ الشَّرُّ الْحَيَا
عَرَّضْتُ وَجْهِي لِلْحُتُو

* * *

لَهْ يَوْمَ مَلَحَمَةٍ وَعُـسْرِ
مَا كَانَ مِنْ نَفْسٍ وَضُرِّ

أَلَيْثُ أَمْتَحَنُ الرَّجُو
وَأَرَى رُجُولَاتِ الْفَتَى

(١) المطارف : جمع مُطرف وهو الثوب .

(٢) نكباء صر : ريح شديدة .

وَكـرـهـة مـلـمـومـة لـم أـلـفَ عـنـها مـن مـفـر
لـم أـعـتـذـرُ عـنـها ، وـعـنـ لـم أـرـا وُغُ أـلـفُ عـذـر
وَكـرـهـة لـم تُكـشَفُ فـدَقْتُ جـاـجِـمـها بـصـدري
أَلْفِيـتُـها خـيـرَ القـوا بِ لـنـبـه في النـاس ذكـري
مـن صُنـعٍ وـغـيـدٍ فـجـرة مـن كـل ذـي بـرٍّ أـبـر

* * *

وَمُساوِمينَ على الحروف كَأَنَّهُـا تـنـزـيـلُ ذِـكـرٍ
مَدُّوا لَعْرِيانَ الضميرِ رِ يـدُأْ بـزَـعِـمِـهـمُ تُعـرِّي
مَاذَا تُعـرِّي إِنْـهـا شِـيَـةُ الحُـجـولِ عـلَى الأَغـر^(١)
يَا زاحِمينَ بَطْهَرِهِمُ طَـهـرَ المـلـائِكِ يـومَ حَـشـر^(٢)
شَتَّانَ أَمْرُكُمْ وَأَمْرِي أَنـا ذَا أُنـوءُ بـثـقـلِ وِزـري
أَنَا لَيْسَ لِي عَسَالُ «عَنْـ» عـرة» وِلا صَمْصَامُ «عَمـرو»^(٣)
عُمَرِي سَيَقْطَعُ رَحْلَتِي أَنـا لَسْتُ أَقْطَعُ شَوْطَ عَمـري

* * *

شَاخَ الجَوَادُ وَلَمْ تَزَلْ تَعْتَامُهُ صَبَوَاتُ مُهَر^(١)
طَلَّقَ الْعِنَانَ فَإِنْ كَبَا نَفَضَ الْعِنَانَ ، وَرَاحَ يَجْرِي
وَلَقَدْ أَقْبَلُ فِي الثَّرَى رَجُلِي ، وَنَسَفَ فِي الْحَجَرِ

(١) الشية : العلامة . الحجلول : بياض في قوائم الخيل .

(٢) العسال : الرمح . الصمصام : السيف .

(٣) تعتام : تقصد .

سبحانَ مَنْ جمعَ النِّقا
عندي كَفافُ «حمامة»
نَضَرَ فِيَّ من خيبرٍ ، وشرَّ
فإذا اسْتِثْرْتُ فـجـوعُ «نمر»

* * *

أَسْرَجْتُ لِلأَظْمَاتِ مُهْرِي
وَحَمِدْتُ فِي الْكُرْبِ الشِّدَا
وَحَبْرْتُهَا ، وَحَزَمْتُ أَمْرِي
دِ صَمُودَ إِيمَانِي لَكْفَرِي
دِ نَذَرْتَهَا ، وَوَفَّيْتُ نَذْرِي
سَبْعُونَ فِي سَوْحِ الْجَهَا

* * *

ومبارزينَ سَلاحهم
أَمْنُوا بِعَصْمَةِ صَافِح
مَثَلُ «الْفَوَاحِشِ» يَحْتَمِي
مُسْتَعْبِدِينَ تَوَارَثُوا
أَنْ لَسْتُ نَذَّ ذَوَاتِ ظُفْرِ
عَنْ كَاشِفِي السُّوءَاتِ تُكْرَر
مِنْ بُقْحَشِيهِنَّ ، بِأَيِّ سَتَر
حَقَبَ التَّمَلُّكِ ، وَالسُّتَرِي
لَكَ وَهَمَ عَلَيْكَ ! لِقَاءِ أَجْر
وَمُسْخَرِينَ فَهُمْ لَدِي

* * *

وَمُخَنِّثٌ لَمْ يُحَسِّبْ
أَقْعَى .. وَقَاءَ ضَمِيرُهُ
كَذُنَابِ «عَقْرِيَّةٍ» لَهَا
«غَالِي» كَأَرْخَصِ مَا تَكُونُ
لَمْ يُعَلِّ قَدْرِي مَدْحُهُ
فِي ثِيْبِ خُطْبَتْ وَبِكْر
مَلَانَ مِنْ رَجَسٍ وَعُهِر
سُمِّ عَلَى الْعَذَبَاتِ يَجْرِي
نُ أَجُورُ غَيْرِ ذَوَاتِ طُهِر
وَبَذَمُهُ لَمْ يُدِنْ قَدْرِي

أَسْلَمْتُهُ لِلْمُبْتَائِ
وَلَنْ بَرَى أَظْفَرَهُ
يَضْوَى بِمَا يُغْذَى بِهِ

سَنَ الْعَارِفِ ————— نَ بِهِ بِمَصْرٍ
قَلَمُ الْمُبَاحِثِ وَالتَّحَرِّيِّ
شَهْرٌ ، وَيُسَمَّى سَنُ الْتَهَرِّيِّ

✱ ✱ ✱

أَمَّا حَدِيثُ الْمَشْرِقِ —
ضَاقَتْ قُبُورُ الْمَلْهُمِ —
إِنِّي دَرَيْتُ ، وَلَيْتَنِي —
بِالْمُنْعِظِ — نَ رَأَوْسَهُ —
وَبِكُلِّ مَنَعَفٍ الْجَبِي —
يُيَدِي الْعَفَافِ ، وَرُبُّهُ —
سَحَنًا يُسَمُّ نُخْرَهُ —

مِنْ فَمَلْتَقَى نَحْرِي ، وَسَحَرِي ^(١)
 مِنْ فَالْفُ مُوْهِبَةٍ بِقَبْرِ
 كُنْتُ الْجَهْلُ وَلِ ، فَلَسْتُ أَدْرِي
 كَبْرًا ، نَتَاجَ صَغَاً وَصُغْر ^(٢)
 مِنْ أَرْبٍ مِنْ فُحْشٍ وَهُجْر
 وَمُرْبُتُهُ فَضْلَاتُ تَبْرِ
 بِدَمِ الْأَضْحَاكِ يَوْمَ نَحْرِ

(١) السَّحَر (بفتح فسكون) : الرُّة .

(٢) الصَّغَا (بالفتح) : الميل .

بعد العرس

● نظمت في براغ عام ١٩٧٦

مرّت سنينٌ سودّ ثلاثٌ وكُلُّ يومٍ منهنَّ عامٌ
وأنتِ من «واعل» حلال ومن عَمِيدٍ صَبٍّ حرامٌ
يَقْطُتْهُ أنتِ في نهار وأنتِ في ليله المتنام

* * *

عُجْتُ بمغنى الهوى عليه منّي وإن صَوَّح السّلام^(١)
قفر فلا ظيئةً لعروب فيه ، ولا يَصْدَحُ البُغام^(٢)
وساخُّه موحشٌ حزينٌ يَلْقُطُ حَبًّا به الحمام
كأنَّ حيطانَه حصيدٌ شَبَّ بعيدانَه ضرام
واصعَّدتْ آهةً ، وغطّى عيني من رهبة قتّام

(١) صَوَّح : خلا ، أقفر .

(٢) البُغام : صوت الظبية .

وددْتُ لو كَانَ لي مَقَامٌ أو ان لحدي فيه يُقَامُ
يا للَّيَالِي .. في أَمْسِ ضَوَى وحشةً ليلي هذا الحُطَامُ

* * *

يا حلوةَ المُجْتَلَى سلامُ كيفَ التوى العهدُ والذمامُ
كيف انطوت صفحةً وأخرى فواحةً مِسْكُهَا خِتَامُ
يا حلوةَ المُجْتَلَى ، سلام قريرة السعين إذ تنام
تدريهن أم لا ؟ .. إني حُطَامُ غلّفه اللحمُ والعِظامُ

* * *

يا حلوةَ المجتلى ، فداءً لوجهك الأوجهُ السوسامُ
عُرْيُكَ عُرْيُ الرِّمَالِ بِكَرّاً لم يتهدّج بها التعمّسَامُ^(١)
وحين تُكْسَيْنَ فالسرواني خضرٌ تمشّى بها الغمَامُ

* * *

حطمت قيثارةً وأخرى مما اشتكى الوجدُ والهيامُ
أَعْلَمُ أَنْ لَا تُصْغِينَ سَمْعاً أريدُ أَنْ يسمعَ الأنامُ
فيمَ على صخرة عتابٍ وممّ عن صدها ملامُ
هل غيرُ أن تُثَعِّبَ القوافي وغيرُ أن يُرَخِّصَ الكلامُ

(١) يتهدّج : يمشي هدجاً أي بارتعاش .

يا لك «سبــــــــــــعين» لا توفي نذراً ! ولا يخمــــــــــــد الضرام
لا يعدُّ ذامَّ قبيح صُنْع من حُلِّو وجهٍ عداه ذام

لغة الثياب ، أو حوار صامت

● نشرت في جريدة «الجمهورية» ، العدد ٢٩٠٩ في ١٩ آذار ١٩٧٧

وَعَسَلْتُ أَثْبَوَانِي بِكَفِّي	شَمَّرْتُ أُرْدَانِي لِنَصْفِ
ظُرَاتٍ ، لِلأُرُوحِ تَسْفِي ^(١)	وَنَشْرُتُهَا لِلشَّمْسِ لِلنَّـ
نَا خُولِطَتْ صِنْفَاً بِصِنْفِ	حَالِفَتْهَا عَدَا ، وَلِـ
وَبَيْنَ مَفْضُوحٍ أَشْفُ	مَا يَبِينُ أُرْبَدَ لَا يَشْفُ
جَاحٍ . وَتَرْمُقُنِي بَعْنَفِ ^(٢)	وَزَلَلْتُ أَرْمُقُهَا بَاسَ
وَأَجْدُثُهَا حَرْفَاً بِحَرْفِ	لُغَةِ الثِّيَابِ عَرَفْتُهَا
عِلْمِـــ	لَمْ أَخْجِدْ بَرَفِيفِهَا
شَرِسٍ كَجَلْدِ «الْفِيلِ» جَلْفِ	فَلَطَ مَا خَفَقَتْ عَلَى
سَمَحٍ كَضُوءِ الْفَجْرِ عَفَ ^(٣)	وَلَطَ مَا خَلِقَتْ عَلَى

- (١) الأرواح : الرياح . تسفي : تحمل التراب وتذريه .
(٢) سجع سجحا : لان . الاسجاح : حسن العفو .
(٣) خلقت : بليت .

نَعَظْتُ السِّيَّ رُؤُوسُهَا
 وَاسْتَلَّتْ الْأَكْأَامُ أَلْ—
 قَالَتْ بِأَفْصَحِ مَا احْتَبَرَتْ
 حِقْبَاءُ طُولاً كُنْتُ إِلْ—
 دَرَةً الْخُتُوفِ عَلَيْكَ كُنْتُ
 يَا مُوَلَعَاءُ أَبَدًا بَطَرُ
 مَا كَانَ مِنْ دَرْنِي ، فَمَنْ—
 فِيهَا تَغَامَزَ أَلْفُ طَرْفٍ^(١)
 سَنَةً مُؤَمَّنَةً .. تُقَفِّي
 لِقَاءَ بَلَا نَحْوٍ وَصَرَفٍ :
 فَكْ بَرَّةً يَا شَرَّ إِلْفِ
 وَفِي يَدَيْكَ مَدْبُ حَتَفِي^(٢)
 حِي — يَتَّقِي وَضَرِي — وَحَذْفِي^(٣)
 لَكَ وَمِنْ دِمِ غُثْيَانِ صَلَفِ

* * *

مَا أَفْحَشَ الْغَاوِي بِصَا
 يَعْرِى ، فَتَحَسْبُ ، أُنَّه
 مَا كَانَ أَحْ—وَجَ مِنْ يُر
 فَإِذَا تَقَمَّصْنِي تَبْخُ—
 وَانْصَاعَ « كَالطَّـاَوُوسِ » يَسْ
 كَمْ بَيْنَهُ عَرْمَاءُ يَشْبُ
 يَطَأُ الرِّقَابَ .. وَيَبْنِيهِ
 سَمَجَ الْمَلَامِ فَرَطَ مَا
 عَرِ قُوَّةً .. وَمَهْنِ ضَعْفٍ^(٤)
 « قَرْدٌ » تَنْزِي تَحْتَ سَقْفٍ^(٥)
 قُصُّهُ إِلَى « صَنْجٍ » وَ « دُفٍّ »
 تَرَّ لَا يُطَاقُ مِنَ التَّكْفِي^(٦)
 حَبُّ ذِيْلُهُ فَوْقَ الْمَرْفِ^(٧)
 حَرِيْقُ مَلْحَمَةٍ وَيُطْفِئِي
 قَرْمَاءَ بِسِرْوَالٍ وَخُفٍّ ؟
 غَصَبَ الضَّمِيرَ عَلَى التَّخْفِي

(١) نَعَظْتُ : ارْتَفَعْتُ .

(٢) دَرَةُ الْخُتُوفِ عَلَيْكَ : دَفَعَ الْمَوْتَ عَنْكَ .

(٣) الْوَضَرُ : الْوَسْخُ .

(٤) صَاعِرٌ : شَدِيدٌ . صَعَرَ خَدَهُ (بِتَشْدِيدِ الْعَيْنِ) : أَمَالَ النَّظَرَ إِلَى النَّاسِ تَهَاوَنًا مِنْ كِبَرٍ .

(٥) نَزَا : وَثَبَ .

(٦) التَّكْفِي : مَشَى بِتَطَاوُلٍ وَكِبَرَاءٍ .

(٧) الْمَرْفُ : مَا سَارَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَرْضِ .

وَكَلَّأَنَّ فَوْقَ جَبِينِهِ
يَعْمَى .. وَيَحْقِرُ نَظَرَ تِي
وَأَرَاهِمَا .. « وَخَشِينَ » فِي
أَتَقِيمُهَا رَصْدًا — تَضِيحُ —
وَتَعْوِذُ تَمْسَحُ مَا تَبْقَى
وَكَلَّأَنَّ ذَاكَ يَهْرُبُ سَادِرٌ

« طَغَرَاءَ » مَسْكَنَةً وَخَسْفٍ^(١)
وَيَسْذُوبُ فِي نَظَرَاتِ خَشْفٍ^(٢)
قَفْصِينَ .. قُدَّامَ وَخَلْسَفِ
تِي بِهِ — فَتَطْرُدُهُ وَتُعْفِي^(٣) ؟
فِيكَ مِنْ « بَشَرٍ » فَتُصَفِّي^(٤)
خَوْفَ السُّمُوفِ إِلَى الْأَسْفِ^(٥)

* * *

مِنْ دُونِ خُلْفٍ جِلْفَةٍ
إِنِّي أَحْرِقُ زَلَّتِي
وَأَدِيلُ سَيِّءَ فَعْلِيَّةِ
وَإِذَا تَبَجَّحَ مِنْ يُمَرُّ
فَأَنَا الْمُدِلُّ بِقِسْوَتِي
كَالْبَدْرِ مِنْ بَعْدِ الْخَسْوِ
فَتَعْنَجِي أَنْ كُنْتُ جِلْفُ —

وَلَرُبَّ أَحْلَافٍ يَخْلُفُ
وَخَطِئَتِي بِجَحِيمٍ لَهْفِي
مَا اسْطَغْتُ مِنْ حَسَنٍ بِالسِّفِ
غُ أَصْغَرْتَنِي وَمَنْ يُعْفِي^(١)
فِي أَنْ أُمِيطَ لِثَامَ ضَعْفِي
فَ يُزَادُ مِنْ وَضَحٍ وَكَشْفِ
فَ أَخِي شَجِيٌّ ، وَنَدَى ، وَرَفِي

(١) الطغراء : علامة .

(٢) الخشف : ولد الغزال .

(٣) السادر : الذي لا يهتم ولا يبالي ما صنع .

(٤) يمرغ ، يعفي : يخفي ويستر .

يا فرحة العمر

● أبيات أهدى الشاعر بها ديوانه إلى شقيقته السيدة نبيه الجواهري .

أختي نبيه

سلمت أختي اذ لم يُقِر لي زمني
ولا تَقَيَّبَ عن عيني منبلج
يا فرحة العمر ظلّي بسمه عَمَرَت
حسبي وحسبك عن بُعد وعن كَثِبِ

أخاً سواها ، ولا أختاً تناغيني
من حُسن وجهك يعرفوني فُصْبيني
بالذكريات ، تواسيني ، وتسليني
أني أناجيك في هذي «الدواوين»

أخوك

محمد مهدي الجواهري

بغداد ١٩٧٧/٤/٩

ذكريات من أثينا .. سجا البحر

● نشرت في ملحق جريدة «الجمهورية» ، العدد ٣٠٤٨ السبت في ٢٧ آب ١٩٧٧

سجا البحرُ وانداحتُ ضفافُ نديّةٍ
وفُكَّتْ عُرى من موجةٍ لصقٍ موجةٍ
وسدّتْ كُوى ظلتْ تسدُّ خصاصها
ولفَّ الدّجى في مُستجدِّ غلالةٍ
سوى ما تردّى من مفاتينِ سَحرةٍ
وما حملَ «الاصباحُ» شوقاً إلى الضُّحى
وحَيَمَ صَمْتُ فاستكنّتْ حَمائمٌ
تَناءَبَ «أملودٌ» ، ولُمّتْ كَمائمٌ
وُخُولِطَ لونٌ في شَتِيتٍ مُخالفٍ
ولوّح رضاض الحصى والجنادلِ^(١)
تَماسكٌ فيما بينها كالسلاسلِ
عيونُ ظباءٍ ، أو عيونُ مطافلِ^(٢)
سوى ما تردّى قبلها من غلائلِ
وما جرَّ تيّهاً من ذُيولِ الأصائلِ
من الورقِ النّديانِ أشهى الرسائلِ
وقرّ على الأغصانِ شدوُ البلايلِ
ودبّ فتورٌ في عُروقِ الخمائِلِ
لما يترأى أو شبيهٍ مُشاكِلِ

(١) سجا : سكن . انداح : اتسع . الرضاض : ما دق من الحصى .

(٢) الحصاص (بالفتح) : الخروق والشقوق في الجدران . المطافل والمطافيل : الظبية أو الناقة معها صغارها .

كَأَنَّ الدُّنَا مَلَّتْ تَدْلُكِي شُخُوصِهَا بوضوح السنَى فاستبدلت بالخايلِ
رُؤَى تَسْتَبِيحُ الْجِنُّ فِي صَبَوَاتِهَا بها ما بنى إنسيها مِنْ هياكلِ

* * *

سَجَا الْبَحْرُ حَتَّى لَا تُعِيدُ ضِيفَاهُ صدى رَعَشَاتٍ مُتَعَبَاتٍ قَلَائِلِ
وَحَتَّى لَيْدُو - فِي غَرَابَةِ حَالِهِ وغريره - عن نفسه جَدَّ ذَاهِلِ
وَطَالَ عَلَيْهِ فِي عَبُوسِ دُجْنَةِ تَرْقُبُ «ضحاك» من الشرق قابلِ^(١)
وَلَمْ تَبَقْ إِلَّا وَثْبَةً مِنْ مُصَابِرِ ضعيفِ الْقَوَى كَالْمُقْعَدِ الْمُتَحَامِلِ
فِيَا لَكَ طَلْقاً رَهْنِ أَسْيَانِ مَوْحَشِ ونابه ذكِرٍ فِي خِفَارَةِ خَامِلِ

* *

خَلَا الرَّبْعُ مَانُوسَ الرَّحَابِ وَأَقْفَرَتْ مَلَاعِبُهُ مِنْ «زَعْرَدَاتِ» الْهَلَاهِلِ
وَمَاتَ بِهِ الْأَصْدَاءُ ، وَارْتَدَّ لَاهُثَا هُتَأُفُ الصَّبَايَا كَالْخَيُْولِ الصَّوَاهِلِ
وَجَفَّتْ رِمَالُ «لِلْمَسَابِحِ» بَلَلَتْ شَفَاهَا عَطَاشَى مِنْ «عَذَابِ» الْمَنَاهِلِ
وَأَعْوَلَ مَهْجُورُ «الْمَسَاحِبِ» وَانْطَوَتْ مَنَازِلُ «غَيْدِ» عَامِرَاتِ الْمَنَازِلِ

* * *

سَجَا الْبَحْرُ رَقَافَ السَّنَى وَتَرَاقَصَتْ لَآلِيٌ تَسْتَهْوِي عِيُونَ الصِّيَاقِلِ
وَعُصْ بِأَشْبَاحِ إِلَيْهِ صَوَاعِدِ عَلَى أُخْرِيَّاتٍ مِنْ سَمَاءِ نَوَازِلِ

(١) الدُّجْنَةُ : الظلمة . تحامل على الشيء : تكلفه على مشقة . الضحاك : هنا الفجر الضاحك القادم من المشرق .

إذا هزّزته الرِّيحُ واسرَّحت به
والحمه ومَضُّ من «البرق» ناعسٌ
حسبت «عريشاً» من عناقيد كرمية
وخلت النجومُ الزَّهرَ صَيْداً لصائد
خيوطٌ من الأضواء مثلُ الجدائلِ
وسداه شَفٌّ من غيومٍ نواحلٍ^(١)
تَدَلَّى «وَحَرشاً» من حُقُولِ السَّنابلِ
يُنْثَرُ من أشباكِه والحبائلِ

* * *

تنفسٌ عميقاً أيُّها «الشيخ» لم يَهِنِ
ولم يُنْسِه التَّيَّاهُ مِنْ جبروته
ولا زاده إلا سَمَاحاً وعِزَّةً
بجري على فرطِ المَدَى المُتَطاولِ
عناقِ الشَّواطِي ، واحتضانِ الجداولِ
تخطِّي شعوبٍ فوقه وقبائلِ

* * *

ويا «خالداً» تَهْزَأُ أسارى وجهه
وبالخلقِ مَنْحوساً مُعْتَى يروعه
عَبْدُكَ «صُوفِيّاً» يَدِينُ ضَمِيرُهُ
ويُسْرِجُ منه بالندامةِ «مَعْبِداً»
وعاطيتُكَ التَّجَوَّى مُعَاطَاةَ رَاهِبٍ
وَلَوْنَتْ أَحلامِي بما لَوْنَتْ به
وغنَّاكَ قِيثاري فلم تُلَفْ نغمتي
وتشهدُ أَمَاتُ القوافي تشاغلتُ
بمغزى خلودِ عادمِ الوجهِ زائلِ
بما يَيْتَنِي من عاجلِ خوفٍ آجلِ
بما ذَرَّ فيه من قرونِ الدخائلِ^(٢)
تَشْكِي طويلاً مِنْ دُخَانِ المشاعِلِ
مُصِيخٍ إلى هَمْسٍ من الغيبِ نازلِ
مَغَانِيكَ مِنْ كَوْنٍ بِسَحَرِكَ حَافِلِ
نَشَاذاً ، ولا لَحْنِي عَلَيْكَ بِوَاعِلِ^(٣)
بها أَكْوَسُ السُّمَارِ أَنَّكَ شَاغِلِي

(١) الحمة وسداه : من اللحمة والسدى .

(٢) ذَرَّ القرن : طلع ، أو طلع أدنى شيء منه .

(٣) الواغل : الداخل الطارىء .

بطيفك من وجهٍ لشخصك ماثلٍ
وناغاك بقيا جذعها المتآكلٍ
بأهوائه من مُستقيمٍ ومائلٍ
تقاتل فيما بينها دون طائلٍ

فيا «صاحبي» لا تُخل عيني شذتنا
ولا تُنسني نفساً هوثك فتيةً
هوى لم يمل يوماً ، ولم ضجّ خافقي
مفازةً إعصارٍ تظل رمالها

* * *

يحوم على صمت الدجى كالمخاتلٍ
تغلغل فيها من مُليحٍ وناصلٍ^(١)
ويمنحن تحلو البال طرف المغازل
على الشاطئ الأذن بريد المراحل
فهنّ لمن يرتادها كالمجاهل
لقرط التجافي والتنافي بساحل

سجا البحر إلا من شرعٍ مُهومٍ
وخفق مصايح كأن خوالجي
تغامزن بي يعجن من وجد ساهرٍ
على الشاطئ الأقصى كأن ريفها
معالم كون غامضات سرائرٍ
وما أصغر الدنيا على جهل ساحلٍ

(١) ألاح : تلاًّ ولع . الناصل : الباهت الذي نصل لونه إذا تغير وبهت .

فتى الفتیان .. المتنبي

- ألقى الشاعر قسماً منها في الأمسية الشعرية التي أقيمت في قاعة (ابن النديم) بمناسبة مهرجان المتنبي ، مساء الاثنين ٧ تشرين الثاني ١٩٧٧
- نشر هذا القسم في جريدة « طريق الشعب » ، العدد ١٢٤٩ الثلاثاء ٨ تشرين الثاني ١٩٧٧
- ونشر ، كذلك ، في مجلة « الدستور » ، العدد ٣٥٤ (لندن ١٨) السنة السابعة ، الاثنين ٢١ — ٢٧ تشرين الثاني ١٩٧٧
- ونشر ، أيضاً ، في مجلة « الآداب » البيروتية ، العدد الحادي عشر ، السنة الخامسة والعشرون ، تشرين الثاني ١٩٧٧
- كما نشر في مجلة « البيان » ، مجلة رابطة الأدباء في الكويت ، العدد ١٤٢ كانون الثاني ١٩٧٨
- نشرت ، غير كاملة ، في مجلة « الفكر الجديد » ، العدد ٢٧٤ السبت ٢١ كانون الثاني ١٩٧٨
- نشرت ، غير كاملة ، في كتاب (المتنبي مالىء الدنيا وشاغل الناس) الصادر عن وزارة الثقافة والاعلام — دار الرشيد للنشر — ١٩٧٩

تَحْدَى المَوْتَ واختَزَلَ الزمانا
فَتَى خَبَطَ الدُّنَا والنَّاسَ طُرَا
أَرَابَ الجَنِّ إنْسٌ عبقْرِيّ
تَطُوفُ الحورُ زِدْنَ بما تَعْنَى
ضَفَرْنَ جَدَائِلًا إكْلِيلَ غَايَ
وَمَنْ غُرَّرَ لَهُ نَاوِخْنَ عُودَا
وَمَا عَتَّقَتْ مِنْ أَلْفِ عامٍ
وَذَوَّبْنَ اللُّغَى ، وَكُفِّينَ مِنْهَا
وَنَصَّبْنَ الإِلَهَ عَلَى سَرِيرِ
وَرَاحَ الخُلْدِ يَخْفُقُ بالقُوافِ
وَمِلءُ رَحابِهِ نَغَمٌ طَلِيقٌ

فَتَى لَوَّى مِنَ الزَّمَنِ العِنانا
وَأَلَى أَنْ يَكُونَهُمَا ، فَكانا ...
بُوادي «عَبَقَر» اقْتَرَشَ الجِنانا^(١)
— وَهِنَّ الفاتنات — بِهِ افتانبا
وَمَنْ طَرَّرَ حَبَكْنَ الصَّوْلجانا^(٢)
وَطارُخْنَ اللوائِدَ والقِيانَا^(٣)
صَفَّفْنَ لَهُ المِشارِبَ والدَّنانا
بَأَصْداءِ العُصُورِ التُّرْجُمانا
مِنَ الزَهْرَاتِ زِيَّنَ بِها وَزانَا
عَمالِيقا ، وَأَغَيَدَ لِدانَا^(٤)
تَخَطَّى البَعْدَ ، واخْتَرَقَ الأَوانا

* * *

دَمًا صَاغَ الحُرُوفَ مُجَنِّحاتٍ
يَرِدْنَ حِياضَهُ يَنْبُوعَ فَكْرِ
وَطارَ بِهِنَّ فِي شَرْقٍ وَغَرْبٍ
فَوَيَّسَقَ الشَّمْسُ كُنَّ لَهُ مَدارا
وَأَبَ كَمَا اشْتَهَى يَشْتَطُّ آنا

رِهافا ، مَشْرُتباتٍ ، حِسانا^(٥)
وَيَحْضُنُ الرِراعَةَ والبَّنانا
كَأَنَّ لِهِنَّ فِي قَصَبِ رِهانَا
وَتَحْتَ الشَّمْسِ كُنَّ لَهُ مَكانا
فِيعَصِفُ قاصِيفا ، وَيَرِقُّ آنا

(١) أَرَابَ : جَعَلَ فِيهِ رِيَّةَ .

(٢) الصَّوْلجان : العود المَوجَّع وهو مِنْ سَماتِ الأَبيَّةِ والمَلِكِ .

(٣) نَاوِخْنَ : تَبادَلْنَ النِّواحَ .

(٤) لِدانَ : جَمعُ لَدَنَةٍ وَهِيَ اللَّيْنَةُ .

(٥) رِهافَ : جَمعُ رَهِيفَةٍ أَوِ الرِّقِيقَةِ . المَشْرُتبات : المَتَطَلعات .

فننسي غمرته هوانا
فقال كلاهما : إنا كلانا

وفي حاله يسخرنا هواه
فتم، دوى مع الفلك المدوي

* * *

بأن فتى بني الدنيا فتانا
به نفس مع المحن امتحانا
يُمَد لكل مائدة خوانا^(١)
بكنه حياة من طلب الأمانا
مع الثوب : التمس والمرانا
من العمرات أظفَع عُفوانا
لأنك كنت وحدك ممعانا^(٢)

نيا ابن الرافدين ، ونعم فخر
جبتك النفس أعظم ما تحلت
بذقت الطعم من تكبات دهر
وجهلك المخافة فرط علم
أعطتك الرجولة حصلتها
فكنت اذا انبرى لك عنفوان
كنت كفاء معمعة طحون

* * *

فجلى غامض منها وبانا^(٣)
وكم غاو السبح به فخاننا
سحرت بلطفها العف الحصانا^(٤)
عقدت بها مع البلوى قرانا
أنى حجراً ففجّره بياننا

سلت الروح في كلسم موات
وطاوعك العصي من المعاني
فكم من لفظية عف حصان
وأخرى برزة تجلسو البلايا
وسر الخلق ذهن عبقرى

(١) الخوان : ما يمد فيوضع عليه الطعام .

(٢) جلى : وضح .

(٣) العف الحصان : المرأة العفيفة المحصنة .

ولم أرَ في الحَذَاقَةِ من شبيهِ
جرانُ «العَوْدِ» لا يُخْشَى شذاه
كحَذَقِ المستعينِ بما استعانَا
ويُخْشَى العَوْدُ إنْ ألقى الجرانَا^(١)

*

ويا ابنَ «الكوفَةِ» الحمراءِ وشَى
وعاطى رملَهَا من أصغريه
عِوَنَ الشعرِ تبرُّقٍ والحنانَا^(٢)
هناك «بشعب بَوَّانٍ» حصانَا^(٣)
فقد كرهَ الطعانَ وكان أدرى
بأنَّك — وهو — مذبوحٌ طعانَا

ويا ذا الدولةِ الكُبرى تعالَتْ
بحسبك أن تهزَّ الكـوونَ فيها
وقد سحقَ البلي دولاً — كيانا
فتستدعي جَنانَكَ واللسانَا
وأن تُطري الشَّجَاعَةَ في شُجاع
فتعجِبُ — حين يُعجِبُكَ — الجَبَانَا
وأن تهوي بـعـالٍ لا يُداني
وأن تَعْلُو بدنًا لا يُعْلَى
فماذا تبتغي؟ أعلوَّ شأنَ
أم الدنيا العَرورَ وقد تهاوَتْ
تَمَلَّقَكَ «ابنُ عَبَّادٍ» وأرْحَى
فمن ذا كان أرفعَ منك شأنَا؟
على قَدَمَيْكَ ذُلًّا وامتهانَا؟
لك العرنيين منه والعيرانَا^(٤)

(١) جران العود : سوط يقعد من جران عودٍ هو أصلب ما يكون . الجران : باطن العنق . شذا الجران وشذاه : حدّه .

(٢) سبط اللآلئ : اللآلئ المنظومة في السلك . الجمان : اللؤلؤ .

(٣) الأصفران : القلب واللسان .

(٤) شعب بَوَّان : موضع في بلاد فارس ، وفيه إشارة الى قول المتنبي :

يقول بشعب بَوَّان حصاني أعن هذا يُسار الى الطعان

(٥) العرنيين والعيران : كناية عن الإباء والشمم والكبرياء ، وفي ذلك إشارة الى تضامن «الصاحب بن عباد» للشاعر .

معاقله : هلمَّ إلى جماننا
فإنَّ جدَّك باقٍ لا جداننا^(١)
بما يجبي العراقُ له ضماننا^(٢)
وكنْتَ أشدَّ من وتِدِ جرانا
بما لم تهوَّ أو أن تُعاننا
عليك ، وأن حرقَكَ لن يماننا
يشدُّ المُستدين بما استداننا

وماجت أرضه ذهباً وصاحت
وتولنا نذاك نعيش عليه
ومنَّاك « ابنُ صُفرة » لو تُوافي
وكان أرقُّ من زُبْدِ لِياننا
على ضنِّكَ وتـأبى أن تُراضى
وتعلمُ أن نفسَكَ لن توقى
ولكن فليكنْ نَسَبٌ قريبٌ

* * *

فلا أرضاً أراح ولا ظعاننا
ولا أعفى من الفرس اللبانا^(٣)
ضباعا تستفرُّ الديدباننا^(٤)
يدقُّ برأسه القممَ الرعاننا^(٥)
وأربابا إذا استوفى وحننا
به الرُّبَّال والقِطَطُ السَّماننا^(٦)

ولما استيأسوا من مُستميتٍ
ولا أبقي على صَعَدَاتِ رُحِمِ
أثاروا خلف رحلك عاوياتٍ
أراعنَ يطمعون بمُشمخِرٍ
فكنْتَ الحتَفَ يدركُهُم عبيداً
ورُدَّ لنحرهم كيْدٌ أحلوا

* * *

حلفتُ أبا الحميدِ بالُمُثَنَّى من الجبروتِ والغضبِ المُعائى

(١) الجدا : العطاء .

(٢) ابن صفرة : هو أبو محمد الحسن بن محمد الذي ينتهي نسبه إلى المهلب بن أبي صفرة وزير معز الدولة البويهى .

(٣) صعدة الرمح : قناته .

(٤) الديدبان : الحارس .

(٥) الاراعن : الحمقى . مشمخر : شامخ القمم . الرعان : الجبال العالية .

(٦) الرُّبَّال : الأسد .

وبالسَّلْعِ النّوافِرِ في عُروقِ
وبالوجه الذي صَبَّغَ الرّزايا
بأنّك مُوقَدُ الجمراتِ فينا
وأن ترائنا ما أنتَ فيه
وأنّك سوف تُبعث من جديدٍ
تُخشِنُ ناعماً أخوى فلانا
وتذكّرنا بما قد كان منّا
ولو طحننا بمُزْدَرَعٍ وِلْيَةٍ
ولو ثرنا على التّكسّاتِ منا
وإنّا ما تعاضلتِ الليالي
لموعودون فجراً أرحبياً
وإنّا أُمَّةٌ حُلِقَتْ لتبقى

كأنّ بكلِّ واحدةٍ سنانا^(١)
بیسمةٍ ساخرٍ فقسا ولانا
وان كُسيت - على رَغِمٍ - دُخانا
وأشبارا حللتَ بها ثرانا
تُفَضُّ ما تلبّد من كَرانا
وتُنهِضُ قُعُوداً مَلَّ الزّمانا^(٢)
وما سيكون لو دارثِ رَحانا
كما تَنْفِي المغرِبلةُ الزّوانا^(٣)
ولو شدّ التّوَحُّدُ من عُرانا
وما طبع الصّراعُ على شَبانا^(٤)
نشق به الغياهب من دُجانا
وأنّ دليلُ بقياها عَيانا

(١) السَّلْعُ : جمع سَلْعَةٍ وهي الشق والشجة .

(٢) أخوى : تلبّد وحمل وقَلّ نفعه من « أخوى » . القُعُودُ : الجبان القاعد عن المكارم والحامل .

(٣) الزّوان : حب يخالط البَرّ ، وطحننا هنا بمعنى اطحن .

(٤) تعاضلت : اشتدت . شبانا : يراد به « شبانا » هنا قوانا ، من « شبا » السيف أي حذّه ومضربه .

دلفت اليك ..

- بدأ الشاعر نظمها في دمشق وأكملها في بغداد .
- ألقى قسماً منها في الحفلة التكريمية التي أقامتها له في دمشق الدكتورة نجاح العطار ، وزيرة الثقافة والإرشاد القومي ، أثناء زيارته سوريا في شهر كانون الأول ١٩٧٨
- نشرت في ملحق جريدة «الجمهورية» ، العدد ٣٥١٦ السبت ٢٤ شباط ١٩٧٩ بعنوان : نسيم صبا دمشق .

دلفتُ اليك يفضحني لُغوي
يجرُّ بالذُّبالة من سِراجي
وعُجْتُ عليك فاكهةً ونبعاً
وبي من فَرطِ حُبِّك ما يُعْنِي
وإني ، والغرابةُ فيّ طبعٌ ؛
أزاد إذا طربتُ إليك حزنًا
ويسخرُ من شبابيَ والمشيبي^(١)
ويخنقُ ما عهدت من اللّهيبي
وما أنا بالأكل والشروب
«دمشق» تحضّنيني وارفقي بي
ولوعٌ بالغريب وبالعجيب
وبعضُ الحزن من شيم الطُروب

(١) اللغوب : التعب والاعياء .

فيعطُفه الى وعيد حريب^(١)
وليس له سوى فجر كذوب
الى ضد نقيض من ضريب^(٢)

يرقص دمعَه وعيد حقيق
ويحيي الليل يرقب منه صباحاً
ولم أر في الضرائب مثل ضد

*

*

حططن عليّ في قفر جديب
كخفق البرق في دجن ضبيب^(٣)
يد الأيام طوع يد المصيب
بعيد الغور شفاف الثقوب
ملاعبها من الزور الغريب^(٤)
وهان الشر في هلك مُريب
نجوم الليل عنها في المغيب
تخاف الدهر من وثبات ذيب

أسيئت على الرؤى مترنحات
ومرتجع الصدى من ذكريات
يظل المرء مهما أخطأته
كأن العمر ينضح من إناء
وما أحلى الحياة لو استراحت
من الهلك الذي لا رب فيه
وما أشهى حضور الشمس نابت
وما أشقى «الغزاة» ليس تألو

*

*

*

تحيات الأديب إلى الأديب
ترف بواحة الدهن الخصب
بما تُنبئ القلوب عن القلوب
ورزت كريم بُبلك من قريب

أسيدي «نجاح» إليك أهدي
إلى ربحانة الأدب المصفى
أسيدي نجاح وأنت أدري
عرفت عميم فضلك من بعيد

(١) حريب : مسلوب .

(٢) ضريب : مماثل .

(٣) الدجن : الظلام .

(٤) يراد بـ «الزور الغريب» هنا الموت .

وطابقت السَّماعَ على عِيان
فكنتِ بحيثُ تلتحمُ السجايا
وجانستُ الاهابَةَ بالمُهيب
مهذبةً بحسبِ مَهيب

* * *

أسيّدتي وكل أخِي نصاب
« وكلُّ أخٍ مفارقُهُ أخوه »
من الدنيا سيقنَّع بالنصيب
إليكِ فِرعتِ منك فقد رماني
وكل مُشعَّعٍ فإلى غروب^(١)
وقد بالغتِ في الألفافِ حتى
نُذاك على شفا جُرْفٍ رهيب
وأطمعُ أن أثوبَ ، وفيَّ خوفُ
كأنَّك تحرّصين على هُروبي
وسلمتِ ولا برحتِ منارَ مجدٍ
على ما أنتِ فيه أن تشويني
وبرجَ هدى ، ومفخرةَ الحُقوب^(٢)

(١) مشعّع : مضيء ، والشرط الأول تضمين للبيت العربي القديم :
وكل أخٍ مفارقة أخوه
لعمري أليك إلا الفرقدان
(٢) الحقوب : جمع حقبة ، الأزمان .

مصايح البيان

- ألقاها الشاعر في الأمسية الشعرية التي نظمتها له (رابطة الأدباء) في الكويت مساء الأربعاء ٣١ كانون الثاني ١٩٧٩
- كتبت جريدة «القبس» الكويتية في العدد ٢٤٠٩ في ١ شباط ١٩٧٩ عن الأمسية تقول :

« قبل حضور الجواهري الى الكويت كنا نتساءل :

« هل فقد الشعر جمهوره ؟ »

« وبعد أمسية ابن الفرات وأبي فرات » تبين أن الجمهور كان موجوداً .. لكن

الشعر كان غائباً قبله !

وأضافت «القبس» :

« قاعة رابطة الأدباء التي قلما تمتلئ مقاعدها ، اكتظت أمس حتى البهو

الخارجي ، وكان عدد الواقفين يتعادل مع عدد الجالسين ، ترفرف فوق رؤوسهم جميعاً هبة

الشعر الأصيل ، التي تجسدها شاعرية فذة ، أعادت أجواء عظمة الشعر العباسي في العهد

الذهبي للحرف المنعم » .

وقدم رئيس «رابطة الأدباء» أحمد السقاف الشاعر بكلمة قال فيها :

« لعلكم توافقوني الرأي أن الشاعر العربي الكبير محمد مهدي الجواهري غني عن

التعريف ، فشهرته العربية والعالمية قد فاقت الآفاق ، وجهاده الصلب في سبيل أمته العربية جعله يحتل مكانة خاصة في قلوب الملايين من أبناء هذه الأمة ..
وقال :

« لقد عرف الجواهري شاعراً ثائراً على الاستعمار وعلى الظلم والاضطهاد ، ولقد وقف بصدق الى جانب الشعوب المناضلة في سبيل الحرية والعدالة ، فكان ، بذلك ، صوتاً حراً جريئاً ترتحف له قلوب المستعمرين .

« لقد حفظ الشباب قصائد الجواهري ، وتغنوا بها في مسيراتهم الوطنية ، لكونها شعراً أصيلاً يمجّد التضحية ويمجد الفداء في سبيل الوطن ، ويرفض الخنوع والذل والاستسلام .

« إن الجواهري زوبعة في دنيا الشعر ... »

- نشرت في جريدة « القبس » الكويتية ، العدد ٢٤٠٩ الخميس ١ شباط ١٩٧٩
- نشرت في ملحق جريدة « الجمهورية » ، العدد ٣٥٠٥ السبت ١٠ شباط ١٩٧٩
- نشرت في مجلة « الرسالة » الكويتية ، العدد ٨٢٥ الأحد ١١ شباط ١٩٧٩

مصاييح البيان لئن تعاصى فقد يُلْفى السكوتُ أعزَّ نُطقاً لعل البعد يُطلق من لسانٍ أما وهواكُم ونديّ شوق وغرّ مكارمٍ فُبِئتُ فيها يميناً إنّ لي نفساً تغتصّي سأحفظ عهدكم لأجدّ عهداً وسوف أبعثر الأطياف عَليّ	علّي مجال قولٍ . أو تأبسي إذا كُلف الحبُّ بمن أحبا أضيق به إذا ما ازدَدْتُ قريباً يظلّ على هجير البعد رطباً نعم الخلد رَفَرَفَ واشرباً بكم حباً وتستهوى وتُصْبِي وأرهنُ عندكم ، لأعود ، قلباً إلى طيف الحبيب أشقُّ درياً
--	---

الثمانينيات

يا ابن الجنابي

- مهداة إلى الدكتور موسى الجنابي رداً على تحيته وعلى قطعته الشعرية الرائعة التي حيا بها الشاعر .
- وهي من قصائد الشاعر الجديدة التي تنشر للمرة الأولى ونشرتها مجلة «الثوري» اليمنية .

يا « بن الجنابي » لَا جَافَتِكَ غَادِيَةٌ
نَظِيرُ صُنْعِكَ مِعْطَاءٌ ، وَمِعْطَارُ
تَصُوبُ رَبْعَكَ نَدِيَانَا ثُرَاوِحُهُ
بِالْمَكْرُمَاتِ عَشِيَّاتٌ ، وَأُبْكَارُ
طَابَتْ « تَجِيَّتُكَ » السَّمَحَاءُ مُعْرِبَةً
إِذِ التَّجِيَّاتُ إِغْمَاضٌ ، وَإِضْمَارُ
عَنْ أَيِّ نَفْسٍ ذَكَتْ لُطْفًا سَجِيَّتُهَا
كَمَا تَفْتَحُ فِي الْأَسْحَارِ نَوَّارُ^(١)

(١) النوار : الزهر .

كَأَنَّ لِي الرُّوحَ فِي غَمِي أَكْبَدُهَا
وَكَانَ لِي سَمَرٌ مِنْهَا وَسَمَارٌ^(١)
بِهَا تَنَفَّسْتُ وَالْأَجْوَاءُ حَانِقَةً
وَالْحُزْنَ بِالنَّفْسِ نَهَاءً وَ أَمَارٌ
وَمِنْ جَنَاهَا لَمَمْتُ الرُّوحَ يَانَعَةً
كَأَنِّي مِنْ جَنِيِّ الشَّهِيدِ أَشْتَارُ^(٢)
لَيْتَ الْعَوَاطِفَ أَصْدَاءَ مُوَجَّجَةً
كَمَا أَفَضْتُ ، وَلَيْتَ الْحُبَّ أَشْعَارُ
وَلَيْتَ أَنَّ الْقُلُوبَ اسْتَرْهَنْتْ غَلَقًا
كَمَثَلِ قَلْبِكَ أَتْعَامُ وَأَوْتَارُ
وَلَيْتَ كُلَّ مُجِبٍّ تَسْتَجِيبُ لَهُ
أَوَانِسُ مِنْ عُيُونِ الشُّعْرِ أَبْكَارُ

* * *

لَا يَخْدُسُ الظُّفْرُ مِنْهُ إِنَّ صَاحِبَهُ
تَخَضَّيْتُ مِنْهُ أَثِيَابٌ وَأُظْفَارُ
وَلَيْسَ مِنْ هَمِّهِ — مَا ظَلَّ فِي دَعَا —
حَفَّتْ بِهِ جَنَّةٌ ، أَوْ شَبَّتِ النَّارُ
فَجِئْتُ أَهْدِيكَ مِنْ نَفْسِي ، وَمِنْ نَفْسِي
مَا يُسْتَمَاحُ بِهِ صَفْحٌ وَإِعْذَارُ

(١) الغمى : الكدر والحزن والهم .

(٢) اشتار العسل : جناها وجمعه .

فَلَيْسَ تَدْرِي «خِيُولُ الشَّعْرِ» شَرَّهَا
مِنَ الْكَوَابِي ، إِذَا مَا عَنَ مَضَارُ^(١)

يَا «ابْنَ الْجَنَابِيِّ» يَا مَنْ عَنَ سَرِيرَتِهِ
بِالطُّهْرِ تَنْضَحُ أَسْرَارَ وَأَسْرَارُ

أَثَرَتْ فِي شُجُونًا خِلْتُهَا دَرَسَتْ
قُبُورُهَا ، وَامَحَتْ مِنْهُنَّ آثَارُ^(٢)

يَفْجَأُنِي فَأَوَارِيهِنَّ فِي كَفَنٍ
مِنَ التَّنَاسِي ، وَتَطْوِيهِنَّ أَسْتَارُ

يَا «ابْنَ الْجَنَابِيِّ» لَمْ تُفْصِحْ أَبَالِسَةً
وَلَمْ تُجِبْ عَنَ سُؤَالِ «الدَّيْرِ» أَخْبَارُ

أُنْحَنُ مَحْضُ إِرَادَاتٍ مُخَيَّرَةٍ
فِيمَا تُصَرِّفُ مِنْ أَمْرِ وَتَحْتَارُ ؟

أَمْ نَحْنُ فِي قَبْضَةِ الْأَقْدَارِ الْهِمَّةِ
حَمَقَى ، وَفِي رُقْعَةِ «الشَّطْرُنْجِ» أَحْجَارُ ؟

أَمْ نَحْنُ أَسْطُورَةٌ خَرَقَاءُ ثُلُبْسُهَا
ثَوْبَ الْحَقِيقَةِ أَبَاءَ وَأَسْفَارُ

بِئْسَ الْحَضَارَةُ لَمْ تَشْخَصْ مَعَالِمُهَا
وَلَنْ يُبْكِي عَلَيْهَا يَوْمَ نَهَارُ^(٣)

(١) شربها : ضمها فأصبحت ضامرة .

(٢) الشجون : الهموم والأحزان ، مفردا : شجن .

(٣) تشخص : تظهر وتبين .

مَا أَتَقَةَ الْعُنْمَرُ يَطْوِي مِنْ مِظَلَّتِهِ
لَفْحُ الْهَجِيرِ ، وَيُلْوِي مِنْهُ إِعْصَارُ^(١)
لَا يَطْمَحُ الْخَيْسِرُ إِلَّا أَنْ يُلَمَّ بِهِ
وَيَطْمَعُ الشَّرُّ أَنْ تَمْتَدَّ أَعْمَارُ
مَا بَيَّنَّ أَنْ يَسْتَبِينَ الرَّكْبُ رِحْلَتَهُ
وَيَبْنِي أَنْ يَقْطَعَ الْمَشْوَارَ مَشْوَارُ

* * *

يَا «رَبَّةَ الشَّعْرِ» صَفْحاً إِنَّنَا بَشَرُ
بِمَا تُفِيضِينَ مِنْ نَعْمَاكَ كَفَّارُ
تَشْتَطُّ فِينَا كَمَا شَاءَتْ نَوَازِعُنَا
كَمَا تَضَارِبُ تِيَّارُ ، وَتَيَّسَارُ
هَلْ نَحْنُ مَا لَمْ تُطَهِّرْ وَزَرْنَا حِرْقُ
تَهْدِيَسْنَ إِلَّا تُفَايَسَاتِ وَأَوْضَارُ^(٢)
وَهَلْ يُمَثِّلُ بَنَاتِ الشَّعْرِ مَنْزِلَةً
نَاغَى هُمُومَ بَنِي الْإِنْسَانِ مِزْمَارُ
كَمَا تَجُبُّ يَدُ الْإِصْبَاحِ دَاجِيَةً
تَجُبُّ مِنَّا ظِلَامَ النَّفْسِ أَنْوَارُ^(٣)
بِهَا ارْتَمَتْ لِضِيَاءِ الشَّمْسِ وَأَنْطَلَقَتْ
مَجَاهِلُ عَمِيَتْ عَنَّا وَأَغْوَارُ

(١) الهجير : شدة الحر .

(٢) الأوضار : مفردا وضر ، وهو وسخ الدسم ، والدرن .

(٣) تجب : تقطع وتزيل .

يا ابن الثمانين

● نشرت في جريدة «الشرق الأوسط» ١٩/٢/١٩٨٢.

وقدمت لها الجريدة بما يلي :

● «الجواهري» أتعبه ان كان جهير الصوت في شعره .. لا يخفت ، لان وجدانه كان الوطن لكل الوطن العربي ، فاذا به لا يجد وطناً في وطنه العربي .. يعيش بعيداً في حياة العيش ، ويحيا قريباً في كل الوطن العربي في معيشة الحياة . شاعر لم يكفر بالبطولات وان كفرت به الأباطيل .. كأنما هو قد ورث عظمة المتنبي . شعره في كل الوطن العربي ، وحياته بلا وطن !

أبو «فرات» : من عشقه للمتنبي أحب اسم «مُحَسَّد» ، كأنه يريد أن يكون المحسد ، وقد كانه ، فالذين كالوا له أفاعيل الحسد أنهمكوا أجسادهم وأنعشوا روحه ، فلم يمارس النعمة عليهم ، فالشاعر — الحب كان به هو النعمة لهم .

وهو كعشيقه المتنبي حين يقول :

انا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود
ما مقامي بأرض نخلة الا كمقام المسيح بين اليهود
ان «الثمانين» وبلغها .. عاشت به ولم تعش له .

عذابه له مذاق عذب في ارتفاع الشاعر عن الحِطَّة إلى فوق ، وكان فوق يوم
يستضيفه عربي يشبع منه ولن يشبع به .

ومن سنوات لم نقرأ له ، وكنا في شوق أن نقرأ أوجاعنا في شعره . فآلم الشاعر بلسم
الجراح أمته التي تعيش الاحتراق حين لا تجد الكلمة — الصدق .. تلك التي ينطفئ بها
الحريق في وجدان الذين يشعرون بما هُم فيه . وهل هناك أقسى مما هي فيه ؟!

ومن هناك — من البعيد — أتانا صوت « الجواهري » بقصيدته هذه .. بعثها إلينا
وخص « الشرق الأوسط » بنشرها . ونشكره على ما آثرنا به ، وفي انتظار جديده دوماً ، ولو
بعد الثمانين رغم أنه قال أنها ستكون آخر قصائده وقد أهداها إلى قراء « الشرق الأوسط » :

حسبُ « الثمانين » من فخر ، ومن جدَل
غِشيانُها بجنانٍ يافعٍ ، خضيلٍ
طلقي كما انبلج الاصبح عن سحر
نِدْ ، وزهرُ الرى عن عارض هَطل
وناعم البال ، نشوانٍ بما نَضِحت
كأسُ الحياة ، وما أبقت من الوشَل
وحاضن لنبات الدهر ، مضطلع
بما تصرّف من بُرءٍ ومن علل
« يا للثمانين » ما ملّت مطاوحها
لكن يُعاودها خوف من المَلَل
لم تَأَلْ تهلّ عَبَّاً من مرارتها
وتستجمُّ على معسولة علل

نفسٌ تَجيشُ باعصار ، وخافقَةٌ
 تحنُّ للكاسِ ، والأسمارِ ، والعَزَلِ
 كأنَّ صَحْوَ الرُّؤْيِ في كلِّ نازِلَةٍ
 يشدُّني بطيِّفِ الشَّارِبِ الثِّمَلِ
 وانت يا ابن « الثمانين » استرحتَ بها
 كما تظنَّنتَ من لومٍ ، ومِن عَذَلِ
 جاءت تَحْيِيكَ في أعيادها قِدْعُ
 نكراءٍ ، لَقَّنها الساداتُ للحَوْلِ
 وفَتَّكَ نُذْراً لها عما وَفِيَتْ بهِ
 من النِّذورِ لَدُنْ أَيْامِكَ الأوَّلِ
 يا ابن « الثمانين » صبراً أنتَ صاحبُهُ
 فيما تضيِّقُ به أضلاعُ مُحْتَمِلِ
 لا تأسَ أنْ عَضَّتْ البلوى بناجِذَةً
 ما إنْ بها من عُضاضِ الناسِ من كلِّ
 فلست باغي مَثُوباتٍ وما تُخْلِقُ
 كُفَّ الكَرِيمِ لتستعدي على بدلِ
 وقد تَمَرَّستَ بالدنيا ثُمَّ حَصَّها
 في كلِّ مُسْتَدْبِرٍ منها ومُقْتَبِلِ
 وقد تشكَّكتَ حتَّى لستَ ذا تَقِيَةٍ
 بالتُّجَّحِ إلا على هَدْيٍ من الفَشَلِ
 صبرا على فلذات الحرِّ داميَةٍ
 تُهْدِي على كُفِّ « حشَّاشٍ » إلى « نَعْلٍ »

وكن كعهدك «سَحَارًا» بمعجزة
تحول الصَّبَابِ مسمومًا إلى عَسَلٍ
يُشْفِي ضَمِيرَكَ ما يُذْرِيكَ من حَزَنٍ
وَيَسْحَقُ اليَأْسَ ما تَجْتَرُّ من أَمَلٍ

* * *

يا «ابنَ الثمانين» كم عُولِجت عن غَصَصٍ
بالمُغْرِيَّاتِ فلم تَشْرُقْ ، ولم تَمِلِ
كم هَزَّ دَوْحَكَ من «قَزَمٍ» يُطَاوِلُهُ
فلم يَنْلُهُ ، ولم تقصر ، ولم يَطِيلِ
وكم سعت «إِمْعَاتٍ» أن يكون لها
ما ثار حَوْلَكَ من لغو ، ومن جَدَلِ
ثُبَّتْ جَنَانُكَ لِلْبَلْسَوَى فَقَدْ نُصِبَتْ
لك الكمائنُ من غَدِرٍ ، ومن خَلِ
وَدَغُ ضَمِيرَكَ يَحْذَرُ من براءته
ففي البراءاتِ مَدْعَاةٌ إلى الزَّلَلِ
لكن تَخَلَّصْتَ من انياب مهلكة
فكم تَلَوَّيْتَ في أَشْرَاكِ مُحْتَبِلِ
لا تنسَ أَنَّكَ من أَشْلَاءِ مُجْتَمِعِ
يَدِينُ بِالْحَقِيدِ ، والثاراتِ ، والدَّجَلِ
يستنفرُ اليومَ عن «أَمْسِرٍ» إلى «غده»
على «المذاهبِ» ، والانسابِ و «النَّحْلِ»
حربٍ على كل «موهوبٍ» وموهبة
لديه مُسْرَجَةٌ الأضواءِ والشُّعْلِ

لو استطاع لغطَّى الشمسَ عن حَنَقِ
 وَسَامَ رَأْدِ الضحَى ذُلًّا من الطَّفَلِ
 طبائِعَ ، عَنجَهِيَّاتٍ يَغْلِفُهَا
 من الحضارة مصبوغٌ من الحُلَلِ
 وموكبٌ موحش الأرجاء مُصِجِرُهَا
 يُمِثِّي «الحُفَاةُ» به في ظِلِّ مُنتَعِلِ
 كنتَ الغريبَ به لا أنت تألفه
 فتستريحُ ، ولا عَنَّهُ بمنعَزِلِ
 وما تزال على رثِّ الجبالِ به
 تلقى الحياةَ بجبلٍ منه مُتَّصِلِ
 لم تُبقِ في الصُّلبِ من أعرافه «وثنًا»
 إلا وعَرَّيتُ ، من «غوِثٍ» ومن «هُبَلِ»
 فكيف تطمع أن تُعْفِيكَ ثاكلةً
 وأنت النذير لها بالويل والثَّكَلِ
 عصرهم فتحمَّـلَ وضرة الثقلِ
 ودُستهم فتوقع غضبة الحَوْلِ

* * *

نبئت «شِرْذمةَ الأذُنابِ» تنهشني
 بمشهد من «رَمَاةِ الحي» من «ثَعْلِ»
 يا للحفيظَةِ لم تظْفَرِ بذي شَمَمِ
 وللشهامَةِ ملقاةً على طللِ
 أَيْسْتِثِيرِ دمي «وَعْدٌ» و «صاحبُه»
 بما يثير رمال السَّهْلِ ، والجبلِ

ولا يَنْدُ فَمٌ — لا بَعْدَهُ خَرَسٌ
 ولا تُمَدُّ يد — لا تَشْفُ من شَلَل
 لمن إِذْنٌ خَلَقَ مَزْعُومَةً خُلِقَتْ
 اللسريّ ؟ أم الأستار والكُلل ؟
 قد كان شَوُطُ رَجُولَاتٍ مَشْرُفَةٍ
 لو كانَ تحتَ سِيَالِ القُومِ مِنْ رَجُلٍ
 وكانَ للنبيلِ مِيدَانٌ يُصَالُ بِهِ
 فلم يَجُلْ مُدَّعٍ مِنْهُمْ ، ولم يَصُلْ

* * *

مَنْ مَبْلَغُ القومِ لم تُعْرِفْ دِمَاؤُهُمْ
 طعم « المَهَادَاةِ » عند الحَادِثِ الجليل
 الخانعين بمنجَاةٍ تَسُوْمُهُمْ
 جدَعُ الأنوفِ ، وذَلُّ العاجِزِ الوَكِيلِ
 والمسلمين أخَاهُم في بِلِيَّتِهِمْ
 والهاربين من العِشْدَى على عَجَلٍ
 والناكثين بعَهْدِ الحَرْفِ مَتَفَضَا
 على الضغائن ، والبهتان ، والدجل
 والمبصريين فَإِنْ عَنَّتْ مُجَلَّحَةٌ
 ففي العيون غِشَاوَاتٍ من « السَّبِيلِ »
 إن الحَيَاةَ معَانَاةً وتَضَحِيَّةً
 حب السَّلَامَةِ فيها أَرْذَلُ السَّبِيلِ

وللبطولات جولات ، وكم شهدت
سوح الوغى لحماة « الحرف » من بطل
وثم من لعنة الأجيال جازية
تقتص من قولية حق ولم ثقل
ومستفز لحوان بمن حفظوا
عهد « المروءات » في جل ومرئحل
ويل « الكذوبين » من يوم يسئل به
مخضوضر القول من مستوبىء العمل
ما أقرب الشوط من « مرذولة » سفل
و « ساكتين » على « مرذولة » سفل

* * *

أقول « للخذن » ما حالت مودته
فظن أن عهد الناس لم تحل
سلني أجبك بما يعيا « الجواب » به
وإن ينل منك إشفاق فلا تسل
فقد تقرحت حتى العظم من شجن
دامي الشكاة بلوح الصدر معتمل
أجبك عن نصب أعلام « مقلمة »
غفل ، شتات إذا كشفتهم همل
و « للتأيل » يستوحى بها « مثل »
خير من البشر الخالين من « مثل »

«خُرْسِر» وإن خَرَقُوا الأَسْمَاعَ فِي هَذَرٍ
يُغْثَى النُّفُوسَ ، وفي مَرْصُوفَةِ «الجَمَلِ»
وعن «كروشٍ» «زَعَامَاتٍ» كَأَنَّ بِهَا
من فَرَطٍ مَا اعْتَلَفَتْ مَسًّا مِنَ الْحَبَلِ
الضَّاحِكِينَ «بَنَصْفِ السِّنِّ» كَاشِرَةً
وَيَنْطِيفُ «النَّصْفُ» مَطْوِيًّا عَلَى «دَخَلِ»
يَسْتَأْسِدُونَ إِذَا مُدَّ الْعَنَسَانُ لَهُمْ
فَإِنْ يُشَدُّ تَرْدُؤًا بَزَّةً «الْحَمَلُ»
«سِتِينَ عَامًا» أَسَاقِيَهُمْ مَشْعَشَعَةً
من خَالِصِ الْوُدِّ ، وَالْأَشْوَاقِ ، وَالْقَبْلِ
مَا سَاءَ لَهُمْ قَرَحَةً تُثْوِي بِهَا كَبْدِي
وَمَا يَسْرَهُمْ كَحْلٌ عَلَى الْمُقْلِ
حَتَّى إِذَا مَسْنَبِي ضُرُّ ، وَاسْلَمْتَنِي
غَدِرَ «الْجَبَانُ» لَجْرَحٍ غَيْرِ مَنْدَمِلِ
وَكُنْتُ أَنْ أَلْتَقِيَ «وَعْدًا» بِجَشْمَنِي
«عَارِ النَّزَالِ» بَلَا حَوْلٍ ، وَلَا قَبْلِ
مَرَوْا «لِثَامًا» عَلَى الظَّامِسِي وَغَلَّتَنِيهِ
وَعِنْدَهُمْ كُلُّ مَا يَشْفِي مِنَ الْغَلْلِ
وَعَادَرُوهُ «بُمُومِيَاةٍ» كَأَنَّهُمْ
لَيْسُوا ذَوِي نَاقَةٍ مِنْهُ ، وَلَا جَمَلِ

* * *

يا «صاحبي» وخُوفُ القومِ طَوَعَ يدي
وكم أتتهم «رياح الموت» من قبلي
أجلُ يراعك في أجالهم مِزَقًا
فليس عندك بعد اليوم من أجل
واضرب بهم أسوأ «الأمثال» سائرةً
حتى تثلمَ فيهم مضربَ المثل !

سَلاماً أَيْها الأَسَدُ

- نُظِمت في أواخر عام ١٩٨٠ .
- نُشرت لأول مرة من قبل وزارة الثقافة (السورية) في دمشق عام ١٩٨٥ ، في كراس خاص مع مقدمة .
- عن ظروف ولادة القصيدة ، قال الأستاذ الجواهري ، في مقابلة له مع التلفزيون العربي السوري ما يلي :

«قبل أكثر من ثلاث سنواتٍ بقليلٍ ، وفي يومٍ مشهودٍ ، دَفَعَ اللهُ بِه ما كان أعظم ، وجَدْتُني الليلةَ من اليومِ ذاتِهِ (أَدُنْدُن) مَعَ نَفْسِي وأنا فَرِحُ مَرِحٍ ، وفي الشُّفِيقَةِ المُتَوَاضِعَةِ على الجَبَلِ الأَخْضَرِ المُطَلِّ على مَدِينَةِ (بُراغ) الجَمِيلَةِ ، وجَدْتُني (أَدُنْدُن) :

سَلاماً أَيْها الأَسَدُ
سَلِمْتُ ، وَيَسَلِّمُ البَلَدُ

وفي صَبِيحَةِ اللَّيْلَةِ ذاتِها ، كائتُ وَاحِدَةً من أعزِّ قَصائِدِي عِنْدِي ، تُحِطُ رِجالُها مُسْتَعِجِلَةً بَيْنَ يَدَي الرُّئيس ... » .

سَلاماً أَيْها الأَسَدُ سَلِمْتُ وَيَسَلِّمُ البَلَدُ
وَيَسَلِّمُ أُمَّةً فَخَرَتْ بَأَتٍ فَخَرُ مِنْ تَلَدُ

وَفَجَرُ غَدٍ وَمَا يَعْدُ
بِمَا يَعْيَا بِهِ الْكَتْدُ
وَمِنْهُ الزَّنْدُ وَالسَّعْدُ

وَأَنْتَ أَنْتَ مَوْعِدُهُمَا
وَأَنْتَ وَهَيَّ مُثْقَلَةٌ
لَهَا مِنْ «حَافِظٍ» سَنَدُ

* * *

بُعْثُ السَّنَسْرِ يَنْقَرُدُ
وَيَسْتَنْشِي وَيَتَّيْدُ
يَضِيْقُ بِحِلْمِهِ الْحَرْدُ
رَهَائِلُنْ خَوْفُهَا نَضْدُ
عَلَيْهِ الْحَقْدُ وَالْحَسْدُ
مَخَائِلُهُ فَتَرْتَبِعُدُ
عَلَيْهَا يَوْمُهَا فَعْدُ

وَبَا نَسْرًا عَلَى شَرَفٍ
يَنْفُضُ مِنْ جَنَاحِيهِ
يَكَادُ لِفَرْطٍ مَا يَجِدُ
وَمَرْمَى طَرْفِهِ كَتَلُ
بُعَاثُ الطَّيْرِ الْبَهَا
تُقَضِّضُ مِنْ فَرَائِصِهَا
تَأَنَّ بِهَا فَإِنْ أَبْقَى

* * *

رِ يَسْتَعْلِي وَيَتَّقِدُ
وَيُؤْنِسُ طَيْفَ مَنْ رَقِدُوا
ج فِي أَغْقَابِهِ يَفِدُ
وَتُكْحَلُ أَعْيُنُ رُمْدُ

وَبَا حُلُمًا كَضَوْءِ الْفَجْرِ
يُسَامِرُ لَيْلَ مَنْ سَهَرُوا
وَيَرْقُبُ مَوَكِبَ الْإِصْبَا
أَطْلُ مَسْرَاكَ تُشْفَ بِهِ

* * *

بِذَمَّةٍ ذَادَةٍ صَمَدُوا
تُخْضُ وَلَيْسَ تُخْضِدُ
بِحَيْدٍ كُلُّهُ صَيِّدُ
بِهِ عَنْ غَابِـهِ رَصْدُ

أَمَا وَ«دِمَشْقُ» صَامِدَةٌ
كَدَوِجِ النَّبْعِ شَوْنَهَا
وَ«أَصْبَدُ» يَفْتَدِي دَمَهَا
يَعْمِينُهَا إِنَّكَ الْأَسَدُ

عَلَى أَكْثَافِهِ شَمَمًا
وَأَنْتَ إِذَا التَّسَوَتْ مَحَنٌ
وَقَلِيلٌ عَزَائِمًا قَدَرٌ
وَحَانَ الْعَبْدُ سَيِّدَهُ
وَحِيفَ لَظَى مُسَعَّرَةً
بَرَزْتَ وَدِرْعُكَ الْإِيمَا
كَتْصِلُ السَّيْفِ مُنْجَرِدًا
تُنَازِلُ هَوْلَهُ الْبَلَوَى
وَمِثْلُكَ مَنْ لَهُمْ وَجِدَتْ
ذُرُوبُ الْمَجْدِ شَائِكَةً
وَأَيُّنَ الصَّابِرُونَ بِهَا ؟
يَنَايِغُ التَّسَوَى شَرَّعٌ
وَمِنْ صَيِّدٍ بِهَا اضْطَلَعُوا
يَخَافُ سَعِيرَهَا وَجِلٌ
وَمُسَرُّ حِيَاضِهَا شَرَقٌ
تُجَزُّ بِيَوْمٍ صَرَخَتَهَا
وَتَشْمَخُ مِنْكَ نَاصِيَةً
وَمِنْ بَقِيَا الْعَجَاجِ بِهَا

يَنُوسُ الْهَيْمُ وَاللَّبِيدُ
بِهِ ، وَاعْتَصَبَتِ الْعُقَدُ
فَهَنَّ رَمَائِمُ بَرْدُ
وَعَقَّى الْوَالِدُ الْوَلَدُ
ضُرُوسِ جَمْرُهَا يَقْدُ
نُ لَمْ يُفَرِّطْ بِهِ زَرْدُ
غَدَاةُ السَّرْوُعِ يَنْجَرِدُ
تُشَابِكُهَا وَتَجْتَلِدُ
وَمِثْلُكَ مَنْ لَهَا وَجِدُوا
وَأَيُّنَ السَّالِحُ الْجَرْدُ
وَكَيْفَ الصَّبْرُ وَالْجَلَدُ
وَتَبَسُّعُ سَلَامَسَةِ صَرْدُ
جَمَاجِمُ جَمَّةٍ قِصْدُ
بِظِلِّ الْجُبْنِ يَتَّيَرِدُ
بِحَاوِضِ مَذَلَّةٍ يَرْدُ
نَوَاصِي صَرْخِ قَعَقَدُوا
عَلَيْهَا الْغَارُ يَنْعَقِدُ
نُجُومُ دُجْنَسَةِ جُدْدُ

* * *

وَيَا كُفُو الطَّوَارِقِ لَيْلِ
إِذَا مَا انْجَابَ عَثِيرُهَا
وَقِيلَ - وَأَبْعَدَتْ أُمْدًا - :
نَتَكَ تَحْشُدُ الْبَلَسَوَى
سُنُودًا - أَيُّهَا الْأَسَدُ -

سَ كُفُو لَجَاجِهَا أَحَدُ
وَحَيْلُ تَصَبَّبِ الصَّعْدُ
لِكُلِّ كَرِهَةٍ أُمْدُ
لِقَادِمَةٍ وَتَحْشُدُ
رَعَاكَ الْوَاحِدُ الصَّمْدُ

بِغَيْبِ سِرِّهِ الْأَبْسَدُ
خُطَاكَ وَحَنِيتُ تَعْتِمِدُ
تَشَلُّ لِشَانَيْكَ يَسَدُ

وَلَا بَرَحَتْ بِظَهْرِ الْعَيْنِ
تَحَوَّلَتْ حَيْثُمَا اعْتَمَدَتْ
يَدٌ عَلَيْهَا بِقُدْرَتِهَا

* * *

سَرَّاهُ الرُّوحُ وَالْجَسَدُ
بِتَحْمِيلِهَا لَكَ الْبُرْدُ
بِحُجْرَتِكَ صَادِحٌ غَرْدُ
جِهَادِ النَّفْسِ تَجْتَهِدُ
وَضَلَّاهُ عَاشِقُ رَشْدُ
سَلِمَتْ وَيَسَلِّمُ الْبَلَدُ

وَيَا «رَبِّ الْجَمَى» شَعَفَا
وَلَحْمَتُهُ نِيطُ الْقَلْبِ
يُقَطِّعُهَا تَرَانِيمًا ..
وَنَفْسٌ حِينَ يُعَوِّزُهَا
تَكَادُ تَضِلُّ عَنْ شَعَفِ
سَلَامًا «أَيُّهَا الْأَسَدُ»

الفضب الخلاق

من موطن الثلج

• نشر في مجلة «التوري» العننية بتاريخ ١٩٨٢/٣/٦

من موطن الثلج زحافاً إلى عدن
حَبَّتْ بِي الرِّيحُ في مُهْرٍ بلا رَسَنٍ^(١)
كَأَسِي عَلَى صَهْوَةٍ مِنْهُ يُصَفِّقُهَا
مَا قَيَّضَ اللَّهُ لِي مِنْ خَلْقِهِ الْحَسَنِ^(٢)
مِنْ مَوْطِنِ الثَّلْجِ . مِنْ حُضْرِ الْعُيُونِ بِهِ
لِمَوْطِنِ السُّمْرِ مِنْ سَمَرَاءِ ذِي يَزَنَ
مِنْ كُلِّ مُلْتَفَةِ الْكَشْحَيْنِ نَاعِمَةٍ
مَبَادَةٍ مِثْلَ غُصْنِ الْبَائِسَةِ اللَّدِينِ^(٣)

(١) حبت : الحبب السرعة في الجري .

(٢) يصفقها : يملؤها أو يصفقها .

(٣) ملتفة الكشحين : الكشح من الإنسان خاصرته إلى الأضلاع . ميادة : مائلة دلالة ، اللدن : ناعم الطري .

يَا لِلتَّصَابِي .. أَلَا يَنْفَكُ يَجْذُبُنِي
 عَلَى الثَّمَانِينَ جَذَبَ التُّوقَ بِالْعَطَنِ^(١)
 قَالُوا : أَمَا تَنْتَشِي إِلَّا عَلَى حَطَرٍ
 فَقُلْتُ : ذَلِكَ مِنْ لَهْوِي ، وَمِنْ دَذَنِي^(٢)
 سُبْحَانَ مَنْ أَلْفَ الضُّدِّينِ فِي خَلْدِي
 فَرَطَ الشَّجَاعَةِ ، فِي فَرَطٍ مِنَ الْجُبْنَ
 لَا أَتَقِي خَزَرَاتِ «الذُّبِ» تَرُصُّدُنِي
 وَأَتَقِي نَظَرَاتِ «الْأَدْعَجِ» الشَّدَنِ^(٣)
 خَبَّتْ بِي الرِّيحُ .. فِي إِيْمَاضٍ بَارِقَةٍ
 تُلْغِي مَسَافَةً بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ
 لَمْ أَدْرِهَا زَمَنًا تُطْوِي مَرَا حُلَّهُ
 أَمْ أَنَّهَا عَثَرَتْ الْعُمُرَ بِالزَّمَنِ
 وَاللَّهِ مَا بَعْدَتْ دَارٌ ، وَإِنْ بَعْدَتْ
 مَا أَقْرَبَ الشُّوْطَ مِنْ أَهْلِي وَمِنْ سَكْنِي
 وَيَا شَبَاباً أَحَلَّتَنِي مَفَاخِرَهُمْ
 فِي أَيِّ مُحْتَضِنٍ ، مِنْ أَيِّ مُحْتَضَنٍ
 لَا يُلْغُ الشُّكْرُ مَا تُسَدُّونَ مِنْ كَرَمٍ
 وَلَا يُوقِي بَيَانِي سَابِغَ الْمَنَنِ
 أَتَيْتُكُمْ وَمَتَاعِي فَيَضُ عَاطِفَةً
 بِهَا يُنَارُ جَنَانُ الْأَفْوَةِ اللَّسَنِ

(١) العطن : مبرك الإبل ومراحها .

(٢) الدذن : اللهو واللعب مثل : الدد .

(٣) الخزرات : النظرات الحادة ، وهي أن يضيق الرجل جفنه ليحدد النظر . والأدسج : من الدعج وهو سعة العيون مع جمال فيها . الشدن : والشادن هو الغزال .

أَلْقِي عَلَيْكُمْ بِمَا أَتْتُمْ أَحَقُّ بِهِ
مِمَّا يُنْفَسُ عَنْ شَجْوٍ ، وَعَنْ حَزَنٍ
وَنَاقِلِ التَّمْرِ عَنْ جَهْلٍ إِلَى «هَجَرٍ»
كَنَاقِلِ الشَّعْرِ مُوشِيًا إِلَى «الْيَمَنِ»
سَلِمْتَ يَا ثَوْرَةَ السَّيِّئِينَ فِي «الْيَمَنِ»
لَا تَرْمِ عَزْمَكَ جَبَّارًا يَدُ الْوَهْنِ
يَا طَلْعَةَ الْفَجْرِ مِنْ يَوْمٍ وَعِدْتَ بِهِ
لَوْ لَمْ تَكُونِي صَبَاحًا مِنْهُ لَمْ يَكُنْ
وَيَا وَدِيعَةَ أَجْيَالٍ تَلْقَفُهَا
رُؤَادُ جِيلٍ عَلَى اللَّأَوَاءِ مُؤْتَمِنٌ^(١)
حُشِّي حُطَاكِ إِلَى غَايِ خُلِقْتَ لَهَا
وَجَاوِزِيهَا ، وَلَا تُخْشِي ، وَلَا تُهْنِي^(٢)
حَتَّى إِذَا دَارَ يَوْمًا «عَقَرُبُ» الزَّمَنِ
بِسَاعَةٍ هِيَ عُمْرُ الْوَائِقِ الْفَطَنِ
مَدُّوا السَّوَاعِدَ لَمْ تَنْصَبْ وَلَمْ تَلْنِ
تَجْتِ كُلُّ جُذُورِ الْعَابِرِ الْعَفَنِ^(٣)
كَذَاكَ تَنْصَهُرُ الثُّورَاتُ شَامِخَةً
شَبَّتْ عَلَى الْعُضْبِ الْحَلَّاقِ وَالْمَحَنِ
وَأَنْتَ يَا أَيُّهَا الْجِيلُ الَّذِي احْتَضَنْتَ
يَوْمِيكَ ، صُنْ غَدَهَا الْمَوْعُودَ ، وَاحْتَضِرْ

(١) اللَّأَوَاءُ : الشدة والمشقة والصعاب .

(٢) لَا تُهْنِي : لَا تَضْعِفِي وَيَصْبُكَ الْوَهْنُ .

(٣) تَنْصَبُ : تَتَعَبُ وَتَعْيَا . تَجْتِ : تَقْتُلُ .

وَيَا أَحْبَايَ صَفْحاً عَنْ مُكَابَرَةٍ
مِنْ مُلْهِمٍ يُرَوِّرُ النَّفْسَ مُرْتَهَنَ
تُغْفِرُ عَلَى الْخَطَرِ الْمُتَنَفِّ خَاطِرَتِي
كَأَنَّهَا نَشْوَةُ الْعَيْنَيْنِ بِالْوَسَنِ^(١)
وَيَسْتَبِيدُ بِنَفْسِي وَهِيَ حَالِمَةٌ
مِنْ كِبَرِيَاءِ الْقَوَافِي زَهْوُ مُفْتَتِنِ
مَا أَرْخَصَ الْمَوْتَ عِنْدِي إِذْ يَبْدُ فَمِي
بِمَا تَحْوُكُ بَنَاتُ الشَّعْرِ مِنْ كَفْنِي
وَمَا أَرَقَّ اللَّيَالِي وَهِيَ تُسْلِمُنِي
يَوْمَ النَّضَالِ لِظَهْرِ الْمَرْكَبِ الْحَشِينِ
حَسِبْتَنِي وَعُقَابُ الْجَوِّ يَصْعَدُ بِي
إِلَى السَّمَاوَاتِ ، مَحْمُولاً إِلَى وَطْنِي
مَا أَقْرَبَ الشَّمْسَ مِنِّي ، غَيْرَ أَنَّ دَمِي
مَا إِنْ يُصَلِّي لِغَيْرِ الشَّعْرِ مِنْ وَثْنِ
وَخِلْتَنِي وَالنُّجُومُ الزُّهْرُ طَوْعُ يَدِي
عَنْهُمْ فِيمَا أَصُوغُ النَّيِّرَاتِ غَنِي
أَقُولُ وَالشَّيْبُ يَحْدُونِي ، يُصَارِعُهُ
حُبُّ الْحَيَاةِ ، وَمَا فِيهَا مِنَ الْفِتَنِ
رِجْلَانِ لِي يَحْمِلَانِ « الشَّعْرَ » خَاتِمَةً
وَيَسْعَيَانِ إِلَى الْأُخْرَى عَلَى وَمَنْ
« مِنْ مَوْطِنِ الثَّلَجِ » زَحَافاً إِلَى « عَدَنِ »
خَبَّتْ بِي الرِّيحُ فِي مُهَرِّ بِلَا رَسَنِ

(١) الوسن : أول النوم .

أبا مهند

• أمضى الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري سنة ونصف السنة في دمشق أنهى خلالها عشرة مجلدات ضخمة تحمل عنوان «الجمهرة في المختار من الشعر العربي» وهي مختارات شعرية اختارها الجواهري ابتداء من الشعر الجاهلي ، وانتهاء بشعر العصر الحديث وقد استغرقت «الجمهرة» من الجواهري جهداً طويلاً كرسه لانتقاء هذه المختارات ، ووضع لها مقدمة مستفيضة ناقش فيها آراء نقاد عرب بينهم : الدكتور طه حسين . ومستشرقين بينهم الأنكليزي مارجليوث ، وذلك حول ما أثاره هؤلاء وأولئك حول شعر الجاهليين كما تضمنت هذه المقدمة آراء الجواهري في الشعر المعاصر .

ولدى انتهاء الجواهري من هذه «الجمهرة» خص «المجلة ٣» بقصيدته . الجديدة هذه :

• نشر: مجلة «المجلة» التي تصدر في لندن (العدد ١٦/٢٥٨ — ٢٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥ م/ ٢٥ ربيع الآخر — ١ جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ) وهي مهداة للدكتور صابر فلهو نقيب الصحفيين في القطر السوري ومدير الوكالة العربية السورية للانباء (سانا) ، جواباً على قصيدة أرسلها السيد فلهو الى الاستاذ الجواهري في براغ بتاريخ ١٩٨٣/٧/٥ يحيه بها* .

* قصيدة أرسلها من دمشق في ١٩٨٢/٧/٥ الدكتور صابر فلهو الى الشاعر العربي الكبير الجواهري وهو في براغ تحية محبة وتقدير وإكبار .

أَبَا مُهَنَّدَ وَالْجِرَاحِ فَمُ
وَعَلَى الشَّفَاهِ مِنَ الْجِرَاحِ دَمُ
وَعَلَى الشَّفَاهِ تُمُورُ طَاغِيَةٍ
حُرْقُ نُصَعَّدُ ثُمَّ نَنْهَزِمُ

أبو الفرات

أَبَا الْفَرَاتِ تَجِيئِي أَلَمُ	حَيْثُ الْخَنَاجِرُ ، كَالْجِرَاحِ دَمُ
وَسَلَامِي الدَّمْعُ الَّذِي سَفَحُوا	فَالِدَا حِ رَغَمِ الْأَذْمَعِ النَّعْمُ
هَانَتْ عَلَى الصَّخْرَا فَوَارِسُهَا	فَالْخَيْلُ لَا سَرْجَ ، وَلَا لُجْمُ
وَعَدَتْ سَيُوفُ الْهِنْدِ غَايِبَةٌ	فَالنَّفْطُ يَشْدُو وَالرَّمَالُ فَمُ
وَالسُّوحُ مِنْ بَغْيٍ وَمِنْ خُتْلٍ	تَتَعَاوَرُ الشُّكُورَى وَتَقْتَسِمُ
فَالْيَكْهَا كَالْجَمْرِ لَا هَبَّةَ	مِنْ بَعْضِ نَارِكَ حِينَ تَضْطَرُّمُ

ويل لهم

يَا أُنْتُ ، يَا عَمَلَاقَ سَاحَتِنَا	يَا أُمَّةٌ تَعُو لَهَا الْأَمَمُ
يَا هِمَّةٌ مَا انْفَلَكَ يَلْهَمُهَا	جَيْلٌ ثَقَالَى دُونَهُ الْهِمَمُ
قَدْ رَاعَهُمْ فِي الْعَابِ سَيِّدُهُ	وَأَمَضُّهُمْ فِي الْجَحْفَلِ الْعَلَمُ
عَقَدُوا عَلَى أَوْبَاسِهِمْ أَمَلَا	وَالْعَارَ فَوْقَ جِبَاهِهِمْ وَصُمُوا

توثب

يَا أُنْتُ يَا كِبْرًا بِجَبْهَتِنَا	يَزْهُو بِظُلِّ شُمُوحِهِ الشَّمَمُ
بَشَرٌ بِفَجْرِ الْجَيْلِ قَافِلَةٌ	تَغْفُو عَلَى أَضْلَاعِ قَيْدِهِمُ
وَاصْمُدْ لَتَبَعَتْ أُمَّةٌ غَرَفَتْ	فِي أَلْفِ حُلْمٍ مِنْ وُغُودِهِمُ

أَبَا مُهَنْدٍ يَا أَخَا حَلَصْتُ
مِنْهُ الطَّبَاعُ وَطَابَتِ الشَّيْمُ
تُعْلِي الفَصَاحَةَ مِنْ صَبَاحَتِهِ
وَيَزِينُ رِقَّةَ لَطْفِهِ الشَّمَمُ
أَشْكُو إِلَيْكَ وَإِنْ زَوَى أَلْمِي
غَضَبٌ تَقَاصَرَ دُونَهُ الْأَلَمُ
أَرْضًا تَنَاسَخَتِ الشُّرُورُ
وَتَهَاوَتِ الْأَقْدَارُ وَالْقِيَمُ
غَطَّتْ عَلَى رَأْسِي بِهِ قَدَمُ
وَتَسَاوَتِ الْأَسْفَالُ وَالْقِيَمُ
يَا صَائِعَ الْبِدْعِ الْحَسَانِ
بِهَا يَتَجَاوَبُ الْإِحْسَاسُ وَالنَّعَمُ
بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي الْهَوَى صِلَةٌ
مَا إِنْ يَجِيءُ بِهَا رَحِمُ

الميدان والفارس

لَنْ يَتْرُكَ الْمَيْدَانَ فَارِسُهُ لَا ، لَمْ تَزَلْ لِشُورِهَا الْقِمَمُ
إِنْ يَكُبْ غَيْرَ السَّاحِ مُخْتَضِبًا فَهَدِيرُهُ الْبُرْكَانُ وَالْجَمَمُ

العملاق

يَا أَنتَ يَا عَمَلَقَ سَاحَتِنَا يَا أُمَّةً تُعْنُو لَهَا الْأُمَمُ
يَا بَاعَتْ الشُّرُورَاتِ ثُلُومَهَا عَزَمًا ، فَتَبَعْتُ فِي اللَّطَى الرَّمَمُ
تَشْكُوكَ جُرْحًا فَاغْرَأَ قَمَهُ وَشُهُودُهُ مَاتُوا ، وَمَا عَلِمُوا

حَجَجَ نَحْبُ بِنَا وَنَحْنُ فَمَ
 لِفَمِ بِحَبْلِ الصَّبْرِ نَعْتَصِمُ
 تَقَاسَمُ الْآهَاتِ يَجْمَعُنَا
 فِي النَّائِبَاتِ الْهَمُّ وَالْهَمُّ
 تَشْدُو فَيَنْسَجِمُ الْهَوَى شَرْقاً
 بِالْحُبِّ وَالتَّجْوَى وَتَنْسَجِمُ
 وَتُضِيءُ شَمْعَتُنَا ، فَيُطْفِئُهَا
 مُعْبِرٌ دَرْبِ كُلِّهِ ظَلَمُ
 أَبَا مُهَنْدٍ وَالْجِرَاحُ فَمَ
 وَفَمِي بِهِ مِنْ جُرْحِهِ وَرَمَ
 مَاذَا سَيَقِي لَأَمْرِيءٍ حُجِبَتْ
 عَنْهُ الرُّؤَى — وَالرَّأْيُ — وَالْكَلَمُ
 أَبَا مُهَنْدٍ رَبِّ عَاقِبَةٍ
 خَرَسَاءُ يُحْمَدُ عِنْدَهَا السَّقَمُ
 لَا أَظْلَمُ التَّسْعِينَ يَغُوزُهَا
 سِتٌّ سَيُطْبِقُ بَعْدَهَا الْعَدَمُ
 فَلَطَّالَمَا شَدَّتْ تَوَابِضُهَا
 بِالْأَرْبَعِينَ وَكُلُّهَا ضَرَمُ
 لَكِنْ بِمَا اخْتَدَتْ جَمَرَتُهَا
 فِيمَا يَشِيْعُ الْيَأْسُ وَالسَّأَمُ
 دَاءَانِ إِمَّا اسْتَحْكَمَا صَنَعَا
 بِالنَّفْسِ مَا لَا يَصْنَعُ الْهَرَمُ

بَلْ لَوْ كَفَرْتُ لَهَزَّنِي نَدَمِي
 لَوْ جَاَزَ عَنْ خَيْرٍ مَضَى نَدَمُ
 أَبَا مُهَنْدٍ مَسْنِي بَرِّمُ
 وَرَدِيفُ كُلِّ فَجِيعَةٍ بَرِّمُ
 عِنْدِي لَوَاعِجُ تَسْتَفِزُّ دَمِي
 وَتَحْزُنُ مِنْ جِلْدِي وَتَقْتَحِمُ
 أَبَدًا تُعَاوِدُنِي وَسَاوِسُهَا
 وَيَرْجُ فِيهَا الْيَقْظَةَ الْحُلْمُ
 حَتَّى إِذَا حَاوَلْتُ الْفُظْهَا
 عَاصَى بِهَا الْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
 وَتَبَسَّتْ وَالشَّجْوُ يَخُنُّنِي
 كَالسَّيْفِ يَوْمَ الرَّوْعِ يَنْثَلِمُ
 مَا نَحْنُ مَا دُنَيَْا مُصَعَّدَةً
 غُرُّ النُّجُومِ لِأَرْضِهَا خَدَمُ
 مَا النَّاسُ . مَا الْإِنْسَانُ . مَا كَتَلُ
 مَرْفُوضَةٌ . مَا هَذِهِ التُّظُمُ
 مَا حُرْمَةُ الْقَانُونِ دَنَسَهَا
 مَنْ سَنَهُ مَا الْحِلُّ . مَا الْحَرَمُ
 أَبِلَادُ مِلْحٍ تَحْتَ رَمَلَتِهَا
 بَحْرٌ مِنَ الْإِبْرِيزِ يَلْتَطِمُ
 وَعَلَى الثَّرَى الْمُنْهَارِ أَعْمِدَةٌ
 سَبْعٌ وَهْنٌ لِعَبْرَةٍ حَكَمُ

يُغْرِي بِهَا السُّلْطَانُ وَاعِظُهُ
إِنَّ الْحُظُوظَ عَلَى الْوَرَى قِسْمٌ
قِسْمٌ عَلَى خِزْقٍ بِمَا غَنِمُوا
وَعَلَى عِبَاقِرَةٍ بِمَا حُرِمُوا
أَفَامَةٌ هَذِي التِّي هَزَلَتْ
وَتَنَاثَرَتْ فَكَانَتْهَا أُمَمٌ
يَسْطُو عَلَى صَنَمٍ بِهَا صَنَمٌ
وَيَعَارُ مِنْ عِلْمٍ بِهَا عِلْمٌ
وَيَسَاوِمُونَ عَلَى شُعُوبِهِمْ
أَعْدَى الْخُصُومِ كَانَتْهُمْ حَكَمٌ
أَمْشَرْدُونَ وَأَرْضُهُمْ ذَهَبٌ
وَمُجَوِّعُونَ وَبَيْتُهَا عِمَمٌ
أَفَا أَلْفَ مَلِئُونَ وَقَبْلَتْهُمْ
يَبِيدُ الْيَهُودِ الصُّفْرُ تُقْتَسَمُ
خَوَاتِ النَّفُوسُ فَمَا بِهَا نَفْسٌ
وَعَفَا الْجَوَاءُ فَمَا بِهِ نَسَمٌ
وَمَشَى يَلْفُ النَّافِحِينَ بِهَا
أَحْضَانُهُمْ وَرُؤُوسُهُمْ رِمَمٌ
عَنْ كُلِّ مَا يُقْدِي الْعُيُونَ عَمَى
وَعَنِ الَّذِي يَلِدُ الصَّدَى صَمَمٌ
وَعَفَا الشَّبَابُ فَمَا لَهُ أَرْبٌ
فِي «سَدِّ مَارِبٍ» سَيْلُهُ الْعَرَمُ

أَبَا مُهَنْدٍ شَرُّ مَنْ حَكَمُوا
 مَا كَانَ لَوْ لَا ذَلِكَ مِنْ حُكْمُوا
 مَاذَا عَلَى الرَّاعِي إِذَا اغْتُصِبَتْ
 عَنْزٌ وَلَسَمَ تَتَمَرَّدُ الْعَنَمُ
 يَا أَيُّهَا «الطَّاعُونَ» حُلِّ بِنَا
 وَيَمِثِلُ وَجْهَكَ تُكْشَفُ الْغَمَمُ

أخي أبا سعد ...

- مهداة الى الدكتور صلاح خالص .
- تنشر لأول مرة .

أخي «أبا سعد» ومن قبل
أهدى ستقبس جهرتي قبسا
يا صفو اخوان الصفاء اذا
ما جف نبـع مروءة وجسا
شوقا اليك يشد نابضه
حب ترعرع بيننا ورسا
والذكريات ترف ناعمة
رف الـنسـيم بحسرة همسا

* * *

أصلاح لم تبرح صفـي هوى
صدق إذا ما الكاذب انتكسا

ما انفك يومك مثل أمسك ، عن غد
كلفنا بحب الخير منغمسا
تشئت ضوء الفجر ترقبه
وتميز خيطيه اذا التبس
عوت «الذئاب» علي ناهزة
فرصا تثير الذئب مفترسا
ينهشن من لحمي وكل دم
فيه لخير الناس قد حُبس
من كل داج لا يحب سني
للصبح يطمس ليله التعسا
ودفعت جمع يد ، وملء فم
ومداهن أصغني فما نيسا

* * *

«أصلاح» اني والذذي قدرت
يده النفوس ، وقدر النفسا
لأكف نفسي وهي جامحة
عن أن تروح لغيظها فرسا
وأصونها ما اسطعت عن شر
وان ابتليت الحاقد الشرسا
«أصلاح» أنا رهين مجتمع
يخشى اللصوص فيذبح العسا

خلصا يسر الصالحين به
والطالحون يسوءهم خلسا
يزهى بفارسه اذا افترسا
وبضوء نجم ساطع طمسا
ونتاج زرع لا يداس به
الا على الزهر الذي غرسا

* * *

«أصلاح» لا جزعا كمن يئسا
لكن تفكُّرُ ملهم حدساً
فالموت يدرك كل ذي رُمق
كالنوم يدرك كل من نعسا
والمرء مرتطم بحفرتيه
من قبل أن يهوى فيرتكسا
ما أوحش الدنيا تفرقنا
وكأنتنا من هاجس هجسا
يبرز حاضرننا وقابلنا
شفق يحرق وراءه غلسا
والعمر كنز يستغن به
فاذا به يوما قد اختلسا
فضفضاض ثوب تحته رصد
بالمراء ينزع عنه ما لبسا

جهنم يقيم على مدارجنا
وعلى صدى أنفاسنا حرسا
تعيّا أزاهير السرى نطففت
بعبير بسمتها اذا عيسا

* * *

«أصلاح» «ما جدوى منى» أنف
عد السنين يردها يسا
درجت «ثمانون وأربعة»
وتحجر النبع الذي انبجسا
ورميت بالقرطاس يثقلنسي
وكفرت بالقلم الذي انغمسا
وصحوت عن نفس مضت عبثا
تغرى بـ «ليت» و «ربما» و «عسى»
وصحت فلا بالطهر يطرهما
عجبا ، ولا هي تجحد الدنسا
«اصلاح» ظل كانت ذا ثقاة
بالنفس يقظانا ، ومحترسا
وسلمت عيرة خائف كنسا
وشجى بخلق مفوه خرسا

براغ ١٩٨٤/١٢/٣٠

الجواهري

العماد

- ألقاها الشاعر ، مرفقة بمجموعة كاملة من ديوانه ، في الندوة التكرمية التي أقامها السيد (العماد) مصطفى طلاس ، بحضور نخبة من الأدباء والشعراء والشخصيات البارزة ، والتي تفضل العماد فيها بإهداء (السيف العربي السوري المذهب) إلى الشاعر . وذلك في شهر أيار ١٩٨٤ .

عمادَ المعالي يا أخا الفضل والندى
ويا ترب آداب ، ويا خدن أشعار
ويا أرحمًا فيه للبشرِ هزة
كما اهتز نوازٌ بأنسام أسحار
لك الله من ذي نخوة مضريّة
وحامي ذمار في كربة مغوار
ومن جاهز في كل قدح يجيله
مفاخر أنصاب ، وأجناد أيسار
ففي قصب للسبق في حومة الوعى
زحوف مغاوير ، ورايات أنصار

حب للسبق فيما يخطه
ترانيم أوتار ، وروعة أسفار

عماد المعاني : لكرم موكل
يشابهه من طيبين وأخيار
نعت بتكرمي مناحة منعم
س كل موهوب ، لدى كل مضمار
فيما فارس الأعداء تلف حوله
أضاميم خلان ، وأوضاع سمار
تقبل أضاميم من الشعر صفتها
لندوتك الزهراء باقات أزهار

ماذا أغني ؟

- تنشر لأول مرة ، وقد أرسلها الجواهري الكبير إلى صديقه السيد « جلال الطالباي » رئيس حزب الاتحاد الوطني الكردستاني في ١٠/١٢/١٩٨٠ جواباً على رسالته التي يستثيره فيها على أن « يغني » من جديد بعد صمت غير قصير . وهذه القطعة والقطعة التي سبقتها في الستينيات ما لم تحوِ الطبعات السابقة في دواوينه .

كشوق ناءٍ غريب الدار للوطن	شوقاً « جلال » كشوق العين للوسن
وأنت مني محل الروح في البدن	شوقاً إليك وأنت النور من بصري
تستلُّ من كثرة عبء على الزمن	وأنت من قلة يسخو الزمان بها
لم تدر أنا كفء الضُرِّ والمحن	شوقاً إليك ، وإن ألوت بنا محنٌ
هو اللقاء على نهج من السنن	لم تدر أن فراق الصامدين لها
حيث ابتدَّت صَبْحَةُ الغادين بالوثن	مستوثق ينتهي سَعْيُ الحجيج به

* * *

شَمَّ النسور به إلا على وهن	يا ابن الذرى من عُقابٍ غير مُصعدةٍ
غرُّ النجوم ، ويلقاها بمحتضن	يرق السماواتِ عملاقاً ، وتحضُّنه

حتى إذا هز عطفه، وعأوده
 نلقفته ينايغ، وأوديعة
 من لطفها وتساميه مثنى بشر
 من كل أبيض صهال بها حرد
 صعب الشكيمة مرداة مقحمة
 طابت ألوكتك الغراء تنفحني
 وذكريات كأن البعد يصبغها
 حسبي غناء بما فجرت من ألم
 وحسب شعري فخراً أن يحوز على
 عف النقيصة، حيث العف نادرة

رعي السفوح بمنجاة من الفتن
 خضر تجليين موشياً من اليمن
 فيها بأحسن من خلقيهما الحسن
 آب غضاض لجام منه أو رسن
 مستبسل، مستراب المتطى حزن
 يعطر عهد كريمان الشباب جنني
 بكل مفتتن فيها لمفتتن
 مريح في حنايا الصدر مختزن
 راو كمثلك ندب، ملهم فطن
 وظاهر النفس لم تطرق على درن

* * *

يا صفوة الصفو من صحبي واقربهم
 ناشدتني ولبعضي النشد معتبة
 أن لا أزم — كما عودت — من شفة
 وأن أغني، وأن أجدو — تريدهما
 صفحاً جلال، فقد أفرزت هاجعة
 فوالدي صاغ غشالا لصورته
 اني — كمهدك — تلك النار تعرفها
 لم تلف من مصطل شهيم يوججها
 فما التغني؟ ولا موج، ولا سمر
 ماذا أغني، ولي جمر على شفتي
 لم يبق في «الحمي» من يحمي ظعيتة

مني، واصدقهم في السر والعلن
 ورب معتبة من سيء الظنن
 لم تلف مزومة يوماً، ولم تكن
 للنائر الحر لا للطير في الفنن
 من الرؤى، واطرت النوم عن شجني
 من الضمائر لم تجحد ولم تبين
 وذلك الصلب، لم تخمد، ولم يكن
 أو محرب بمدوي وقعة قمن
 ولا سميع وكل لف في كفن
 ومن أغني؟ وما من معشر أذن
 ولا على الدار من يرمي عن السكن

ولا يُعْنِي طليقاً موت مرتين
وذلة اليوم، أمر غير مقترن
ويوم تُدعى لكي تبكي على دمن

لا يُصرخ الجار منهم عرض جارتهم
أم أنت تقرن من أمر وعزته
شأن أيام تبكي روضة أنفأ

* * *

على التمرق والشارات، والإحس
صبر الحمار على مرأى من الأثن
وجد التجار بسوق الريح والغبن
من المهانة لا يرضى لمتهن
من «الامارة» ملء العين والأذن
ولا ينم بوجه غير مُحْتَقِن
من التناذر في جل وفي ظعن
مضيئين ضياع الماء في اللبن
مثل الجحاش وملززين في قرن
ويقذف الطهر في مستوى عفن
هوج العواصف بالسفار والسفن
واليوم يدفع عنه العار بالعن
به يمنعون في السراء والحزن
هو الخلائف من أعقاب «ذي ين»
شدو الرصاص ولحن الصارم اللدن
فلا سقت قبره صباباً المزن
فليصنع سمعا إلى مستنقع تنن
ولانه عن هُتاف الثائرين غني

من ذا أغني أشتاتاً موزعة
أم صابرين على ضيم ومسكنة
أم «الطلائع» مزعومين شفهم
أم «الربيط» كعير الحى في وئيد
ما كان أبعد يوميه.. على طنيف
لا يرفع الطرّف تهاً في مخاطبة
ويوم لا خبر عنه سوى تنيف
دارى فحكّم فاستوصى على همل
مُسْتَوِزين، ولملومين عن شعب
وسلّط العهركي يحمي مقاتلة
حتى إذا عصفت الدولاب، وارتطمت
ماتت «فحولة» أيام الرخاء به
وقلت لي أن «ناساً» شفهم نغمي
فهل تراني «مزمراً» يُثار به
تباً لهم، أفلا ثاروا ليطربهم
فمن يطخ منهم في غير معترك
ومن يعش لناغي سمعه نغم
نق «الضفادع» يغنيه ويؤنسه

أيه «جلال» وما عُودِي بِمَحْتَطَبٍ
فإن يُسْئِكَ مقال غير مُدْهِن
ما أسخف الناس مسبوكين من ذهبٍ
وضائعين أبديدا كصارحة
خامرئهم غير ما مستغفل بهم
وكنْتَ «وعداً» لهم في كل مرتقبٍ
فما مشت بهم الأيام، وانتبذوا
إلا وقد ادبروا عن أي مؤتمنٍ
وغادروني بموهبة مصوحبة
حتى كأني — وأشبالي — بعيدهم
وكنْتَ منهم كمصلوب على «وثني»

ولست من نفرٍ مخضوضٍ مرنٍ
فعذره أنه من غير مُدْهِن
ومُوجِلين، ومنفوشين من عهدٍ
لم تغن من أمرها شيئاً ولم تُعِن
لكن كمن خين في عهدٍ ولم يخن
ما حان منه، وما استأني فلم يَحِن
بالمركب السهل ظهر المركب الخشن
واستقبلوا أيَّ غدار بهم أفن
وعنده غرف الجنات من عدن
عُفِرُ الأضاحي من المنحورة البُدن
صحا على ربه يوماً فلم يدن

* * *

يا صاحبي — وموت المزمون غداً —
لئن ندمتُ على ما فات من زمينٍ
كيما أروحُ أصالي كل ذي دُخيلٍ
وكسي أنشر من عوارثهم مِرْقاً
اذن سيدرون معنى «الزم» من شفةٍ
فلن أغني باعراسٍ مُهلَهلةٍ
ولن أطوح نشواناً بليلتهم
ولن أطار بمرجوين في غدهم

وخالدٌ صدق قول ناطفٍ زَمِنٍ
فلست آيسُ ان يمتدَّ بي زميني
من أمرهم، وأعري كل ذي دَخِنٍ
مشهرات على الأرياف والمُدن
لم تُعطَ يوماً، ولن تعطي لذي لسنٍ
ولن أنوح على موتى بلا ثمنٍ
حُبلى بمُفتعل الثورات والفتن
من البدائل في الاصباغ والسيخن

* * *

«جلال» صُنْتُ عهداً بيننا وثقتُ فما توثقتُ من عهدٍ بهلِ فُضِنُ

لا تبغني بوق «حرب» غير طاحنة
ولا تردني لحال لست صاحبها
شوقاً «جلال» كشوق العين للوسن
بها تزينا كذوب زئي مطحن
وما تردني لحال غيرها أكن
كشوق ناء غريب الدار للوطن

فرقة الدفاع عن السلام

- نُظِمت في أوائل الثمانينيات ، بمناسبة الاستعراض الرياضي العالمي في برلين .
- نُشِر لأول مرة .

أَفَأَنْتُمْ _____ لِلسَّلامِ	مَنْ تُرَى ظَلٌّ لِلْحُرُوبِ؟
أَوْ زَحْفًا إِلَى الْأَسْـلَاحِ	سَلِمَتْ هَذِهِ الْكُعُوبِ
لَا تَلَوِّحَنَّ بِالسَّلاحِ	لَدَيْكُمْ مَا يَنْسُوبِ
مَا تَهَادَى عَلَى الصُّدُورِ	وَمَا ضَمَّتْ الْجِيُوبِ
وَمَا لَمَّتْ الرِّمَـوشُ	مِنْ رُؤَى عَالَمٍ تَجُوبِ

* * *

بِالْعَيْنِ _____ أَسْلَمَتْ	لَهَا أَمْرُهَا الْقُلُوبِ
خَوْفٌ _____ بَأَن مِّنْ	يَدْنِي مِنْهُ مَا يَذُوبِ
وَبِأَن لِّس تَدْرِي	تَوْبَةً عَنْهُمَا الذُّنُوبِ
لَا وَعَيْنُكَ لَنْ أَتُوبِ	لَنْ أَتُوبِ، لَنْ أَتُوبِ!!

عهد المروءة .

- نظمت في براغ في ربيع عام ١٩٨٥
- تنشر لأول مرة .

عهد المروءة أنت أعـودا أرعى لك العهد السعيدا
أرعى لك العشرين تطمـع بعد خمس أن تزيـدا
عهد المروءة أنت أعـودا وأن أعاد، وأن أعيدا

* * *

أنتن يا أيا منـا حوراً كما لملمن غيدا
بيض الليالي يتفديـن بتلكم الإصباح سودا
هل ترجعن لمن تطاول ليله فجراً جديدا
أنتن يا زهر النجوم وأمس كنتن الشهودا
إني أغرت بكـن شقراء، وصهباء، وعودا

برئت من الزحوف

- نظمت في حزيران ١٩٨٥
- تنشر لأول مرة .

ألست محجّ شبّانٍ وشيبٍ ؟
ألست منارةً البلد السليبِ !؟
وُسْمَعُ من هناك بلا نسيبٍ !
ألا أنبيك بالعجبِ العجيبِ !؟
وقد نقرت بالجرحِ الرغيبِ
تسدّ عليّ منعطف الدروبِ
بهنّ مزاحفُ البلدِ الغريبِ
مساخرَ ليلة حُبلى طروبِ

وسائلةٍ أنت تُسبُّ جهراً
ألست خليفة الأدب المصطفى
أيسرُحُ شاتمك بلا حسيبِ
أقول لها ألا أكفّيك عبثاً
لقد هجت اللواعج كامناتٍ
برئت من الزحوف وإن تلاقث
زحوف «الرافدين» فقد تهزّت
فأكرم من مساخر زاحفات

* * *

سوى قُبَلِ الحبيبِ على الحبيبِ
لتسلمه إلى يوم عصيبِ
ومرتكبي ومشبوه مريبِ

برئت من الزحوف بدون حولِ
تسدّ عليه في يوم رخيٍّ
لتسلمه الى ويشرٍ خسيرِ

سوى ما دُسَّ منها في الجيوبِ
وتدفع بالمحسن للعيوبِ

الى صحف تسفُّ بلا ضمير
تطوّح بالمواهب للدواهي

* * *

تُخلف سكتة الموت الرهيبِ
ولا أسدُّ يبيح دماً لذيبِ
زرافات تنشر بالطيوبِ

برئتُ من الزخوفِ مجمعات
مباحٌ عندهنّ دمي لذئبِ
فليت فداء شهيم مستميتِ

* * *

ولم تزلِ الرؤوسُ على الكعوبِ
ينطّ بها البعيدُ على القريبِ؟!
تصيخُ إلى صدى الحرف الذهبِ
كما مسحَ «المسيح» على الصليبِ
نيّل أو أديب أو أريبِ
ملايينُ تقاتل بالوجيبِ
بأن تطوى الضلوعُ على القلوبِ؟!
ويالتعاسة البلد العجيبِ!

وما برحَ السؤالُ بلا مجيبِ
أينض مقدمي ستين ألفاً
تلقف ما أصوغ لها وقوفاً
ويُعملُ كني أمسح عنه طفلُ
وأنبذ بالعراء بلا نصيرِ
فيا لك أعزلاً وله جيوشُ
أيدفعُ عنك ملحمة وضراً
ويال لمؤلّه فيها غريبِ

بغداد ...

● تُنشر هذه القصيدة لأول مرة .

لا درّ درّك من ربوع ديارِ
يهفو الدّوار برأس من يشاقها
لكأن طيفك إذ يطوف بجنة
لا درّ درّك عريّة غطى بها
واستامها فلك النحوس وشوّهت
عشرون قرناً وهي تسحب فوقها
لم يرو فيها «الراقدان» على النّهي
هوت الحضارة فوقها عريّة
ومشت لوادي «عقير» فتكفّلت
بابن المقفّع ، وابن قدوس ،
وبالملى الدنيا وشاغل أهلها
بأي «مُحسّد» وهي تقطع صلبه
ديست رؤوس الخيريين وعطّرت
وتنوهبت ميزقاً لكل مُخنّب
لا كنت من حجر «تبغدد» حوله

قرب المزار بها كبُغدد مزارِ
ويصاب - وهو يخافها - بدوارِ
غناء يمسحها بسوح قفارِ
من لعنة التاريخ شرّ دثارِ
مما يدور دورة الأقمّسار
بدم ذيول مواكب الأحرار
وعلى النبوغ غليل حقد وار
وتفردت «آشور» بالآثار
بعذاب كل مدوّخ قهار
وبالحلاج والموحى له بشّار
وبأيما فلك لها دوار
لم يدر عارّ مثل هذا العار
أقدام فجّار بها أشرار
أوصال فحلّ خالق هذار
عبّاد أصنام به أحجار

يا أمتي ... يا عصابة الأمم !

- ألقى في الحفل الكبير الذي أقيم في دمشق ، في قاعة المحاضرات الكبرى بمكتبة الأسد يوم ١٦ / ٤ / ١٩٨٦ ، في أسبوع الثقافة العراقية . وبمناسبة العدوان الام بكبي ضد الجماهيرية الليبية ، وتهديد سوريا .
- تنشر كاملة لأول مرة .

يا أمتي - يا عصابة الأمم
لا تغضبي - يا ثلج - من ضررمي
لا تغضبي - ويدي معطلّة -
أن أقذف اللعنات ملء فمي
وعلام تغضب حكماً نعباً
خزيان محكوماً من القيدم ؟
بل ما يضير القدح في حجر ؟
بل ما يثير الشحم في السورم ؟
يا سوء حظ دُمى مرقصة
يلهي بها وثداس بالقيدم

إِنِّي لَأَسْأَلُ «قَادَةَ» أُذُنًا
 يَتَخَارِسُونَ بِحُجَّةِ الصَّمَمِ
 فِيمَ الْحَيَاةِ — تُرَى — إِذَا عَرِثَتْ
 مِنْ أَخْذِ ثَنَارٍ عَنْ دَمٍ يَدَمُ ؟
 وَإِذَا النَفْسُ هَوَتْ إِلَى الْوَرَمِ ؟
 وَإِذَا الْأَنْفُ تَخَلَّتْ مِنَ الشَّمَمِ ؟
 وَلِمَ الرَّجَالُ — وَفِي الْحَرَمِ غَنَى —
 فِيمَا اسْتَبِيحَ لَهُمْ مِنَ الْخُرْمِ ؟
 مَا أَقْبَحَ الْأَصْنَامَ لَيْسَ لَهَا
 دَعَاةُ الرِّضَى وَالصَّمِتِ فِي الصَّنَمِ
 يَتَفَرَّجُونَ عَلَى مُقَابِحِهِمْ !
 إِذْ يَدْعُونَ مُحَاسِنَ الشَّيْءِ
 فِي «لَبِيَا» جَمَمٍ وَعِنْدَهُمْ
 مَا شَاءَتِ الشَّهَوَاتُ مِنْ جِمَمِ
 أَفِيذِبْحِ الطِّفْلِ الرِّضِيْعُ بِهَا
 وَهُمْ لِمَنْ ذَبَحُوهُ كَالْخَلْدِ !
 اللَّهُمَّ عَفِّوْكَ لِنَسِي بَرِّمِ
 وَلَقَدْ يُدَسُّ الظِّلْمُ فِي الْبَرَمِ
 فَلَيْسَ تَعَابَيْتِ الْجِيوشُ بِهِمْ
 فَلَيْسَ دِيهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْكَلَمِ

الفهرس

٧	اهداء
٩	تمهيد
١٥	مقدمة الدكتورة نجاح العطار
١٧	في رحاب الشعر
٢١	على قارعة الطريق
٣١	الجواهري في سطور

العشرينيات

٤٣	ثورة العراق
٤٧	الليل والشاعر
٤٨	جناية الأماني
٥٠	سلام على أرض الرصافة
٥٢	عاطفات الحب
٥٣	في بغداد
٥٥	الشاعر
٥٦	على حدود بلاد فارس

٥٨	الذكرى المؤلمة
٦٠	الريف الضاحك
٦٢	سجين قبرص
٦٤	على ذكرى الربيع
٦٧	بغداد
٦٩	في الثورة السورية
٧٢	على دربند
٧٤	الخريف في فارس
٧٥	الخطوب
٧٧	ثورة الوجدان
٧٩	أيها المتمردون
٨١	الرجعيون
٨٤	النزعة!.. أو ليلة من ليالي الشباب
٨٨	جربيني

الثلاثينيات

٩٥	الأوباش
١٠١	المحرقة
١٠٤	شبابٌ يزوي!
١٠٦	الدم يتكلم .. بعد عشر ..
١٠٩	عريانة!...

١١٢	حافظ إبراهيم
١١٥	الأنانية
١١٧	أحمد شوقي
١٢٠	القرية العراقية
١٢٣	صورة للخواطر
١٢٥	أفروديت
١٣٩	سامراء
١٤٣	بدیعة
١٤٥	وحي الرسمية
١٤٧	ليلة معها
١٥٠	عقاييل داء
١٥٣	الذكرى أو دمة تثيرها الكمنجة
١٥٥	ثورة النفس !
١٥٧	وادي العرائش
١٦٠	معرض العواطف
١٦٣	الفرات الطاعني
١٦٥	أول العهد
١٦٦	الصبر الجميل
١٦٧	المآسي في حياة الشعراء
١٦٩	تحرك اللحد
١٧٢	إلى الشباب السوري
١٧٥	يوم فلسطين

١٧٧	 ناجيت قبرك
١٨٠	 الاقطاع
١٨٣	 لبنان

الأربعينيات

١٨٩	 أجب أيها القلب
١٩٤	 سواستبول
١٩٨	 أمم نحد ونلعب
٢٠١	 بنت بيروت
٢٠٤	 ستالينغراد
٢٠٨	 إلى الرصافي
٢١٠	 أبو العلاء المعري
٢١٥	 جمال الدين الأفغاني
٢١٨	 يافا الجميلة
٢٢١	 طرطرا
٢٢٦	 ذكرى وعد بلفور
٢٢٩	 ذكرى أبو التمن
٢٣٣	 دجلة في الخريف
٢٣٦	 إلى المناضلين
٢٣٨	 عمر الفاخوري
٢٤٠	 ذات الحجاب

٢٤١	 أخى الياس
٢٤٣	 المقصورة
٢٥٤	 عُدنا وقوداً
٢٥٦	 مقطعات من لندن
٢٥٨	 آمنت بالحسين
٢٦١	 أخى جعفر
٢٦٦	 يوم الشهيد
٢٧٣	 غضبة
٢٧٧	 أطل مكاناً
٢٨٠	 أنيتا
٢٨٢	 شهرزاد
٢٨٨	 ذكريات
٢٩٤	 فراق
٢٩٧	 وداع
٣٠٠	 هاشم الوترى
٣٠٧	 أطبق دجى
٣١٠	 حنين

الخمسينيات

٣١٥	 إلى الشعب المصرى
٣٢٠	 باق وأعمار الطغاة قصار

٣٢٤	 معروف الرصافي
٣٢٩	 تنويع الجياح
٣٣٤	 ققص العظام
٣٣٧	 مقالة كُبرت
٣٣٨	 في مؤتمر المحامين
٣٤١	 نوري السعيد
٣٤٢	 الدم الغالي
٣٤٥	 أطياف بغداد
٣٤٧	 ذكرى
٣٤٨	 ما تشاؤون
٣٥١	 الشباب المستخث
٣٥٢	 كما يستكلبُ الذئبُ
٣٥٦	 صبوة
٣٥٧	 خبت للشعر أنفاس
٣٦١	 كفارة وندم
٣٦٥	 قال ... وقلت !
٣٦٧	 يا أمَّ عَوف
٣٧٣	 خلّفت غاشية الخنوع
٣٧٧	 رجل
٣٧٩	 وحي الموقد
٣٨٢	 ذكرى المالكى
٣٨٥	 أرميت العود فانكسرا

٣٨٧	 نحن والكلم
٣٨٨	 كم ببغداد الأعيب
٣٩٠	 ونخطُ المشيب
٣٩٢	 غيداء
٣٩٤	 كفرت
٣٩٦	 قبيل الموت مات !
٣٩٧	 أرف الموعد
٤٠١	 الشيخ والغابة

الستينيات

٤٠٧	 في عيد العمال
٤١٠	 رباعيات
٤١٣	 المستنصرية
٤١٥	 لبنان يا حمري وطيبى
٤٢١	 من دفتر الغربة
٤٢٣	 أنتم فكرتني
٤٢٧	 يا دجلة الخير
٤٣٥	 أيها الأرق
٤٤١	 يا نديمي
٤٨١	 أبا زيدون
٤٨٣	 سأقول فيك

٤٨٥	حييتن بعيدهن.....
٤٨٨	أطفالي وأطفال العالم.....
٤٩١	يا غريب الدار.....
٤٩٧	سلاماً عيد التضال.....
٥٠٠	يا خيالي.....
٥٠٢	کردستان يا موطن الأبطال.....
٥٠٦	بريد الغربية.....
٥٠٩	بائعة السمك في براغ.....
٥١١	الخطوب الخلاقة.....
٥١٣	من بريد الغربية.....
٥١٦	براغ أو حوار.....
٥١٩	الفداء والدم.....
٥٢٢	أرح ركابك.....
٥٢٧	رسالة مملحة.....
٥٣٣	يا ابن الفراتين.....
٥٤٠	زوربا.....
٥٤٥	وصرفت عيني.....
٥٤٧	حمار عيسى.....

السبعينيات

٥٥١	يا غادة الجيك ويا سحرهم.....
-----	------------------------------

٥٥٦	 ذكرى عبد الناصر
٥٦١	 أقول : ملئتُها .. وأعود !
٥٦٤	 لمي لهاتيك لَمّا
٥٦٩	 سائلي عمّا يؤرقني
٥٧٢	 يومان في « فارنا »
٥٧٦	 مناجاة !
٥٧٩	 آهات
٥٨٣	 خلّي ركابك
٥٨٥	 تحية .. ونفثة غاضبة
٥٩٠	 يا رسول النضال
٥٩٢	 أزح عن صدرك الزُّبدا
٥٩٧	 حبييتي
٦٠٣	 فاتنة ورسام
٦٠٤	 رسالة ... إلى محمد علي كلاي
٦٠٨	 طنجة
٦١٠	 آليت
٦١٥	 بعد العرس
٦١٨	 لغة الثياب ، أو حوار صامت
٦٢١	 يا فرحة العمر
٦٢٢	 ذكريات من أثينا .. سجا البحر
٦٢٦	 فتي الفتيان .. المتنبي
٦٣٢	 دلفت إليك

٦٣٥ مصاييح البيان

الثنائيات

٦٣٩ يا ابن الجنائي

٦٤٣ يا ابن الثمانين

٦٥٢ سلاماً أيها الأسد

٦٥٦ الغضب الخلاق

٦٦٠ آبا مهند

٦٦٧ أخي أبا سعيد

٦٧١ الغماد

٦٧٣ ماذا أغني ؟

٦٧٨ فرقة الدفاع عن السلام

٦٧٩ عهد المروعة

٦٨٠ برئت من الزخوف

٦٨٢ بغداد

٦٨٣ يا أمتي ... يا عصبية الأمم !